السَّنَاءُ فِي سِيْرَةِ إِمَامِ سَامَرَّاء

عليٍّ بنِ محمّد الهادي (عليهما السّلام) (ت ٢٥٤هـ)

(دراسة تحليليّة)

السَّنَاءُ فِي سِيْرَةِ إمَام سَامَرَّاء

عليٍّ بنِ محمّد الهادي (عليهما السّلام) (ت ٢٥٤هـ)

(دراسة تحليليّة)

د. رحيم كريم علي الشَّرِيفيّ

أستاذ مساعد الدِّراسات القرآنيّة واللُّغويّة

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنيّةٍ/ علوم القرآن

جُمادى الأولى
١٤٣٥هـ

آذار
٢٠١٤م

جميع الحقوق محفوظة
للمؤلف وللعتبة الحسينية المقدسة

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
قسم الإعلام / شعبة الإعلام الدوليّ
كربلاء - جمهورية العراق
هواتف
(+964) 32325194
(+964) 7801950850
(+964) 7801032655
الموقع الإلكتروني للعتبة الحسينية المقدسة
www.imamhussain.org
الموقع الإلكتروني لشعبة الإعلام الدوليّ
www.imhussain.com
البريد الإلكتروني للعتبة الحسينية المقدسة
ameen@imamhussain.org
البريد الإلكتروني شعبة الإعلام الدوليّ
armag@imhussain.com

لا يسمح بنشر هذا الكتاب أو إعادة إصداره أو نقل أو اقتباس أو ترجمة أو تخزين أو تصوير أي أجزاء منه أو كل محتوياته ورسوماته بأي شكل من الأشكال على أجهزة إسترجاع إلكترونية أو ميكانيكية ، المرئية والمسموعة والحاسوب وغيرها دون إذن رسمي من الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة الناشر والوكيل الحصري للكتاب في دول العالم كافة بموجب عقدٍ مخوِّل من المؤلف ، وأن يتم الرجوع لأمانة العتبة في كل ما يخص تعاملات الكتاب .

قسم الإعلام - شعبة الإعلام الدولي في العتبة الحسينية المقدسة

إشراف ومتابعة : حسن علي كاظم الجبوري
تصميم واخراج : ميثم محمد الحسيني

الطبعة الأولى في العتبة الحسينية المقدسة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا
صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا
﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ
فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ (الفرقان: ٧٣ - ٧٦)

صدق الله العلي العظيم

الإهداء :

إلى الّذي تكحّلت بمحيَّاه عيونُ المهديّين إلى الرّشاد.

إلى الّذي أشْرَقت بنورِ وجْهِهِ أرضُ سامرّاء.

أهديك

يا عَلَمَ الأمّة وهاديها إلى التقى والصلاح، الإمام الهادي (عليه السلام) بِضَاعتي المُزْجَاة، فتصدّق عليَّ بقبولها.

د.رحيم الشَّريفيّ

١)قال الإمام الهادي (عليه السلام) مادحاً سامراء، لأحد أصحابه : «يا أبا موسى، أُخْرجت إلى سُرّ من رَأى كَرْها، ولو أُخرجتُ عنها أُخْرجْت كَرْهاً، فقلت : ولِمَ سيّدي ؟ فقال : لطيبِ هَوائِها، وعذوبةِ مائِها، وقلّةِ دائِها».

(المناقب : ابن شهر آشوب : ٤ / ٤٤٩)

٢)قال الناشِئ الصغير (ت ٣٦٦هـ) يذكر الإمام العاشر الهادي (عليه السلام) :

وتَاسِعُهُم زَيْنُ الأنام مُحَمَّدٌ ... أبو عَلَم لِلْقَوْم أصْبَحَ عاشرا
ومنهم إمامُ سُرّ من رآ مَحَلَّه ... تَمامٌ لحادي العَشْر ظَلَّ مُجاوَرا
وآخِرُهم مَهْدِيُّ دِيْنك إنّه ... إمامٌ لِعَقْد الفاطميّين آخِرا

(ديوان الناشئ الصغير : ٣١٢)

٣)قال علي بن عيسى الإرْبليّ (ت ٦٩٢هـ) مادحاً الإمام الهادي (عليه السلام) :

يا أيّها الرائحُ الغادي ... عَرِّج على سيّدنا الهادي
واخلعْ إذا شارَفْتَ ذاك الثَرى ... فِعْل كليم اللهِ في الوادي
وقَبّل الأرضَ وسُفْ تربةً ... فيها العُلى والشرفُ العَادي
وقُلْ : سلامُ الله وَقْفٌ على ... مستخرج من صُلب أعوادِ

(كشف الغمة في معرفة الأئمة : ٤ / ٤٩)

٤)قال حيدر الحليّ (ت ١٣٠٤هـ) مادحاً الإمام الهادي (عليه السلام) وسامرّاء :

زَانَ (سَامَرّا) وكَانت عَاطلاً ... تَتَشَكّى مِنْ مُحلّيها الجفاءَ
وغَدَتْ أفْنَاؤها آنِسَةً ... وهي كَانَتْ أوْحَشَ الأرضِ فنَاء
حَيِّ فيها (المرقدَ الأسْنَى) وقُلْ ... زَادكَ اللهُ بَهَاءً وَسَنَاءَ
ثم نادِ (القُبَّةَ) العُلْيا وقُلْ ... طَاولي يَا قُبّةَ (الهادي) السَّماءَ
بمَعَالِي (العَسْكَرِيَّيْن) اشْمَخي ... وعَلَى أفْلاكِهَا زِيْدي عَلاءَ

(ديوان السيد حيدر الحلّي : ٢٩ - ٣٠)

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين علاّم الغيوب الذي لم يطّلع على غيبه إلاَّ من ارتضى، وصلى الله على نبيّه المصطفى مهيب السموات والأرضين، محبوب القلوب أجمعين، وعلى آله أدلّة الرشاد، وأوعية العلم، وخزّان الأدب، وعلى صحبه المخلَصين النجب.

أمّا قَبْلُ، فأتقدم بجزيل الشكر، والثناء، والتثمين للقائمين على إحياء تراث أهل البيت (عليهم السلام)، ولاسيما العتبة الحسينية المقدسة لإتاحتها هذه الفرصة المباركة والنافعة للكتابة عن إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليهما السلام) من أجل تثوير الطاقات الكامنة في نفوس مِمّن يتشرّفون بالكتابة عنه (عليه السلام)، وبغية قَدْح ما يرونه مناسباً، وذا فائدة يُضاف إلى ما كتب، وما قيل في سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) العاطرة المباركة.

وأما بَعْدُ، فيشرفني أنْ أدلو بدلوي من بين هذه الدلاء، وأكتب عن سيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، هذه السيرة العطرة العاطرة التي فاح عطرها فملأ الخافقين، وعزّ مجدها فطاول الفرقدين.

إنَّ المرء – حقّاً – ليحار عندما يكتب عن الإمام الهادي (عليه السلام) فهي ملأى بالفكر، والجهاد، والعطاء، والصبر، والإصلاح، والبناء، إنَّها السَّناء[1] الخالدُ.

(١) السَّناء : المجد والشرف والرفعة، السَّنا : الضوء. ينظر : لسان العرب : ابن منظور : ٤ (مادة سنا) ٤٠٣.

وقد تسابق العلماء، وتنافسوا في التأليف في حياة أهل البيت المباركة، مبيّنين مناقبهم، وفضائلهم، ومعاجزهم، وكاشفين عن أدوارهم الجهادية والرساليّة، والإصلاحية وغيرها.

إنَّ الكتابة عنهم (عليهم السلام) من أشرف الكتابات، وأجملها وهي مصداق من مصاديق قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى/ من الآية ٢٣)، ودراستي هذه قد سبقت بدراسات عن حياة الإمام الهادي (عليه السلام) وسيرته، فقد كتب باحثون أفذاذ كالسيد عبد الرزاق شاكر البدري، والشيخ محمد حسن آل ياسين، والشيخ باقر شريف القرشي، والشيخ حسين الشاكري، والمجمع العالمي لتراث أهل البيت (عليهم السلام) وغيرهم.

إنَّ المتأمل فيما كتب عن الإمام الهادي (عليه السلام)، وأخباره، وما يتصل بمشروعه السياسي والفكري، والإصلاحي يرى أنَّه قليل غير وافٍ من جهة، وكثير غير منظّم ولا مبوّب من جهة أخرى، فشمّرت عن ساعد الجدّ والسعي والمثابرة متوكّلاً على الله القويّ المُعين فأوفيت غير الوافي، ونظّمتُ وبوّبت غير المنظّم وغير المبوّب بحسب جَهْدي وطاقتي.

إنَّ القراءة المتأنية الصبور لسيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، وجهاده السياسي الكبير، وتراثه الفكري الخصب، ومشروعه الإصلاحي العظيم توصلنا إلى نتائج مفيدة ونافعة ومثمرة، زد على ذلك فإنَّ الالتزام بالصدق التاريخي والابتعاد عن العاطفة سبيل قويم وصحيح في أي دراسة يُراد لها أنْ تكون مقبولة وجادة، ونافعة.

إنَّ هذه السيرة التي دونتها عن حياة الإمام الهادي (عليه السلام) إمام سامرّاء وسيّدها فيها دعوة للحقِّ، ووحدة للأمة وتماسكها من أجل الوصول إلى مراقي المحبة والمودّة والأخوة، فهي بحقٍّ سيرة توحّد، ولا تفرّق ولا تشتت.

إنَّ الإلمام والإحاطة بجوانب سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) المضيئة والمنيرة يستدعي تتبع سيرته (عليه السلام) تتبعاً دقيقاً في ضوء استقراء ما صدر عنه (عليه السلام)، فضلاً عن ذلك الوقوف على المصادر والمراجع التي كتبت عنه (عليه السلام)، وقد قمت بتتبع سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) في ضوء المصادر والمراجع التي سقطت في يدي وهي كثيرة سواء أكانت القديمة منها أم الحديثة، ولا أبالغ أنَّني قد اطلعت عليها قراءة من أولها إلى آخرها قراءة دقيقة، فتتبع النصوص كان محطّ اهتمامنا وجهدنا من أجل الوصول إلى النتائج المنشودة، والأهداف المرجوّة من هذه الدراسة.

إنَّ أول ما يلقانا من هذه المصادر التي أفدنا منها (تاريخ اليعقوبي) لـ (أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ))، ومن مصادر القرن الرابع الهجري (تاريخ الأمم والملوك) لـ (أحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ))، و (دلائل الإمامة) لـ (أبي جعفر محمد بن رستم الطبري)، و (تاريخ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)) والأئمة ومعجزاتهم المُسَمَّى (الهداية الكبرى) لـ (أبي عبد الله الخصيبي (ت ٣٥٨هـ))، و (مروج الذهب)، و (إثبات الوصية) لـ (المسعودي (ت ٣٤٦هـ))، و (مقاتل الطالبيين) لـ (أبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٤٦هـ))، و (تحف العقول عن آل الرسول) لـ (ابن شعبة الحرّاني)، ومن مصادر القرن الخامس الهجري (الإرشاد) لـ (محمد بن محمد المقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ))، و (تاريخ بغداد) لـ (الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ)، ومن مصادر القرن السادس الهجري (الملل والنحل) لـ (أبي الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ))، و (الاحتجاج) لـ (أبي منصور الطبرسي)، و (مناقب آل أبي طالب) لـ (ابن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ))، ومن مصادر القرن السابع الهجري (الكامل في التاريخ) لـ (ابن الأثير (ت٦٣٠هـ))، وتذكرة الخواص لـ (سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ))، و (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لـ (ابن خلكان (ت ٦٨١هـ))، و (كشف الغمة في معرفة الأئمة) لـ (أبي الحسن الأربلي (ت ٦٩٢هـ))، ومن مصادر القرن الثامن الهجري (دول الإسلام) لـ (الذهبي ت ٧٤٨هـ)، و (البداية والنهاية) لـ (ابن كثير ت ٧٧٤هـ)، ومن مصادر القرن التاسع

الهجري (الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام) لـ (ابن الصباغ المالكي ت ٨٥٥هـ)، ومن مصادر القرن العاشر (تاريخ الخلفاء) لـ (السيوطي ت ٩١١هـ)، و (الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة) لـ (ابن حجر الهيتمي ت ٩٧٤هـ) وغيرها.

أما المراجع، فأهمها (سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام)) لـ (عبد الرزاق البدري، و (الأئمة الاثنا عشر سيرة وتاريخ) لـ (محمد حسن آل ياسين ت ١٤٢٧هـ)، و (حياة الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل) لـ (باقر شريف القرشي)، وسيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) لـ (هاشم معروف الحسني)، و (موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة (عليهم السلام)) علي الهادي (عليه السلام) لـ (حسين الشاكري ت ١٤٣٠هـ)، وأعلام الهداية (علي بن محمد الهادي (عليه السلام) لـ (المجمع العلمي لأهل البيت (عليهم السلام))، وغيرها.

وبعد الإحاطة بهذه المصادر والمراجع قدر المستطاع، جاءت الفرصة سامحة سانحة حاضرة بحول الله (عز وجل) وقوته فشرعت بجمع المادة، ثم رتبتها على وفق منهج أخاله سليماً بحسب هذه المادة المجموعة، فجاءت الدراسة في مقدّمة، وتمهيد، وخمسة فصول، بيّنت في المقدّمة التي أشرع الآن في كتابتها سبب اختيار الموضوع، وأهمية الدراسة، مبيّناً أهم المصادر والمراجع التي أفادت منها هذه الدراسة، وجاء التمهيد بعنوان (الإمام الهادي (عليه السلام) في المدونات التاريخية نظرة نقدية) حاولت فيه أن أسلّط الضوء على مناهج أهم المصادر والمراجع التي تناولت سيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، ذاكراً آراءً ونقوداً في تناول هذه السيرة العاطرة من قبل مؤلّفيها.

وجاء الفصل الأول بعنوان (في رحاب سيرته (عليه السلام) العاطرة (المجد والشرف)، وكان في ثلاثة مباحث درست في الأول : سيرته (عليه السلام)، ودرست في الثاني : فضائله،

وعرضت في الثالث : كلمات في حقّه (عليه السلام).

وكان الفصل الثاني من الدراسة بعنوان (الخطوط العامة لتاريخ الإمام السياسي (عليه السلام)) قسمته ثلاثة مباحث، جاء الأول بعنوان (إمامته - (عليه السلام))، والثاني بعنوان (جوانب من عصر الإمام الهادي (عليه السلام))، وجاء الثالث بعنوان (مشروعه (عليه السلام) السياسي في المدينة المنورة وبغداد).

وكان الفصل الثالث من الدراسة بعنوان (إمام سامرّاء) قسمته ثلاثة مباحث، هي : الأول (نبذة تاريخية عن مدينة سامراء (مدينة الإباء والمجد))، وجاء المبحث الثاني بعنوان (الإمام الهادي (عليه السلام) والسلطة)، وجاء المبحث الثالث بعنوان (منهج الإمام الهادي (عليه السلام) في التعامل مع الأحداث).

وجاء الفصل الرابع بعنوان (تراثه (عليه السلام) الفكري)، قسمته أربعة مباحث هي : الأول : مناظراته (عليه السلام) واحتجاجاته العلمية، والثاني : مروياتُه (عليه السلام)، والثالث : أقواله (عليه السلام) الحِكَميّة القصار، والرابع : أصحابه (عليه السلام) ورواته.

وجاء الفصل الخامس - وهو خاتمة فصول هذه الدراسة - بعنوان (مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحي، قسمته أربعة مباحث، هي الأول : قيادة الجماعة الصالحة والحفاظ عليها، والثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثالث : موقفه من الغلاة والشبهات العقدية، والرابع : شهيد المبادئ والقيم والإصلاح.

وجاءت خاتمة هذه الدراسة متضمنة أهم النتائج التي توصلتُ إليها. مع الإشارة الى أهم التوصيات التي أرى من الحق ذكرها.

ويطيب لي وأنا أكتبُ هذه السطور الأخيرات من هذه المقدمة أنْ أقول : إنّي بذلت ما أوتيت من عزم، وقوة، وصبر لإلقاء الضوء على المساحة غير المفكّر فيها،

والمنظور إليها قدر المستطاع في سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) فإن أصبتُ فبها ونِعْمت، وإن كانت الأخرى، فإنّي سَعَيْتُ، وذاك من عجزي وتقصيري، قال تعالى :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النجم / ٣٩ - ٤١).

آمل أن يحظى عملي هذا القبول من القارئ العزيز، والموقع المأمول من أصحاب الحجا والعقول، وأتقدّم بجزيل الشكر والامتنان لكل من أفاد الدراسة - ولو بكلمة واحدة - وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

د. رحيم كريم علي الشريفيّ

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

قسم علوم القرآن

جُمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ

التمهيد

الإمام عليّ بن محمد الهادي (عليه السلام)
في المدونات التاريخية
(نظرة نقديّة)

التمهيد

الإمام علي بن محمّد الهادي (عليه السلام) في المدونات التاريخية

(نظرة نقدية)

سأحاول في هذا التمهيد – الذي أجد أنَّ له أهمية – أن أسلّط الضوء على أهم المصادر التي تناولت سيرة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، ولابد من القول : إنّي سألتزم أمرين في هذا التمهيد، أحدهما : ألاّ أميل فيه إلاّ مع الحقِّ، ولا أنطق إلاّ بالعدل، وثانيهما : أن أقف على المصادر والمراجع التي أرى أنها محطّ إجماع المسلمين، واحترامهم ولاسيّما المدونات المقبولة في منظومتنا الثقافية السائدة هذا اليوم.

وممّا لاشك فيه أن الإعلام، والتاريخ الأمويّ، والعباسيّ قد غيّب رموزاً عظيمة في التاريخ الإسلامي، والذي يُعجبُ له أنّ مدونات تعقد فُصولاً، ومباحث لرجالات قد أساؤُوا إلى الإسلام، وتعزف عن آخرينَ عظماء، فالباحث مثلاً في سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وأصحابهم. إذا ما استثنينا سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسيرة ولديه الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، يجد الترجمات المقتضبة، والمبسترة أحياناً، والصمت والسكوت في أحايين أخر، قال مصطفى صادق الرافعي : «فالقلم في أيدي بعض الكتاب من معانيه الفأس، والكاتب من معاني المخرّب، والكتابة من معانيها الخيانة»[1]، ومن هنا فإنَّ «قضية التعامل مع المصادر الإسلامية تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة، وعلى الرغم من النتائج المفيدة التي توصل إليها الباحثون في هذا المجال لم تنطلق بَعْدُ عملية تحقيق وافية لهذه المصادر من شأنها توفير مواد تاريخية أكثر وضوحاً وإفادة للباحثين

(١) وحي القلم : مصطفى صادق الرّافعيّ : ٣/ ٦.

(....) والعناصر التي شكّلت مؤثرات سلبية في هذه المصادر عديدة ومتنوعة فمن هذه العناصر ما يتصل بالاتجاه السياسي العام الذي خضع له المؤرخ، وكانت مصلحته الشخصية تدفعه للالتزام لمنطقه قصداً ومن دون قصد، ومنها ما يتصل بالاتجاه العلمي والثقافي العام الذي شكّل مظلّة منهجية لم يكن بمقدور الكثيرين الخروج منها، أو عليها فخضعوا لأصولها وقواعدها من دون أنْ تكون لهم رؤية واضحة عنها، ومنها ما يتصل بالاتجاه المذهبي والكلامي العام الذي شكّل خلفية لا تضاهيها خلفية في أعمال معظم المؤرخين المسلمين ولاسيّما في الموضوعات ذات الصلة المباشرة بالمذهب أو علم الكلام»[1].

فعملية تقويم التراث التاريخي من شأنه معالجة الكثير من القضايا التي طالما كانت حجرة كؤُود أمام توافق المسلمين، وتجاذبهم.

ولابد من القول : إنَّ ازدياد العاطفة «ينحرف بالسيرة عن وضعها الطبيعي، بل لابد لِمَن يكتب عن تاريخ حياة إنسان بارز في مجتمعه بدءاً من ميلاده، ومقدّمات الميلاد ومضيّاً مع نشأته وتعلّمه وما جرى له من خير أو شرّ وما قام به في أثناء ذلك من أعمال وصدر عنه من أقوال واتّسم له من أخلاق، وختاماً بوفاته وما يتصل بها من أنْ يبني ما يكتبه على أساس متين من الصدق التاريخيّ فإذا ضعف عنصر الصدق في السيرة لم تعد تسمّى سيرة ؛ لأنَّ الخيال يخرجها مخرجاً جديداً ويجعلها قضيّة منمّقة ممتعة»[2].

إنَّ من أهمّ ما سنقوم به في هذا التمهيد هو الكشف عن المهارات العقلية، والإجراءات التدوينية التي ابتكرها المؤرخون من صمت للنصوص وبترها، وإيجازها واختصارها، ثم التشكيك والإنكار لها، وهذه التصورات كان لها الأثر في إخفاء الحقائق وطمسها من جهة، والتأثير في الأصول التأريخية من جهة أخرى.

ويبدو أنَّ الثبات في طرح الآراء، والأفكار يجعل الباحثين في موضع التمجيد،

(١) علم الكلام والتاريخ (إشكالية العقيدة في الكتابة التأريخية الإسلامية) : حسن سلهب : ١٥-١٦.

(٢) ينظر : فن السيرة : إحسان عبّاس : ٧٤.

ووصف المؤرخين بالحياديّة تارة، وبالموضوعية تارة أخرى ؛ بسبب عدم ظهور ما يعاكس هذا الرأي أو الفكر ومن ثمّ فإنَّ التعوّد على سماع نغمة هذه الآراء، والأفكار أصبح أمراً مقبولاً. وقد فَطَن عباس محمود العقاد لهذه الحقيقة من قبلُ، فقال : «تسري في صفحات التاريخ أحكام مرتجلة يتلقفها فم من فم، ويتوارثها جيلٌ عن جيل، ويتخذها السامعون قضية مسلّمة مفروغاً من بحثها والاستدلال عليها، وهي في الواقع لم تعرض قطّ على البحث والاستدلال، ولم يتجاوز أن تكون شبهة وافقت ظواهر الأحوال ثم صقلتها الألسنة فعزّ عليها بعد صقلها أنّ تردها إلى الهجر والإهمال»[٣].

إنَّ سياسة طمس مناقب أهل البيت (عليهم السلام)، وفضائلهم كانت ذا أثر غير محمود في تضليل أكثر الأمة، وشدّ عيونها بأغطية التعتيم والتجهيل.

ويقضي الحقُّ أنْ يقال في هذا المقام : إنّ المسكوت عنه في ترجمة الإمام الهادي (عليه السلام) – صاحب هذه السيرة، التي تشرّفت الدراسة أنْ تكون كاشفة عنها- كثيرٌ، على الرغم من المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة، والمرقاة العالية التي انفرد بها في عصره، فعندما نراجع مواد المدونات التاريخية التي تناولت هذه السيرة نجدها قليلة إلى درجة يعجز الباحث معها في التوسّع في سيرته، بخلاف ما نجده من مادة تاريخية تتصل بآبائه الطاهرين، وسبب ذلك فيما سيظهر في قابل البحث هو قلة الرواة عنه مباشرة إذ الإقامة الجبرية، والمراقبة الشديدة له ولأصحابه من جهة، وقصر عمره الشريف من جهة أخرى، ومن الملفت للنظر أنَّ أصحابه ورواة الحديث عنه كانوا يعبرون عنه بكنىً عدة، وألقاباً شتّى خوفاً وتقية منها : أبو الحسن الهادي، وأبو الحسن الثالث، وأبو الحسن الأخير، وأبو الحسن العسكري، والرجل، والطيب، والأخير، والعَالِم، والدليل، والناصح، والنقي، والفقيه، والفقيه العسكري، وغيرها من تلك الكنىَ والألقاب المقصود بها الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)[٤].

---

(٣) عبقرية الإمام علي (عليه السلام) : عباس محمود العقاد : ٨٣.

(٤) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : حسين الشاكري : ١٤ / ٩.

وهذا أوان الشروع في الكلام على أهم المدونات التأريخية التي تناولت نتفاً من سيرة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) مرتبة بحسب قدمها محلّلين إياها بإيجاز خشية الإطالة، والخروج عن سنن البحث العلمي في حجم التمهيد.

أولاً : المصادر القديمة :-

١. تاريخ اليعقوبي : لأبي أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح اليعقوبي البغدادي (ت بعد سنة ٢٩٢هـ)، وهو أول ما يلقانا من الكتب التأريخية التي تناولت سيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، فقد ذكر خلفاء بني العباس الذين عاصرهم الإمام الهادي (عليه السلام) وهم المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، مبيّناً أهم الأحداث التي جرت في عصرهم كمسألة خلق القرآن[١]، وبناء مدينة (سامراء)[٢]، وبناء القصور[٣]، وما لحق بعضهم من قتل وعزل، والاضطرابات التي حدثت في زمن المعتز بالله[٤].

وجاءت سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) موجزة في صحيفتين تتخللها أخبار لا علاقة لها بهذه السيرة، وعلى الرغم من إيجازها فإنها مفيدة، فقد كشف لنا اليعقوبي سبب إشخاص الإمام (عليه السلام) من المدينة المنوّرة إلى بغداد فسامرّاء في زمن المتوكل العباسي[٥]، وختم حديثه عن الإمام (عليه السلام) بذكر سنة وفاته، والصلاة عليه في الشارع الكبير في سامراء المعروف بـ (شارع أبي أحمد) ملفتاً إلى اجتماع الناس وبكائهم، وضجتهم فأعيد النعش الطاهر إلى الدار خوف الفتنة، والفوضى، والاضطراب، وقد ذكر عمر الإمام (عليه السلام) وما خلّفه من الذكور[٦].

---

(١) ينظر : تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي : ٢ / ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤١.

(٢) ينظر : م.ن : ٢ / ٣٣٢.

(٣) ينظر : م.ن : ٢ / ٣٤٥.

(٤) ينظر : م.ن : ٢ / ٣٥٣.

(٥) ينظر : م.ن : ٢ / ٣٤٠ – ٣٤١.

(٦) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٣٥٤.

إن هذه المادة التي عرضها اليعقوبي على الرغم من إيجازها، وابتسارها فإنها تفيد الباحث في تعرّف الحالة السياسية، والدينية للخلفاء الذين عاصرهم الإمام الهادي (عليه السلام)، فضلاً عن ذلك فيها إشارات مهمة، منها سبب إشخاص الإمام من المدينة المنورة، وحال الناس عندما توفي الإمام الهادي (عليه السلام)، وسنة وفاته، وعمره، وما خلفه من الأولاد الذكور فقط.

ولا تخفى التقية التي مارسها اليعقوبي وهو يكتب هذه السطور من تأريخ الإمام (عليه السلام) على الرغم من كونه قريب العهد من عصر الإمام (عليه السلام) أولاً، والسلطة العباسيّة ثانياً، ممّا حرم الباحث التاريخي من الوقوف على بعض الحقائق، وكشفها والتي تُعين على كشف الفهم المراد.

٢. تاريخ الأمم والملوك المعروف بـ (تاريخ الطبريّ) : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، وقد بدا أبو جعفر الطبري في تاريخه متحرّراً من القيود، والسلطة آنذاك، فقد استطاع أنْ يصور الخلفاء الذين عاصرهم الإمام الهادي (عليه السلام) شخصيات متزاحمة على الدنيا، وغير ملتزمة بحدود الشرع المقدّس، فقال في وصف المعتصم العباسي : «إنّه كان لا يبالي إذا غَضِبَ مَنْ قَتَل ولا ما فَعَلَ»[٧]، وذكر رواية في سيرته تأنف هذه الدراسة من ذكرها؛ لما فيها من خدش للحياء العام[٨]، ومضى في ذكر أخبار ابنه الواثق، فقال بعد ذكر سند الرواية «كنا ليلة في هذه السنة عند الواثق فقال: لستُ أشتهي الليلة النبيذ، ولكن هلمُّوا نتحدّث الليلة (...) فقال الواثق: مَن منكم يعلمُ السبب الذي به وثب جدّى الرشيد على البرامكة فأزال نعمتهم»[٩].

وقد توسّع الطبري في ذكر أخبار المتوكّل، وما فعله في خلافته : «السنة السادسة والثلاثون والمائتان (....) فيها أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ (صلوات الله

(٧)تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) : الطبري : ٦ / ١٩٤.

(٨) ينظر : م.ن : ٦ / ١٩٤ – ١٩٥.

(٩) ينظر : تاريخ الأمم والملوك(تاريخ الطبري) : ٦ / ١٩٦.

عليه)، وهدم ما حوله من المنازل والدور»[1]، وسلّط الضوء على مقتله كأنّنا في عرض مسرحيّ محدّداً كمّية الخمر التي شربها الخليفة المقتول قبل قتله بإشارة من ابنه الخليفة المنتصر، فقال: «وقد شُرِّبَ أربعة عشر رطلاً»[2].

وذكر الطبري حقيقةً هي عُرضة للاهتمام التاريخي لم نجدها عند غيره، مفادها: أن قتل المتوكل كان قصاصاً من الفقهاء؛ لأن المنتصر أعلمهم بمذاهبه فأفتوا بقتله، وكان بوسع الطبري أنْ يذكر حقائق أخر إلاّ أنه تنبّه على نفسه في اللحظات الأخيرة، فأخفى أموراً قبيحة على حدّ قوله فحرم البحث التاريخي منها، فقال: «وذكر أنَّ المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعة من الفقهاء، وأعلمهم بمذاهبه، وحكى عنه أموراً قبيحةً كَرِهتُ ذكرها في الكتاب، فأشاروا عليه بقتله»[3]، وهناك أخبارٌ كثيرة ذكرها الطبريَ تتصل بالخلفاء الذين عاصرهم الطبري سيكون محلَّها في قابل الدراسة.

أما فيما يتعلق بسيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، فقد اكتفى الطبري بنصّ واحدٍ ذكر فيه خبر وفاة الإمام (عليه السلام)، والصلاة عليه، ومكان دفنه مبيّناً ما جرى من أحداث سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة، فقال: «وفيها مات علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا يوم الاثنين لأربع بقين من جمادي الآخرة، وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ودُفِن في داره»[4].

ولا يخفى على البصير الإيجاز الملحوظ، والابتسار المخلّ من لدن الطبري فالقارئ يسأل لماذا صلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل؟ ولَم صلّى عليه في الشارع؟ ولَم دُفِن في داره؟ كُنّا نأمل من الطبري أن يُجيب عن هذه التسَاؤلات، ويكشف الحقائَق إلاّ أنه آثر الصمت، والسكون رغبة منه في إخفاء الأجوبة من جهة، وجهلنا بالدوافع

(١) م.ن: ٦ / ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٢) م.ن: ٦ / ٢٤٦. الرطل: يقابل في وقتنا عند الإفرنج اللتر (الديارات: الشابشتي: ٤٢ (هامش ٥١)، وقيل: الرطل العراقي ثلث كيلو غرام، فيكون المتوكل بحسب نص الطبري أنه شرب قبل مقتله خمسة كيلوات من الخمر.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦ / ٢٦٠.

(٤) م.ن: ٦ / ٣٢٨.

التي دفعت الطبري إلى هذا الإيجاز المخلّ.

٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر : لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي المسعوديّ (ت ٣٤٦هـ).

حاول المسعودي في مروجه أنْ يكتشف أشكالاً جديدة للمكانة الصحيحة والحقيقية لشخصية الإمام الهادي (عليه السلام)، فلم يكتفِ بشكل واحدٍ من أشكال هذه العظمة، والمكانة السامية، فقد قدّم لنا رواياتٍ أفادت البحث التّاريخي من جهة، والباحث التاريخي من جهة أخرى من أجل الوصول إلى حقائق نحسب أنها ذات أهمية كبرى في إماطة اللثام عن أسرار هذه الشخصية العلوية الطاهرة الصالحة، فقد ذكر روايات كثيرة تبيّن العلاقة بين المتوكّل وبين الإمام الهادي (عليه السلام) منها : سؤال المتوكّل الإمام الهادي (عليه السلام) : «ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب ؟ قال : وما يقول ولد أبي في أمير المؤمنين في رجلٍ افترض الله طاعة بنيه على خلقه، وافترض طاعته على بنيه ؟ فأمر به بمائة ألف درهمٍ، وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه فعرّض»[٥]، ثم توسّع في رواية الهجوم على الإمام (عليه السلام) ليلاً من الأتراك بسبب الوشاية، والسعاية التي وصلت إلى المتوكّل، فحمل الإمام : «إلى المتوكّلِ في جوف الليل فمثل بين يديه، والمتوكل يَشْرَب وفي يده كأسٌ، فلمّا رآه أعْظمه وأجْلَسه إلى جنبه»[٦]، وقد ذكر المسعوديّ تسعة أبيات من القصيدة اللامية التي أنشدها الإمام الهادي (عليه السلام)، وهو توسّع لم نلحظه في المرويات التاريخية التي سبقته، والتي تلته فقد اكتفت بستة أبياتٍ فقط[٧]. ونلحظ أنَّ المسعودي قد ذكر رواية في مقتل المتوكّل برواية شاعره البُحتري، وهي وثيقة مهمة سنذكرها في قابل البحث، وذكر كذلك الإسراف، والتبذير، ومجالس اللهو في أيام المتوكّل، قال : «إن لم تكن النفقات في عصر من الأعصار، ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل، ويقال : أنّه أنفق على الهاروني، والجوسق الجعفريّ أكثر من مائة ألف ألف درهم (...) ويقال

---

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي : ٤ / ١٠٥.

(٦) م.ن : ٤ / ١٠٥.

(٧) م.ن : ٤ / ١٠٥ – ١٠٦.

: إنّه كان له أربعة آلاف سُرِّيّة وطئهن كلّهنّ»[1]، وذكر المسعودي كذلك خبر هدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) في زمن المتوكّل، وفي هذه المادة من مدونته التاريخية نجد التوسع، والتطويل، والشرح.

وختم المسعودي في نهاية ترجمة المعتز العباسيّ، خبر وفاة الإمام الهادي (عليه السلام)، ولم يأتِ بجديد فيما يتصل بوفاته (عليه السلام) إلاّ عبارة : «وسُمع في جنازته جارية تقول : ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً»[2]، إشارة إلى اليوم الذي قُبضَ فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). إلاَّ أنَّ بعد صحيفة واحدة ذكر رواية في استشهاده (عليه السلام) لم نسمع بها من قبلُ، قال : «وقيل : إنّه مات مسموماً (عليه السلام)»[3].

لقد حشد المسعودي كما قلنا آنفاً الروايات الطيّبة، والأخبار الكريمة، والجمل الأنيقة في إثبات مكانة الإمام (عليه السلام)، ومنزلته سواء في المدينة المنورة، أم في الطريق إلى بغداد (مدينة السلام)، أم في سامرّاء، ذاكراً حديثاً له (عليه السلام) رواه عن آبائه عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «اكتب بسم الله الرحمنِ الرحيم : الإيمان ما وقّرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة»[4]، ثم ذكر قصة رميه (عليه السلام) للسباع، وتذللها وخضوعها له (عليه السلام)[5].

٤. تاريخ بغداد أو مدينة السلام : لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) يأتي كتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي بعد تاريخ اليعقوبي، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب من جهة الأهمية، والتوثيق على الرغم من أنَّ ترجمة الإمام الهادي (عليه السلام) كانت ظالمة مقارنة بمن ترجم له من

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٤ / ١٣٦.

(٢)م.ن : ٤ / ١٨٦ – ١٨٧.

(٣) م.ن : ٤ / ١٨٨.

(٤) م.ن : ٤ / ١٨٨.

(٥) ينظر : م.ن : ٤ / ١٨٨.

أئمة الفقهاء كأبي حنيفة، وأبي الحسن الأشعري، وابن حنبل، والشافعي وغيرهم من الخلفاء، والقواد، والوزراء.

وقد أفاد البغدادي الكثير من الشخصيات، والجماعات، والدول؛ لأنها ذات ميول متقاربة معه، في حين تضرّرت الشخصيات ذات الميول المخالفة له ممّا أدّى إلى حدوث فجوات، وانقطاعات في المراحل التاريخية التي كتب عنها، ومن الشخصيات التي ابتهجت بترجمته خلفاء بني العباس ولاسيّما المتوكل العباسي، فقد حشّد الروايات الكثيرة في فضله، وتقواه، وورعه، قال: «جعفر أمير المؤمنين المتوكّل على الله بن محمد المعتصم بالله هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنّى أبا الفضل»[٦]، وقال «سمعت محمد بن خلف يقول: كان إبراهيم بن محمد التميمي قاضي البصرة يقول: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردّة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز ردّ مظالم بني أمية، والمتوكل محا البدع، وأظهر السنة»[٧]، والذي يُعجب له أنَّ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في تذكرة الحفاظ ذكر رواية تناقض هذه الرواية: «قال علي ابن المديني: إنَّ الله أيّد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردّة، وبأحمد بن حنبل يوم المِحْنة»[٨]، ولا يخفى هذا التناقض فالمتوكل الذي محا البدع، وأظهر السنة هو نفسه الذي أمر بلطم أحمد بن حنبل[٩]، وقال البغدادي أيضاً: «حدثنا علي ابن إسماعيل، قال: رأيت جعفر المتوكل بطرسوس في النوم وهو في النور جالس قلت: المتوكل؟ قال: المتوكل، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قُلت: بماذا؟ قال: بقليل من السنة أحييتُها»[١٠]، ويمتد التكريم والتثمين في هذا التحشيد الروائي: «قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، قال: رأيت المتوكّل فيما يرى النائم، فقلت: يا متوكل ما

---

(٦)تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي: ٧/ ١٧٥.

(٧) م.ن: ٧/ ١٨٠.

(٨) تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي: ٢/ ٤٣٢.

(٩)ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني: ٩/ ١٧٧.

(١٠)تاريخ بغداد: ٧/ ١٨٠.

فعل بك ربّك ؟ قال : غفر لي ربّي، قُلْت : غفر لك ربُّك !!!، وقد عَمِلت ما عَمِلْت ؟

قال : نَعَمْ بالقليل من السنة التي أظهرتها»[1]، ويظهر أنَّ عبد الله بن عبد الرحمن كان متعلقاً بالمتوكل، فقد رآه مرة أخرى بأشهر، «قال : أبو عبد الله ثم رأيت بعد هذا بأشهر كأنَّه بين يدي الله تعالى، فقلتُ : ما فعل بك ربُّك ؟ قال : غفر لي، قلت : بماذا؟ قليل من السنة تمسكت بها، قُلْتُ : فما تصنع هاهنا؟ قال : أنتظر ابني أخاصمه إلى الله الحكيم العظيم الكريم»[2].

ولم يكتفِ البغدادي بذلك فجعل يوم مقتل المتوكل حدثاً أرضيّاً، قال: «أخبرنا عبد الله بن عامر بن أحمد الواعظ (...) قال : أخبرني بعض الزمازمة الذين يحفظون زمزم، قال : غارت زمزم ليلة من الليالي فأرّخناها فجاءها الخبر أنها كانت الليلة التي قتل فيها جعفر المتوكل»[3] ويبدو أن البغدادي كان في سعي حثيث، وجهد جهيد لابتكار عناصر تفضيل لا تخطر على البال وإلصاقها بالمتوكّل، ومما يؤسف له أنّه لم يوفّق إلى ذلك التحشيد الروائي فقد بان أمره، وانكشفت نيته فهو لم يجرُؤ أنْ يذكر موبقات المتوكل ومجالسه الخمرية، وحادثة مقتله، وهدمه لقبر الحسين بن علي (عليهما السلام) وغيرها؛ لأنها تصطدم بمبانيه الكلامية والعقدية، فضلاً عن ذلك فإنَّ هذه الترجمة المضيئة للمتوكّل كانت على حساب ترجمة الإمام الهادي (عليه السلام) فجاءت موجزة، ومبسترة، ومقطوعة في كثير من الأحايين، وهو أمر بَدَهي.

فنلمح الصمت والسكوت في سبب إشخاص المتوكل الإمام الهادي (عليه السلام) وما جرى عليه (عليه السلام) من أحداث، واكتفى البغدادي بذكر اسمه (عليه السلام)، وإشخاص الإمام مِن المدينة المنورة إلى بغداد فسامرّاء، وأشار إلى لقبه (عليه السلام)، وذكر روايتين في علمه، ثم ختم حديثه عن الإمام الهادي (عليه السلام) بذكر سنة ولادته ووفاته. قال : «علي بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي

(١) م.ن : ٧/ ١٨٠.

(٢)م.ن : ٧/ ١٨١. (ابنه : هو محمد المنتصر الذي أقدم على قتل أبيه المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان بمعية الأتراك، وكانا في مجلس اللهو).

(٣) م.ن : ٧/ ١٨١.

طالب، أبو الحسن الهاشميّ (...) أشخصه جعفر المتوكل على الله من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بغداد ثم إلى سُرّ مَنْ رأى، فقدمها، وأقام بها عشرين سنةً وتسعة أشهر إلى أنْ توفّي، ودفن بها في أيام المعتز بالله، وهو أحد من يعتقد الشيعة والإمامية فيه، ويعرف بأبي الحسن العسكري»(٤).

أما الروايتان اللتان رواهما في علم الإمام الهادي (عليه السلام)، فقد أظهرت تقدم الإمام (عليه السلام)، ونيله قصب السبق على الفقهاء في زمانه، قال البغدادي بعد ذكره سلسلة الرواة: «قال يحيى بن أكثم في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته من حلق رأس آدم حين حجّ ؟ فتعايى القوم عن الجواب، فقال الواثق: أنا أحضركم من يفتكم بالخبر، فبعث إلى علي بن محمد فأحضر فقال: يا أبا الحسن من حلق رأس آدم ؟ فقال: سألتك يا أمير المؤمنين إلاّ أعفيتني، قال: أقسمت عليك لتقولَنَّ، قال: أما إذا أبيتَ فإنَّ أبي حدّثني عن جدّي عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أمر جبريل أنْ ينزل بياقوتة من الجنة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً»(٥)، والرواية الثانية جاء فيها بعد ذكر سلسلة الرواة: «اعْتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لَئِن بَرِئت لأتصدَّقَنَّ بدنانير كثيرة، فلما بَرِئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا، فبعث إلى عليّ بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله فقال: يتصدّق بثلاثة وثمانين ديناراً، فتعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا ؟ فردّ الرسول إليه فقال له، قُل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنَّذر؛ لأنَّ الله تعالى، قال: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ ﴾ (التوبة / ٢٥) فروي أهلنا جميعاً أنَّ المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأنَّ يوم حنين كان الرابع والثمانين، وكلّما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفعَ له، وآجر عليه في الدنيا والآخرة»(٦). وذكر البغدادي يوم وفاته والسنة، وموضع الدفن وكان دقيقاً

(٤) تاريخ بغداد: ١٢ / ١٦.

(٥) م.ن: ١٢ / ٥٦.

(٦) تاريخ بغداد: ١٢ / ٥٧.

في ذكر الدار التي اشتراها الإمام الهادي (عليه السلام) من دليل بن يعقوب النصراني، قال : «وفي هذه السنة يعني سنة أربع وخمسين ومائتين توفي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بسُرَّ من رأى في داره التي ابتاعها من دليل بن يعقوب النصراني»[1]، وقال في موضع آخر : «ولد أبو الحسن العسكري علي بن محمد في رجب سنة مائتين وأربع عشرة من الهجرة، وقضى في يوم الاثنين لخمس ليالٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة مائتين وأربع وخمسين من الهجرة»[2]».

٥. الملل والنحل : أبو الفتح بن أبي القاسم بن أبي بكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) يُعدّ كتاب الملل والنحل للشهرستاني من الكتب المهمة والمفيدة في التعريف بالملل والنحل ومسمياتها، وقد ألصق الكثير من المسميات، والفرق ونسبها إلى الشيعة؛ من أجل توهين هذا المذهب مما أوقعه في التخابُط في نصوص كثيرة الذي يهمنا منها إشارته إلى الإمام الهادي (عليه السلام) في موضعين فقط، الأول : قال : «الاثنا عشرية : إن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسُمُّوا قطعية، ساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا: الإمام موسى الكاظم ولده: علي الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد التقي الجواد أيضاً وهو في مقابر قريش ببغداد، ثم بعده علي بن محمد النقي ومشهده بقم، وبعده الحسن العسكري الزكي، وبعده ابنه محمد القائم المنتظر الذي هو بسرّ مَنْ رأى وهو الثاني عشر هذا هو طريق الاثني عشرية في زماننا»[3]، ولا يخفى على المتتبع البصير التخابُط الذي وقع فيه الشهرستاني وهو إلصاق مصطلح (القطعية) بالإمامية من جهة، ونسبة مشهد الإمام علي بن محمد النقي الهادي (عليه السلام) إلى قم، والصحيح إلى سُرّ من رأى بإجماع المؤرخين.

أما النص الثاني، فهو «أسامي الأئمة الاثني عشر عند الإمامية : المُرْتضى،

---

(١) م.ن : ١٢ / ٥٧.

(٢) م.ن : ١٢ / ٥٧.

(٣) الملل والنحل : الشهرستاني : ١٥٠.

والمُجْتبى، والشهيد، والسّجاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والتقي، والنقي، والزكي، والحجّة القائم المُنْتظر»[٤].

٦. الكامل في التاريخ : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ) على الرغم من المكانة العلمية لكتاب (الكامل في التاريخ) في ضوء تقديمه مادة تاريخية مهمة، فيها إفادة جلية للباحثين ولاسيما في مرحلة الخلفاء الذين عاصرهم الإمام الهادي (عليه السلام) وهم : المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، إلاَّ أَنَّه لم يقدّم لنا مادة ذات قيمة تأريخية تتصل بالإمام الهادي (عليه السلام)، وردّد ما ذكره المؤرخون السابقون فيما يتصل باسمه، وتاريخ مولده، ووفاته، ومكان دفنه، والصلاة عليه لا تتجاوز الثلاثة أسطر، قال : «وفي سنة أربع وخمسين ومائتين توفّي في جُمادى الآخرة علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بسامرّاء، وهو أحدُ مَن يعتقد الإمامية إمامته، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل، وكان مولده سنة اثنتي عشرة ومائتين»[٥].

٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) نجد في كتاب وفيات الأعيان التفصيل، وتعدّد الآراء في شذرات حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، على الرغم من قصر الترجمة وإيجازها، فقد ذكر اسمه الشريف[٦]، ولقبه[٧]، والآراء التي قيلت في يوم ولادته[٨]، مبيّناً أنَّ السعاية والوشاية بالإمام الهادي (عليه السلام) هي التي حدت بالمتوكل إلى إشخاصه (عليه السلام) من المدينة المنورة إلى سامراء، وهي «تدعى

---

(٤) الملل والنحل : ١٥٤.

(٥)الكامل في التاريخ : ابن الأثير : ٧/ ٨٩.

(٦) ينظر : وفيات الأعيان : ابن خلكان : ٣/ ٢٧٢.

(٧) ينظر : م.ن : ٣/ ٢٧٢.

(٨) ينظر : وفيات الأعيان : ٣/ ٢٧٣.

بالعسكر؛ لأن المعتصم لمّا بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر»[1]، وقد أشار ابن خلكان إلى مدة إقامته (عليه السلام) في سامراء، فقال: «فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر»[2]، ولم يغفل رواية إحضار المتوكل الإمام ليلاً وكبس داره عندما سُعي به، ذاكراً الأسباب التي دعت إلى هذا الأمر، وهي السعاية والوشاية وأنَّ في بيته سلاحاً، وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه، ومضى في ذكر تفاصيل هذه الرواية ذاكراً ستة أبياتٍ فقط من القصيدة اللامية الوعظية الإرشادية، التي أنشدها الإمام (عليه السلام) في مجلس المتوكل فبكى على أثرها حتى بلّت دموعه خديه، ثم أمر برفع الشراب، بعد أن أكرم الإمام وردّه إلى منزله مكرّماً[3].

إن النصوص، والمرويات المتصلة بالإمام الهادي (عليه السلام) التي دبّجها ابن خلكان كتابه أفادت القارئ في رسم صورة لا بأس بها عن شخصية الإمام الهادي (عليه السلام)، ومنزلته، وقدرته على التأثير في الحكام، والوزراء، والقواد.

٨. دول الإسلام: شمس الدين أبو عبد الله بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
نلمح الابتسار، واقتضاب النص التاريخي المتصل بالإمام الهادي (عليه السلام) واضحاً في كتاب (دول الإسلام)، زيادة على التخابط الجليّ في النصّ الوحيد الذي ضمنه كتابه، قال في أحداث سنة (٢٥٤هـ): «سنة أربع وخمسين ومائتين (...) فيها مات بسامرّا علي الملقب بين الشيعة بالهادي، وهو أحد الاثني عشر المعصومين عند الرافضة وهو ابن الجواد محمد بن الرضا علي ابن الكاظم موسى بن جعفر الصادق، وكان مفتياً صالحاً، وصله المتوكّل مرّة بأربعة آلاف دينار، وعاش أربعين سنة»[4]. ويظهر التخابط في أمورٍ منها تفريقه بين الشيعة والرافضة جاعلهما فرقتين بحسب زعمه، وقوله:

(١) م.ن: ٣/ ٢٧٣.
(٢) م.ن: ٣/ ٢٧٣.
(٣) م.ن: ٣/ ٢٧٣.
(٤) دول الإسلام: الذهبي: ١/ ٢٢٥.

«كان مفتياً صالحاً» تقليل من علم الإمام وتقدمه في العلم وهذا القول تدفعه النصوص التي عرضنا لها من قبل، والتي سنعرض لها في قابل البحث من أن الإمام (عليه السلام) كان إمام الفقهاء في عصره بلا منازع.

ويظهر اختزال النص وابتساره متعمداً في قوله: «وصله المتوكّل مرّة بأربعة آلاف دينار»[٥]، ويرى الباحث أنَّ الإحسان إلى بني هاشم ولاسيما أهل البيت كان يعد مفخرة أي مفخرة، والمؤرخون عندما يعدون مناقب بني العباس ومفاخرهم يجعلون الإحسان إليهم منقبة ومأثرة وهذا ما وقفت عليه في سيرة المتوكل والمنتصر وغيرهما[٦]. والذي يعجب له أنَّ الذهبي اختزل الرواية من أجل إخفاء الموقف الذي جرى للإمام من كَبْس داره وإشخاصه إلى المتوكل وهو في مجلس اللهو والشراب، وقد ألصق الذهبي بالمتوكل صفات حميدة تعادل الانحراف الذي عُرف به، قال: «سنة سبع وأربعين ومائتين فيها مات (...) أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد العباسي في شوّال فتكوا به وهو في مجلس لهوه بأمر ولده المنتصر (...) وقد أحيا السنة، وأمات بدعة القول بخلق القرآن، ولكنه فيه نصب وانهماك على اللهو والمكاره، وفيه كرم زائد»[٧]، وقوله فيه «نصب» حقيقة تأريخية مهمة تفيد البحث التاريخي، فأهل البيت (عليهم السلام) تعرضوا في زمانه إلى أشد أنواع الظلم، والجور؛ لأنه كان ينصب لهم العداء.

٩. الوَافي بالوَفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ).
انماز الصفدي في مدونته بالجرأة والشجاعة في الكشف عن شذرات مهمة في سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) على الرغم من إيجازها في صحيفتين، فقد ذكر نسب الإمام (عليه السلام) كاملاً مبتدئاً بلقبه ثم اسمه ثم ألقاب آبائه، وهو «أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية»[٨]، وقد نقل رواية كبس دار الإمام ليلاً

---

(٥) م.ن: ١ / ٢٢٥.

(٦) ظهر الإسلام: أحمد أمين: ١ / ٢٥.

(٧) دول الإسلام: ١ / ٢٢٨.

(٨) الوافي بالوفيات: الصفدي: ١٧ / ٣٧٦.

من أجل السعي به إلى المتوكل بسبب السعاية التي حكيت عليه، «فمثل بين يديه، والمتوكل في مجلس شرابه، وبيده الكأس فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه، فناوله الكأس، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي، ودمي قطّ فاعفني فأعفاه»[1].

وقد ذكر الصفدي نصّاً دلّ فيه على زعامة الإمام الهادي (عليه السلام) الفقهية، وهو النصّ الذي ذكرناه من قبل والمتصل بنذر المتوكل، فأفتاه الإمام (عليه السلام) بمقدار التصدق، ثم ختم حديثه عن الإمام (عليه السلام) بذكر الآراء التي قيلت في يوم ولادته، والآراء التي قيلت في يوم وفاته[2].

١٠. البداية والنهاية : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البُصريّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ).

يظهر البعد المذهبي والكلامي جليّاً عند ابن كثير الدمشقي من مدونته، بلحاظ الأخبار المبتورة، والمقلوبة، وإخفاء الحقائق، وقد أثر هذا النهج الذي سلكه ابن كثير تأثيراً كبيراً وخطيراً في الأصول التأريخية وحقائقها، فنراه يترجم لـ (أحمد بن حنبل) ترجمة وافية في خمس عشرة صحيفة[3]، مستعملاً العبارات، والجمل الأنيقة، والروايات الطيبة المادحة فهو الإمام، والعبد، والولي وغيرها[4]، ولسنا نحن بصدد هذه الترجمة، وإنما ذكرناها من أجل بيان أنَّ مدح أحمد بن حنبل قد جرّ ابن كثير إلى ذمّ كلّ من أساء إليه، ومدح كلّ من أحسن إليه، فالمعيار في ذمّ الشخصية المترجم لها عنده مدى قربه من أحمد بن حنبل، ومدى بعده عنه، فنجد عبارات الشتم والذم الصراح بحقِّ المأمون العباسي، قال «لم يجتمع أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجند نيسابوري بالمأمون بل أهلَكه الله قبل وصولهما إليه، واستجاب الله سبحانه دعاء عبده

(١) م.ن : ١٧ / ٣٧٦.

(٢) ينظر : م.ن : ١٧ / ٣٧٧.

(٣) ينظر : البداية والنهاية : ابن كثير : ١٠ / ٢٨٩٠ – ٢٩٠٤.

(٤) ينظر : م.ن : ١٠ / ٢٨٤٧.

ووليه الإمام أحمد بن حنبل»[٥]، وقال أيضاً: «وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأنصار البدعة الأخرى، والطامة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر وغير ذلك من الأفعال التي تعدّد منها المنكر»[٦].

لكنه عندما جاء إلى المتوكّل العباسيّ نجده يكيل عليه عبارات المدح، والثناء، ويغدق عليه خصال المتألهين والعرفاء، قال: «ثم كتب المتوكّل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام، والكف عن القول بخلق القرآن (...) وأمر الناس أن لا يشتغل أحدٌ إلاّ بالكتاب والسنة لا غير، ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل، واستدعاه من بغداد إليه»[٧]، وقال أيضاً: «وكان المتوكل محبباً إلى رعيته قائماً في نصرة أهل السنة، وقد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردّة؛ لأنه نصر الحق وردّه عليهم حتى رَجَعُوا إلى الدين (...) وقد أظهر السنة بعد البدعة، وأخمد أهل البدع، وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله، وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور، قال: فقلتُ: المتوكّل؟ قال: المتوكل، قُلْت فما فَعَلَ بك ربُّك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال بقليل من السنة أحييتها»[٨]، ولم يكتفِ بذلك فقد أدخل المغيّبات في مروياته بخصوص المتوكل وغيره مما عرفوا بالانحراف الفاضح، مما جعله يفقد الأمانة التأريخية المرجوّة والمنشودة، فقال: «وروي الخطيب عن صالح ابن أحمد أنه رأى في منامه ليلة مات المتوكّل كأنّ رجلاً يَصْعَدُ به إلى السماء، وقائلاً يقول:

مَلِكٌ يُغَادِرُ إلى مَلِيْكٍ عـــادل   مُتَفَضِّل مِنَ العَفْو لَيْس بجائر»[٩].

إن هذا التقرب، والمجاملة من المتوكل قاده إلى إخفاء الكثير من الحقائق ولاسيما

(٥) البداية والنهاية: ١٠/ ٢٨٤٧.

(٦) م.ن: ١٠/ ٢٨٤٩.

(٧) م.ن: ١٠/ ٢٨٨٢.

(٨) م.ن: ١٠/ ٢٩١٠.

(٩) البداية والنهاية: ١٠/ ٢٩١٠.

مجالس لهو المتوكل وخمره، ويضرب صفحاً عن رواية مقتله وهو سكران على يدي ابنه المنتصر احترازاً من فضح أخلاق المترجَم له[1].

إنَّ السير وفاقاً للبعد المذهبي والكلامي، جعل ابن كثير يتقهقر ويتراجع في ترجمة الإمام الهادي (عليه السلام)، فنجد عدم الدقة من جهة، والتطاول على العترة الطاهرة وتجريدهم من الفضائل والمناقب، ومحاولة نسبتها إلى آخرين بحسب ما تقتضيه مصلحته الشخصية، وليس الأمانة العلمية فكانت بداية ونهاية غير منصفة، وجائرة[2]، وقد أخفى ابن كثير حقائق تاريخية ولاسيما في المرحلة التي عاشها الإمام الهادي (عليه السلام)، قال: «ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين (...) توفي فيها من الأعيان (...) علي بن محمد بن موسى الرضا يوم الاثنين لأربع بقين من جُمادى الآخرة ببغداد، وصلّى عليه أبو أحمد المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ودفن بداره ببغداد»[3]، والصحيح أنه دفن (عليه السلام) في سامراء، وقال: «وأمّا أبو الحسن علي الهادي فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشرية، وهو والد الحسن بن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة»[4].

واكتفى ابن كثير بذكر خصلتين للإمام الهادي (عليه السلام)، مع نقله رواية كبس داره ليلاً من قبل شرطة المتوكّل، قال: «وقد كان عابداً زاهداً نقله المتوكل إلى سامراء فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها في هذه السنة وقد ذُكِر للمتوكّل أنَّ بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس فبعث كَبَسة فوجدوه جالساً مستقبلاً القبلة، وعليه مدرعة من صوف، وهو على التراب ليس دونه حائل فأخذوه لذلك فحملوه

---

(1) ينظر: م.ن: ١٠/ ٢٩٠٩.

(2) حوار الكتب – بداية ونهاية مخزية – (بحث منشور): مجلة الأحرار: العتبة الحسينية المقدسة (العدد ٣٩٧) سنة ١٤٣٤هـ، ٢٦ – ٢٧).

(3)البداية والنهاية: ١١/ ٢٩٣٥.

(4) م.ن: ١١/ ٢٩٣٥.

إلى المتوكّل وهو على شرابه»[٥].

١١. الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة : شهاب الدين أحمد بن حَجَر الهَيْتَمِيّ (ت ٩٧٤هـ).

ذكر ابن حَجَر الهَيتميّ شذرات من سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) بعد حديثه عن منصب الخليفة، والمراد بالأئمة الاثنى عشر في الأحاديث المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونلحظ الاضطراب الواضح في تناول هذه القضية، ومردّ هذا الأمر هو أنه جَعَل قول ابن تيميّه الحرّاني القول الفصل في هذه القضية خصوصاً الخلفاء السبعة المزعومون والمختلف فيهم بعد الراشدين الأربعة، والإمام الحسن (عليه السلام)، وفيما يخص سيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، فقد بدأ بتصحيح رواية نقلها عن بعض الحفّاظ أنّ امرأة زعمت أنها شريفة (علوية) بحضرة المتوكل فسأل عمّا يخبره بذلك فَدُلّ على عليّ الرضا (عليه السلام)، فقال : «ونقل المسعودي أن صاحب هذه القصة هو ابن علي الرضا هو عليّ العسكري وصُوِّب؛ لأن الرضا توفيّ في خلافة المأمون اتّفاقاً، ولم يدرك المتوكّل»[٦].

وقد أشار الهَيتميّ إلى لقب الإمام علي الهادي (عليه السلام)، وسبب إطلاق لقب العسكري (عليه)، وكذلك خبر إشخاص الإمام من المتوكل من المدينة المنورة إلى سامراء، ملفتاً النظر إلى أن الإمام الهادي (عليه السلام) هو وارث علم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذكر أيضاً رواية في كرمه، وقصة السباع، وقد ختم كلامه عن الإمام (عليه السلام) بخبر وفاته، ومكان مرقده الطاهر، وعدد أولاده[٧].

وعلى الرغم من ابتسار المادة التاريخية، وإيجازها إلاّ أنّ الحقيقة، والصدق التاريخي في نقل الروايات والأخبار كان حاضراً في مدونة ابن حجر الهيتمي، فقد أفاد البحث التاريخي في كشف الحقائق، وإضاءتها.

---

(٥) البداية والنهاية : ١١ / ٢٩٤٦.

(٦) الصواعق المحرقة : ابن حجر الهيتمي : ٥٥٨ – ٥٥٩. وينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٧٧.

(٧) ينظر : الصواعق المحرقة : ٥٦١ – ٥٦٢.

ثانياً : المراجع الحديثة :

سأكتفي بذكر مرجعين فقط تناولا بإيجاز أخباراً من سيرة الإمام الهادي (عليه السلام):

١. بلدان الخلافة الشرقية للمستشرق كي لسترنج : (ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد)، أشار كي لسترنج إشارة عَجْلى إلى ما يتصل بسيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، قال في ضوء حديثه عن بناء مدينة سامراء، وانتقال مركز الخلافة إليها : «ثم صار جلّ أهل سامراء من الشيعة، إذ إنَّ فيها ضريحي الإمامين العاشر والحادي عشر علي الهادي، وابنه الحسن العسكري، وفي جامعها سرداب الغيبة يقولون : إنَّ الإمام الثاني عشر غاب فيه سنة ٢٦٤هـ (٨٧٨م)، وهو القائم المهدي المنتظر الذي سيعود في آخر الزمان، ويقوم هذان الضريحان في الموضع المعروف بعسكر المعتصم، وإلى هذا الموضع نسب الإمام العاشر فعرف بالعسكري»[١]، ولا يخفى ما في هذا النص من أوهام من قبيل أن سرداب الغيبة كان محل غياب الإمام القائم (عليه السلام)، وأن جلَّ أهل سامراء شيعةٌ، ويبدو أنَّه يشير إلى منطقة قريبة من سامراء وهو الدُّجَيْل وهي من أعمال سامراء ضمت الجسد الطاهر لابن الإمام علي الهادي (عليه السلام) وهو السيد الجليل محمد، فأهل هذه المنطقة جلّهم من الشيعة والله العالمُ.

٢. إتحاف العُقول في أخبار آل الرسول : الدكتور قاسم حسن آل شامان السامرائي.

أشار قاسم حسن السامرائي إلى الإمام الهادي (عليه السلام) مرّة واحدة، ولم يكن دقيقاً في النص الذي قدّمه في مدونته، ويبدو أنَّ الاتجاه العام كان له أثر في هذا التصور، فقد قدّم بحسب زعمه حقيقة مفادها أنَّ خلفاء بني العباس قد قدّموا الرعاية : «لآل البيت حتى أَضْحَى ذلك تقليداً تسير عليه دولتهم حتى نهايتهم المفجعة على يد المغول، وكيف أحاطت الدولة العباسية ورعت ذوي الاحتياجات الخاصة من

---

(١) بلدان الخلافة الشرقية : كي لسترنج : ٨٠.

آل البيت والأشراف، إذ خصّصت لهم المبرّات، والإكرام، والأماكن التي توفّر لهم العناية، والرعاية والإكرام»[٢]، وبيّن العلاقة بين المتوكل والإمام الهادي (عليه السلام) : «وفي عهد الخليفة المتوكّل (٢٣٢ – ٢٤٧هـ) كانت الأرزاق جارية على الطالبيين خصوصاً وبني هاشم عموماً، كما استمرت الصلات والرعاية دارة على رموزهم كالإمام علي الهادي الذي استقدمه من المدينة المنوّرة على أثر وشاية ضدّه إلاّ أنّ علاقتهما حسنت وآثر الإمام البقاء في سُرّ من رأى على العودة إلى المدينة إذ لا زال قبره فيها مشهداً يزار»[٣]، ولا يخفى ما في هذا النص من إخفاء الحقائق، وبتر النص وقلبه فقد كان بنو هاشم ولاسيما أهل البيت وأتباعهم على مراحل الحكم العباسي خصوصاً حكم المتوكل في ضيق من العيش فقد أذيقوا صنوف الظلم، وألوان العذاب والقهر فمنعت حقوقهم من جهة، وفرض على إمامهم الهادي الإقامة الجبرية، زيادة على الاستهزاء بأئمتهم، وهدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) والتحذير من زيارة بل منع المرور بإزائه.

---

(٢) إتحاف العُقول في أخبار آل الرسول : د. قاسم حسن السامرائيّ : ٦ – ٧.

(٣) م.ن : ٦٣ – ٦٤.

نتائج المنهج التاريخي في عرض سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) :

في ضوء هذا العرض الموجز نرى أنَّ أهمّ النتائج المتوخاة، والمنظورة من هذا المنهج التاريخي المتصل بسيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، هي :

أولاً : إنَّ كثيراً من الشخصيات، والجماعات، والدول قد انتفعت من المؤرخين ذوي الميول المتقاربة، في حين تضرّرت شخصيات، وجماعات، ودول أخر من المؤرخين ذوي الميول المخالفة، فأهمل الكثير من المواد التاريخية المتصلة بهذه الطبقات والمجموعات ؛ مما أدّى إلى خلق فجوات، وانقطاعات عدة في مراحل طويلة من التاريخ[1].

ثانياً : إن مبدأ الإعراض عن كشف الحقائق، وتثويرها وإضاءتها عمداً، أو تناسياً، وربما اللجوء إلى التشكيك والإنكار هو مدعاة إلى عدم تحقيق الأهداف المرجوّة، والمنشودة في البحث التاريخي.

ثالثاً : إنّ إظهار فضائل الإمام الهادي (عليه السلام) ومناقبه، والوقوف على تفاصيل مراحل حياته، وسيرته العاطرة، يقتضي حتماً بحسب الصدق الأدبي التاريخي بيان شخصيته (عليه السلام) المعتدلة المؤمنة الشفّافة المطمئنة من جهة، وإتاحة المجال، وإطلاق العنان للعقل السليم في التفكير في شخصيات مناوئيه ومعارضيه – الذين يكونون بحسب العقل والمنطق – شخصيات متكالبة على الدنيا ملأى حقداً، وظلماً ذات نفوس متلجلجة غير مطمئنة شريرة.

رابعاً : إن المؤرخين الذين تناولوا سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) بحسب المدونات التي عرضنا لها – قد مالوا إلى الاختزال، والاقتضاب، وبتر النصوص، وقلبها ناهيك عن الصمت والسكوت عند بعضهم، ممّا حرم الدرس التاريخي من حقائق، ووثائق تحقق الهدف المراد، والغاية المبتغاة.

خامساً : إن المنهج التاريخي يدعونا إلى رسم الخطوط الصحيحة لإعادة النظر

(١) ينظر : علم الكلام والتاريخ (إشكالية العقيدة في الكتابة التأريخية الإسلامية) : ٤٤.

في الشخصيات الكبيرة واللامعة، واكتشاف أشكال جديدة لشخصيات لها مكانة فعلية، وسامية، وعدم التمسك بشكل واحدٍ من أشكال العظمة أو المكانة[٢].

سادساً: إنَّ المنهج التاريخي الذي اتّبع من المؤرخين فيما يتصل بسيرة الإمام الهادي (عليه السلام) من تقليلِ حجم النص ومن ثم تغيب دلالته في بعض الأحايين، يُعدّ مؤشراً إيجابياً، ومصدراً من مصادر الوعي بالآخر، والاعتراف بوجوده لكونه إماماً للأمة، ومصدر قلق للسلطة الحاكمة الجائرة «فنستطيع أنْ نستنبط حياة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) خصوصاً الأئمة الذين لا نملك من حياتهم الشيء الكثير وهم الأئمة المتأخرون من بعد الإمام الرضا (عليه السلام) ندرس حياتهم ونستوعبها عن طريق دراسة التاريخ، ومعرفة الظروف المختلفة التي كانوا يعيشون فيها»[٣]. وقد تكون مقدّمة طيبة، وتمهيداً مباركاً لظهور صورة أكثر إضاءة وأقوى تألقاً وإلهاماً من الصور الراهنة، والواقعية، لأننا معنيون بها، ونفيد من نماذجها التقية الطاهرة، فنحن – اليوم – قادرون بحول الله وقوّته على استخراج الدروس المضيئة من التاريخ، متمثلة بشخصيات عجز التاريخ المسيطر عليه من السلطة الحاكمة من إلقاء الضوء عليها، وإماطة اللثام عنها[٤].

سابعاً: إنّنا اليوم في إطار مشروع جديد في الكتابة التاريخية، إننا اليوم أمام مشروع جديد في إطار نقد الكتابة التاريخية[٥].

---

(٢) ينظر: علم الكلام والتاريخ: ٣٤٢ – ٣٤٣.

(٣) التاريخ الإسلامي (دروس وعبر): السيد محمد تقي المدرسي: ٣٥٧ – ٣٥٨.

(٤) ينظر: موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) (تاريخ الغيبة الصغرى):السيد محمد الصدر: ١/ ٦٨ – ٦٩.

(٥)ينظر: علم الكلام والتاريخ: ٣٤٩.

الفصل الأول

في رحاب سيرته العاطرة
(المجد والشرف)

الفصل الأول

في رحاب سيرته العاطرة (المجد والشرف)

لعمري إِن الوقوف على سيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، والولوج في رحابها أمر أحسبه صعب الترقي، فالخوف والتهيّب من النكوص والتقهقر إمام رمزٍ من رموز الأمة، وإمام من أئمة المسلمين التي كثرت أقوال المؤرخين، والعلماء فيه مدحاً وإطراءً، فمناقبه الشريفة، ومراقيه العالية المنيفة فضلاً عن نسبه الطاهر يولّد هذا الشعور بالقلق،وعدم الاستقرار عند ولوج هذا الرتاج العظيم الزاخر، والبحر المحيط.

إِن البحث في سيرة الإمام (عليه السلام) أمرٌ ملحٌّ تتطلبه الدراسة، لأننا سنعرّف شخصيةً عظيمةً كانت، وما زالت درباً للمهديين للرشاد، وطريقاً مهيعاً لطالبي الحرية السياسية، والفكرية، والدينية، ومن هنا فإن التسابق في الكتابة في سيرته، وحياته، وبيان مناقبه وفضائله ومعاجزه أمرٌ لا غنى عنه.

إنّنا عندما نحلّق في سماء هذه السيرة العاطرة تحومُ حولنا جملة من الأسئلة تتطلب أجوبة شافيات منها دلالة اسمه الشريف، وأسماء آبائه، ولادته في المدينة المنورة، عِلْمُه الجمّ، فضائله الكثيرة، عبادتُهُ، زهده، كرمه، هيبتُه، وغيرها.

إن اللطف الإلهي، والعناية الربانية أنتج هذه الشخصية العظيمة، مما جعل الحديث عن سيرته (عليه السلام) وحياته، وسيرة آبائه (عليهم السلام) أجمل الحديث، قال محمد حسن آل ياسين : «فليس من التكرار المملول أنْ أعيد هنا ما سلف مني ذكره فيما قدّمت به الكتب السابقة المعنية بالأئمة المنتجبين من كون الحديث عنهم أجمل الحديث، وكون سيرتهم العطرة المضمّخة بالأريج أعذب السير، وكون حياتهم المعطاة الدفّاقة بالخير

أسمى ما عرفت البشرية من حياة فيها تنشرُ من بركة، وتمنح من عطاء، وتضفي من ألقٍ وتوهج نور»[1].

لقد دون المؤرخون وكتاب السير الكثير من القبسات المضيئة، والشذرات المشعة من سيرته العاطرة، فضلاً عن سلوكه، ومواقفه في التعامل مع الأحداث الجسام التي رافقت مراحل عمره الشريف، وهذا التاريخ المشرّف هو امتدادٌ لتاريخ آبائه الذين حووا فضائل الدنيا ومكارم الأخلاق، قال باقر شريف القرشي : «ما فتحت ملف إمام لأكتب عنه إلا وجدتُ النور والهدى والشرف والكرامة ماثلة في جميع فصول حياته التي هي قبس من نور الله تعالى يهتدي بها الضالّ، ويسترشد بها الحائر»[2]، فبعلومهم النجاة وبها الحياة، «فقد أقام الله بهم الحجة، وأقام بمكانهم المحجة، وقطع بموضعهم العذر، فلم يدعوا الله طريقاً إلى طاعته ولا سبباً إلى مرضاته، ولا سبيلاً إلى جنته إلاّ وقد أمروا به، وندبوا إليه ودُلّوا عليه، وذكروه وعرفوه ظاهراً وباطناً وتصريحاً ولا تركوا ما يقود إلى معصية الله، ويُدْنى من سخطه ويقرب من عذابه إلا وقد حذّروا منه، ونهوا عنه وأشاروا إليه، وخوّفوا منه لئلا يكون الناس على الله حجّة، فالسعيد من وفّقه الله لإتّباعهم، والأخذ عنهم والقبول منهم والشقي من خالفهم واتّخذ من دونهم وليجة وترك أمرهم رغبة عنه إذ كانوا العروة الوثقى، وحبل الله الذي أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالاعتصام به، وسفينة النجاة وولاة الأمر الذين فرض الله طاعتهم، فقال : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ ، والصادقين الذين أمرنا بالركون معهم، فقال :) ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3].

والإمام الهادي (عليه السلام) هو فرعٌ زاكٍ ومنبع من تلك الشجرة الطاهرة، والدوحة العظيمة ولا تمييز بين أحدٍ منهم، ولقد أوتي (عليه السلام) كما أوتي آباؤه الطاهرون من المكارم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين بعد الأنبياء، والمرسلين.

---

(١) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : محمد حسن آل ياسين : ٧.

(٢) نفحات من سيرة أئمة أهل البيت : باقر شريف القرشي: ١١.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ابن شعبة الحراني : ١١-١٢ (النساء/ من الآية (٥٩)، (التوبة/ من الآية ١١٩).

٥١

المبحث الأول

سيرته العاطرة (عليه السلام)

أولاً : اسمه :

تضافرت المصادر والمراجع التي وقفنا عليها في ثبات اسمه الطاهر، فقد أعلن أبوه (الإمام الجواد) (عليه السلام) على أثر ولادة ابنه الحبيب أنه قد سماه (عليّاً)؛ ليكون رابع العليّين في أسماء الأئمة الطاهرين[1]، وتضافر أسماء آبائه تضافراً مؤكداً، وهذا الاتفاق جعل المؤرخين يتغنّون بذكر اسمه، وأسماء آبائه، فتارة نجدهم يكتفون بذكر اسمه الصريح، وأسماء آبائه الصراح، وتارة يذكرون اسمه وأسماء آبائه وألقابهم، وتارة يذكرون ألقابهم فقط، ويظهر أن النسب الطاهر، والحسب الشامخ المتلألئ - نسب آل بيت المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) الأطهار - حداهم إلى هذا التنوع، وسنذكر مناهج هؤلاء المؤرخين في ذكر اسمه الكامل.

أ ـ الاكتفاء بالاسم فقط :

قال أبو عبد الله الخصيبي (ت ٣٥٨هـ) : «علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»[2]، وتابعه الخطيب البغدادي[3] واكتفى قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ) بذكر اسمه فقط، فقال:

---

(١) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٣١٩.

(٢) تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم المسمى بـ(الهداية الكبرى) : الخصيبي : ٣٦٥، وينظر : دلائل الإمامة : ابن رستم الطبري : ٢١٣.

(٣) ينظر : تاريخ بغداد : ١٢/ ٥٦، وتذكرة الخواص : ابن الجوزي : ٢/ ٢٩٢، وكشف الغمة : الأربلي : ٤/ ٣٩.

«وأما اسمهُ، فعليٌّ وكنيته أبو الحسن»[1]، وتابعه ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)[2].

وذكر الصفدي لقبه، ولقب أبيه ثم ذكر اسمه وأسماء آبائه الصراح، قال «الهادي ابن الجواد عليّ بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»[3].

وجاء في أعلام الهداية «الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) هو عاشر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[4].

ب ـ اسمه وأسماء آبائه (عليهم السلام) بمعية ألقابهم :

قال ابن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ) : «علي المرتضى بن محمد بن علي الرضا بن موسى الأمين بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)»[5]، وقال ابن خلكان : «أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا (...) وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الأمامية»[6]، وتابعه الأربلي في أحد قوليه[7].

وقال ابن كثير الدمشقي : «وأما أبو الحسن علي الهادي فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشرية»[8]، وتابعه

---

(١) الجرائح والخرائح : الراوندي : ٣٠٧.

(٢) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ابن شهر آشوب : ٣/ ٤٣٢.

(٣) الوافي بالوفيات : ١٧/ ٣٧٦.

(٤) أعلام الهداية : (الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) المجمع العلمي لأهل البيت (عليهم السلام)) : ١٢/ ١٧.

(٥) تاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ابن الخشاب البغدادي : ٢٤٠.

(٦) وفيات الأعيان : ٣/ ٢٧٢.

(٧) ينظر : كشف الغمة : ٤/ ٥.

(٨) البداية والنهاية : ١١/ ٢٩٣٥.

مؤمن الشبلَنْجيّ (المولود سنة ١٢٦٧هـ)[٩]، ومحسن الأمين العاملي (ت ١٣٧٢هـ) في أعيان الَشيعة[١٠].

ج ـ الاكتفاء بلقبه وألقاب آبائه من دون ذكر الاسم :

قال ابن شهر آشوب : «هو النقي بن التقي بن الصابر بن الوفي بن الصادق ابن السيد بن السجاد بن الشهيد بن حيدر بن عبد مناف»[١١]، وقال الصفدي في أحد قوليه : «هو أبو الحسن الهادي ابن الجواد ابن الرضا ابن الكاظم ابن الصادق ابن الباقر ابن زين العابدين»[١٢].

د ـ تزيين اسمه، وأسماء آبائه (عليهم السلام) بالأوصاف الكريمة :

قال محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) : «أبواب تاريخ الإمام العاشر والنور الزاهر، والبدر الباهر ذي الشرف والكرم والمجد والأيادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد النقي الهادي صلوات الله عليه وعلى آبائه وأولاده ما تعاقبت الأيام والليالي»[١٣].

وقال عبد الرزاق شاكر البدري : «الإمام الهادي (عليه السلام) ابن الأئمة المعصومين ووالد الإمامين من بعده أبي محمد الحسن العسكري، ومحمد المهدي الحجة المنتظر (عليه السلام) الذي لا حدَّ لساحله ابن الإمام محمد الجواد صاحب الثبات والبديهة في الجواب ابن الإمام علي الرضا الذي اشتهر بالنباهة وجليل القدر الحال من المأمون محلّ مهجته، وولي عهده ابن الإمام موسى الكاظم المشهور بكثرة تجاوزه وحلمه، وقضاء الحوائج عند العراقيين العابد الزاهد، ابن الإمام جعفر الصادق صاحب العلوم التي سارت بها الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان رئيس المذهب، وأستاذ الأئمة الأكابر ابن الإمام أبي جعفر محمد الباقر الباقر للعلوم العقلية، والنقلية

---

(٩) ينظر : نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار : مؤمن الشبلنجي : ١٦٤.

(١٠) ينظر : أعيان الشيعة : محسن الأمين العاملي : ٢/ ٥٨١.

(١١) مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٢.

(١٢) الوافي بالوفيات : ١٧/ ٣٧٦.

(١٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : المجلسي :١٢/ ٢١٥.

والمظهر من مخبّآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة ابن الإمام زين العابدين المشهور بالسجاد الزاهد العابد الذي إذا توضأ للصلاة اصفرّ لونه كريم المعطاء ابن الإمام الحسين بن علي الشهيد الذي أمطرت السماء لقتله دماً ابن أمير المؤمنين بلا امتراء، وليث الله الغالب، فارس المشارق والمغارب، خاتم الخلفاء الراشدين وباب مدينة العلم،علي بن أبي طالب (عليه السلام)»[1].

سبب تسميته علياً :

سمّاه أبوه الإمام الجواد علياً تبركاً وتيمناً باسم أجداده العظام، جده أمير المؤمنين (عليه السلام)، وجده الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وسيد الساجدين (عليه السلام)، وجده الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وقد شابهم بحكم القوانين الوراثية، فقد شابه جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بلاغته وفصاحته وجهاده وبلائه، وشابه جده الإمام زين العابدين في تقواه وعبادته ونسكه، وشابه جده الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في علمه وحلمه وورعه[2].

وقد أشار عباس القُميّ (ت١٣١٩هـ) إلى محبوبية اسم علي عند الأئمة (عليهم السلام)، فكان محبوباً ومتبركاً عند الأئمة (عليهم السلام)، ومبغوضاً عند أعدائهم، قال الحسين (عليه السلام) : «لو ولد لي مائة لأحببْتُ أنْ لا أسمي أحداً منهم إلا عليّ»[3].

---

(١) سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : عبد الرزاق شاكر البدري : ٩ – ١٠.

(٢) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : باقر شريف القرشي : ٢١، ونفخات من سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) : ٢١.

(٣) سفينة البحار ومدينة الحِكَم والآثار : عباس القمي : ٦/ ٤٤١.

ثانياً : كنيتُهُ (عليه السلام) :

كما تضافرت المصادر والمراجع في اسمه تضافرت كذلك في كنيته، قال ابن رستم الطبري (من علماء القرن الرابع الهجري) : «وكنيته أبو الحسن»[٤]، وقال الخصيبي أنَّ «كنيته أبو الحسن لا غير»[٥]، وتابعه في هذا الجزم والقطع ابن شهر آشوب : «وكنيته أبو الحسن لا غيرها»[٦].

وقد قيدت كنيته (عليه السلام) بـ (الثالث)، قال المجلسي : «أبواب تاريخ الإمام العاشر (...) أبي الحسن الثالث علي بن محمد النقي الهادي»[٧]، وقال عباس القمي : «وكنيته أبو الحسن، ونظراً لأن الإمامين موسى، والرضا (عليهما السلام) كانا يُكنيان بابي الحسن، فيقال له (عليه السلام) : أبو الحسن الثالث، كما يقال للرضا (عليه السلام) أبو الحسن الثاني»[٨]، وقال محسن الأمين العاملي : «أبو الحسن، ويقال : أبو الحسن الثالث»[٩].

وقد اختار له أبوه الإمام الجواد (عليه السلام) من الكنى (أبا الحسن) كنية خاصة له دون غيرها، «وربما كان منشأ هذا الاختيار أنها كنية جده عليّ الأول أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم أضيف إلى هذه الكنية على ألسن الرواة ورجال الحديث ما يعينها بين الكنى المشابهة لآبائه الميامين فقيل له : (أبو الحسن الثالث) تميزاً له عمن كني بذلك من سلفه القريب الشامخ وهما أبو الحسن الأول ويراد به الإمام الكاظم (عليه السلام)، وأبو الحسن الثاني ويراد به الإمام الرضا (عليه السلام)»[١٠].

---

(٤) دلائل الإمامة : ٢١٣، ينظر تاريخ بغداد : ١٢/ ٥٦، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٠، والجرائح والخرائج : ٣٠٧، ومطالب السؤول في مناقب آل الرسول : محمد بن طلحة الشافعي : ٤٧٣، وتذكرة الخواص : ابن الجوزي : ٤٩٢، وكشف الغمة : ٤/ ٣٩، ووفيات الأعيان : ٣/ ٢٧٢، والبداية والنهاية : ١١/ ٢٩٣٥، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٥) تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٥.

(٦) مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٢.

(٧) بحار الأنوار : ١٢/ ٢١٥. (وقد قيدت كنيته أيضاً بـ (الأخير) فيقال : أبو الحسن الأخير).

(٨) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل : عباس القمي : ٢/ ٤٧٢.

(٩) أعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(١٠) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢/ ٣١٩، وينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٢١، وموسوعة المصطفى

وهو اصطلاح روائي معروف عند أئمة الحديث، يمتاز بها عمن يشترك معهم في هذه الكنية[1].

والذي يبدو بحسب تسلسل الكنى لآبائه ممن تكنّوا بهذه الكنية أنه (أبو الحسن الرابع)، بلحاظ أن أبا الأئمة الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) كُنّي أبا الحسن، ثم الإمام الكاظم (عليه السلام)، ثم الإمام الرضا (عليه السلام)، فالتعبد بقول الرواة، وأئمة الحديث يخالف المنطق والواقع، لذا نرى أنَّ كنية الإمام الهادي (عليه السلام) القريبة إلى هذا اللحاظ (المنطق والواقع) هي أبو الحسن الرابع، وقد وردت هذه الكنية في الروايات، فلا مندوحة من إطلاق هذه الكنية على الإمام الهادي (عليه السلام) كذلك، مع الكنية المشهورة.

ثالثاً: ولادتُهُ (عليه السلام):

في رحاب مدينة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي أحضان قرية (صريا) أو (صرياء) الجميلة إذ الهدوء، والروض الأُنُف، والأنهار الجاريات، ابتسمت الحياة ببزوغ نور من أنوار الذرية الطاهرة، وهو الإمام علي محمد الهادي (عليه السلام)، قال ابن خلكان: «ولما كَثرت السعاية في حقه عند المتوكل أحضره من المدينة، وكان مولده بها، وأقرّه بسرّ مَنْ رأى وهي تُدعى بالعسكر»[2]. وصريا «بصاد مهملة وراء مثناه تحتية بعدها ألف، وفي بعض بياء موحدة، ولم نجد لها ذكراً في معجم البلدان ولا في كتب اللغة»[3]، وهي ضاحية من ضواحي المدينة المنورة أسسها الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) تبعد ثلاثة أميال من المدينة[4].

والعترة (الهادي علي (عليه السلام)): ١٤/ ١٢، الإمام محمد الجواد (شبيه عيسى ويحيى وسليمان): علي الكوراني: ٢٤، ودور الأئمة في الحياة الإسلامية: محمد اليعقوبي: ٣٥٦.

(١) ينظر: لمحات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام): محمد رضا سيبويه: ٨-٩.

(٢) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٣.

(٣) أعيان الشيعة: ٢/ ٥٨١.

(٤) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٣، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٨، وسفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: ٦/ ٤٠٤، ومنتهى الآمال في تواريخ النبي والآل: ٢/ ٤٧١، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥٨١. (ثلاثة أميال تعادل خمسة كيلو

وقد اختلف المؤرخون في يوم ولادته(عليه السلام)، والسنة كذلك، وفيما يأتي أهم الأقوال:

أ ـ في يوم الاثنين الثالث من شهر رجب سنة (٢١٤هـ)، قال ابن رستم الطبري: «ولد أبي علي بن محمد بالمدينة يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة أربع عشرة ومائتين من الهجرة»[٥].

ب ـ في رجب سنة (٢١٤هـ)، من دون تعيين اليوم، وهو قول الأكثرين[٦].

ج ـ النصف من ذي الحجة سنة (٢١٢هـ)[٧].

ويرى المجلسي أنَّ النصف من ذي الحجة سنة (٢١٢هـ) هو «الأشهر، ولكن كونه في رجب قد ورد به الخبر»[٨]، في إشارة إلى الدعاء المروي عن الشيخ أبي القاسم حُسين بن روح (رضي الله عنه) الثابت الخاص للإمام القائم (عليه السلام)، وهو من أدعية شهر رجب: «اللهم إني أسألك بالمَوْلودين في رجب محمد بن علي الثاني، وابنه علي بن محمد المنتجب، وأتقرب بهما إليك خير القُرب، يا منْ إليه المعروف طُلب، وفيما لديه رُغب أسألُك سُؤَال مقترف مذنب قد أوبقته ذنوبه، وأوثقته عيوبه، على الخطايا دؤوبه، ومن الرزايا خُطُوبه يسألك التوبة، وحُسن الأوبة، والنزوع عن الحَوْبة، ومن النار فِكاك رقبته، والعفو عمّا في رِبْقته فأنت مولاي أعظم أمله وثقته»[٩].

مترات).

(٥) دلائل الإمامة : ٢١٢.

(٦) ينظر : تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٥، ٣٧٨، واثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : المسعودي : ٢٥٧، وتاريخ بغداد : ١٢/ ٥٧، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٨، وتذكرة الخواص : ٢/ ٤٩٩، وكشف الغمة : ٤/ ٥، ومطالب السؤول : ٣٠٧.

(٧) مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٣، وكشف الغمة : ٤/ ٤٠، وبحار الأنوار : ١٢/ ٢٥٢، وسفينة البحار : ٦/ ٤٠٤، ومنتهى الآمال : ١٢/ ٤٧١.

(٨) بحار الأنوار : ١٢/ ٢١٦.

(٩) مفاتيح الجنان : عباس القمي : ١٨٤ – ١٨٥.

رابعاً: نشأتُهُ ونبوغه المبكر (عليه السلام):

نشأ هذا البرعم العلوي، والفرع الزكي في مدينة طيبة، وهي مدينة رسول الرحمة والعدل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أعزها الله وشرفها ونورها بوجود سيد الكائنات، وفخر الموجودات، ووجود ذريته الطاهرة الزاكية، وصحابته البررة المخلصين.

قال محمد حسن آل ياسين مصوراً نشأة الإمام الهادي (عليه السلام) في المدينة المنورة «ثم حَلّ منذ صباه ناشئاً في دار هجرة جده (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث مهبط الملائكة ومنزل الوحي، ومجمع آبائه الميامين، وبقي مقيماً هناك في تلك البيوت التي أذن الله أن ترفع مُجدّاً في القيام برسالته الدينية، ومسؤوليته الشرعية في تربية طالبي العلم وعشاق المعرفة، وفي تزويدهم بفقه القرآن وأسرار التنزيل وإبلاغهم لُباب المأثور النبوي الصحيح، وحقائق الفكر الإسلامي الأصيل مع الخروج بين حين وآخر إلى مستقر أهل البيت الريفي في (صريا) للإقامة فيه بعض الوقت»(١).

لقد تربى الإمام الهادي (عليه السلام) في حجر الفضيلة، والأخلاق، والعلم، والتقوى، ونكران الذات، والشجاعة، والتضحية، والإخلاص، زد على ذلك فالبيئة التي تربى في ظلالها مليئة بالتقوى، والعلم، والأدب، والنضوج الفكري، في جميع نواحي الحياة، وهي تزخر بكبار العلماء، والزهاد، والمفكرين فهي عاصمة الدولة الإسلامية الروحية، فقد بقيت هذه المدينة برجالاتها، وعظمائها، وفقهائها فيها كبار الصحابة القريبو العهد بالرسول الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما لاشك فيه أن بيئة كهذه لها تأثير مباشر كبير في من يعيش فيها، ولو أن الإمام علي الهادي (عليه السلام) بحد ذاته علم من الأعلام، وعبقري يشار إليه بالبنان، وأنه قد ألهم العلوم العقلية والنقلية أجمعها كآبائه الغرّ الميامين (عليهم السلام)، والذين أناروا الطريق المستقيم طريق الحق، والعدل، والهداية للسالكين فيه(٢).

(١) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢/ ٣٤١.

(٢) ينظر: سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام): ١٣-١٤.

ولا غرابة حينئذ ولا عجب أن يكون هذا الصبي الموهوب قد حرص من عهده الأول باستلهام أجواء بيته، وعطاء بيئته، فكان يلتقط ما يدور بين أبيه وبين الجموع الغفيرة الوافدة عليه من السائلين المتطلعين إلى المعرفة في شتى مجالاتها المفتوحة على الفكر الإنساني الواسع الآفاق أن يزقّ ما يسمع زقّاً، ويلتهم ما يصغي إليه التهاماً، ويستوعب جميع ذلك استيعاباً شاملاً(٣).

وقد ملك الإمام الهادي (عليه السلام) من الذكاء والنبوغ ما يذهل الأفكار، ويحيّر العقول، فقد اعترف بنبوغه المبكر، وعقله النير الكثير من أهل المدينة، فقد أسند إليه منصب الإمامة بعد شهادة أبيه الإمام الجواد (عليه السلام) وهو في سنّ الثامنة من عمره الشريف، وقيل السادسة وأشهر.

وكان من نبوغه أن المعتصم العباسي بعد ما اغتال أباه الجواد (عليه السلام) عهد إلى عمر بن الفرج الرُّخّجيّ أنْ يشخص إلى المدينة ليختار معلّماً للإمام الهادي (عليه السلام)، وأمره أن يكون المعلم معروفاً بالنصب والعداء لأهل البيت، ولما انتهى عمر بن الفرج إلى المدينة التقى الوالي وعرّفه بمهمته فأرشده إلى الجنيديّ، وكان شديد البغض والعداء إلى السادة العلويين، فأرسل خلفه وعرض عليه ما أمر به المعتصم العباسي فاستجاب لذلك ثم أظهر الجنيدي حيرته، وذهوله من علم الإمام ونبوغه وذكائه فوجده حافظاً كتابَ الله (عز وجل)، والأحكام الفقهية(٤)، و «روى الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه أنَّ أبا جعفر (عليه السلام) لما أراد الشخوص من المدينة إلى العراق أجلس أبا الحسن (عليه السلام) في حجره، وقال له: ما الذي تحب أنْ يهدى إليك من طرائف العراق فقال سيفاً كأنه شعلة، ثم التفت إلى موسى ابنه، فقال له: ما تحب أنت فقال له فرش بيت، فقال أبو جعفر أشبهني أبو الحسن، وأشبه هذا أمّه»(٥).

لقد نشأ الإمام الهادي (عليه السلام) على مائدة القرآن الكريم، وخلق النبي المتجسد في خلق أبيه الكريم «محمد الجواد (عليه السلام) خير تجسيد، فالبيوت صادحة بذكر الله (عز

(٣) ينظر: الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢/ ٣٢٠-٣٢١.

(٤) ينظر: نفحات من سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام): ٣٢٤-٣٢٥.

(٥) إثبات الوصية: ٢٤٣.

وجل) لا يسمع فيها سوى أصوات تلاوة القرآن، والأدعية، والأسحار، والأوقات تفنى بالعبادة والذكر واستقبال الباحثين عن الحقائق من مريدي العلم، وهواة الحكمة، وطالبي شرع، ومتفقهي دين»[1].

خامساً : نَسَبُهُ (عليه السلام) :

أ- أبوه (عليه السلام) :

أما أبو الإمام الهادي (عليه السلام)، فهو الإمام محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، قال قطب الدين الراونديّ : «فأبوه أبو جعفر محمد القانع بن علي الرضا بن موسى»[2]، وقال الأربلي : «وأما نسبه أبا وأماً، فأبوه أبو جعفر محمد القانع ابن علي الرضا بن موسى»[3].

وقد بلغ الإمام الجواد (عليه السلام) مقاماً عالياً بعد استشهاد أبيه الإمام الرضا، قال باقر القرشي : «وكان أبوه الإمام الجواد (عليه السلام) أعجوبة الناس بمواهبه وعبقرياته، قد تقلد بعد وفاة أبيه (عليه السلام) الزعامة الدينية والمرجعية العامة للأمة وكان عمره سبع سنين وأشهراً وقد انتهزت الحكومة العباسية هذه الفرصة فندبت يحيى بن أكثم الذي هو من كبار العلماء في عصره لامتحانه وتعجيزه لتطوي بذلك مسألة أعلمية الإمام التي هي من العناصر الأساسية في الفكر الشيعي، وتقدم يحيى فسأل الإمام أمام حشد كبير من العلماء والوزراء وسائر أعضاء الحكومة العباسية مسألة فقهية ففرّع الإمام عليها عدة فروع فذهل يحيى وبان عليه العجز واعترف بالقدرات العلمية الهائلة التي يملكها الإمام (عليه السلام)»[4].

وقد اعترف المأمون العباسي (ت ٢١٨هـ) بأعلميته، وأفضليته، ومقامه السامي،

---

(١) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢/ ٣٢٠، وأعلام الهداية : ١٧.

(٢) الجرائح والخرائج : ٣٠٧.

(٣) كشف الغمة : ٤/ ٥.

(٤) حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام):١٧-١٨، وينظر : التاريخ الإسلامي (دروس وعبر): محمد تقي المدرسي : ٣٠٩.

فقد عمد إلى إشخاص الإمام الجواد (عليه السلام) من المدينة المنورة إلى بغداد وتزوجيه بابنته أم الفضل مع احتجاج الأسرة العباسية على هذا التقريب والتزويج، فقال لهم المأمون : أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم، وأما أبو جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)، فقد اخترته لتبريزه على أهل الفضل كافة من العلم والفضل مع صغر سنّه والأعجوبة فيه بذلك وأنا أرجو أنْ يظهر للناس ما عَرَفته منه[٥]. وقيل : إنه قال لهم : وَيْحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل البيت (عليهم السلام) علمهم من الله، ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال[٦].

أما ما يتصل بمقام الإمام الهادي (عليه السلام) مع أبيه الإمام الجواد (عليه السلام)، فذهب أغلب المؤرخين إلى أن مدة مقامه مع أبيه ست سنين وخمسة أشهر[٧]، وذهب المسعودي إلى أنَّ مدة إقامته مع أبيه (عليها السلام) سبع سنين[٨]، وذهب حسين الشاكري إلى أنها ثمان سنين[٩].

انتقل الإمام الجواد (عليه السلام) إلى جنة المأوى والخلد سنة (٢٢٠هـ)، قال الذهبي: «سنة عشرين ومائتين مات الشريف محمد الجواد ولد علي بن موسى الرضا، وله خمس وعشرون سنة، وكان زوج بنت المأمون»[١٠]، ويرى المفيد (ت٤١٣هـ) أن خبر سمّ الإمام الجواد من المعتصم العباسي لم يثبت، قال : «لو كان سبب وروده إليها إشخاص المعتصم له من المدينة فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وتوفي بها من ذي القعدة من هذه السنة، وقيل : إنه مضى مسموماً، ولم يثبت بذلك عندي خبر فأشهد به، ودُفن في مقابر قريش في ظهر جده أبي الحسن موسى بن

---

(٥) الإرشاد : المفيد : ٣١٥، وينظر : أعلام الهداية : ٥٣.

(٦) ينظر : الإرشاد : ٣١٥، والأئمة الاثنا عشرة (سيرة وتاريخ) : ٢/ ٣١٦.

(٧) ينظر : دلائل الإمامة : ٢١٢، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٨، والجرائح والخرائج : ٣٠٨، ومناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٣، وبحار الأنوار : ١٢/ ٢١٦، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٨) ينظر : إثبات الوصية : ٢٥٧.

(٩) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٤/ ٢١.

(١٠) دول الإسلام : ١/ ١٩١.

جعفر (عليه السلام)، وكان له يوم قبض خمس وعشرون سنة، وأشهر»[1]. وقال المسعودي في إحدى مروياته: «وقيل: إن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (عليهم الرضوان) توفي في خلافة الواثق وقد بلغ من السن ما قدمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب، وقيل: إنه كتب إلى الواثق: يا أمير المؤمنين ليس من أحدٍ وإن ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه، ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الأشياء سلبته الأيام فرصته، فإن شرط الزمان الآفات، وحكم الدهر السلب»[2]، وقضية استشهاده في عصر الواثق ليس بصحيح، فالثابت أنه انتقل إلى جنة الفردوس في حكم المعتصم العباسي، فقد دبّر المعتصم، ومعه جعفر بن المأمون «حيلة للتخلص من الإمام الجواد (عليه السلام) فاتفق جعفر مع أخته أم الفضل زوج الإمام الجواد (عليه السلام) أنْ تقدم له عنباً مسموماً وقد فعلت ذلك وأكل منه الإمام (عليه السلام) فندمت، وجعلت تبكي، فقال لها الإمام (عليه السلام) ما بكاؤُك والله ليضربنك الله بفقر لا ينجلي، وبلاء لا ينستر، فبليت بعلةٍ فأنفقت مالها، وجميع ملكها على تلك العلة حتى احتاجت إلى رفد الناس، أي معونتهم، وقد تردّى أخوها جعفر في بئر فأخرج ميتاً، وكان سكراناً»[3].

وأثبتت الوقائع المتلاحقة إن إحساس أهل البيت (عليهم السلام) بخطر المعتصم، وارتياب الإمام الجواد (عليه السلام) بهذا الإشخاص، والدعوة المغلّفة بحبّ اللقاء كان بمثابة الغيبة للأحداث المنتظرة، فسرعان ما تفاجأ الناس في بغداد بإعلان نبأ وفاة الإمام الجواد (عليه السلام) قبل مرور عام على استقراره فيها، وبلا أي مرض سابق، أو سبب معروف، وتوجهت أصابع الاتهام إلى المعتصم (الخليفة)، وابن أخيه (جعفر بن المأمون) بالتآمر على قتل الإمام (عليه السلام) بدسّ السمّ إليه[4].

وقد خلف الإمام الجواد (عليه السلام) بعده «من الولد علياً ابنه الإمام من بعده،

---

(١) الإرشاد: ٣٢٣.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٤/ ٨٧.

(٣) مروج الذهب: ٤/ ٥٩.

(٤) ينظر: الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢/ ٣٢٤.

ومُوْسى، وفاطمة، وأمامة ابنتيه، ولم يخلف ذكراً غير مَنْ سميناه»[٥]، وقال الخصيبي : «وكان له من الولد علي الهادي (عليه السلام) وموسى، ومن البنات خديجة، وحليمة، وأم كلثوم»[٦]، وحليمة تصحيف والصحيح حكيمة، قال عباس القمي : «اعلم أن حكيمة بالكاف، وليس حليمة كما أصبح مشهوراً على ألسنة العوام بين بنات الإمام الجواد»[٧]، وقد أيد هذا التحقق ابن رستم الطبري من قبلُ، فقال : «ذكر ولده عليهم السلام» : أبو الحسن علي بن محمد العسكري الإمام (عليه السلام)، وموسى، ومن البنات : خديجة، وحكيمة، وأم كلثوم»[٨].

ب ـ أُمُّهُ (عليه السلام) :

تضافرت المصادر التي وقفنا عليها إلاّ ما ندر أن زوج الإمام الجواد (عليه السلام) الأخرى بعد أم الفضل بنت المأمون العباسي هي سُمانة المغربية أم الإمام الهادي (عليه السلام)[٩]، وذهب المسعودي إلى أنها (جُمانة)[١٠]، ويبدو أنه تصحيف (سُمانة)، وذكر ابن شهر آشوب إلى أنها تُدعى (السيدة أم الفضل)[١١]، وهو وَهْمٌ ؛ لأن أم الفضل هي زوج الإمام الجواد (عليه السلام) ابنه المأمون العباسي وكانت تعرف بهذا الاسم.

وذهب الخصيبي إلى أنَّ اسمها (مَهْرَسَنة) المغربية[١٢]، وذكر ابن الخشاب إلى أنها

---

(٥) الإرشاد : ٣٢٣.

(٦) تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٤٦.

(٧) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل : ٢/ ٤٥٨.

(٨) دلائل الإمامة : ٢٠٥ (موسى المبرقع وهو ابن الإمام الجواد (عليه السلام) وهو الأخ الوحيد للإمام الهادي (عليه السلام)، ولد في المدينة المنورة، وأقام مع أبيه إلى أن استشهد أبوه (عليه السلام) ببغداد ثم انتقل إلى الكوفة وسكن بها مدة، وفي سنة ست وخمسين ومائتين هاجر من الكوفة إلى قم المقدسة وتوطن بها، وكان موسى يُلقي على وجه برقعاً؛ ولذلك قيل له المبرقع لجماله ووجهه الباهر، وقبره اليوم معروف يزوره الكثيرون ويقع في محل (جهل اختزان) في محالّ قم المقدسة. (موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ٢٤.

(٩) ينظر : دلائل الإمامة : ٢١٣، وتاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٦، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٩، ومناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٣، وتذكرة الخواص : ٢/ ٤٩٣، وبحار الأنوار : ١٢/ ٢١٥ ومنتهى الآمال في تواريخ النبي والآل : ٢/ ٤٧١، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(١٠) ينظر : إثبات الوصية : ٢٤٢.

(١١) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٣.

(١٢) ينظر : تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٦.

تُدْعى (منفرشة المغربية) أيضاً[١].

زواجها من الإمام الجواد (عليه السلام) :

روى ابن رستم الطبري، والمسعودي عن «محمد بن الفرج بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر، قال : دعاني أبو جعفر محمد بن عليّ فأعلمني أن قافلة قد قدمت وفيها نخّاس ومعه جوار، ودفع إليّ سبعين ديناراً أو أمرني بابتياع جارية وصفها لي فمضيت، وعملت بما أمرني فكانت الجارية أم أبي الحسن وروى أن اسمها سُمانة وكانت مولّدة»[٢]، وقد أشاد الإمام الهادي (عليه السلام) بفضل أمّه، فقال (عليه السلام): «أمي عارفة بحقي، وهي من أهل الجنة لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيدُ جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين»[٣].

والسيدة سُمانة المغربية والدة الإمام علي الهادي (عليه السلام) سيدة مؤمنة طاهرة يكفيها فخراً وعزاً أنها زوج إمام، ووالدة إمام، وقد ولدت سيداً من السادات، وإماماً من أئمة الهدى والرشاد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين جعلهم الله (عز وجل) أمناً للعباد، وسفناً للنجاة، وطريقاً للهداة[٤].

سادساً : ألقابُهُ :

لقد اشتهر الإمام الهادي (عليه السلام) بألقاب عدة، وكثرة ألقابه (عليه السلام) تدلُ على جامعيته، وأعلميته، وأفضليته فالعناية الإلهيّة كان لها أثر في جعله مهوىً لقلوب المسلمين كافة، بما اتصف به من الملكات الكريمة، والخلال الرفيعة العظيمة، فوسم بألقاب العلم، والفضل، والخير، والهداية، والصلاح، والرشاد وغيرها من الألقاب التي تترى عليه، فضلاً ذلك فإن أصحابه ورواة حديثه قد عبروا عنه

((١)) ينظر : تاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٩.

(٢) دلائل الإمامة : ٢١٢-٢١٣، وينظر : إثبات الوصية : ٢٤٢، والإرشاد : ٣٠٧.

(٣) دلائل الإمامة : ٢١٣، وينظر : إثبات الوصية : ٢٤٢-٢٤٣، ومنتهى الآمال : ٢/ ٤٧١.

(٤) ينظر : في رحاب أمهات الأئمة (عليهم السلام) : مريم نور الدين فضل الله : ٣٨١.

بهذه الألقاب المتنوعة والكثيرة خوفاً وتقية، يقول حسين الشاكري : «إن أصحابه ورواة الحديث عنه يعبرون عنه بكنى عديدة، وألقاب شتى خوفاً وتقية منها : أبو الحسن الهادي، وأبو الحسن الثالث، وأبو الحسن الأخير، وأبو الحسن العسكري، والرجل، والطيب، والأخير، والعالم، والدليل، والناصح، والنقي، والفقيه، والفقيه العسكري، وغيرها كلّ تلك الكنى والألقاب المقصود منها الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)»[٥].

واليك أيها القارئ العزيز جملة من الألقاب التي وقفنا عليها في المصادر والمراجع مما لقب بها الإمام الهادي (عليه السلام) مرتبةً بحسب الأحرف الهجائية :

١. الأخير[٦].

٢. الأمين[٧].

٣. التقي[٨].

٤. الخالص[٩].

٥. الدليل[١٠].

٦. الراشد[١١].

٧. الرجل[١٢].

---

(٥) موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٤/ ٩.

(٦) ينظر : مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : عزيز الله العطاردي: ١٠.

(٧) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٢، ومنتهى الآمال : ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار : ١٦٤.

(٨) ينظر : دلائل الأئمة : ٢١٣، وتذكرة الخواص : ٢/ ٤٩٣.

(٩) ينظر : دلائل الأئمة : ٢١٣، والإتحاف بحب الأشراف : عبد الله الشبراوي الشافعي : ٣٦٣-٣٦٤.

(١٠) ينظر : دلائل الأئمة : ٢١٣، وتاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٥-٣٦٦.

(١١) ينظر : تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٥-٣٦٦، وتحف العقول : ابن شعبة الحراني : ٣٣٨.

(١٢) ينظر : مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ٦٠.

٨. الرشيد[١].

٩. الزكيّ[٢].

١٠. السديد[٣].

١١. الشهيد[٤].

١٢. الصابر[٥].

١٣. الصادق[٦].

١٤. الطيب[٧].

١٥. العَالم[٨].

١٦. العسكري[٩]. نسبة إلى «عَسْكر (...) اسم سُرّ من رأى، وإليه نُسِبَ العَسْكَرِيّانِ أبو الحسن علي بن محمد موسى بن جعفر، وولده الحسن، وماتا بها»[١٠]، وهو اسم للمدينة التي نزل بها، واستقر طوال عشرين عاماً تحت الإقامة الجبرية التي فرضت عليه، وقد بناها المعتصم العباسي لعسكره

---

(١) ينظر: دلائل الأئمة: ٢١٣.

(٢) ينظر: الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢/ ٣٢٠.

(٣) ينظر: تاريخ النبي (ﷺ) والأئمة ومعجزاتهم: ٣٦٥-٣٦٦.

(٤) ينظر: دلائل الأئمة: ٢١٣.

(٥) ينظر: تحف العقول: ٣٣٨.

(٦) ينظر: مسند الإمام الهادي (عليه السلام): ١٠.

(٧) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٢، وكشف الغمة: ٤، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار: ١٦٤.

(٨) ينظر: دلائل الأئمة: ٢١٣، وتاريخ النبي (ﷺ) والأئمة ومعجزاتهم: ٣٦٥-٣٦٦، مناقب آل أبي طالب: / ٤٣٢، وكشف الغمة: ٤/ ، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١.

(٩) ينظر: دلائل الأئمة: ٢١٣، وتاريخ النبي (ﷺ) والأئمة ومعجزاتهم: ٣٦٥-٣٦٦، وتاريخ بغداد: ١٢/ ٥٦، ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٢، وتذكرة الخواص: ٢/ ٤٩٢، ووفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٣، والإتحاف بحب الأشراف: ٣٦٣-٣٦٤، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥٨١.

(١٠) القاموس المحيط: الفيروز آبادي: ٢ (عسكر): ٨٩١.

بعد انتقاله من بغداد فسميت بالعسكر وهي مدينة سُرّ مَنْ رأى، ودفن فيها الإمامان الهادي، وولده العسكري (عليها السلام)[11]. وهذا اللقب اختص بابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)[12].

١٧. العَلَويُّ[13].

١٨. الفتّاح[14].

١٩. الفقيه[15].

٢٠. المُوتمن[16].

٢١. المتوكّل[17]. وكان الإمام (عليه السلام) يبغض هذا اللقب، ويأمر أصحابه أنْ يعرضوا عن ذكره، لأنه لقب اختص به المتوكل العباسي الذي كان من أبغض أعداء آل البيت (عليهم السلام)[18].

ويرى الباحث أنَّ الإمام (عليه السلام) قد نهى أصحابه عن هذا اللقب خشية إلصاق صفات الفضيلة، والشمائل، والمحاسن بالمتوكل العباسي، وإلصاق الصفات غير المحمودة به (عليه السلام) ؛ لأنه دارٍ أن الأقلام المأجورة، ووعّاظ السلاطين سيغيّرون

---

(١٩) ينظر : الإمام الهادي (عليه السلام) (أضواء من سيرته): محمود السيف القطيفي : ١٦-١٧، وينظر : تذكرة الخواص : ٢/ ١٩٢، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨٢.

(١) ينظر : الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : ٥٦٢.

(٢) ينظر : جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام : أبو الغنائم الشيزري : ٢/ ٤١٥.

(٣) ينظر : الجرائح والخرائج : ٣٠٧، وأعيان الشيعة : ٢/ ١٥٨.

(٤) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٢، منتهى الآمال : ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار : ١٦٤، ومسند الإمام الهادي : ١٠.

(٥) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٢، ومنتهى الآمال : ٢/ ٤٧١.

(٦) ينظر : دلائل الأئمة : ٢١٣، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٥٠، ومناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٢، والجرائح والخرائج : ٣٠٧، وتذكرة الخواص : ٢/ ٤٩٣، وبحار الأنوار : ١٢/ ٢١٦، ومنتهى الآمال : ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار : ١٦٤، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٧) ينظر : الجرائح والخرائج : ٣٠٧، وبحار الأنوار : ١٢/ ٢١٦، ونور الأبصار : ١٦٤، ومنتهى الآمال : ٢/ ٤٧١، والأئمة الإثنا عشرة (سيرة وتاريخ) : ٢/ ٣٢٠.

الحقائق، ويشوّهون التاريخ.

٢٢. المُرْتَضى[١].

٢٣. المفتاح[٢].

٢٤. المُوَضّح[٣].

٢٥. الناصح[٤].

٢٦. النجيب[٥].

٢٧. النقي[٦]. وهو من الألقاب التي اشتهر بها الإمام الهادي (عليه السلام)، قال الشهرستاني: «علي بن محمد النقي»[٧]، وقال أيضاً: «أسامي الأئمة الاثني عشر عند الأمامية المرتضى، والمجتبى، والشهيد، والسجاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والتقي، والنقي، والزكي، والحجة القائم المنتظر»[٨]، قال ابن الخشاب البغدادي: «أشهر ألقابه هو: النقي والهادي»[٩]، وقد أكد عباس القمي، ومحسن الأمين العاملي اشتهاره بهذا

---

(٨) ينظر: دلائل الإمامة: ٢١٣، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم: ٢٥٠، ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٢، والجرائح والخرائج: ٣٠٧، وتذكرة الخواص: ٣/ ٤٩٣، وبحار الأنوار: ١٢/ ٢١٦، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار: ١٦٤، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥٨١.

(٩) ينظر: بحار الأنوار: ١٢/ ٢١٦.

(١٠) ينظر: دلائل الإمامة: ٢١٣، وتاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم: ٣٦٥-٣٦٦.

(١١) ينظر: تاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم: ٢٥٠، والجرائح والخرائج: ٣٠٧، وبحار الأنوار: ١٢/ ٢١٦، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار: ١٦٤، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥٨١.

(١٢) ينظر: دلائل الإمامة: ٢١٣، ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٢، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١.

(١٣) ينظر: الملل والنحل: ١٥٠، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم: ٢٥٠، والجرائح والخرائج: ٣٠٧، ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٢، وكشف الغمة: ٤/ ، وبحار الأنوار: ١٢/ ٢١٦، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار: ١٦٤، واعيان الشيعة: ٢/ ٥٨١.

(١٤) الملل والنحل: ١٥٠.

(١٥) م. ن: ١٥٠

(١٦) تاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم: ٢٥٠

اللقب (النقي) إضافة إلى لقب الهادي[10].

٢٨. الهادي[11]. وهو أشهر ألقاب الإمام (عليه السلام) ويعرف به في المرونات التاريخية أكثر من غيره، وإذا أطلق هذا اللقب فإنه يراد به الإمام الهادي (عليه السلام) حصراً، وكل آبائه هداة ميامين، فأصبح كالبديل عن اسمه[12]، ومن هنا فإن الدراسات والأبحاث التي تناولت سيرته، وحياته، ومشروعه الإصلاحي، وتراثه وغيرها قد حملت هذا اللقب؛ لاشتهاره به (عليه السلام)، ولاسيما دراستنا الموسومة بـ «السَّناء في سيرة إمام سامرّاء الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام)».

والذي يظهر في ضوء تتبعنا سيرة الإمام الهادي (عليه السلام)، ومشروعه الإصلاحي، وتراثه الفكري أن هذا اللقب أكثر الألقاب شهرة به، وانطباقاً وجرياً عليه ؛ لأنه عاش في عصر كثرت فيه الانحرافات، والعقائد الفاسدة من جهة، والبعد عن المنهاج الإسلامي الصحيح، فأراد أنْ يبني مشروعاً إصلاحياً كبيراً لمحاربة الفساد والانحراف وعند تتبع مادة (هـ د ي) واستقرائها في المعجمات العربية نرى أنها -كما قلنا آنفاً- منطبقة تمام الانطباق على صاحب هذه السيرة المباركة إمام الهدى، والرشاد **الإمام الهادي (عليه السلام)، ومن هذه الدلالات : -**

١. الدليل والرشاد :

قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ) : «الهدي نقيض الضلالة (...) الهدى البيان (...) هداه يهديه هدايةً : إذا دلّ على الطريق، وقال ابن السكيت : الهديُّ : الرجل ذو

---

(١) ينظر : منتهى الآمال: ٢/ ٤٧١، واعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٢) ينظر : دلائل الإمامة : ٢١٣، وتاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٥-٣٦٦، ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٢، ومنتهى الآمال : ٢/ ٤٧١، ونور الأبصار : ١٦٤، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٣) ينظر: تاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٠، ومجمع البحرين : الطريحي : ١/ ٤٧٥، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٧١، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١، والأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢/ ٣٢٠، وحياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٢٢، والإمام الهادي (أضواء من سيرته) : ١٧.

الحرمة»[1]. وقال الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) : «الهادي والدليل»[2]، وقال الزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ) : «الهدى بضم الهاء وفتح الدال (...) الرشاد والدلالة بلطفٍ إلى ما يوصلُ إلى المطلوب»[3].

٢. حُسْنُ المَذْهَبِ والرأي :

قال الأزهري : «فلان حسن الهدي : وهو حسن المذهب في أموره كلها، وفلان يذهب على هديته أي على قصده»[4].

٣. المتقدّمُ :

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) : «والهادي من كل شيء أوله (...) والدليل يسمى هادياً لتقدمه القوم بهدايته»[5]، وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : «وكلّ متقدم لذلك هادٍ (...) ويقال : هاديها أول رعيل منها، لأنه المتقدم»[6].

٤. السيرة الحسنة :

نقول : ما أَحْسَنَ هَدْيَتَهُ ! بكسرِ الهاء وفتحها أي: سيرته، ويقال : هَدَى هَدْيَ فلانٍ، أي سار سيرته، وهو حسن الهَدْي والهِدْية أي الطريقة والسيرة[7].

نخلص من هذا الاستقراء لدلالات هذه المادة (هـ، د، ي)، أنها منطبقة تمام الانطباق على الإمام الهادي (عليه السلام) فهو الدليل والمرشد إلى الصواب؛ لحسن مذهبه ورأيه وسيرته العاطرة فأصبح الإمام، والمتقدم للأمة، ولاسيما في ذلك العصر الغارق بالعقائد الفاسدة، والأفكار المنحرفة، فكان المرشدَ، والهادي، والدليل.

---

(٤) تهذيب اللغة : الأزهري : ٥ (مادة هدى) / ٢٠١.

(٥) مجمع البحرين : الطريحي : ١ (هدي) / ٤٧٥.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي : ٤٠ (مادة هدى) / ٢٨٢-٢٨٣.

(٧) تهذيب اللغة : ٥ (هدي) : ٢٠٣.

(٨) العين : الخليل بن احمد الفراهيدي : ٣ (هدي) / ١٨٧٦-١٨٧٧.

(٩) مقاييس اللغة : ابن فارس : هدى/ ٨٩٣.

(١٠) ينظر : تاج العروس : ٤٠ (هدي)/ ٢٨٦.

سابعاً : بوّابهُ (عليه السلام) :

قال ابن رستم الطبري : «بوابه : عثمان بن سعيد»[8]، وقال ابن شهر آشوب: «بوابه : محمد بن عثمان العمري»[9].

ثامناً : شاعره (عليه السلام) :

العوفي، والديلمي[10]، وأضاف محسن الأمين العاملي «محمد بن إسماعيل بن صالح الصميدي»[11].

تاسعاً : خادمُهُ (عليه السلام) :

قال عباس القمي : «عقيد الخادم خادم أبي محمد العسكري كان أسود نوبياً قد خدم من قبله علي بن محمد (عليهما السلام)، وهو ربّى الحسن (عليه السلام)»[12].

عاشراً : تسبيحُه وحِرْزُه (عليه السلام) :

وكان تسبيحه (عليه السلام): «سبحان من هو دائم لا يسهو، سبحان من هو قائم لا يلهو، سبحان من هو غنيّ لا يفتقر، سبحان الله وبحمده»[13].

ذكر السيد ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) عن عبد العظيم الحسني أن الإمام محمد الجواد (عليه السلام) كتب هذا الحرز لابنه الإمام علي الهادي (عليه السلام) حين كان طفلاً في المهد،

---

(١) دلائل الإمامة : ٢١٣، والفصول المهمة : ابن الصباغ المالكي : ٢٧٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٣.

(٣) ينظر : الفصول المهمة : ٢٧٤، ونور الأبصار : ١٦٤.

(٤) أعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٥) سفينة البحار : ٦/ ٣١٧.

(٦) منتهى الآمال : ٢/ ٤٧٢.

ويعوده به، ويأمر أصحابه به، وهذا الحرز : «بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، اللهم رب الملائكة والروح والنبيين والمرسلين وقاهر من في السماوات والأرضيين وخالق كل شيء ومالكه كُفَّ عنا بأس أعدائنا، ومن أراد بنا سوء من الجن والإنس وأعم أبصارهم وقلوبهم واجعل بيننا وبينهم حجاباً وحرساً ومدفعاً إنك ربُّنا لا حول ولا قَوة إلاّ بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، ربنا عافنا من كل سوء، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ومن شر ما يسكن في الليل والنهار ومن شر كل سوء ومن شر كل ذي شر رب العالمين وآله المرسلين صلِّ على محمد وآله أجمعين وأوليائك وخصّ محمداً وآله بأتم ذلك، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم بسم الله، وبالله أومن بالله، وبالله أعوذ، وبالله أعتصم وبالله أستجير وبعزة الله ومنعته أمتنع من شياطين الإنس والجن ومن رجلهم، وخيلهم، وركضهم، وعطفهم ورجعتهم وكيدهم وشرهم وشر ما يأتون به تحت الليل وتحت النهار من البعد والقرب ومن شر العامة والخاصة ومن شر نفس ووسوستها ومن شر الدناهش والحس واللمس واللبس ومن عين الجن والإنس، وبالاسم الذي اهتز به عرش بلقيس، وأُعيذ ديني ونفسي وجميع ما تحوطه عنايتي من شر كل صورة وخيال أو بياض، أو سواد، أو تمثال، أو معاهد، أو غير مُعاهد أو غيرها ممن يسكن الهواء والسحاب والظلمات والنور، والظل، والحرور، والبر والبحور، والسهل والوُعور والخراب والعمران والآكام والآجام والفياض والكنائس والنواويس، والفلوات والجبانات ومن شر الصادرين والواردين ممن يبدو بالليل وينتشر بالنهار بالعشي والإبكار والغدو والآصال والمربيين والأسامرة والأفاترة والفراعنة والأبالسة ومن جنودهم وأزواجهم وعشائرهم وقبائلهم، ومن همزهم ولمزهم، ونفثهم، ووقاعهم وأخذهم وسحرهم وضربهم وعبثهم ولمحهم واحتيالهم واختلافهم، ومن شر كل ذي شر من السحرة والغيلان وأم الصبيان، وما ولدوا وما وردوا ومن شر كل ذي شر داخل وخارج وعارض ومتعرض وساكن ومتحرك وضربان عرق، وصداع وشقيقة وأم مِلْدَم والحمّى والمثلثة والربع والغِبّ والنافضة والصَّالبة والداخلة والخارجة ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إنك على كل صراطٍ

مستقيم وصلى الله على نبيه محمد وآله الطاهرين»[١].

وذكر ابن طاووس حرزاً آخر له (عليه السلام) : «بسم الله الرحمن الرحيم يا عزيز العز في عزه ما أعز عزيز العزّ في عزّه، يا عزيزُ أعزني بعزّك وأيّدني بنصرك، وادفع عني همزات الشياطين، وادفع عني بدفعك، وامنع عني بصنعك واجعلني من خيار خلقك يا واحد يا أحد يا فردُ يا صمد»[٢].

وذكر ابن طاووس أيضاً حجاباً للإمام الهادي (عليه السلام) ممن أراد الإساءة به قال (عليه السلام) : «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن تفقهوه وفي آذانهم وقراً وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، عليك يا مولاي توكلي وأنت حسبي وأملي ومن يتوكل على الله فهو حسبه تبارك إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب رب الأرباب ومالك الملوك وجبار الجبابرة وملك الدنيا والآخرة رب أرسل إلي منك رحمة يا رحيم ألبسني منك عافية وازرع في قلبي من نورك واخبأني من عدوّك واحفظني في ليلي ونهاري بعينك يا أُنس كل مستوحش وإله العالمين قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربّهم معرضون حسبي الله كافياً ومعيناً ومعافياً فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»[٣].

لقد أراد الإمام الجواد (عليه السلام) أنْ يشعر ولده (عليه السلام) بالثقة، والاطمئنان ويعرفه أن القوة المدبرة لهذا الكون والحاكمة فيه إنما هي من صنع الكبير المتعال الخالق كل شيء، وغيره سراب لا حول ولا قوة، وقد غرس الإمام الجواد (عليه السلام) في نفس ولده الإيمان المطلق بقدرات الخالق (عز وجل) فالالتجاء والركون أينما يكون إليه، فهو الذي يدفع الضرّاء والبأساء[٤].

---

(١) مهج الدعوات : ابن طاووس : ٤٣-٤٥.

(٢) م. ن : ٤٥.

(٣) م. ن : ٢٨٢.

(٤) حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٢٦.

الحادي عشر : نقش خاتمه (عليه السلام) :

قال ابن رستم الطبري : «وكان له خاتم نقشه ثلاثة أسطر : ما شاء الله، لا قوة إلاّ بالله، أستغفرُ الله»(١)، وقال المالكي، والشبلنجي إن نقش خاتمه : «الله ربي وهو عصمتي من خلقه»(٢)، وقال عباس القمي : «إن نقش خاتمه : حفظ العهود من أخلاق المعبود»(٣)، وقال العاملي : «وقيل : من عصى هواه بلغ مناله»(٤).

الثاني عشر : صفته (عليه السلام) :

ذكر المالكي في الفصول المهمة أن الإمام (عليه السلام) كان أسمر اللون(٥)، وقال عباس القمي : «كان (عليه السلام) معتدل القامة، أبيض الوجه مشرباً حُمْرَة واسع العينين أزجّ الحاجبين، بشوش الوجه، إنْ كنت مغموماً زال غمك بالنظر إليه، محبوب القلوب، مهيباً، لا يتملق عدواً إذا لَقِيه، شفتاه في تبسم دائم وذكر الله، وإذا مشى لم يباعد في خطوه، يصعب تخطيه في مشيه، كثير التعرق»(٦).

وقد وصفه حاسدوه بأنه مائل اللون، أو أسود، وهذا ما يوجب الشك من وصفهم الإمام (عليه السلام) بالأسود، والنص الآنف الذكر يبعد هذا الوصف(٧).

---

(٥) دلائل الإمامة : ٢١٣.

(٦) الفصول المهمة : ٢٧٤، ونور الأبصار : ١٦٤.

(٧) منتهى الآمال : ٢/ ٤٥٨.

(٨) أعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٩) ينظر : الفصول المهمة : ٢٦٠، ونور الأبصار : ١٦٤.

(١٠) منتهى الآمال : ٤/ ٤٧٧.

(١١) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام))، ٢١.

الثالث عشر : هيأتُهُ (عليه السلام) :

قال عباس القمي : «رأى نصراني طبيب علياً الهادي (عليه السلام) على فرس أدهم، وعليه ثياب سود، وعمامة سوداء»[8].

الرابع عشر : زَوْجُه (عليه السلام) :

زوج الإمام الهادي (عليه السلام)، ووالدة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) هي السيدة الطاهرة سليل، وفي رواية اسمها حديث، أو حديثة[9]، وهي من بلاد النوبة، وهي منطقة واسعة عريضة من جنوبي مصر، وأهلها نصارى[10].

دخلت السيدة (سليل) بيت الإمام الهادي (عليه السلام) وقد استقبلتها أخت الإمام الهادي (عليه السلام) – ابنة الإمام الجواد (عليه السلام) – السيدة الطاهرة الحكيمة (حكيمة)، وقيل : «إن الإمام الهادي (عليه السلام) هو الذي أطلق عليها هذا الاسم فهي مسلولة من الآفات، والأرجاس، والأنجاس، وقيل : سوسن»[11].

الخامس عشر : أولادُهُ (عليه السلام) :

رزق الإمام الهادي (عليه السلام) من سليل الآفات، والأرجاس، والأنجاس، وسوسن الجنة، وحديث الروح المطهرة أولاداً خمسة وهو المشهور[12]، قال ابن الصباغ المالكي: «خلق من الولد أبا محمد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين، ومحمداً،

---

(١) سفينة البحار : ٦/ ٥٢٠.

(٢) ينظر : في رحاب أمهات الأئمة (عليهم السلام) : ٤٣٤، والأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢/ ٣٢١.

(٣) ينظر : في رحاب أمهات الأئمة (عليهم السلام) : ٣٤٥.

(٤) ينظر : إثبات الوصية : ٢٥٠، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨٠، والأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢/ ٣٢١، وفي رحاب أمهات الأئمة (عليهم السلام) : ٤٣٦.

(٥) ينظر : دلائل الإمامة : ٢١٣، وتاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم: ٢٤٧، ومناقب آل أبي طالب : ٤/ ٤٣٣، وكشف الغمة : ٤، ٤٦-٤٧.

وجعفراً، وابنه اسمها عائشة سقا الله ثراهم شآبيب الرحمة والرضوان وأسكن مُحبهم فراديس الجنات»[1].

وهم الإمام الحسن أبو محمد العسكري (عليه السلام)، ومحمد المعروف بـ (سبع الدجيل) والحسين المعروف بـ (السبط)، وجعفر الملقب بـ (الكذاب)، وابنة تدعى دلالة[2]، وقيل عائشة[3]، وقيل عالية[4]، وقيل اسمها علية[5].

وسنذكر بإيجاز شذرات من سيرة المشهورين من أولاد الإمام الهادي (عليه السلام) :-

١. الإمام أبو محمد (الحسن العسكري (عليه السلام) الإمام المفترض الطاعة، ولد في المدينة المنورة، وشخص إلى العراق بشخوص والده الإمام الهادي (عليه السلام) إليها، وله أربع سنوات توفي في سامراء لثمان خلون من ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ)، وعمره يومذاك ثمان وعشرون سنة، ودفن بجانب أبيه الهادي (عليه السلام) في دارهما، وخلف ابنا هو الحجة (عليه السلام)، وبنتاً اسمها صفية[6].

٢. محمد بن علي الهادي (عليه السلام) المكنى أبا جعفر، المعروف بـ (سبع الدّجَيل)، تركه أبوه (عليه السلام) طفلاً في المدينة المنورة، ولما استدعى وأتي به إلى العراق، ثم قدم عليه إلى سامرّاء، ثم أراد الرجوع إلى الحجاز، فلما بلغ مدينة قديمة تقع على يسار دجلة من طريق سامراء تبعد عنها مسافة أربعين كيلو متراً جنوباً، وتبعد عن شمال بغداد مسافة ثمانين كيلو متراً، مرض وتوفي ودفن قريباً منها سنة (٢٥٢هـ)، وهو من سادات أهل البيت (عليهم السلام) جليل القدر، عظيم المنزلة، وله كرامات مشهورة، يقصده محبو أهل البيت للتبرك والزيادة، وهو أكبر ولد الإمام الهادي (عليه السلام)، ويعبرون عنه بـ (سبع

(١) الفصول المهمة : ٢٧١.

(٢) ينظر : دلائل الإمامة : ٢١٣.

(٣) ينظر : تاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٧، والفصول المهمة : ٢٧١، وبحار الأنوار : ١٢/ ٢٦٣، ونور الأنصار : ١٦٦، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٤) ينظر : كشف الغمة : ٤/ ٤٦-٤٧.

(٥) ينظر : الإتحاف بحب الأشراف : ٣٦٣-٣٦٤، وأعيان الشيعة : ٢/ ٥٨١.

(٦) ينظر : سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : ٢٠-٢١.

الدجيل)[٧].

٣. الحسين بن علي الهادي (عليه السلام) المعروف بـ (السبط) المدفون بالقرب من قبر أبيه (عليه السلام) في سامراء، كان زاهداً عابداً معترفاً بإمامة أخيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وكان الناس يعبرون عنه، وعن أخيه الحسن العسكري بـ (السبطين) تشبيهاً لهما بالإمامين الحسن، والحسين (عليهما السلام)[٨].

٤. جعفر بن الإمام الهادي (عليه السلام) المعروف بـ (جعفر الكذاب)[٩]؛ «لأنه ادّعى الإمامة بعد أخيه اجتراءً على الله وكذباً عليه (...) ويحكى أنه فارق ما كان عليه من ادّعاء الإمامة وشرب الخمر ومنادمة المتوكل، وتاب ورجع»[١٠]، قال القندوزي الحنفي: ت (١٢٩٤هـ): «لما ادّعى جعفر أن أخاه الحسن العسكري جعل الإمامة فيه سمي الكذاب (...) وقيل: إنَّ جعفراً تاب، ورجع عن دعواه في الإمامة»[١١].

---

(٧) ينظر: الإتحاف بحب الأشراف: ٣٦٣-٣٦٤، ومنتهى الآمال: ٢/ ٥٠٧-٥٠٨، وسيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام): ٢٧، وموسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)): ١٩، ولمحات من حياة الإمام علي (عليه السلام): محمد رضا سيبويه: ١٤٠.

(٨) ينظر: منتهى الآمال: ٢/ ٥٠٧، وسيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام): ٢٢، والإمام الهادي (أضواء من سيرته): ١٨.

(٩) ينظر: تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ومعجزاتهم: ٣٦٦، وكشف الغمة: ٤/ ٤٦-٤٧، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥٨١.

(١٠) الإتحاف بحب الأشراف: ٣٦٣-٣٦٤.

(١١) ينابيع المودة: الحنفي القندوزي: ٣٨٦.

المبحث الثاني
فَضَائِلُه (عليه السلام)

في هذا المبحث سنسلط الضوء على فضائل الإمام الهادي (عليه السلام) مما وقفنا عليها في المصادر والمراجع التي وقعت بين أيدينا، وما الروايات الكثيرة التي جاءت في ذكر مناقبه، وفضائله إلاّ دليل على مكانته، ومنزلته العظيمة في سني حياته التي قضاها (عليه السلام)، وقد تأثر المسلمون كافة بأخلاقه وأوصافه الباهرة فغدا مهوى قلوب المسلمين، ومغيث الفقراء والمساكين، ومقصد الشداة إلى الحق والرشاد، وهذا الأمر ليس ببعيد عنه (عليه السلام) فقد تربى في بيوت الطاهرة والتقديس فكان يتلذذ للقرآن الكريم ويستوحيه نصاً في عرفان إسلامه، وتقرير إيمانه، فكانت نظراته إلى الخلق والخالق نظرة قرآنية خالصة. ومن هذا الفضائل :

أولاً : كرمُهُ (عليه السلام) :

لابد من القول : إن في ضوء تتبع الحياة الاقتصادية للمرحلة التي عاشها الإمام (عليه السلام) في سامراء تبين أنّ سوء الأحوال الاقتصادية كان واضحاً، فسوء التصرف بالأموال العامة ظاهرة بارزة، فقد استأثر ملوك بني العباس بالمال العام استئثاراً تعجز الكلمات في وصفه، وحذا حذوهم فيه الوزراء، والولاة، والقواد، والكتّاب وغيرهم من ذوي النفوذ في البلاط العباسي، مما ولد الفقر، والعوز، والحرمان، فأصبح هذا الأمر سمةً واضحة المعالم في تلك المرحلة، وقد أحس الإمام الهادي (عليه السلام) بهذا الخطر المحدق المتمثل بالفقر، والجوع، وانحباس الأموال عند طبقة متنفذة في المجتمع، فنراه (عليه السلام) يبذل الأموال التي كانت تأتيه (الحقوق الشرعية)،

ويتفقد المعوزين، ويفرّق الأموال الكثيرة على أصحابه ومواليه من أجل إنفاقها وتوزيعها على المسلمين، ولا سيما آل أبي طالب فقد كان يقدم لأقاربه أغناماً ليتمكنوا من تضحيتها يوم الأضحى، وتفريقها على الجائعين، والمحرومين، فضلاً عن ذلك كان يدعو أصحابه إلى الصبر، والقناعة، وعدم التبذل والشكوى، ويدعوهم أيضاً إلى كثرة الاستغفار، والتسبيح من أجل استدرار الرزق، وسعة العيش، فنِعَمُ القنوع، والشكر، والاستغفار من أفضل النعم.

وقد أورد المؤرخون روايات كثيرة في جوده وكرمه، وسعة عطائه، ومن أهم الروايات:

١. إعطاء الإمام الهادي (عليه السلام) إلى أصحابه مبلغاً كبيراً من المال من أجل إنفاقه على الفقراء جاء في مناقب آل أبي طالب: «دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري، فشكا إليه أحمد بن إسحاق دينا عليه، فقال: يا أبا عمرو وكان وكيله ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، والى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار، فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء»[١].

ومن الجدير بالذكر أن هذه المبالغ الكبيرة التي أعطاها لأصحابه لا يتبادر إلى الذهن أنها لهم كما فهم من قول ابن شهر آشوب آنفاً، ومن قول محمد حسن آل ياسين: «أورد المؤرخون روايات كثيرة في جوده وكرمه وسعه عطاءه، حتى بلغت عطاياه ثلاثين ألف دينار للمستحق الواحد في بعض الأحيان»[٢]، فالإمام (عليه السلام) أعطاهم هذه الأموال بوصفهم وكلاءه الشرعيين، فأناط بهم مهمة توزيعها وتفريقها على المستحقين من الفقراء، والمساكين، والمحتاجين وغيرهم، بلحّاظ أننا في الرواية

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤١/ ٤٠٩، وينظر: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: محمد بن طلحة الشافعي: ٨٨، وحلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام): هاشم البحراني: ٥/ ٤١، والمنتخب من سيرة الأئمة المعصومين: فاضل الفراتي: ٤١١.

(٢) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢/ ٣٤٠.

القابلة التي سنذكرها المتصلة بكرم الإمام الهادي (عليه السلام) وجوده أنه أعطى لأحد أصحابه المخلصين، وهو أبو هاشم الجعفري مائة دينار فقط بعد أن أوصاه بالصبر، والقناعة، وعدم الشكوى.

٢. شكا أبو هاشم ضائقة أصابته إلى الإمام الهادي (عليه السلام)، ورأى الإمام (عليه السلام) ما فيه من الفاقة فأخذ يخفف عنه آلامه، فقال له : «يا أبا هاشم، أي نعم الله (عزّ وجلّ) عليك تريد أنْ تؤدي شكرها ؟ رزقك الله الإيمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك من التبذل»، ثم أمر له الإمام (عليه السلام) بمائة دينار[٣]. ما أجمل هذه الكلمات وما أبهاها ! إنها ترنيمات في القناعة، والكفاف قلما يجود بمثلها الزمن.

٣. قال محمد بن طلحة الشافعي : «إن أبا الحسن كان يوماً قد خرج من سرّ مَنْ رأى إلى قرية لمهم عرض له، فجاء رجل من الأعراب يطلبه، فقيل له : قد ذهب إلى الموضع الفلاني فقصده، فلما وصل إليه قال : أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بجدك علي بن أبي طالب وقد ركبني دين فادح أثقلني حمله، ولم أر من أقصده لقضائه غيرك، فقال له : أبو الحسن، طِب نفساً، وقَرَّ عيناً ثم أنزله، فلما أصبح ذلك اليوم، قال له، أبو الحسن : أريد منك حاجة الله الله أن تخالفني فيها، فقال له الأعرابي : لا أخالفك فيها فكتب أبو الحسن ورقة بخطه معترفاً فيها إنَّ للأعرابي مالاً عينه فيها (...) وقال: خذ هذا الخط فإذا وصلت إلى سُرّ مَنْ رأى أحضر إلي وعندي جماعة فطالبني به وأغلظ القول علي في ترك إيفائك إياه، والله الله في مخالفتي، فقال : أفعلُ وأخذ الخط، فلما وصل أبو الحسن إلى سُرّ مَنْ رأى، وحضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب الخليفة وغيرهم، خرج ذلك الرجل، وأخرج الخط وطالبه وقال كما أوصاه، فألان له أبو الحسن القول، ورقّقه له، وجعل يعتذر إليه، ووعده بوفائه وطيبة نفسه، فنقل ذلك إلى الخليفة المتوكل، فأمر

(٣) أمالي الصدوق : الصدوق : ٤٩٨.

أنْ يحمل إلى أبي الحسن ثلاثون ألف درهم فلما حملت إليه تركها إلى أنْ جاء الأعرابي فقال : خذ هذا المال اقض منه دينك وانفق الباقي على عيالك، وأهلك، واعذرنا، فقال الأعرابي : يَا بن رسول الله، والله إنّ أملي كان يقصر على ثلث هذا، ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالاته، فأخذ المال وانصرف، فهذه منقبة من سمعها حكم له بمكارم الأخلاق، وقضى له المناقب المحكوم بشرفها بالاتفاق»[1].

والذي ينعم النظر في هذه الرواية يجدها لا تواءم منهج الإمام الهادي (عليه السلام) وسيرته العاطرة، وعصمته، فالطريقة التي قام بها الإمام (عليه السلام) من أجل الحصول على المال لهذا الأعرابي من جهة، وإقراره بالدين عليه (حيلة وتمويهاً)، وإغلاظ القول عليه (عليه السلام) من قبل الأعرابي الذي لم تصرّح الروايات بذكره، فضلاً عن ذلك فإن المبلغ المعطى له مبلغ كثير جداً وهناك الكثير من الفقراء والمساكين، فهي لا تصدر من عوام الناس فما بالك بإمام الهدى والرشاد الهادي (عليه السلام).

ولابد من القول : إنّه إذا تُمُودي وتُبُولغ في هذا الجانب من روايات كرمه وغيرها، فإننا سنصل إلى نتائج – مما يؤسف لها – لا تلائم عصمة الأئمة، وطهارتهم.

٤. روى إسحاق الجلاّب، قال : اشتريت لأبي الحسن الهادي (عليه السلام) غنماً كثيرة يوم التروية، فقسّمها (عليه السلام) على أقاربه؛ ليتمكنوا من تَضْحيتها يوم الأضْحى ومن أجل توزيعها للفقراء والمحرومين[2].

(١) مطالب السؤول : ٨٨، والفصول المهمة : ٢٦٦-٢٦٧، ونور الأبصار : ١٦٥، وحلية الأبرار : ٥/ ٤٢-٤٣.

(٢)ينظر : أمالي الصدوق : ٤٩٨. ومناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤٣.

ثانياً : عبادتُهُ (عليه السلام) :

ممّا لا شكّ فيه أنَّ أئمة الهدى والرشاد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قد انقطعوا إلى الله (عز وجل)، فقد سَرى حبّ الخالق في نفوسهم، ومشاعرهم فذكر الله (عز وجل) والتقرب إليه، والإنابة له ديدنهم، فكانوا عابدين يشتهون العبادة كأنها رياضة تريحهم، وكانوا يقضون لياليهم في الصلاة، والمناجاة لا يفترون فتركوا لنا ترنيمات عالية البيان في الأدعية، والمناجاة قلّما يجود بمثلها الزمن.

وقد دأب الإمام الهادي (عليه السلام) على الدعاء والقنوت والمناجاة، فلم ير الناسُ في عصره مثله في عبادته، وتقواه، وشدّة تحرّجه في الدين، فلم يترك نافلة من النوافل إلاّ أتى بها.

وقد وردت عن الإمام الهادي (عليه السلام) أدعية دعا بها في قنوته في الصلوات، ذكر رضي الدين بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) منها :-

١. قال الإمام الهادي (عليه السلام) : « مناهلُ كراماتك بجزيل عطيّاتك مترعةٌ وأبواب مناجاتك لمن أمَّك مشرعةٌ وعطوفُ لحظاتكَ لمن ضرع إليك غير مُنقطعة وقد أُلجم الحِذار واشتد الاضطرار وعجز عن الاصطبار أهل الانتظار، وأنتَ اللّهمّ بالمرصدِ من المكّار اللهمّ وغيرُ مهملٍ مع الإمهال واللائذ بك آمن والراغب إليك غانم، والقاصد اللهمّ لبابك سالم اللهم فعاجل مَنْ قد استن في طغيانه واستمر على جهالته لِعُقْباه في كفرانه وأطمعه حلمك عنه في نيل إرادته فهو يتسرع إلى أوليائك بمكارهه ويُواصلهم بقبائح مراصده ويقصدهم في مظانهم بأذيته، اللهم اكشف العذاب عن المؤمنين وابعثه جهرةً على الظالمين اللهم اكفُفْ العذاب عن المستجيرين واصبُبه على المغيّرين اللّهمّ بادر عصبه الحق بالعون، وبادر أعوان الظلم بالقصم، اللهم أسْعِدنا بالشكر وامنحنا النَّصْر، وأعِذْنا من سوء البَدْء والعاقبة والختر»[٣].

---

(٣)مهج الدعوات ومنهج العنايات: ابن طاووس : ٦٠.

٢.دعا الإمام (عليه السلام) في قنوته أيضاً : «يا مَنْ تفرّد بالربوبيّة وتَوحّد بالوحدانية يا من أضاء باسمه النهار وأشرقت به الأنوار وأظلم بأمره حِنْدِسُ الليل وهطل بغيثه وابل السّيل يا من دعاه المضطرون فأجابهم ولجأ إليه الخائفون فآمنهم وعبده الطائعون فشكرهم وحمده الشاكرون فأثابهم ما أجلَّ شأنك وأعلى سلطانك وأنفذ أحكامك أنت الخالق بغير تكلّف، والقاضي بغير تحيّف حجتك البالغة وكلمتك الدامغة بك اعتصمت وتعوذت من نفثات العَنَدَة ورصدات المُلْحدة الذين ألحدوا في أسمائك ورصدوا بالمكاره لأوليائك وأعانوا على قتل أنبيائك وأصفيائك وقصدوا لإطفاء نورك بإذاعة سرّك وكذّبوا رسلك وصدوا عن آياتك واتخذوا من دونك ودون رسولك ودونَ المؤمنين وليجة رغبة عنك وعبدوا طواغيتهم وجَوابيتهم بدلاً منك فمننت على أوليائك بعظيم نعمائك وجُدْتَ عليهم بكريم آلائك وأتْمَمْت لهم ما أوليتهم بحسن جزائك حفظاً لهم من مُعَاندة الرسل، وضَلال السبل وصدّقت لهم بالعهود ألسنة الإجابة وخّشعت لك بالعقود قلوب الإنابة أسألك اللهم باسمك الذي خشعت له السماوات والأرض وأحييت به مواتَ الأشياء وأمتّ به جميع الأحياء، وجمعت به كل متفرق وفرَّقت به كل مجتمع وأتممت به الكلمات وأريت به كبرى الآيات وتُبْتَ به على التوابين وأخسرت به عمل المفسدين فجعلت عملهم هباءً منثورا وتَبّرتهم تتبيراً أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل شيعتي من الذين حُمّلوا فصدّقوا واستُنْطقوا فنطقوا آمنين مأمونين، اللّهمّ إني أسألك لهم توفيق أهل الهدى، وأعمال أهل اليقين، ومناصحة أهل التوبة، وعزم أهل الصبر، وتَقِيَّة أهل الورع، وكتمان الصدِّيقين حتى يخافوك اللهم مخافة تَحْجُزُهم عن معاصيك، وحتى يعملوا بطاعتك لينالوا كرامتك، وحتى يناصحوا لك وفيك خوفاً منك، وحتى يخلصوا لك النصيحة في التوبة حبّاً لك فتوجب لهم محبتك التي أوجبتها للتوابين، وحتى يتوكلوا عليك في أمورهم كلها حسن ظن بك وحتى يفوّضوا إليك أمورهم ثقة بك، اللّهمّ لا تنال طاعتك إلا بتوفيقك، ولا تنال درجة من درجات الخير إلا بك، اللهم يا مالك يوم الدين العالم بخفايا صدور العالمين طهّر

الأرضَ من نجس أهل الشرك واخرص الخرّاصين عن تَقَوّلهم على رسولك الإفك اللهم اقصم الجبّارين وأبر المفتَرين، وأبد الأفّاكين الذي إذا تتلى عليهم آيات الرحمن قالوا أساطير الأوَلين، وأنجز لي وعدك إنك لا تخلف الميعاد، وعجّل فرج كلِّ طالب مرتاد إنك لبالمرصاد للعباد أعوذ بك من كل لَبْس مَلْبُوس، ومن كل قلب عن معرفتك مَحْبوس ومن كل نفس تكفر إذا أصابها بُؤسٌ، ومن واصف عدل عمله عن العدل معكوس ومن طالب للحق وهو عن صفات الحق منكوس، ومن مكتسب إثم بإثمه مركوس، ومن وجه عند تَتابع النعم عليهم عبوس أعوذ بك من ذلك كلّه ومن نظيره وأشكاله وأشباهه وأمثاله إنك عليٌّ عليمٌ حكيمٌ»(١).

٣. ومن أدعيته (عليه السلام)، ما رواه محمد بن أحمد بن عبيد الله المنصوري عن عمّ أبيه قال : قلت لسيدنا أبي الحسن علي صاحب العسكر (عليه السلام) علّمني دعاء وخصني به فقال قل يا أبا موسى : « يا عُدّتي دون العُدد ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسّند، يا واحد يا أحد يا من هو الله أحدٌ أسألك بحق من خَلَقْتَه من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً أن تصلّي على جماعتهم وتفعل بي كذا وكذا فإني قد سألتك الله سبحانه وتعالى أن لا يخيب من دعا به»(٢).

---

(١) مهج الدعوات : ٦١ – ٦٢.

(٢) م.ن : ٢٥٣.

ثالثاً : زُهْدُه (عليه السلام) :

لقد زهد الإمام الهادي (عليه السلام) عن جميع مباهج الحياة، ولم يُعر للدينا أهمية سوى ما يتصل بالحقِّ، ورضا الله (عز وجل)، وقد آثر طاعة الله (عز وجل) على كُلِّ شيءٍ، وقد واظب على العبادة والورع والزهد من أجل التقرب إلى الله (عز وجل) فما رُئي إلاّ وهو عابدٌ وزاهدٌ، ومتوجّه إلى الله تعالى، يتلو آيات الله (عز وجل) بتدبر وخشوع، ومتجرّد من كُلّ نزعةٍ مادية، فلم يعرف الأنانية، ولم يخضع لأي رغبة من رغبات الهوى، كان يعيش في أفق الناس بلا تكبر، وبلا علوّ وتعالٍ كأنه منهم وإليهم[1].

وقد روي «بإسناده عن عليّ بن حمزة، قال : رأيتُ أبا الحسن الثالث (عليه السلام) يعمل في أرض، وقد استنقعت قدماه من العرق، فقلت له جُعلت فداك، أين الرجال ؟ فقال : يا عَليّ عَمِل بالمِسْحاة من هو خيرٌ مني، ومن أبي في أرضه فقلت له : مَنْ هو ؟ فقال : رسوَل الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمير المؤمنين وآبائي كلُّهم (عليهم السلام) عَملُوا بأيديهم، وهو من عمل النبيّين والمرسلين والأوصياء والصالحين»، وحقيقة أنَّ مَنْ يُطالعُ سيرة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) يتجلّى له بوضوح بأنَّ العمل بالمِسحاة كان محبوباً لديهم، وكانوا يتعبون أنفسهم بالعمل[2].

ويظهر من المداهمات والكَبَسات التي عانها الإمام الهادي (عليه السلام) من السلطة العباسية أنه ما رُئِي إلاّ ملازماً للعبادة، وذكر الله، ولم يجدوا في بيته إلاّ المصاحف، والأدعية، وكتب العلم، قال سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) : «إنَّ علي الهادي لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، وكان ملازماً للمسجد فلمّا فَتَّشُوا داره لم يجدوا فيها إلاّ مصاحف، وأدعية وكتب علم»[3]، ومرة أخرى في سامرّاء عندما اقتحم داره ليلاً جماعة من الأتراك، «كان قد سُعِي به إلى المتوكل وقيل : إنَّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلبُ الأمر لنفسه فوجّه إليه بعدّة من الأتراك ليلاً

---

(١) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) :٥٦

(٢) ينظر : سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : ٤٥.

(٣) تذكرة الخواص : ٣٢٢.

فهجموا عليه في منزله على غفلةٍ فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مِدْرعة من شَعَر، وعلى رأسه مِلحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة يترنّم بآيات من القرآن في الموعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلاّ الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وُجد عليها وحُمل إلى المتوكّل في جوف الليل»(٤).

رابعاً : عفوه وصفحه (عليه السلام) :

من فضائل الإمام الهادي (عليه السلام)، وشمائله هو عفوه وصفحه (عليه السلام)، فقد تجلّى هذا البعد الإنساني عنده (عليه السلام) في أبهى صورته وأجمل معالمه، ولا غرابة في هذا المعلم الإنساني الكبير فهو من متممات شخصيته (عليه السلام) فضلاً عن عناصر الفضل والكمال.

وكان الإمام (عليه السلام) يسير على هَدْي آبائه (عليهم السلام) في العفو، والصفح عن المسيئين، من أجل انتزاع روح الشرّ، والأنانية، والظلامية في نفوسهم، فضلاً عن ذلك الصبر على كيد الأعداء، وظلمهم. فقد روى المسعودي أنَّه «كتب بريحه العباسي صاحب الصلاة بالحرمين إلى المتوكل إن كان لك في الحرمين حاجة فاخرج على بن محمد (...) فإنّه قد دعا إلى نفسه واتبعه خلق كثير وتابع بريحه الكتب في هذا المعنى، فوجه المتوكّل بيَحْيى بن هرثمة وكتب معه إلى أبي الحسن (عليه السلام) كتاباً جميلاً يعرفه أنه قد اشتاقه ويسأله القدوم عليه، وأمر يحيى بالمسير معه كما يُحبُّ، وكتب بريحه يعرفه ذلك، فقدم يحيى بن هرثمة المدينة فأوصل الكتاب إلى بريحه وركبا جميعاً إلى أبي الحسن (عليه السلام)، فأوصلا إليه كتاب المتوكل فاستأجلهما ثلاثاً، فلما كان بعد ثلاث عاد إلى داره فوجد الدواب مسرجة، والأثقال مشدودة، قد فرغ منها، وخرج صلى الله عليه متوجهاً نحو العراق، واتبعه بريحه مشيّعاً فلما صار من بعض الطريق قال له بريحه : قد علمت وقوفك على أنّي كُنْتُ السبب في حملك، وعليّ حلف بإيمان مغلّظة لئن شكوتني إلى أمير المؤمنين، أو إلى أحد من خاصته، وأبنائه لأجمرَنَّ نَخْلَك ولأقتلن مواليك، ولأعورن عيون ضيعتك، ولأفعلن ولأصنعن، فالتفت إليه أبو

(٤) وفيات الأعيان : ٣ / ٢٧٢ - ٢٧٣.

الحسن فقال له : إنَّ أقرب عرضي إياك على الله البارحة وما كنت لأعرضنّك عليه، ثم لأشكونَّك إلى غيره من خلقه، قال : فاكبَّ عليه بريحه، وضرع إليه واستعفاه، فقال له قد عفوتُ عنك»[١]، فقد عفا الإمام (عليه السلام) عن بريحة على الرغم من وشايته به إلى المتوكل.

وكان (عليه السلام) يدعو أصحابه ومواليه إلى العفو، والصفح، والحلم، فعن «محمد بن الريان بن الصلت قال : كتبتُ إلى أبي الحسن (عليه السلام) أستأذنه في كيد عدوّ ولم يمكن كيده، فنهاني عن ذلك، وقال كلاماً معناه : تكفاه فكفيته، واللهِ أحسن كفاية : ذلّ، وافتقر ومات أسوأ الناس حالاً في دنياه ودينه»[٢].

خامساً : هيبتُه (مهوى قلوب المسلمين) (عليه السلام) :

لقد ورث الإمام الهادي (عليه السلام) من آبائه الكرام (عليهم السلام) العلم ومكارم الأخلاق والهيبة في قلوب الناس، فكان مهوى قلوب المؤمنين إكباراً وتعظيماً، وذلك ناشئ من طاعة الله تعالى وزهده في الدنيا وتحرّجه في الدين، وقد بلغ من عظيم هيبته أنَّ السادة العلويين، والطالبيين، وغيرهم المعاصرين لهم قد أجمعوا على تعظيمه، والاعتراف له بالزعامة، والفضل[٣].

فكان من بين العلويين عَمّ أبيه ابن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)، وكان شيخاً كبيراً، وقد كلّف عمر بن الفرج وكان بواباً للإمام (عليه السلام) على أنْ يستأذن له ليتشرف بمقابلته وكلّم الإمام (عليه السلام) في شأنه فأذن له، ودخل على الإمام وكان في صدر المجلس، فجلس زيد بين يديه تكريماً وتعظيماً واعترافاً له بالإمامة، وفي اليوم الثاني تشرف زيد بالدخول إلى مجلس الإمام، ولم يكن (عليه السلام) حاضراً فتصدّر زيد المجلس، وأقبل الإمام فلما رآه زيدٌ وثب من مكانه، وأجلسه فيه، وجلس بين يديه

---

(١) إثبات الوصية : المسعودي : ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) بحار الأنوار : ١٢ / ٢٤١.

(٣) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ٥٤ – ٥٥.

متأدباً مع صغر سن الإمام وكبر زيد[٤].

ويظهر أنَّ هذه الهيبة والمكانة في نفوس المسلمين عموماً، بسبب تأثرهم بأخلاقه وأوصافه الباهرة، فالنور والبهاء والجمال المعنوي، وحسن الكلام، وفصل الخطاب، وعذوبة اللسان، ونصاعة المنطق، ورصيد الكمال المختزل فيه تجعل الآخرين يقفون له بكلّ احترام وثناء وتثمين[٥].

ومن الروايات التي تدل على هيبته، ومكانته في نفوس المسلمين عموماً، ما روي عن «محمد بن الحسن الأشتري قال: كنت مع أبي على باب المتوكل وأنا صبيّ في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي وجعفري ونحن وقوف إذ جاء أبو الحسن فترجل الناس كلهم حتى دخل فقال بعضهم لبعض لِمَن نترجل ؟ : لهذا الغلام ما هو بأشرفنا، ولا بأكبرنا سناً، والله لا ترجّلنا له، فقال أَبو هاشم الجعفري، والله لتترجّلن له صغرة إذا رأيتموه، فما هو إلاَّ أنْ أقبل، أبصروا حتى ترجل له الناسُ كلُّهم، فقال لهم أبو هاشم: ألبس زعمتم أنّكم لا تترجَّلُون له فقالوا له: واللهِ ما ملكنا أنفسنا حتى ترجّلنا»[٦].

وجاء في حِلية الأبرار أن «جماعة من أهل أصفهان، منهم أبو العباس أحمد بن النضر، وأبو جعفر محمد بن علوية، قالوا: كان بأصبهان رجلٌ يقال له: عبد الرحمن وكان شيعيّاً، قيل له: ما السبب الذي أوجب عليك القول بإمامة علي النقي (عليه السلام) دون غيره من أهل الزمان ؟ قال: شاهدتُ ما أوجب ذلك علي وهو أني كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسان وجرأة فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين فخرجت مع قوم آخرين إلى باب المتوكل متظلّمين فبينما نحن بالباب إذ خرج الأمر بإحضار علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام) فقلتُ لبعض مَنْ حضر: مَنْ هذا الرجل الذي قد أمر بإحضاره ؟ فقيل هو رجلٌ علوي تقول الرافضة بإمامته ثم قال: وقدّرتُ أنَّ المتوكّل يحضره للقتل، فقلتُ: لا أبرحُ من هاهنا حتّى أنظر إلى هذا الرجل، أي رجل هو ؟

(٤) موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة الهادي علي عليه السلام: ٥٥.

(٥) ينظر: المنتخب من سيرة الأئمة المعصومين: ٤٠٩ – ٤١٠.

(٦) منتهى الآمال: ٢ / ٤٧٤. وينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ٥٨٢.

قال : فأقبل راكباً على فرس وقد قام الناس يمنة الطريق ويسرتها صفّين ينظرون إليه فلما رأيْتُه وقع حبّه في قلبيٍّ فصرت أدعو له في نفسي بأنْ يدفع الله عنه شرّ المتوكّل فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابته، ولا ينظر يمنة ولا يسرة وأنا أكرّر في نفسي الدعاء له، فلمّا صار بإزائي، أقبل بوجهه إليّ، وقال : استجاب الله دعاءك، وطوّل عمرك، وكثر مالك وولدك، قال : فارتعدتُ من هيبته، ووقعتُ بين أصحابي فيسألوني ما شأنك ؟ فقلت: خير، ولم أخبر بذلك مخلوقاً»[1].

إنَّ كلام أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولاسيما الإمام الهادي (عليه السلام) يقع موقع التأثير في قلوب الناس، فكانوا مصداق قوله :﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾(سورة إبراهيم / من الآية ٣٧).

ومن مظاهر تعظيم الإمام (عليه السلام)، وهيبته أنَّه لمّا أقيمت الصلاة عليه بعد استشهاده: «كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجّتهم، فردّ النعش إلى داره، ودفن فيه»[2].

(١) حِلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام) : ٥ / ٥١ – ٥٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٥٣ – ٣٥٤.

المبحث الثالث

كلمات في حقِّ الإمام الهادي (عليه السلام)

لقد كثرت كلمات المدح والإكبار والإطراء وعبارات الثناء والإشادة في حقِّ الإمام الهادي (عليه السلام)، وإن الكلمات والعبارات لتحار في وصف مناقبه الساميات، وشمائله العظيمات، وعُلومه الواسعات، ومظالمه الصارخات، فهو إمام عصره علماً، وفقهاً، وهيبة، وزهداً، وحلماً، إمام الهداية والرشاد، قطب الرحى، وعَلَم التقى، ومورد الخير والعطاء، وإليك أيها القارئ العزيز أهم العبارات التي قيلت في الإمام الهادي (عليه السلام) مرتبة بحسب قدم وفاة صاحبها :-

أولاً : الإمام الجواد (عليه السلام) (ت ٢٢٠هـ) :

قال الإمام الجواد (عليه السلام) وهو ينصّ على إقامة ابنه الهادي (عليه السلام) : «الأمر من بعدي إلى ابني علي (...) إني ماضٍ والأمر صائر إلى ابني علي، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي»[٣].

ثانياً : المتوكل العباسي (ت ٢٤٧هـ) :

قال في رسالة وجّهها إلى الإمام الهادي (عليه السلام) يطلب منه الشخوص من المدينة المنورة إلى سامراء : «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بَعْدُ، فإنَّ أمير المؤمنين عارف

(٣) الإرشاد : ٣٢٥.

بقدرك راع لقرابتك موجب لحقّك مؤثر من الأمور فيك، وفي أهل بيتك ما يصلح الله به مالك وحالهم ويثبت به عزك وعزهم ويدخل الأمن عليك وعليهم يبتغي بذلك رضا ربّه وأداء ما افترض عليك فيك وفيهم، وقد رأى أميرُ المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقّك واستخفافه بقدرك وعندما قرنك به ونسبك إليه من الأمر الذي علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيّتك في برّك وقولك، وأنّك لم تؤهل نفسك لما قرفت بطلبه، وقد ولّى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل وأمر بإكرامك وتبجيلك، والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك، وأمير المؤمنين مشتاق إليك يُحبّ إحداث العهد بك، والنظر إليك فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة ولا أحمد لهم أثرة ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق وبهم أبرّ وإليهم أسكن منه إليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[1].

ثالثاً: أبو عبد الله الجُنَيديّ (وكَّلَه المعصتم بتعليم الإمام الهادي (عليه السلام))

قال الجنيديّ: «واللهِ أذكرُ له الحزبَ من الأدب أظنّ أنّي قد بالغتُ فيه، فيملي عليّ باباً فيه أستفيده منه ويَظنّ الناس أني أُعلّمه وأنا والله أتعلمُ، قال: فتجاوزتُ عن كلامه هذا كأنّي ما سمعته منه، ثم لقيته بعد ذلك فسلّمت عليه وسألته عن خبره وحاله ثم قُلْت ما حال الفتى الهاشمي، فقال لي: دع هذا القول عنك، هذا واللهِ خير أهل الأرض، وأفضل من خلق الله إنّه لربّما هَمّ بالدخول فأقول له تنظر حتى تقرأ عشرك، فيقول لي أبي السور تُحبّ أنْ أقرأها، أنا أذكر له من السور الطوال ما لم تبلغ

(١) الإرشاد: ٣٣١ – ٣٣٢.

إليه فيهذها بقراءة لم أسمع أصحّ منها من أحدٍ قط وجزم أطيب من مزامير داود النبي (عليه السلام)»[2].

رابعاً : محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) :

قال : «وكان الإمام بعد أبي جعفر (عليه السلام) ابنه أبا الحسن علي بن محمد لاجتماع خصال الإمامة فيه، وتكامل فضله، وأنَّه لا وارث لمقام أبيه سواه، وثبوت النصّ عليه بالإمامة، والإشارة إليه من أبيه بالخلافة»[3].

خامساً : قطبُ الدّين الراونديّ (ت ٥٧٣هـ) :

قال : «وأمَّا عليّ بن محمد الهاديّ (عليه السلام)، فقد اجتمعت فيه خصال الإمامة، وتكامل فضله وعلمه وخصاله الخيّرة، وكانت أخلاقُه كلُّها خارقة للعادة كأخلاق آبائه (عليهم السلام)، وكان بالليل مقبلاً على القبلة لا يفتر ساعة، وعليه جُبّة من صوف، وسجادته على حصير، ولو ذكرنا محاسن شمائله لطال بها الكتاب».

سادساً : أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السَّروي المازندراني (ت ٥٨٨هـ) :

قال : «وكان أطيبَ الناس بهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد إذا صمت علته هيبة الوقار، وإذا تكلّم سماه البهاء، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصية والخلافة، شعبة من دوحة النبوة منتضاة مرتضاة، وثمرة من شجرة الرسالة مجتباة مجتباة»[4].

---

(٢) إثبات الوصية : ٢٤٥.

(٣) الإرشاد : ٣٢٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٢ – ٤٣٣.

سابعاً : كمال الدين محمد بن طلحة الشافعيّ (ت ٦٥٢هـ) :

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة : «وأمَّا مناقبهُ (...) فمنها ما حَلّ في الآذان محلّ جلالها باتصافها واكتناف اللئالئ اليتيمة بأصدافها،وشهد لأبي الحسن علي الرابع أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها، وأنَّه نازل في الدرجة النبويّة في دار أشرافها وشرفات أغرافها»(١).

ثامناً : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ (ت ٦٩٢هـ):

قال : «فكانت نَفْسُه مهذَّبةً، وأخلاقه مستعذبة، وسيرته عادلة، وخلاله فاضلة ومبارّه إلى العفاة واصلة، ورُباع العرف بوجوده وجُوده أهلةً، جرى من الوقار والسكينة والسكون والطمأنينة والعفة والنزاهة والخمول في النباهة والشفقة والرأفة والحزم والحَصَافة والحنو على الارتقاب والأباعد والحَدَب على الولي والحاسد على وتيرة نبويّة وشِنْشِنة علوية ونفس قدسيّة لا يقاربها أحدٌ من الأنام ولا يُدَانيها، وطريقة لا يشاركه فيها خلق ولا يطمع فيها (...) إذ قال بذّ الفصحاء وحَيّر البلغاء، وأسكت العلماء إن جاد بخل الغيث، وإن صال جبن الليث، وإن فخر أذعن كُلّ مساجل، وسلم إليه كُل مناضل، وأقر لشرفه كلّ شريف، وإن طاول الأفلاك ونافر الأملاكَ واعترف أنه ليس هناك، وإن ذكرت العلوم فهو (عليه السلام) موضح أشكالها، وفارس جلادها وجدالها وابن بَجْدَتِها وصاحب أقوالها وطلاّع نجادها، وناصب أعلام أغفالها، هذه صفاته التي تتعلق بذاته، وعلاماته الدالة على معجزاته»(٢).

تاسعاً : عبد الله بن أسعد بن علي اليافعيّ (ت ٧٦٨هـ) :

قال اليافعيّ : «أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ابن طلحة الشافعي : ٢٦٦.

(٢) كشف الغمّة : ٤ / ٤٨- ٤٩.

بن جعفر الصادق العلوي الحسيني عاش أربعين سنة وكان متعبداً فقيهاً إماماً»[٣].

عاشراً : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البُصرويّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ) :

قال : «وقد كان عابداً زاهداً»[٤].

الحادي عشر : جمال الدين أحمد بن عليّ بن الحسين الحسنيّ (ت ٨٢٨هـ) :

قال : «أما عليّ الهادي فيلقّب بالعسكري لمقامه بسرّ مَنْ رأى، وكانت تسمّى العسكر، وأمّه أمّ ولد، وكان في غاية الفضل ونهاية النّبل»[٥].

الثاني عشر : عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي (ابن الصبّاغ المالكي) (ت ٨٥٥هـ) :

قال : «قال بعض أهل العلم فضل أبي الحسن علي بن محمد الهادي قد ضَرَبَ على الحرّة قبابه، ومدّ على نجوم السماء أطنابه فما تُعدّ منقبة إلاّ وإليه نحيلتها ولا تستعظم حالة سنية إلاّ وتظهر عليه أدلتها استحق ذلك بما في جوهر نفسه عن كرم تفرد بخصائصه ومجد حكم فيه على طبعه الكريم بحفظه من الشرب حفظ الراعي لقلايصه، فكانت نفسه مهذبة وأخلاقه مستعذبة وسيرته عادلة وخلاله فاضلة وميازه إلى العفاة واصلة وزموع المعروف بوجود جوده عامرة آهلة جرى من الوقار والسكون والطمأنينة والعفة والنزاهة والخمول في النباهة على وتيرة نبوية وشنشنة علوية ونفس زكية وهمة عليّة، لا يفارقها بها أحدٌ من الأنام ولا يدانيها، وطريقة حسنة لا يشاركه فيها خلق ولا يطمع فيها»[٦].

(٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان : اليافعيّ : ٢ / ١٦٠.

(٤) البداية والنهاية : ١١ / ٢٩٤٦.

(٥) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ١٨٨.

(٦) الفصول المهمة : ٢٧٠.

الثالث عشر : شهاب الدين أحمد بن حَجَر الهَيْتَمِيّ (ت ٩٧٤هـ) :

قال : «عليّ العسكري سُمّي بذلك؛ لأنَّه لمّا وجّه لإشخاصه سار من المدينة المنورة إلى سُرّ مَنْ رأى وأسكنه بها، وكانت تُسمّى العَسْكر فعرف بالعسكريّ وكان وارث أبيه علماً وسخاءً»(١).

الرابع عشر : عبد الحيّ بن أحمد بن عماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ) :

قال : «كان أبو الحسن بن علي الجواد ابن الرضا، ابن الكاظم موسى بن جعفر الصادق العلويّ الحسينيّ المعروف بالهادي فقيهاً إماماً متعبداً، وهو أحدُ الأئمة الذين تعتقد غلاة الشيعة عصمتهم كالأنبياء»(٢).

الخامس عشر : عبد الله بن محمد بن عامر الشَّبْرَاوِيّ الشافعيّ (ت ١١٧٢هـ) :

قال : «توفي محمد الجواد (رضي الله عنه) (...) وترك ابنين وبنتين، وأشرف أولاده، وأكرمهم، وأفضلهم، وأعظمهم، العاشر من الأئمة علي الهاديّ»(٣).

السادس عشر : سليمان بن إبراهيم الحافظ القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ) :

قال : «كان أبو الحسن علي الهادي عابداً فقيهاً إماماً»(٤).

السابع عشر : مؤمن بن حسن مؤمن الشَّبْلَنْجِي (ت ١٣٠٩هـ) :

---

(١) الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة : ٥٦١ – ٥٦٢.

(٢) شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب : عبد الحيّ بن أحمد بن عماد الحنبلي : ٢ / ١٢٨ – ١٢٩.

(٣) الإتحاف بحُب الأشراف : ٣٥٨ – ٣٦١.

(٤) ينابيع المودّة : القندوزي الحنفي : ٣٨٦.

قال : «في ذكر مناقب سيدنا علي الهادي (...) ومناقبه (رضي الله عنه) كثيرة»[٥].

الثامن عشر : خير الدين بن محمود بن محمّد (الزركلي ت١٤١٠هـ) :

قال : «أبو الحسن العَسْكري (٢١٢ - ٢٥٤ = ٨٢٩ - ٨٦٨م) عليّ (الملقب بالهادي) بن محمد الجواد (...) عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد الأتقياء الصلحاء»[٦].

التاسع عشر : محمد رضا الحكيميّ الحائريّ (ت ١٤١٢هـ) :

قال : «سجين سامراء، والمسموم، والمقتول، والمدفون بها سيدنا، ومولانا أبو الحسن الثالث الإمام علي بن محمد النقي الهاديّ (صلوات الله عليه) وهو صاحب الزيارة العظيمة المعروفة بـ (الجامعة) المروية عنه، والتي يزار بها المعصومون (عليهم السلام) في المدينة المنوّرة، والنجف الأشرف، وكربلاء المقدّسة، والكاظمية المشرّفة، وخراسان المفضّلة، وسامراء الميمونة»[٧].

العشرون : السيّد عبد الرزّاق شاكر البدري الشافعيّ :

قال : «وبقي الإمام الهادي يتنقل في مجالس سامراء يواسي ذوي المصاب ويساعد المحتاج، ويرحم المساكين، ويشفق على اليتيم ويدلف ليلاً إلى الأرامل والثكالى وثوبه كلّه «صرر» فينثرها عليهم ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ يذهب نهاره إلى عمله فيقف تحت الشمس يعمل في مزرعته حتّى يتصبّب العرق من جسمه وعندما يقبل الليل يتّجه إلى ربّه ساجداً راكعاً خاشعاً ليس بين جبينه الوضّاح، وبين الأرض سوى الرمل والحصى، وإنّه يردّد دعاءه المشهور «إلهي مسيء قد ورد، وفقير قد قصد لا

(٥) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار : ١٦٤.

(٦) الأعلام : الزركلي : ٤ / ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٧) حياة أولي النهى (حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام)) : محمّد رضا الحكيميّ : ١٤.

تُخيّب مسعاه وارحمه واغفر له خطأه»»[1].

الحادي والعشرون : محمّد حسن محمد رضا عبد الحسين بن باقر آل ياسين (ت ١٤٢٧هـ):

قال : «إنَّ إمامة الإمام الهادي - كما هو منطوق النصوص العامة والخاصة ومقتضى اجتماع الصفات المطلوبة التي لم يشاركه فيها غيره من بني عصره - هي النتيجة الثابتة التي تأبى أيَّ تردّد أو تشكيك، بل هي الحقيقة القطعية المسلّمة التي لا يعتريها الريب، مهما كثف تضبيب المضبّبين، وتعالى جدل المعاندين»[2].

الثاني والعشرون : حُسَين الشاكريّ (ت ١٤٣٠هـ) :

قال : «إمام من أئمة الهدى وهو الكوكب العاشر في سماء شمس النُّبُوّة وسليل الرسالة، الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي، الذي مَلأَ الدنيا علماً وفقهاً ودراية، فهو قبس من الشعلة الوهّاجة لنور الرسالة، وسيرته امتدادٌ لسيرة آبائه الطاهرين، في تبليغ أحكام الدين، ورسالة سيّد المرسلين، التي جاء بها من ربّ العالمين»[3].

الثالث والعشرون : باقر شريف القرشيّ (ت ١٤٣٢هـ) :

قال : «نحن بين يدي إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين ملؤُوا الدنيا بفضائلهم، وعلومهم، ووهبوا حياتهم لله، وأخلصوا للحقّ أعظم ما يكون الإخلاص إنّه الإمام العاشر علي الهادي سمّي جدّه الإمام أمير المؤمنين رائد الحكمة والعدالة الاجتماعية في الأرض، وقد شابهه في نكران الذات، والتجرّد من كل نزعة من النزعات المادّية فلم يؤثر عن هذا الإمام العظيم أنّه استجاب لأيّ داع من دواعي الهوى، أو خضع لأيّة رغبة من الرغبات النفسيّة التي لا تتصل بالحقّ، وإنّما آثر طاعة

---

(١) سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : عبد الرزاق البدري : ٥٩. (الإنسان / من الآية ٩).

(٢) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٤٠.

(٣) موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٤ / ٧.

الله على كل شيءٍ، فقد هام بحبّه تعالى يحيي لياليه بالعبادة والتضرّع إلى الله تعالى ومناجاته»[٤].

الرابع والعشرون : محمود السيف القُطيفي :

قال : «لقد تواتر الثناء على السيّد الإمام علي بن محمد الهادي وهو المعصوم العاشر من أئمة أهل البيت الذين يدين لهم الشيعة الإمامية بالطاعة والولاء، إنّنا نلاحظ في كلمات العلماء أهل السير الذين جاؤُوا على ذكر الإمام الهادي : إنّهم عدّوه عنواناً للعلم في زمانه، وعنواناً للفضيلة والتقى ومثالاً بارزاً للطهارة النفسيّة»[٥].

هذا بعض ما وقفنا عليه من أقوال المادحين للإمام الهادي (عليه السلام)، وقد بيّنا شهاداتهم وإقرارهم في إمامة الإمام، وسعة علمه، وتقواه، وفضله، وزهده، ولو أكثرنا مِن أقوال العلماء؛ لطال بنا المقام.

(٤) حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٩.

(٥) الإمام الهادي (عليه السلام) أضواء على سيرته : ٨١.

الفصل الثاني

الخطوط العامة لتأريخ الآمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني

الخطوط العامة لتأريخ الإمام الهادي (عليه السلام)

سنسلّط الضوء في هذا الفصل على الخطوط العامة لتاريخ الإمام (عليه السلام) بوصفه إماماً للأمّة في المدينة المنورة، وبغداد، وسامرّاء، وما أحاطت مراحل حياته (عليه السلام) من أحداث في ضوء وجوده المبارك في هذه المدن المقدّسة.

ولا يخفى على القارئ العزيز أنَّ جُلَّ مراحل حياة الإمام الهادي (عليه السلام) قد قضاها في سامرّاء المشرّفة التي شرّفها بوجوده الأنور، فأصبحت مهوى قلوب العاشقين، والمحبين.

ويبدو بلحاظ تتبع النصوص، والأخبار التي تناولت تاريخ هذه المرحلة من جهة، وتاريخ سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) من جهة أخرى، أنّه تعرّض منذ استشهاد أبيه الإمام الجواد (عليه السلام) إلى الاضطهاد، والمراقبة على الرغم من صغر عمره الشريف، فخوف السلطة العباسية من إمامته بوصفه قائداً للأمّة، وعالماً، وهادياً، ومرشداً، ومهيباً، قادها إلى تحجيم دوره الواضح بمعية الجواسيس ووعّاظهم المنتشرين في المدينة المنورة، فأراد هؤلاء أنْ ينقلوا إلى السلطات العباسيّة أخباراً مشوّهة وغير دقيقة منها : أنه يحاول الانقلاب على الحكم العباسي، وأنه يجمع العدد، والعدّة للإطاحة بهذا النظام، ويستجمع شيعته ومواليه لزيادة نفوذه، وغيرها من الأضاليل، والافتراءات فتصل الأخبار السلطة مصدّقة لها، فترتعد فرائصها، فيرسل المتوكّل قائده (يَحْيى بن هرثمة) وبيده كتاب دلالته ظاهرة الوجوب في إشخاص الإمام إلى سامراء، على الرغم من تضمّنه عبارات المدح، والثناء، والاعتراف بالمقام السامي للإمام الهادي (عليه السلام).

إنَّ الخوف من إمامة الهادي (عليه السلام)، ومن علمه الواسع، وهيبته المتلألئة جعلت المتوكل أنْ يتخذ هذا القرار بسرعة من دون فتور، وتراخ، فكان مجيئُه (عليه السلام) إلى سامراء المشرّفة بدء مرحلة جديدة من إقرار إمامته، وسطوعها.

ومن الملفت للنظر أن الأحداث الكبيرة، والكثيرة التي سايرت تاريخ الإمام الهادي (عليه السلام) - كما قلنا آنفاً - كانت في سامرّاء، لذا إرتأينا أنْ نجعل الحديث عن إمامته في سامراء، وأن نعنون الفصل الثالث بـ (إمام سامراء) ؛ لطول الكلام، وتشعبه في تاريخ الإمام (عليه السلام) في هذه المدينة المقدّسة، زد على ذلك تماشياً مع سنن البحث العلمي في الالتزام بحجم المادة العلمية.

والذي يقتضي بيانه في هذا الفصل الحديث عن مفهوم الإمامة، ودور الإمام الهادي (عليه السلام) في قيادة المجتمع، وبيان صفات الإمام (عليه السلام) التي أهّلته أنْ يكون إماماً للأمّة، مع عرض أهم النصوص المرويّة في إثبات إمامته، ثم تعريف بالوضع العام للمرحلة التي عاشها الإمام (عليه السلام) سواءٌ أكان الجانب السياسي أم الاقتصادي، أم الاجتماعي، أم الثقافي، ثم أمطنا اللثام، وكشفنا النقاب عن مشروع الإمام السياسي في المدينة المنورة، وبغداد.

المبحث الأول

إمامته (عليه السلام)

أولاً : التعريف بـ (الإمامة) :

١ - مفهوم الإمامية :

يُطْلَقُ مصطلح الإمامية عقائدياً وكلامياً على من جعل الإمامة أصلاً من أصول الدين، ويدخل تحته بهذا الاعتقاد كل الفرق الشيعيّة (سياسيّاً) كـ (الزيديّة، والإسماعيليّة، والاثنى عشريّة، وغيرها)، لكن هذه الفرق استقلت بأسمائها الخاصة بها، وأصبح مصطلح الإمامية الآن ينصرف إلى الاثنى عشرية خاصة، وهم الفرقة الأكثر وجوداً، وبقاءً اليوم من الفرق الأخر، ومبعث هذه التسمية الاثنى عشرية هو اعتقادهم باثنى عشر إماماً من بني هاشم، نصَّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما هو معروف في الاعتقاد في التنصيص عن كُلِّ إمام من أئمتهم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم نصِّ كل إمام على الإمام الذي بعده بشكل يخلو من الشك والإبهام[1].

وقد اعتمد الإمامية على ما تضافر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من روايات تتصل بنقطة جوهرية محورية وهي أن الخلفاء بعد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بني إسرائيل[2]، وفي رواية أخرى أنهم من

(١) ينظر : فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة : صباح عيدان العبادي : ٢٩ - ٣٠.

(٢)نقل أحمد بن حنبل عن مسروق أنه قال : «كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود، وهو يقرئنا القرآن فقال لهرجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كم تملك هذه الأمّة من خليفة، فقال عبد الله بن مسعود : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال نعم، ولقد سألنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : اثنا

قريش[1].

والإمامة لطفٌ من ألطاف الله (عزّ وجلّ) على عباده لا يمنحها الله تعالى، إلاّ لِمَنْ اختار من عباده ممّن امتحن اللهُ قلبه للإيمان، وزكّاه وطهّره من أفانين الظلم، والأباطيل كافة[2].

إنَّ حقيقة الإمامة قائمة في أصلها، ووظيفتها، وبنائها على الأصل الذي قامت عليه النبوّة، وهي فكرة (اللطف الإلهيّ)، فتكون الإمامة امتداداً للنبوّة، ولكن من التأويل، وبيان الأحكام وتطبيقاتها، لا من التنزيل، ولذا وجب فيها النصّ من الله تعالى على لسان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو الإمام السابق، ويجب البيان أنَّ الاثني عشرية لا يفضّلون الإمام على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يساوونه به[3].

إنّنا وعلى الرغم من ذلك الإيمان الكامل بالنزاهة، والتجرّد، والموضوعيّة، لا يمكننا أنْ نَعُدَّ هذا التعيين المنصوص عليه من أي سابق منهم على لاحق تصرّفاً فرديّاً منبعثاً من رأي ذاتي في الاختيار، والانتقاء، وإن سلّمنا تسليماً كاملاً وتاماً بجودة مواصفات السلف، والخلف في العلم، والدين، والحكمة، والتجربة، والحنكة، والفضل، وبعد النظر، فضلاً عن ذلك لا نعدّ الإقرار بهذا التعيين إقراراً بحرية صاحب النصِّ في تسمية من يشاء ليُصبح إماماً من بعده، لإيماننا أولاً وقبل كلّ شيء بعد الالتزام الصارم والقاطع بالإسلام بأنَّ الأمر هو أمرُ الله (عزّ وجلّ)، والحكم حكمه، وبأنَّ علينا أنْ نتعبد عاملين بكلّ ما أنزل الله تعالى، وما أمر به، ولن يتحقق ذلك منّا إلاّ بالخنوع والإخبات لكل ما ورد في كتاب الله (عزّ وجلّ)، وتنفيذ ما جاء فيه حرفياً بلا

عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل»، مسند أحمد : الإمام أحمد بن حنبل : ١ / ٣٩٨.

(١) قال البخاري : «حدثني محمد بن المثنى حدثنا غندر، حدّثنا شعبة عن عبد الملك، سمعت جابر بن سَمُرة، قال : سَمِعت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال : كلّهم من قريش». صحيح البخاري : أبو عبد الله البخاري : ٨ / ١٢٧.

(٢) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٣٩.

(٣) ينظر : عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر : ٦٥ – ٧١، وفهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة : ٣١.

تلاعب، أو انحراف، لأنه كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المنهج الثابت الذي لا يقبل التغيير، والتبديل(٤).

والإماميّة تعطي للأئمة صفات متميّزة تُعدُّ في نظر غيرهم من التطرف والغلوّ، وهي في نظرهم لازمة، ما دام الإمام هو الطريق الوحيد المؤتمن لمعرفة أحكام الدين كالعصمة، والعلم، وسائر صفات الكمال من شجاعة، وكرم، وعفة، وصبر، وإرادة، وصدق، وغيرها، ولابُدّ أنْ يكون أفضل أهل عصره إذ إمامة المفضول غير صحيحة مع وجود الفاضل، والإمام يَجبُ أنْ يكون أعلم أهل زمانه، وهم يعتقدون أنَّ الإمام يَرِثُ علومه عن النبيّ أو الإمام الذي قبله، أو تأتيه بطريق الإلهام، وليس بالطريق الطَبيعي في تلقي العلم، والنقل من غيره، أو النظر العقلي والتفكير والاستدلال، وهو معصومٌ كالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرذائل، والفواحش، والمثالب كافة ما ظهر منها، وما بطن، من سنّ الطفولة إلى الموت عمداً أو سهواً(٥).

ومن هنا فإن عصمّة الأئمة (عليهم السلام) تُعدّ عنصراً مهماً ورئيساً في العقيدة الشيعية، «وقد أنكرها قومٌ زاعمين بعدم إمكان تحققها، وزيف الناقدين لها، فإن مَنْ يقرأ سيرة الأئمة الطاهرين لا يخامره أدنى شكّ في عصمتهم، وعدم اقترافهم لأي معصية عمداً أو سهواً، فلم ينحرف أي واحدٍ عن الطريق القويم، ولم يشذ في سلوكه عن النهج القويم والسليم، وكانوا جميعاً متحرّجين في دينهم أشد ما يكون التحرّج»(٦).

وقد اقتضت حكمة الله (عزّ وجلّ) أن يعطي النبوة لثلاثة أنبياء وهم أطفال، وهم سليمان (عليه السلام)، وكان عمره عشر سنين، وعيسى (عليه السلام) أُعطي النبوة وهو في المهد، ويَحْيَى (عليه السلام) أُعطي النبوّة وهو صبيّ كما أعطى الله (عزّ وجلّ) الإمامة لثلاثة أئمة أوصياء، وهم أطفال، وأوّلهم الإمام الجواد (عليه السلام)، وكان عمره سبع سنوات، وابنه الإمام الهادي (عليه السلام) وكان عمره نحو سبع سنوات، والإمام المهديّ وكان عمره عند

---

(٤)ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٢٨ – ٣٢٩.

(٥)ينظر : فهم الخطاب القرآنيّ بين الإمامية والأشاعرة : ٣١.

(٦)حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٤١ – ٤٢.

شهادة أبيه (عليه السلام) خمس سنوات[1].

٢- اضطراب القول في الخلفاء الاثني عشر :-

لقد اضطربت أقوال العلماء في تحديد الخلفاء الاثني عشر لاسيّما في المنظومة الدينية السائدة في يومنا هذا، قال ابن حجر الهيتميّ : «قال شيخ الإسلام في فتح الباري، كلام القاضي هذا أحسن ما قيل في هذا الحديث، وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طُرُقه الصحيحة : كلُّهم يجتمع عليه الناس، والمراد باجتماعهم انقيادهم لبيعته، والذي اجتمع عليه الخلفاء الثلاثة ثم عليّ إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين، فتسمَّى معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمعوا عليه عند صُلح الحسن، ثم على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسن أمرٌ، بَلْ قتل قبل ذلك، ثُم لما مات يزيد اختلفوا على عبد الملك، بعد قتل ابن الزبير، ثمّ على أولاده الأربعة، الوليد، فسليمان، فيزيد، فهشام، وتخلّل بين سليمان ويزيد عُمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر : الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمعوا عليه لّما مات عمُّه هشام فَتَولّى نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن، وتغيّرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أنْ يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك ؛ لوقوع الفتن بين مَنْ بقي من بني أميّة، ولخروج المغرب الأقصى عن العباسيّين بتغلب المروانيين على الأندلس إلى أنْ تَسَمَّوا بالخلافة، وانفرط الأمر إلى أنْ لم يبق من الخلافة إلاّ الاسم بعد أنْ كان يُخطب لعبد الملك في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً، يميناً وشمالاً ممّا غلب عليه المسلمون، ولا يتولى أحدٌ من بلدٍ إمارة في شيء إلاَّ بأمر الخليفة، وقيل : المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدن الإسلام إلى القيامة يعملون بالحقِّ وإنْ لم يَتَوالوا، ويؤيّده قول أبي الجلد : كُلُّهم يَعْمل بالهُدى، ودين الحقِّ، منهم رجلان من أهل بيت محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعليه المراد بالهرج : الفتن الكبار كالدَّجّال، وما بعده، وبالاثني عشر الخلفاء الأربعة الحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعُمَر بن عبد العزيز»[2].

---

(١) ينظر : الإمام محمّد الجواد (شبيه عيسى ويحيى وسليمان) : علي الكورانيّ : ٥.

(٢)الصواعق المحرقة : ٨٧ – ٨٨.

والمتأمّل في الروايتين المذكورتين في نصِّ ابن حجر يجدّ أنَّ الخلفاء إذا ما استثنينا الخلفاء الأربعة (رضي الله عنهم)، والإمام الحسن (عليه السلام)، فإن بني أمية لابدّ أنْ يكونوا من الاثني عشر، فليعجب المتعجب من هؤلاء الخلفاء كمعاوية، ويزيد وعبد الملك، وأولاده، واستمرار الخلافة بعد ذلك في بني العباس، وأنا أسأل شيخ الإسلام ؟، أكان معاوية، ويزيد، وعبد الملك وأولاده يعملون بالهدى، ودين الحقّ، فالمتصفّح لأي كتاب تاريخي يرى أعمال هؤلاء !، وهَلْ هم جديرون بتولّي هذا المنصب الإلهي العظيم ؟، وهَلْ هم أهلُ تقوى، وهدى، وصلاح، ودين الحقِّ؟.

وقد صَرّح سعيد بن جبير (رضي الله عنه) من قبل بهذا الأمر، قال ابن حجر : «وقيل : لسعيد بن جبير : إنَّ بني أُميّة يزعمون أنَّ الخلافة فيهم، فقال : كَذَبَ بنو زَرْقاء، بَلْ هم مُلُوك من شرّ الملوك»[٣].

ولا يخفى أنَّ هذا الاضطراب منشؤُه، وأصله هو إبعاد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قضية تنصيب الإمام بعده، وقد صرّح ابن حَجَر الهيتميّ بهذا الأمر بقوله : «اعلم أنَّ الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – أجمعوا على أنَّ نَصْب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه من أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور، ولتلك الأهمية لما تُوُفّي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قام أبو بكر (رضي الله عنه) خطيباً (...) فقال : أيُّها الناسُ، مَنْ كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يَعْبُدُ اللهَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموت أبداً، ولابدّ لهذا الأمر من يقوم به، فانظروا وهاتوا آراءكم، فقالوا : صدقت ننتظر فيه، ثم ذلك الوجوب عندنا معشر أهل السنة، والجماعة، وعند أكثر المعتزلة بالسمع أي من جهة التواتُر والإجماع المذكور وقال كثيرٌ : بالعقل، ووجه ذلك الوجوب أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بإقامة الحدود، وسد الثغور، وتجهيز الجيوش للجهاد، وحفظ بيضة الإسلام، وما لا يتمّ الواجب المطلق إلاّ به، وكان مقدوراً فهو واجب، ولأنَّ في نصبه جلب

(٣)الصواعق المحرقة : ٩٩ – ١٠٠.

منافع لا تُحْصَى، ودَفْع مضار لا تُسْتَقْصَى، وكُلّ ما كان كذلك يكون واجباً»[1].

ونحن نقول: حاشا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يترك أمته هَمَلاً بلا راع، وبلا إمام، فقد أوصاهم - كما يزعمون - بإقامة الحدود، وسدّ الثغور، وتجهيز الجيوش للجهاد، وهي أمورٌ مقارنة بتنصيب الإمام من بَعْده أقل شأناً، وأحطّ منزلة، وأخسّ مطلباً، ومما يزيد الطين بلّة، أنّهم عَرَفوا أنَّ أمر الخلافة، والإمامة، وتنصيبهما أهم من دفن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) - حاشاه - لم يكن يعرف هذه الأهمية متغافلاً أو ناسياً، فضلاً عن ذلك فإنهم لم يتفقوا رأساً على الإمام المتعيّن فآثروا القول: إن الاختلاف في التعيين، وعدم الاتفاق لا يقدح في الإجماع المذكور، ومَنْ من المسلمين كان يَعْبُد محمداً من دون الله (عزّ وجلّ)، جاعلاً إيّاه إلهاً له، حتّى يصرّح الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) بهذا القول: أهي فكرة ومنهج عرفه الناس، وشاع بينهم حتّى ينبّه عليه الخليفة، ويؤكّده، ألم تذكر الآيات الكثيرات أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) هو بشر، ورسول اللهِ، وهو ميِّتٌ وإنَّهم ميّتون، وإنَّ البقاء، والخلود، والدوام لله (عزّ وجلّ) ؟!!!.

لقد أجمع المسلمون متفقّين فيما رووا من «الحديث النبوي الواجب الأخذ به بنصّ القرآن الكريم على نقل ذلك القول الصحيح الجلي الذي عيّن فيه (صلى الله عليه وآله) مَنْ سيخلفه من الأئمة من بَعْده، ناصّاً على كونهم من قريش، ومحدِّداً عددهم بـ(اثني عشر)، وفي لفظ الحافظ الطبراني: (اثنا عشر قيّماً من قريش لا يضرُّهم عداوة من عاداهم) فكان توجيهه هذا بما حمل من تعريف وتحديد، وقد حكم بصحته، وتواتره الحفاظ المعروفون، هو المنطلق الأساس، والخطوة الأولى نحو معرفة ما يجب على المؤمنين الالتزام به في أمر الإمامة بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخلوّ الساحة من وجوده المبارك»[2]، وقد بيّننا أنَّ الأمويين، والعباسيين لا ينطبق عليهم هذا القيام الإلهي، القائم على الحقِّ، والهدى، والاستقامة.

---

(١) الصواعق المحرقة: ٥٥.

(٢) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢ / ٣٣٠.

ويبدو أنَّ حديث الثِّقْلين المشهور المتضمن وجوب الأخذ، والتمسك بكتاب الله (عزّ وجلّ) والعترة أهل البيت ؛ ليأمن المسلمون الضّلال، والزيغ عن نهج الحقِّ، وقد أخرجه وصحّحه عدد غير قليل من المحدّثين والحفّاظ، قال ابن حجر الهيتمي معقباً عليه بعد نقله : «إنَّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة، وردت عن نيّف وعشرين صحابيّاً مضافاً إلى ما جاء في نصوص نبوية أخرى من تعريف وتوصيف لأولئك الأئمة الاثني عشر، بل تسميتهم واحداً واحداً بصريح الاسم واللقب»(٣).

ومجمل القول : إن الإمامة شأنٌ من شؤون الحياة الإسلامية لا تستغني عنها، ولا تستقيم من دونها، لا لأنها تدير الحياة الدينية فحسب، وإنما تدير الحياة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية، وتضمن للأمّة استقلالها وحرّيتها، وتوفّر لها الأمن والرخاء والاستقرار، ولعلّ من أعمق الأسباب وأدقها في الحاجة إلى الإمامة هو بسط القوى الروحية، ونشر الفضيلة، والخير بين الناس، ومحاربة النزعات الفاسدة من الأنانية، والغرور والطمع، والحسد وغيرها من نزعات الانحراف، والضلال، والشذوذ، وقد رفع الأئمة الطاهرون راية الهدى، والاستقامة، والإيمان العميق، داعين إلى الإيمان بالله (عزّ وجلّ)، وقد حَفَل نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) بنفحات من نفحات الإيمان العميق بالله، ففيه الدعوة إلى التفكر في خلق هذه الكائنات، والدعوة إلى التحلّي بمكارم الأخلاقِ، ومحاسن الصفات، والتحذير من الاتّصال بالنزعات الشريرة، التي تدعو إلى التناحُر، والتحارُب، والتباغُض، وكذلك نجد الغذاء الروحي، والمعين الصافي في الصحيفة السجّادية، إنجيلِ آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يمثل منظومة روحيّة، وأخلاقية، كما أنَّ سائر الأدعية الواردة عن أهل البيت نجد فيها هذا المنهج الإنساني، والغذاء الروحي الذي يبعث على تهذيب النفس، وتطهيرها من الأدران، والانحراف(٤).

---

(٣)لصواعق المحرقة : ٨٩ – ٩٠، وينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٣١ – ٣٣٢.

(٤) ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٩ – ٤٠.

٣- محاربة ربط الإمامة بالتصوف :-

من الأفكار الخاطئة التي تسرّبت في الفكر الإسلامي من أجل الإطاحة بالقيم الإسلامية، والمثل العالية لهذا المذهب، هو ربطه بالتصوّف، هذا التصوف القائم على الانعزال، والبعد عن المجتمع، والتفرّد في الصومعة للعبادة، وترديد بعض الأوراد.

والذي يبدو أنَّ القائلين بهذه الأفكار قد خلطوا بين العرفان الإلهي، وبين التصوف الدنيوي الخالص، فالعرفان الإلهي هو ارتباط بتعاليم السماء ارتباطاً صحيحاً، في ضوء السلوك الاجتماعي، والسير الأخلاقي في المجتمع، وإغداق القيم الإسلامية الصحيحة، وغرسها في نفوس أفراد المجتمع، مع تعريفهم بالمثل الإسلامية العالية، فضلاً عن ذلك الاتصال مع المجتمع اتصالاً بناءً قائماً على تصحيح الأفكار، والدعوة إلى الإخلاص لله (عزّ وجلّ)، وإقامة حدود الله وتعاليمه ؛ بخلاف التصوف القائم على العزلة، والانقطاع عن المجتمع، وإضفاء الرمزية والقدسيّة تكلّفاً وحيلة وتمويهاً على المتصوف من أجل حطام الدنيا، وزخرفها للحصول على الأموال، والهبات.

وقد كشف الإمام الهادي (عليه السلام) زيف هؤلاء المضلّين من المتصوّفين، لكونهم طلاّب الدنيا، ومتاعها محذِّراً المسلمين عامة، وشيعته خاصة من إتّباعهم، والسير مع أفكارهم المنحرفة الضالّة، وسنعرضُ موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من المتصوّفة في الفصل الخامس إذا شاء الله (عزّ وجلّ)، والموسوم بـ (مشروعه الإصلاحيّ).

ومن تلكم الإشارات إلى هذا المفهوم الخاطئ والتصور الساذَج، ما جاء في تاريخ المجتمعات الإسلامية لـ (إيرام لابيدس)، قال : «لقد آمن الشيعة بأن العلم النبوي انتقل من إمام إلى إمام في كلّ جيل من الأجيال المتعاقبة، هذه النعمة أهلّتهم للخلافة من جهة، وجعلتهم منابع معصومة عن الخطأ لمعرفة مشيئة الله وإرادته من جهة أخرى، صحيح أنَّ محمداً أماط اللّثام عن القرآن، ولكن تفسيره بقِي من مهمات الأئمة المعصومين، وبرأي الشيعة لم يكن المنبع الصحيح للعقيدة في كلِّ جيل متمثلاً آخر المطاف بالتراث الموروث، أو بإجماع الفقهاء، أو بتقوى مسلمين آخرين، بل بإمام متحدر من عليّ منسوب إليه، ومن وجهة النظر هذه ترك المذهب الشيعي تراثاً

من التعاليم الدينيّة شبيهاً بالأنماط السنّية، ولكنه خطا أيضاً نحو نوع من الاندماج بالتصوف في مسألة أنَّ الإمام المكرّس إلهيّاً الإمام المتمتع ببركة الله ونعمته، أصبح الأنموذج لأي توحّد صوفي مع الله»[1].

إنَّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يتوارثون المشروع الإصلاحي، والعمل الجهادي، والمنهج القيادي أصاغرهم عن أكابرهم، ومَنْ يدرسُ تاريخ أهل البيت (عليهم السلام)، ويتفحّص بدقة، وتجرد وموضوعية مهمتهم التاريخية الكبرى، ودورهم الرسالي في حفظ الشريعة، والدفاع عن أصالتها، ونقائها بالفكر، والعلم، والكلمة تارة، وبالسيف والجهاد ومقاومة الظلم والتحريف تارة أخرى، يمكن للدارس الباحث في حياة أهل البيت (عليهم السلام) أنْ يكتشف دورهم الرسالي، والمركزي في حياة الأمّة، لاسيما في الجهاد، وطلب الحرّية، والفكر، والعلم، بخلاف ما ذهب إليه بعضهم أنهم منعزلون، معتكفون، بعيدون عن المجتمع وقضاياه المصيرية.

٤- مواجهة الخط الإلهيّ :

إنَّ هذا المذهب الذي يمثل المسار الصحيح لحكم الله (عزّ وجلّ) على الأرض قُوبل بالرفض، والمواجهة من قبل مَنْ لا يريدون إقامة دولة العدل الإلهي في الأرض، من الذين تكالبوا على الدنيا وحطامها.

إن الموقع الديني، والاجتماعي المتميز لأهل البيت (عليهم السلام)، وإنهم لا يداهنون من أجل الحكم والملك جعلهم في مواجهة الحكومات الجائرة، فهم (عليهم السلام) أصحاب مبدأ، وعقيدة، وقيم.

إنَّ كُلَّ الأساليب غير الأخلاقية لم تفلح في التعتيم الإعلامي، وتوجيه الأنظار عن أهل البيت (عليهم السلام) إلى غيرهم، فكانت سياسة المأمون هي سياسة

---

(١)تاريخ المجتمعات الإسلامية : إيرام لابيدس : ١/ ٣٢٧.

الاحتواء التي نفذها مع الإمام الرضا (عليه السلام)، غير أنَّ المأمون حين أدرك عدم إمكان احتواء الإمام (عليه السلام) قضى عليه، وقد أحكم الرقابة على ابنه الإمام الجواد (عليه السلام)، ولم يسمح المعتصم للإمام الجواد (عليه السلام) وهو في ريعان شبابه ليبقى في مدينة جدّه بل استدعاه، وقضى عليه بالسمّ ؛ لأنه قد أدرك أيضاً عدم إمكان احتوائه، بل عدم إمكان إحكام الرقابة عليه[1].

لقد أصبح للأئمة بعد ولاية العهد التي عقدها المأمون للإمام الرضا (عليه السلام) موقع آخر في نفوس العامة، ممّن كان قد خدعهم التضليل، لذا كانوا يسمّونهم بأبناء الرضا (عليه السلام) إعظاماً لشأنهم، وتوقيراً لهم[2].

إن عقائد الإمامية وغيرها جعلت أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في مواجهة السلطة الحاكمة على طول الخط، وموضع ترقب وتوجّس من الحكام الظالمين، وقد فَضَحَ الثائر العلوي عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بيعة المأمون للرضا، كما فضحها الباحثون والمؤرخون، فقد كتب عبد الله بن موسى للمأمون جواباً على رسالته التي وعده فيها بولاية العهد، يقول : «وصل كتابك وفهمتُهُ تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي، وعجبت في ذلك العهد وولايته لي بعدك كأنّك تظنّ أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا ؟ إلى أن قال : أم في العَنبِ المسموم الذي قتلت به الرضا»[3].

ومن أجل ذلك فإنَّ حكام بني أميّة، وبني العباس في كلِّ عصر، ومصر كادوا لأهل البيت الغوائل، وأكثروا من فنون التعذيب سواءٌ أكان النفسي أم الجسدي، زد على ذلك تهجيرهم القسري، والإجباري وإشخاصهم من مسقط رؤوسهم الطاهرة إلى عواصم حكمهم في بغداد، وسامراء، وخراسان، ولم يكتفوا بذلك فقد تعرضوا للعزلة، والاستهزاء، والسجن والقتل.

(١)ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ١٢٥ – ١٢٦.

(٢)ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٦٨ – ٥٦٩.

(٣)مقاتل الطالبيين : ٤١٦.

فقد حاول المتوكّل جاهداً بكلّ ما يملك من قوة أنْ يشخص الإمام الهادي (عليه السلام) من مسقط رأسه الطاهر في مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سامراء من أجل عزله عن شيعته، ومحبّيه من جهة، وتسقيطه والاستهزاء به، وسجنه، وتهديده بالقتل من جهة أخرى، وقد برهن الإمام في المواقف كلها على عصمته، وعصمة آبائه الطاهرين.

ثانياً: مؤهلاته (عليه السلام) :

ذكرنا في الفصل الأول وبالتحديد في المبحث الثالث (كلمات في حقِّ الإمام الهادي (عليه السلام)) أنَّ الإمام باتفاق عدد غير قليل من الحفاظ والمؤرخين، والباحثين قد حاز الصفات المطلوبة كافة، واجتمعت فيه الخلال المحمودة فهو المؤهّل للإمامة، خلافاً لمن ادّعى الولاية الشرعيّة في عصره من شاربي الخمر، ومرتكبي المحرّمات، ومنتهكي الحرّمات، فالذي يرجع إلى كتب الفقه، والآداب السلطانية، وأحكامها لدى جمهور المسلمين يرى أنَّ الصفات التي اتفق عليها المسلمون في تولّي الإمامة الشرعية منطبقة تمام الانطباق على الإمام الهادي (عليه السلام) مما تؤهله أنْ يكون إماماً للأمّة، وفي مقدّمتها العلم، والتقوى، والتمسك عملاً وسلوكاً بأحكام الدين، ومفردات الشرع(٤).

وإنَّ الناظر المتأمل في المدونات، والوثائق التاريخيّة يستطيع أنْ يعرف مقام الإمام الهادي (عليه السلام) وعبادته، وورعه، وتعلق الناس به، واحترام الجميع له، وقد اتفق فقهاء المسلمين على وجوب اجتماعها في المؤهّل لشغل هذا المقام الخطير، مما لم يتحقق وجود بعضها فضلاً عن الكلام في أولئك المدّعين للخلافة(٥).

فالإمام الهادي (عليه السلام) هو واحدٌ من أئمة الهدى، وفي طليعة أهل العلم والصلاح

---

(٤)ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٣٣.

(٥)ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٦٧، والأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٤٠ – ٣٤١.

والتقوى، فهو محور الحركة العلمية، وقطب التوجيه السياسي، ومصدر القلق والخوف للحالم المتسلط، فقد كان قدوة في الأخلاق والزهد والعبادة، ومواجهة الظلم ورفض الظالمين، ومناراً للعلم والعمل والالتزام.

وتتجَلّى هذه المؤهلات المثالية في ضوء بيان أمرين مهمين، هما :

١ - جذور مؤهّلاته (عليه السلام) :

لقد بدأت على الإمام (عليه السلام) آياتُ الذكاء الخارق، والنبوغ المبكّر الذي كان ينبئ عن الرعاية الإلهية التي خصّ بها هذا الإمام العظيم منذ نعومة أظافره، وقد تقلّد منصب مقام الإمامة الإلهي بعد أبيه في الثامنة من عمره الشريف، فكان مثالاً آخر للإمامة المبكرة التي أصبحت أوضح دليل على حقّ خط أهل البيت الرسالي في دعوى الوصية، والزعامة الدينية والدنيوية للأمة الإسلامية[1].

وقد صَرّح الإمام الهادي (عليه السلام) بجذور أعلميته، وأجمعيته وأفضليته، ومرجعيتها، وهو يشرح لأصحابه، والحكام ما طلبوا معرفته من الأحكام الشرعية، وغيرها من المسائل المختلفة، قال المسعودي : «قال : حدثني أبو دعامة قال : أتيتُ علي بن محمد بن علي بن موسى (عليه السلام) عائداً في علته التي كانت وفاته منها، فلما هممتُ بالانصراف قال لي : يا أبا دعامة، قد وجب حقك عليّ، أفلا أحدّثك بحديث تسرّ به ؟ فقلت له : ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله، قال : حدثني أبي محمد بن علي عن أبيه علي، وعن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله)، قال له : اكتب يا علي، قلت : وما أكتبُ ؟ قال لي : اكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم : الإيمان ما وقرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة»، قال أبو دعامة : فقلت : يا ابن رسول الله ما أدري واللهِ أيهما أحسن، الحديث أم السند، فقال : إنّها لصحيفةٌ بخطّ عليّ بن أبي طالب، وإملاءَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نتوارثها صاغراً عن

(١) ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ١٧ – ١٨.

كابر»[٢]. وقوله للخليفة العباسي (الواثق) عندما التقى به (عليه السلام) بمكة في أحد أسفار الحجّ، وقد بيّن له إسناد ما حدّثه به عن آبائه (عليهم السلام)، قال البغداديّ: «قال يَحْيَى بن أكثم في مجلس الواثق، والفقهاء بحضرته مَنْ حلق رأس آدم حين حجّ ؟ فتعايَى القوم عن الجواب، فقال الواثق : أنا أحضُركم مَن ينبّئكم بالخبر فبعث إلى علي بن محمد فأحضر فقال : يا أبا الحسن مَنْ حلق رأس آدم ؟ فقال : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني، قال : أقسمت عليك لتقولَنَّ، قال : أما إذا أبيت، فإنَّ أبي حدّثني عن جدّي عن أبيه عن جدّه، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أمر جبريل أنْ ينزل بياقوتة من الجنة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً»»[٣].

إنَّ لهذه الوثائق التاريخية قيمة شرعية، وحضارية كبرى ولاسيّما إذا أخذنا قضية تسلسل الإمامة في أهل البيت (عليهم السلام) بنظر الاهتمام، فمقام كلّ إمام واعترافه وتعيينه للإمام الذي يليه هي عملية تشخيص وبيان يعرّف بصلاحية الإمام المعترف له بالإمامة وبقيمته ومقامه، وهكذا يكون نصّ الإمام الجواد (عليه السلام) على ولده علي مستمسكاً، ودليلاً على مكانة شخصية الإمام علي الهادي (عليه السلام) وعظمته، وشاهداً له بالعلم والورع، والكفاءة، والتقدم لاحتلال موقع الإمامة والقيادة والمرجعية العلمية[٤].

وقد قلنا من قبلُ : إنّ الإمام يرث علومه عن النبيّ أو الإمام الذي قبله أو نائبه بطريق الإلهام، وليس بالطريق العادي من التعلم والنقل عن غيره، أو النظر العقلي، والتفكر، والاستدلال.

فهم (عليهم السلام) الشجرة الطيّبة، والعلم الزاهر، والبحر الذي ليس له آخر، الفضل العلوي، والفخر الحسينيّ، والإباء الحسني، والزهد الزينبي، والعلم الباقري، والحديث الصادقي، والحلم الكاظمي، والتفنن الرضوي، والمعجز

(٢)مروج الذهب : ٤ / ١٨٨، وينظر : منتهى الآمال : ٢ / ٥٠٣.

(٣)تاريخ بغداد : ١٢ / ٧٦.

(٤) ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٦٠.

الجوادي، والبرهان الهادي، وخذ إلى الحسن، وابنه من روح الفضل، وغصنه، إمام بعد إمام يعتمّ بالنبوة، ويتقمّص بالإمامة، ويتمنطق بالكرامة[1].

٢- جامعيتُهُ (عليه السلام) :

لقد ظهر من الإمام الهادي (عليه السلام) من العلوم والمعارف وهو في سن لا يتجاوز الثماني سنوات ما يذهب الأفكار، فقد امتحنه كبار العلماء بأدق المسائل الفقهية، والفلسفية، والكلامية، فأجاب عنها جواب العالم الخبير البصير المتخصص، فخضع العلماء بإمامته، وفي ذلك دليل على أنَّ الله تعالى قد منح أئمة أهل البيت العلم والحكمة وآتاهم من الفضل ما لم يؤتِ أحداً من العالمين[2].

وقد انتقلت إمامة الجواد (عليه السلام) إلى الإمام الهادي (عليه السلام) من دون أخوته لتوافر الشروط اللازمة للإمامة وهي العصمة، والعلم، والعدالة، والكفاءة، وسلامة الحواس، والأعضاء، مما لا يقارن بغيره في العلم والعمل والرأي، فضلاً عن النسب القرشي العربي وأنه من بني هاشم، قال الشبراوي : «توفي محمد الجواد (عليه السلام) وترك ابنين وبنتين، وأشرف أولاده، وأكرمهم، وأفضلهم، وأعظمهم، العاشر من الأئمة علي الهادي»[3]، قال المسعوديّ : «قدم عمر بن الفرج الرخّجي المدينة حاجّاً بعد مضي أبي جعفر (عليه السلام) فأحضر جماعة من أهل المدينة، والمخالفين المعاندين لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لهم : ابغوا لي رجلاً من أهل الأدب والقرآن والعلم لا يوالي أهل هذا البيت لأضمّه إلى هذا الغلام، وأوكله بتعليمه وأتقدم إليه بأن يمنع منه الرافضة الذين يقصدونه ويغشونه، فسمّوا له رجلاً من أهل الأدب يكنّى أبا عبد الله ويعرف بالجنيدي متقدماً عند أهل المدينة في الأدب والفهم، ظاهر النصب والعداوة فأحضره عمر بن الفرج وأسنى له الجاري من مال

(١) ينظر : ينابيع المودّة : القندوزي : ١/ ٤، والإتحاف بحبّ الأشراف : ٣٦٦ – ٣٦٧.

(٢) ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل : ٤٤.

(٣) الإتحاف بحبّ الإشراف : ٣٥٨ – ٣٦١، وينظر : الصواعق المحرقة : ٥٦١.

السلطان وتقدم إليه بما أراد، وعرفه أنَّ السلطان أمره باختيار مثله وتوكيله بهذا الغلام، قال : فكان الجنيدي يلزم أبا الحسن في القصر بصريا، فإذا كان الليل أغلق الباب وأقفله وأخذ المفاتيح إليه فمكث على هذا مدة، وانقطعت الشيعة عنه، وعن الاستماع منه، والقراءة عليه ثم إنّي لقيته من يوم الجمعة فسلّمت عليه، وقلت له : ما قال له هذا الغلام الهاشمي الذي تؤدّبه، فقال منكراً عليّ، تقول الغلام، ولا تقول الشيخ الهاشمي، أنشدك الله، هَلْ تعلم بالمدينة أعلم منى، قلت : لا، قال : فإنّي والله أذكر له الحزب من الأدب أظنّ أني قد بالغت فيه فيملي عليّ بابا فيه أستفيده منه، ويظنّ الناس أنّي أعلمه وأنا واللهِ، أتعلم منه، قال فتجاوزت عن كلامه هذا كأنّي ما سمعته منه، ثم لقيته بعد ذلك، فسلمت عليه وسألت عن خبره، وحاله، ثم قلت ما حال الفتى الهاشمي، فقال لي : دع هذا القول عنك، هذا واللهِ خير أهل الأرض، وأفضل من خلق اللهِ إنّه لربما هم بالدخول، فأقول له تنظر حتى تقرأ عشرك، فيقول لي : أي السور تحبّ أن أقرأها أنا أذكر له من السور الطوال ما لم تبلغ إليه، فيهذّها بقراءة لم أسمع أصحّ منها من أحد قط، وجزم أطيب من مزامير داود النبي (عليه السلام) الذي إليها من قراءته يضرب المثل»[٤]، هكذا أثبت الإمام الهادي (عليه السلام) مقدرته العلمية، والفكرية، والروحية لتولي قيادة الأمر، وإدارة شؤون المسلمين، مهيمناً على القلوب، والعقول.

وحينما تتضح لنا هذه النصاعة، والشرافة، والظهور، في ضوء مصادر علم الإمام الهادي (عليه السلام)، ومنابع عبقريته الفكرية والثقافية، يكون من المنطقي جدّاً أنْ نتطلّع بمنتهى الشوق، والتلهف إلى معرفة ما أسند إلى هذا الإمام العظيم من تراث الإمامة الواسع الممتدّ عبر عوالم الفلسفة، والتوحيد، والتفسير والفقه، والأخلاق والسلوك[٥]. وعندما نذكر رواية الترجّل للإمام الهادي (عليه السلام) نشعر كأنّنا منهم أصابنا ما أصابهم من إذعان، وإقرار لمكانته، ومنزلته، وجامعيته، يقول الراوي :

(٤) إثبات الوصية : ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٥) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٥٥، وسيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٦١ – ٥٦٢.

«كنتُ مع أبي بباب المتوكل، وأنا صبيٌّ في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي إلى جندي إلى غير ذلك، وكان إذا جاء أبو الحَسن (عليه السلام) ترجل الناس كلهم حتّى يدخل فقال بعضهم لبعض : لِمَ نترجل لهذا الغلام ؟ وما هو بأشرفنا، ولا بأكبرنا، ولا بأسنِنا، ولا بأعلمنا ؟ فقالَوا : والله لا ترجّلنا له، فقال لهم أبو هاشم : واللهِ لتترجّلَنَّ له صغاراً وذلّة إذا رأيتموه فما هو إلاَّ أنْ أَقبل وبصروا به فترجّل له الناس كلّهم، فقال لهم أبو هاشم : أَلَيْسَ زعمتم أنَّكم لا تترجَّلُوْن له ؟ فقالوا : واللهِ ما ملكنا أنفسنا حتّى تَرَجَّلْنا»(١).

لقد كان الإمام (عليه السلام) أعلم أهل زمانه، وأجلهم، وأورعهم، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، فالنسيج السياسي والإنساني، والعلمي الذي تخلَّلَ حياة الإمام الهادي (عليه السلام) في لحمتها، وسداها وفي تفضيل أجزائها، وجملة فحواها هو معرض حافل، ومثال عالٍ للإنسانية برمتها.

ثالثاً : قيادة المجتمع :

من دعائم الإمامة، ومتمِّماتها قيادة المجتمع، والسير به نحو الإصلاح والأمان والاطمئنان، ولاسيّما في ظلِّ أنظمة الجور، والظلم، والاستبداد، وإذا أمعنت النظر، وأسْرَحْتَ طرفك أيها القارئ الأعزّ تَرَ في تاريخ هذا الإمام علي الهادي (عليه السلام) عجبا، فقد كان قائداً، ورائداً، ومرجعاً، للمسلمين عامة، ولشيعته خاصة سواءٌ أكان في المدينة المنوّرة، أم في بغداد، أم في سامرّاء وكلّما نمضي في سرد سيرته الشريفة المجيدة العاطرة تتجلّى لك هذه النتيجة أو النتائج، وهي التفاف المسلمين حوله (عليه السلام)، واعتراف حكام بني العباس، وإقرارهم بثقله الكبير في المجتمع ممّا ولّد الخوف في نفوسهم والحقد في قلوبهم، وتتضح قيادة الإمام للمجتمع في ضوء أمرين نذكرهما بإيجاز؛ لأن القابل من هذه الدراسة سيتكفل ببيان ذلك بالتفصيل.

---

(١)بحار الأنوار : ١٢ / ٢٢٠.

١ - تدبيره (عليه السلام) شؤون المسلمين :

كان الإمام الهادي (عليه السلام) في المدن التي أقام فيها يمارس وظيفته القيادية والرساليّة بصفته الإمام، والقائد للمسلمين، ولمواليه والمشرف على مصالحهم، والمدافع عن قضاياهم، على الرغم من المحنة والضيقة في ضوء المراقبة الجبرية للإمام (عليه السلام)، فقد كانت عيون السلطة مفتوحة عليه، ولطالما استدعي للفتك به، إلاَّ أنَّ الله (عز وجل) يحفظه من كيدهم ومع كلّ المصاعب، والمعاناة، والظروف الصعبة والشاقة التي أحاطت به (عليه السلام) من جور الخلفاء، ومضايقتهم به، تمكن من توطيد العلاقة بأصحابه، ومواليه، ونشر أفكار أهل البيت وتعاليمهم، ومبادئهم.

وقد كان الإمام الهادي (عليه السلام) يُعيّن الوكلاء، ويعزلهم، ويعينهم، ويمنعهم، ويدعوهم إلى البرّ والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، فهو الحبل المتين، والركن الوثيق للمسلمين والموالين، فالإمام كان يدير شؤون الرساليين، ويعين الوكلاء في المناطق كافة، روى محمد بن عيسى، قال : «كتب أبو الحسن العسكري إلى الموالي ببغداد، والمدائن، والسواد وما يليها : قد أَقَمْتُ أبا عليّ بن راشد مقام علي بن الحسن بن عبد ربّه، ومن قبله من وكلائي، وقد أَوْجَبْتُ في طاعته طاعتي، وفي عصيانه الخروج إلى عصياني»(٢).

وقال (عليه السلام) : «ليقبض حقّي، وارتضيته لكم، وقدّمته في ذلك وهو أهله، وموضعه فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك، وإليّ، وإن لا تجعلوا له على أنفسكم علّة، فعليكم بالخروج عن ذلك، والتسرع إلى طاعة الله، وتحليل أموالكم، والحقن لدمائكم : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾، فقد أوجبت في طاعته طاعتي، وفي الخروج إلى عصيانه الخروج إلى عصياني، فالزموا الطريق يأجركم الله، ويزيدكم من فضله، فإنّ الله بما عنده واسع كريم، متطوّل على عباده رحيم، نحن وأنتم في وديعة الله وحفظه، وكتبتُه بخطّي، والحمدُ لله كثيراً»(٣).

---

(٢)بحار الأنوار : ١٢ / ١٨٥.

(٣) م.ن : ١٢ / ١٨٧. (المائدة / من الآية ٢)، (آل عمران / من الآية ١٠٣)، (البقرة / من الآية ١٣٢).

إنَّ هذه الرسالة جاءت بخطّ الإمام (عليه السلام) دليل على إمامته الروحية والدينية، وكونه إماماً للمتقين يأمر أتباعه ومريديه بإعطاء الحقوق إلى وكيله أبي علي بن راشد، والسماع له، وإطاعته، فالخروج عليه هو خروج عليه (عليه السلام)، ونلمح في هذا الكتاب القيّم معالم إنسانية عالية المقام منها : إعطاء الحقوق لمستحقيها، وتحليل الأموال صرفها في مواضع الخير والبرّ، والدعوة إلى حقن الدماء والحفاظ عليها، وحرزها، ونجد الدعوة الخالصة إلى التعاون والتعاضد والتحابُب، ونبذ الفرقة والعزلة والتباغُض، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله القرآن الكريم، والثقل الآخر العترة الطاهرة محمد وآله (عليهم السلام).

وكان الإمام (عليه السلام) بحسب الروايات التي وقفنا عليها كان يُمضي، ويوقّع على الكتب التي تصدر منه إلى وكلائه الشرعيين الثقاة في الأمصار المختلفة، ويستعمل (عليه السلام) عبارات : (أَقَمْتُ، وجَعَلْتُ، وأَوْجَبْتُ، وانظُرُوا، والْزَمُوا، ارجعوا، صيروا، وليقبضِ حقّي، ارتضيتُ، قدمتُ)، وغيرها، ولا يخفى أن استعمال هذه العبارات دليل علَى مكانة وكلائه من جهة، والالتزام بالمرجعية من جهة أخرى، فضلاً عن ذلك فإن الإمام (عليه السلام) بلحاظ هذه العبارات أراد أن يمهد لدولة حفيدِه (الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف).

وكان (عليه السلام) يجيب عن المسائل الشرعيّة التي ترده من المدينة، وبغداد وغيرها، روى الكليني (ت ٣٢٩هـ) بالإسناد عن علي بن محمد القاساني، قال : «كتبْتُ إليه يعني إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) وأنا بالمدينة سنة ٢٣١ : جعلت فداك : رجلاً أمر رجلاً أنْ يشتري له متاعاً، أو غير ذلك فاشتراه فسرق منه، عليه الطريق مِنْ مال الآمر، أو مِن مال المأمور ؟ فكتب : مِنْ مال الآمر»[١].

(١)الكافي : الكلينيّ : ٥/ ٣١٤/ ٤٤.

٢- إقرار الحكّام بإمامته (عليه السلام) :-

إنَّ حياة الإمام الهادي (عليه السلام) منذ وفاة أبيه الإمام الجواد (عليه السلام)، وحتى وفاته (عليه السلام) نجدها مليئة بالتحديات، والصبر، والثبات، وتحمل المصاعب، فقد ابتلى بحكام حاقدين على آل أبي طالب، ولاسيّما ذرية علي وفاطمة (عليهما السلام) يَسْعَون جاهدين لاستئصال هذه الشجرة المباركة.

لقد أظهر الأئمة (عليهم السلام) أنهم أئمة الأرواح، والعقول لا الجسوم فقد جاء في الروايات أنَّ الرشيد قال «لموسى الكاظم وهو جالس عند الكعبة أنت الذي تبايعك الناس سرّاً ؟ فقال له : أنا إمام أهل القلوب، وأنت إمام الجسوم»[٢]، فالأمة بأسرها لتعرف الإمام من أهل البيت الذي يخلف أباه، كما يعرفه الحكام المعاصرون له، لذلك نجد كُلَّ إمام يمثل محور الصراع، ومركز الصدارة ويحتل موقع المرجعية والإمامة العلمية بشكل لا يسمح لأحد من معاصريه تجاهله، سواءٌ من الحكّام أم من العلماء، والفقهاء، أم من عامة الأمة[٣].

إنَّ الإمام (عليه السلام) كان يمثل الجبهة المعارضة الوحيدة للحكام العباسيين الذين عاصرهم، وأحد القياديين الرساليين لهذه الأمّة بوصفه إماماً للأمّة، مما جعل الحكام يضمرون له العداء ويقابلون بمزيد من القوة، والشدة، لاسيما بعدما عرفوا التفاف الناس حول إمامهم، وأخذه بمجامع قلوبهم.

إنَّ تولي الإمام الهادي (عليه السلام) الإمامة وهو صغير، وممارسة مهمات الإمامة، واتساع شهرة الإمام في الآفاق، ورجوع القريب والبعيد إليه في جميع ما كان يعترضهم من المشاكل «وقد أثارت هذه المشاهد غضب الحكام عليه، وأقضت مضاجعهم، فاستدعوه إلى عاصمتهم وفرضوا عليه الإقامة الجبرية (...) ليحولوا بينه وبين شيعة آبائه الذي اجتمعوا على إمامته»[٤]، وكان المتوكّل يأمل من الإمام الهادي (عليه السلام) أنْ

---

(٢)الإتحاف بحبّ الأشراف : ٥٦.

(٣)ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٥٨.

(٤) سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٥٣.

يخضع له خضوع العبيد، وأنْ يلتمس منه العفو والرحمة من غير ذنب، أو جرم اقترفه.

وقد ذكرنا من قبل رواية إرسال المعتصم عمر بن الرُّخّجي لكي يعيّن أحد المعلمين النواصب ؛ ليعلّم الإمام الهادي (عليه السلام)، فأظهر المعلم الناصبي البهر والتعجب من أعلميته، وجامعيته، وكان هدف المعتصم العباسي تسقيط الإمام (عليه السلام)، وإظهار ضعفه العلمي، ومقامه الفكري بين المسلمين في المدينة، على الرغم من أنه كان يعلم بإمامته، وأعلميته.

وسنذكر في قابل الدراسة روايات كثيرة تدلّ على إقرار حكام بني العباس بإمامة الإمام الهادي، واللجوء إليه (عليه السلام) في حلّ الكثير من المسائل والقضايا الشرعية التي تعايى الفقهاء فيها.

رابعاً : النصُّ على إمامته (عليه السلام) :

تولّى الإمام الهادي (عليه السلام) الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الجواد (عليه السلام) سنة (٢٢٠هـ)، وكان له من السنين سبع سنين على رأي المسعودي[1]، وثمان سنين على رأي ابن الخشاب البغدادي وغيره[2]. وقال هاشم معروف الحسني أن الإمام الهادي (عليه السلام) : «تولّى الإمامة وهو صبي في التاسعة من عمره، أو في مطلع شبابه على أبعد التقارير في وقت قد استأنف فيه حكام العباسيين عداءهم للأئمة من أهل البيت والتنكيل بالعلويين»[3].

إنَّ الدليل على إمامة الإمام الهادي (عليه السلام) إجماع الإمامية على ذلك وطريق النصوص والعصمة، والطريقان المختلفان من العامة، والخاصة من نصّ النبيّ على إمام الاثني

(١) ينظر : إثبات الوصية : ١٩٣.

(٢) ينظر : تأريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٠، وأعلام الهداية : ١٢ / ٤١ – ٤٢، ودور الأئمة في الحياة السياسية : محمد اليعقوبي : ٣٥٦، والإمام الهادي (عليه السلام) أضواء من سيرته : ١٩.

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر : هاشم معروف الحسني : ٢ / ٤٥٣.

عشر، وطريق الشيعة النصوص على إمامته على آبائه (عليهم السلام)[٤]، وقال المفيد : «والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً إن عملنا على إثباتها طال بها الكتاب، وفي إجماع العصابة على إمامة أبي الحسن (عليه السلام)، وعدم من يدّعيها سواه في وقته ممن يلتبس الأمر فيه غنى عن إيراد الأخبار»[٥]، ويرى الأربلي أن «ضرورة أئمتنا (عليهم السلام) في هذه الأزمنة في خوفهم من أعدائهم وتقيّتهم أحْوَجت شيعتهم في معرفة نصوصهم على مَنْ بعدهم إلى ما ذكرنا من الاستخراج»[٦]، فالأخبار في إمامة الهادي (عليه السلام) مستفيضة زاخرة، وإن جَهَدْنا على إثباتها لطال بنا الكلام، وفي تضافر النصوص على إمامته (عليه السلام) إجماعٌ عند الإمامية، وقد اشترك جميع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة التي دلت على إمامتهم، إذ يختص كل واحد منهم ببعض الدلائل، والبينات التي تثبت أنه إمام عصره، وحجّة زمانه[٧].

وقد لخّص محمد بن محمد النعمان المعروف بـ (المفيد) أدلة إمام الإمام الهادي (عليه السلام)، بقوله : «اجتماع خصال الإمامة فيه، وتكامل فضله، وأنَّه لا وارث بمقام أبيه سواه، وثبوت النص عليه بالإمامة، والإشارة إليه من أبيه بالخلافة»[٨].

ونرى في ضوء النصوص التي وقفنا عليها أنَّ إمامة الإمام الهادي (عليه السلام) قد جاءت عن طريق تعيين أبيه الإمام الجواد (عليه السلام) على إمامة ولده الإمام الهادي (عليه السلام)، مباشرة أولاً، وبواسطة أصحابه ثانياً.

١ - النصُّ على إمامته مباشرة :-

يتجلى هذا التعيين بالنصِّ مباشرة، بلحاظ أنَّ الإمام الجواد (عليه السلام) قد أشار إلى ولده الإمام الهادي (عليه السلام) إشارة مباشرة به بالخلافة[٩]. قال محمد حسن آل ياسين :

(٤) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٤.

()(٥) الإرشاد : ٣٢٦.

(٦) كشف الغمة : ٤ / ١١.

(٧) ينظر : سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : ١٨.

(٨) الإرشاد : ٣٢٤. وينظر : كشف الغمة : ٤ / ٨.

(٩) ينظر : الإرشاد : ٣٢٤.

«وهكذا يتجلَّى أنَّ نصّ الإمام الجواد (عليه السلام) على ابنه بالإمامة من بعده لم يكن اختياراً شخصياً مدفوعاً إليه برأيه الخاص، وإنما هو تنفيذ أمين صادق لمجموع التوجيهات، والنصوص النبوية»[1].

إن تنصيب الإمام الهادي (عليه السلام) علماً ومرجعاً للشيعة بعد وفاته، وكان من قبل قد دلّ على إمامته خواص شيعته، وقد عهد إليه أن يتولى تجهيزه، والصلاة عليه، ويواريه في داره، وأوصاه بغير ذلك مما يتعلق بشؤونه[2].

وتذكر الروايات، والأخبار أن الإمام الجواد (عليه السلام) نص عليه مباشرة أمام أصحابه، وخاصته، وعرّفهم أنه الإمام بعده، لاسيما بعد أن أشخص إلى بغداد، وقد سَلَّم ولده الإمام الهادي المواريث والسلام، وهي ما ورثوه عن الأئمة (عليهم السلام) من جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما كانوا يحافظون عليه، ويتداولونه واحداً بعد واحد معتزين، مفتخرين كسيفه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعصاه، ودرعه[3].

ومن هذه النصوص :-

أ. قال المسعودي : «لمّا حضرته الوفاة (عليه السلام) نصّ على أبي الحسن، وأوصى إليه، وكان سلّم المواريث والسلاح إليه بالمدينة، ومضى صلى الله عليه سنة عشرين ومائتين من الهجرة»[4].

ب. «روى الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه أنَّ أبا جعفر (عليه السلام) لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها أجْلَسَ أبا الحسن في حِجْره بعد النصّ عليه، وقال له : ما الذي تُحِبّ أن أهدي إليك من طرائف العراق؟،

(١)الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٣٢. وينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)): ١٢ / ٢٩.

(٢)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٤١١.

(٣)ينظر : الأئمة الاثنا عشر : (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٢٣.

(٤) إثبات الوصية : ٢٤٢.

فقال (عليه السلام) : سيفاً كأنَّه شعلةٌ من نار، ثم التفت إلى موسى ابنه، وقال ما تحب أنت ؟ فقال : فرساً فقال (عليه السلام) : أشبهني أبو الحسن، وأشبه هذا أُمَّه»[٥].

٢- النص على إمامته (عليه السلام) بوساطة أصحابه :-

لقد اهتم ثقات الشيعة في شأن الإمامة ؛ لأنها عندهم أصلٌ من أصول الإسلام، فكانوا يدأبون في سؤال الإمام الحاضر عن الإمام الذي سيخلفه من بعده؛ ليرجعوا إليه، ويدينوا بولائه وطاعته[٦]. قال ابن شهر آشوب : «رواة النصّ على إمامة أبي الحسن علي بن محمد النقي (عليه السلام) جماعة منهم : إسماعيل بن مهران، وأبو جعفر الأشعري، والخيراني»[٧].

وفيما يأتي بعض النصوص، والروايات الناصّة على إمامة الإمام الهادي (عليه السلام) بوساطة أصحابه.

أ. قال المفيد : «أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن الخيراني، عن أبيه أنه قال : كنت ألزم باب أبي جعفر (عليه السلام) للخدمة التي وكلت بها، وكان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري يجيء في السَّحر من آخر كلّ ليلة ليتعرّف خبر علّة أبي جعفر (عليه السلام)، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر، وبين الخيراني إذا حضر قام أحمد وخلا به، قال الخيراني : فخرج ذات ليلة، وقام أحمد بن محمد بن عيسى عن المجلس وخَلا بي الرسول واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام، فقال الرسول : إنَّ مولاك يقرأ عليك السلام، ويقول لك : إنّي ماض، والأمر صائر إلى ابني عليّ، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبيٍ، ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه فقال لي : ما الذي قال لك؟ قلت : خيراً، قال : قد سمعت

(٥)بحار الأنوار : ١٢ / ٢١٨.

(٦)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٤٥.

(٧)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٠٢.

ما قال وأعاد عَلَيّ ما سمع فقلتُ له : قد حَرَّم الله عليك ما فعلت ؛ لأن الله تعالى يقول :﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ ، فإذا سمعت فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوماً ما، وإياك أنْ تظهرها إلى وقتها، قال : وأصبحت وكتبتُ نسخة الرسالة في عشر رقاع، وختمتها، ودفعتها إلى عشرة من وجوه أصحابنا، وقلتُ: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها، فافتحوها، واعملوا بما فيها، فلما مضى أبو جعفر (عليه السلام) لم أخرج من منزلي حتّى عرفت أنَّ رؤساء العصابة قد اجتمعوا عند محمد بن الفرج يتفاوضون في الأمر، وكتب إلي محمد بن الفرج يعلمني باجتماعهم عنده ويقول : لولا مخافة الشهرة لصرت معهم إليك، فأحب أن تركب إليّ فركبت، وصرت إليه فوجدت القوم مجتمعين عنده فتجارينا في الباب، فوجدتُ أكثرهم قد شكوا، فقلت لِمَن عنده الرقاع وهم حضور : أخرجوا تلك الرقاع فأخرجوها فقلت لهم : هذا ما أمرت به»[1].

وقد علّق محمد حسن آل ياسين على هذه الرواية بقوله : «وهكذا يبرز لنا الدليل الأول على تلك الإمامة واضحاً جليّاً، ولا يقبل التشكيك والتأويل، وتقول الروايات التاريخيّة : إن رؤساء الخاصة قد عَقَدُوا اجتماعاً موسّعاً ضم عدداً كبيراً منهم بعد وفاة الإمام الجواد (عليه السلام) للتفاوض في موضوع الإمامة والإمام، فشهد الشهود أمام الجميع بسماعهم النصّ من لسان الإمام الجواد، وفرح المجتمعون على أثر ذلك مقرين بالأمر بقناعة، واطمئنان وتسليم»[2].

ب. قال المفيد : «أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مهران، قال : لما أخرج أبو جعفر (عليه السلام) من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خَرْجيته قلت له عند خروجه : جعلتُ فداك : إنّي أخاف عليك من هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك؟ قال

(١)الإرشاد : ٣٢٥ - ٣٢٦. وينظر : كشف الغمة : ٤ / ٩ - ١٠، وبحار الأنوار : ١٢ / ٢١٧ - ٢١٨، وحلية الأبرار : ٥ / ٧١ - ٧٣. (الحجرات / من الآية ١٢).

(٢)الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٢٨.

: فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً، وقال : ليس حيث ظننت في هذه السنة، فلما استدعي به إلى المعتصم صرت إليه، فقلت له : جعلت فداك أنت خارج فإلى من هذا الأمر من بعدك ؟ فبكى حتى اخضلّت لحيته، ثم التفت إليّ، فقال : عند هذه يخاف علي، الأمر من بَعْدي إلى ابني عليّ»[٣].

ج. «روى الحميري بإسناده عن عليّ بن مهزيار، قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : إنّي كنت سألت أباك عن الإمام بعده، فنصَّ عليك، ففيمن الإمامة بعدك ؟ فقال (عليه السلام) في أكبر ولدي، ونصّ على أبي محمّد (عليه السلام)، فقال صلوات الله عليه : إنَّ الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين (صلوات الله عليهما)»[٤].

د. «حدثنا عليّ بن محمد السنديّ، قال : حدثنا محمد بن الحسن، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري (...) قال : قلتُ لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) من الخلف بعدك ؟ قال : ابني عليّ، ثم قال : أما إنها سيكون حَيْرة، قال : قلتُ إلى أين ؟ فسكت، ثم قال : إلى المدينة، قال : قُلْت : وأيُّ مدينة ؟ قال : مدينتنا هذه، وهَلْ مدينةٌ غيرها ؟ قال : أحمد بن هلال، وأخبرني محمد بن إسماعيل بن بزيح أنَّه حضر أميّة بن علي، وهو يسأل أبا جعفر الثاني (عليه السلام) عن ذلك، فأجابه بذلك الجواب»[٥].

ه. «حدثنا الصقر بن أبي دلف : قال سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الرضا (عليه السلام) يقول : إنَّ الإمام بعدي ابني عليّ أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته

(٣)الإرشاد : ٣٢٥. وينظر : الكافي : ١ / ٣٢٣، وكشف الغمة : ٤ / ٨ – ٩، والفصول المهمة : ٢٦٥، وبحار الأنوار : ١٢ / ٢١٧، وحلية الأبرار : ٥ / ١٧. (خَرْجَتيه : بفتح الخاء المحجمة وسكون الراء، مثنى الخَرْجَة مصدر المرّة من الخروج).

(٤)حلية الأبرار : ٥ / ٧٤ – ٧٥.

(٥)حلية الأبرار : ٥ / ٧٤، وينظر : إثبات الوصية : ٢٤٣.

طاعة»[1].

و. «عن محمد بن الحسين الواسطي أنه سَمِع أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر، يَحْكي أنه أشهده على هذه الوصية المنسوخة «شهد أحمد بن خالد مولى أبي جعفر أنَّ أبا جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أشهده أنه أوصى إلى عليّ ابنه بنفسه، وأخوته، وجعل أمر موسى إذ بلغ إليه، وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والأموال والنفقات، والرقيق، وغير ذلك إلى أن يبلّغ علي بن محمد، صبر عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه يقوم بأمر نفسه، وإخوانه، ويصير أمر موسى إليه يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدّق بها، وذلك يوم الأحد لثلاث ليال خلون من ذي الحجّة سنة عشرين ومائتين، وكتب أحمد بن أبي خالد شهادته بخطه، وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وهو الجوائي على مثل شهادة أحمد بن خالد في صدر هذا الكتاب وكتب شهادته بيده، وشهد نصر الخادم، وكتب شهادته بيده»»[2].

(١)حلية الأبرار : ٥ / ٧٣ – ٧٤، وينظر : بحار الأنوار : ١٢ / ٢١٧.

(٢)الكافي : ١ / ٣٨٣.

المبحث الثاني

جوانب من عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

لعلّ من المفيد، ومن الملحّ دراسة عصر الإمام الهادي (عليه السلام)، وإلقاء الأضواء على الجوانب السياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والثقافية، فقد أصبحت دراسة العصر من الأبحاث المنهجيّة التي لا غنى عنها في الدراسات الحديثة، فإنّها تكشف جانباً مهماً من المؤثرات الخارجية في سلوك الشخص، والوقوف على الاتجاهات الفكرية، وسائر ميوله النفسيّة التي تتكون وتنشأ في عصره وبيئته(٣).

ودراسة تاريخ الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة دقيقة من النواحي كافة قادرة على معرفة أسباب بعض الحلقات المفقودة في تاريخ الإمام (عليه السلام)، وكذلك إظهار النقاط المفقودة في تاريخه، وأوّل هذه الجوانب التي سنقف عليها في عصره (عليه السلام) :-

أولاً : الجانب السياسيّ :

تحدّث ابن الطقطقا عن ابتداء الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، واصفاً دولتي بني أمية، ودولة بني العباس بالملكية، بقوله : «ابتدأت فيه بدولة الأربعة أبي بكر، وعُمر، وعثمان، وعليّ (رضي الله عنهم) على الترتيب الذي وقع ثم بالدولة التي تسلمت الملك عنها، وهي الدولة الأموية، ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها، وهي الدولة العباسية»(٤).

---

(٣)ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٣٤١.

(٤)الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ابن الطقطقا : ١٣ – ١٤.

وقامت الدولة العباسيّة حينما التقى أبو العباس السفاح (عبد الملك بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس) مروان الحمار، على أثر تمزّق دولة بني أميّة، وانكسار مروان الحمار وقتله، وزوال ملكه[1].

وقد حرص العباسيون على تأكيد الأساس الإسلامي لشرعيتهم، وزعموا أنَّ الربَّ نصّبهم لإتباع شريعة النبي، وقيادة أمة المسلمين في طريق الإسلام، وقد جاؤوا إلى السلطة على موجة من الآمال المهدوية، وألقابهم بالذات جاءت مشدّدة على دورهم بوصفهم من المخلصين، فكل من المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد بحسب زعمهم أنهم أدّوا الاسترشاد بالله إلى الصراط المستقيم، والهداية، وإعادة المسلمين إلى الطريق القويم[2].

ومن أجل الحفاظ على ملكهم ودولتهم، اعتنوا «بتحصين الأسرار والمبالغة في حفظها (...) فإنَّ لها في هذا الباب عجائب، وكم من نعمة أزالوها عن أربابها، ونفس أزهقوها بسبب كلمة منقولة، أو حكاية مَقُوْلة»[3]، ويرى السيوطي أن «المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين، وكانوا قبل شيئاً واحداً، وآذى المنصور خلقاً من العلماء ممّن خرج معهما، أو أمر بالخروج قتلاً وضرباً وغير ذلك منهم أبو حنيفة، وعبد الحميد بن جعفر، وابن عجلان»[4].

إنَّ الأهوال والكروب التي ألمت بدولة بني العباس، وما جرى من محن وآلام وسفك الدماء، وفجور، ومجنون، وانتهاك الحرمات تضيق منها الصدور، وتنخلع من ذكرها القلوب، فالحياة السياسية في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) كانت بشعة للغاية، فقد عدم الأمن، والاستقرار في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وانتشرت الفوضى في كلّ مكان، لأن السلطة العباسية فقدت هيبتها، ولم تعد لها تلك القوة الرهيبة التي

---

(١)ينظر : دول الإسلام : ١ / ١٢٢ – ١٢٣.

(٢)ينظر : تاريخ المجتمعات الإسلامية : ١ / ١٦٢ – ١٦٣.

(٣)الفخري في الآداب السلطانية : ٦١.

(٤) تاريخ الخلفاء : ١٩٨.

كانت تتمتع بها أيام المنصور، والرشيد، والمأمون(٥).

ويرى إيرام لابيدس : أنَّ الإمبراطورية العباسيّة من بدايتها إلى نهايتها اتخذت أعمق أشكال المعارضة ضد المذهب الشيعي، فالعباسيّون خيّبوا الآمال والتوقعات إذ استولوا على الخلافة لأنفسهم، وجعلوا نظامهم نظاماً سياسياً من منطلق تنظيمها، وآلياتها الاجتماعية، ومفاهيمها السياسيّة(٦).

ويتضح هذا المنهج الإقصائي والاستبدادي فيما عاناه الإمام الهادي (عليه السلام) من ظلم العباسيين، كما عانى آباؤُه الكرام، فقد أقبض العباسيون قبضتهم على الحكم، واتّخذوا كُلّ وسيلة لإقصاء أهل البيت النبوي، وإبعادهم عن الساحة السياسية، والدينيّة، وإن كلّفهم ذلك تصفيتهم جسدياً، كما فعل الرشيد مع الإمام الكاظم (عليه السلام)، والمأمون مع الإمام الرضا (عليه السلام)، والمعتصم مع الإمام الجواد (عليه السلام).

ويمكن أنْ نسجّل أهم الإشارات التي ظهرت لنا في الجانب السياسي في عصر الإمام الهادي (عليه السلام).

١ - ضعف الدولة الإسلامية في العصر العبّاسي :

إنَّ ضعف شخصية الحكام هو أحد عوامل التفكك والانهيار الذي أصاب الدولة الإسلامية وقد رافقه نفوذ زوجاتهم، وأمهاتهم إلى جانب سيطرة الأتراك الذين اعتمد عليهم للتخلص من نفوذ الإيرانيين والعرب، كما كان لظلم الأمراء والوزراء أثره البالغ في زعزعة ثقة الناس بالحكام والإثارة الفتن والشغب داخل بلاد المسلمين، والاستهتار بالقيم الإسلامية، والإسراف والتبذير بأموال المسلمين، فضلاً عن ذلك اتجاه الولاة نحو الاستقلال بشكل تدريجي(٧).

وقد وصف ابن قتيبة الدَّينوريّ (ت ٢٧٦هـ) هذه الدولة وصفاً دقيقاً مشيراً

(٥) ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٢٤٢.

(٦)ينظر : تاريخ المجتمعات الإسلامية : ١ / ١٥٢ - ١٥٣.

(٧)ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ١٢٢.

إلى ضعف هؤلاء الحكام وانحرافهم بل كفرهم، بقوله : «وانتهينا إلى أيام الرشيد، ووقفنا عند انقضاء دولته، إذ لم يكن في اقتصاص أخبار من بعده، ونقل حديث ما دار على أيديهم، وما كان في زمانهم كبير منفعة، ولا عظيم فائدة، وذلك لما انقضى أمرهم، وصار ملكهم إلى صبية أغمار، غلب عليهم زنادقة العراق، فصرفوهم إلى كل جنون، وأدخلوهم في الكفر، فلم يكن لهم بالعلماء، والسنن حاجة، واشتغلوا بلهوهم، واستغنوا برأيهم»(١).

ويصف ابن الطقطقا دولة بني العباس منذ عهد المتوكل إلى عهد المقتفي وما حلّ بملوكهم من قتل، وخلع، ونهب بقوله : «ثم تنقّل دولةً فدولةً، وأيّاماً فأيّاماً إلى أواسط دولة بني العباس فانظر منذ عهد المتوكل إلى عهد المُقتفي ما جرى على واحدٍ واحد من الخلفاء في القتل، والخلع، والنهب بسبب تغيّر نيّات جنده ورعيته، فهذا سَمُل، وذاك قُتِل، والآخر عُزِل»(٢)، ووصل الأمر بالحكام أنَّ المتوكّل ينتقد آبائه نقداً لاذعاً، فقد «كتب رجل رَقعة إلى المتوكّل يقول : يا أمير المؤمنين، إن احمد يشتمُ آباءك، ويرميهم بالزندقة، فكتب فيها المتوكل : أما المأمون فإنّه خَلَط فسلّط الناس على نفسه، وأما أبي المعتصم فإنّه كان رجل حرب، ولم يكن له بصر بالكلام، وأمّا أخي الواثق فإنّه استحقّ ما قيل فيه»(٣).

ولم يكن الخليفة يمتلك زمام الأمر، فالمعتصم العباسي لم يكن له من الأمر شيءٌ، فكان العباس بن المأمون قد استولى على الدواوين كلّها، وكنز الأموال، وكان المعتصم يأمرُه بإعطاء المغنّي، والنديم، وغيرهما فلا ينفذ الفضل ذلك فثقل ذلك على المعتصم، فلم يكن له من الخلافة إلا اسمها(٤).

إنَّ ضعف الخلافة وسقوط هيبتها من أعين الناس كان بسبب عوامل عدّة، منها غياب دور الحاكم في إدارة أمور الدولة، واستيلاء الأتراك على الدولة، وانعزال

(١)الإمامة والسياسة : ابن قتيبة الدينوريّ : ٢ / ٣٤٤. (أغمار : جمع (غمر) الرجل الذي لم يجرب الأمور.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية : ٢٢.

(٣)البداية والنهاية : ١٠ / ٣٧٤. (المراد بـ (أحمد) أحمد بن حنبل (ت ٢٤٠هـ)).

(٤)ينظر : الكامل في التاريخ : ٦ / ٤٥٣.

العمال، والأمراء عن الأطراف، فضلاً عن انحلال الجانب الأخلاقي لجهاز الحكم عامة وانشغاله بمجالس اللهو، والخمر، مما يؤدّي إلى انصرافه جزئياً أو كليّاً عن النظر في شؤون الناس.

إنّ الضعف، والوهن الذي أصاب الدولة العباسيّة في زمن حكام بني العباس جعل الناس بجميع اتجاهاتهم، وميولهم أن يكرهوا الحاكم العباسي، متمنين زواله، وذلك لسوء سياستهم، التي تتنافى وتتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، وكان ردّ الفعل على هذه السياسة أن كتب أهل بغداد شتم المتوكّل على الحيطان، والمساجد، وهجاه الشعراء لاسيّما بعد أن قام بهتك قبر سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، زد على ذلك كثرة الثورات العلويّة الرافضة لظلم هؤلاء الحكام، وانحرافهم عن الخط الإسلامي المستقيم(٥).

٢- تسلّط الأتراك على الحكم :

تَسَلَّط الأتراك على الجهاز الحاكم العباسي، واستولوا على إدارة الحكم، فلم يعد للخليفة سوى الاسم، فمقدّرات الدولة كانت بيد الأتراك، فأصبحوا العنصر الثاني بعد الفرس، فعاشوا إلى جانب العرب في الحواضر العربية الإسلامية، وتركوا آثاراً اجتماعية خطيرة في الدولة، ويبدو أن احتياج الحكام والولاة لهم، بسبب فضلهم على سائر الأجناس في اليأس، والجرأة والشجاعة، والإقدام، فأصبحت الأحداث مرتبطة بأشناس وإيتاخ في سامراء، والمتوكلية، وبُغا الكبير وبُغا الصغير في بغداد، وابن طالون في الفسطاط، وأمثالهم من الأتراك إذ كانوا القابضين على زمام الدولة، والمتصرّفين في شؤونها(٦).

وقد استضعف الأتراك الحكام في سامراء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن

(٥)ينظر : موسوعة الإمام المهدي (عج) (تاريخ الغيبة الصغرى) : ١ / ١١٢ – ١١٣.

(٦) ينظر : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية : مصطفى عباس الموسويّ : ٢٨٤.

وأعلام الهداية : ١٢ / ٤٥.

شاؤُوا أبْقوه، وإن شاؤُوا خلعوه، وإن شاؤوا قتلوه(١).

ويبدو أن المعتصم هو أول من أكثر من الغلمان الأتراك، فأصبحوا يصولون، ويجولون في بغداد، فاشتكى أهلها منهم، وهذا ما سنقف عليه عند حديثنا عن المعتصم في الفصل الثالث.

إنَّ تسلّط الأتراك على الحكم، أذكى العصبية في المجتمع العربي، فكانت «شديدة قوية كُلّ عنصر يعدّد مزاياه، ويدل بها على من سواه، فعربي يفخر بلسانه وسيفه، وفارسي يفخر بسياسته ومُلكه، وأن الأتراك كانت مزيتهم حسن القتال، وما يستتبعه من صفات، فلم يفخروا بعلم، ولا بسياسة، ولا بسابقة دين، ولا شيء من ذلك، فلمّا كان هذا شأنهم في قوة القتال غلبوا على كلّ سلطان»(٢).

هكذا أصبحت أمور الدولة بيد الأتراك، وأصبحوا مصدر قلق واضطراب، فهم يكرهون الفرس، والعرب، وهم أنفسهم ليسوا في وفاق بعضهم مع بعض، وهم لا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس، وتعصب كلُّ فريق لقائد منهم، وهم كثيرو الطمع في الأموال لا يشبعون، وعلى الجملة أصبحت دار السلام، وما حولها ليست دار سلام(٣).

ووصل الأمر أنْ يقوم الأتراك بتنفيذ القتل، والحبس، فكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله فعند (إيتاخ) يقتل وبيده يحبس، «ولما وُلّي المتوكل كان إيتاخ في أعلى مرتبته إليه الجيش، والمغاربة، والأتراك، والموالي، والبربر، والحجابة، ودار الخلافة، حتّى لقد خرج المتوكّل مرّة متنزِّهاً إلى ناحية القاطور، وشَرب وعَرْبَدَ على إيتاخ، فهمّ إيتاخ بقتله، فلمّا أصبح، أخبر المتوكّل بذلك، فاعتذر إلىَ إيتاخ، وقال له : أنت أبي وربّيتني»(٤).

---

(١) ينظر : الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٣.

(٢)ظهر الإسلام : أحمد أمين : ١ / ١٩.

(٣)ينظر : ظهر الإسلام : ١ / ١٠.

(٤) م . ن : ١ / ٩.

ويظهر أن الأتراك بمعية الحكام العباسيّين كانت لهم اليد الطولى في التنكيل بالعلويين، ولاسيّما الإمام الهادي (عليه السلام)، فهذه الظاهرة لازمت الأتراك طول عهدهم، فالخليفة وإن كان عاجزاً عن تدبير الأمور العامة، منصرفاً إلى لهوه وقصفه إلاّ أن مناوأة الفكرة العلويّة، والتنكيل بالخطّ الإسلامي الأصيل ليس خاصاً بهم فحسب، وإنما هي عامة على كثير من القواد لاسيما الأتراك، والموالي وغيرهم(٥).

٣- الفساد الإداري :

كان من النتائج المباشرة على استيلاء الأتراك، ونفوذهم في إدارة السلطة فساد الحكم، وفقدان المسؤولية، وكان من أظهر ألوان ذلك الفساد انتشار الرشوة، والمحسوبية، والمنسوبية، وهذا الفساد هو نتيجة الضعف والوهن الذي أصيبت به الدولة أيضاً، وقد أدّى هذا الأمر إلى كره المسلمين بجميع اتجاهاتهم، ومشاربهم، وميولهم الحكم العباسي، وتمنّوا زوال حكمه لانعدام العدالة فقد ذلّ الأحرار، وسَعُد وشَرُف الأشرار(٦).

والدولة العباسية لم تكن قائمة على العدل والمساواة، بل قائمة على الخدع، والدهاء، والغدر، قال ابن الطقطقا : «واعلم أنَّ الدولة العباسيّة كانت دولةً ذات خُدَع، ودهاء، وغَدْر، وكان قسم التحيّل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة، والشدّة خصوصاً في أواخرها، فإنَّ المتأخرين منهم بطَّلُوا قوة الشدّة والنجدة وركنوا إلى الحيل والخدع»(٧).

ويبدو أنَّ خلفاء بني العباس قد تعمَّدُوا المماطلة والتسويف في كثير من القضايا من أجل ألاّ تصل الأمور إلى خواتيمها بدوافع غير نبيلة، فيميلوا إلى التسويف والمماطلة، وإبطال الفعل أو القضية لمنع وقوعه، أو تأخيره على أقل تقدير، وهو عمل

(٥)ينظر : موسوعة الإمام المهدي (عج) (تاريخ الغيبة الصغرى) : ١ / ١١٢ - ١١٣. وظهر الإسلام : ١ / ٤٢.
(٦)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٤٣.
(٧)الفخري في الآداب السلطانية : ١٤٩.

باطلٌ لا يرضي الله تعالى.

إنّ التنافس على كرسي الحكم من قبل الحكام من جهة، وامتداد هذا التنافس بين رجال البلاط من جهة أخرى أنعش الفساد الإداري، وأضعف الدولة مما أدى إلى انهيار مؤسساتها.

٤- الإرهاب السياسي :

كانت سيرة معظم السلاطين المنسوبين لبني العباس هي سيرة قهر، وظلم، واضطهاد، ولم تكن سيرة محمودة لدى الرعية، وحتى لمقرّبيهم، وهناك طائفة من المؤرخين الذين اضطروا إلى كشف خفايا وحقائق لا يمكن السكوت عنها، مما أجبرهم للحديث عنها، وكشفها في مدوناتهم ومرويّاتهم، لاسيما الملوك الذين عرفوا بفضائحهم في قصورهم السلطانية، وحياتهم الخاصة، ولم يكن الخادم، والجندي والكاتب، والوزير في جهاز الدولة العباسيّة يسلمُ من سطوة ملوك بني العباس، وظلمهم، وإرهابهم على الرغم أنَّ هؤلاء لم يكونوا من صلحاء الأمة، وعبّادها إلاَّ أنَّ لهم خدمات ظاهرات عليهم، إلاَّ أنهم قد تعرّضوا للقتل، والتنكيل، ومصادرة أموالهم[١].

وقد مارس الظلم، والإرهاب السياسي الوزراء، والقواد كذلك، ومن هؤلاء محمد بن عبد الملك الزيات «وكان جباراً متكبّراً فظّاً غليظ القلب خَشِنَ الجانب، مبغضاً إلى الخلق (...) قيل: إن ابن الزيات عمل تنوراً من حديد ومساميرُه في الداخل ليعذِّب به من يريد عذابه فكان هو أول مَنْ جُعل فيه، وقيل له : ذُقْ ما كنت تُذيق الناس !!»[٢].

ويظهر أنَّ أكثر المسلمين تعرّضاً للإرهاب السياسي هم العلويون ؛ لذلك كان

(١)ينظر : الإمام الرضا (عليه السلام) بين نصوص الرسالة وسلطان الرأي والسلطة : عادل عبد الرحمن البدري : ١٩٤ – ١٩٥.

(٢)الفخري في الآداب السلطانية : ١٤٥.

الإمام الهادي (عليه السلام) يوصي أصحابه، ومريديه بالصبر، والتقية، وتجنب التعامل مع السلطة الجائرة الموغلة في الإرهاب السياسي، والفكري.

إنّ هذا الإرهاب السياسي أشعل نار الثورة، والتحدّي في نفوس الأحرار، ولا سيما العلويون، فحصلت ثورات عدّة متمرّدة على الظلم، والتعسف الذي كان ينال المجتمع بشكل عام، والشيعة بشكل خاص، فكانت هاجس الحكام، ومثار مخاوفهم ؛ لذا وقف العباسيون منها موقفاً حازماً وصارماً، يحاولون إخمادها، وإجهاضها قبل أنْ تستفحل، وتشتدّ عليهم، ويطاردون قاداتها، وأنصارها لشرذمتها، والتخلص منها بوسائل القهر، والقمع كافة.

هذه النظرة الحاقدة ضد العلويين لم يختلف فيها الخليفة أو القائد أو الوزير أو الموالي، والأتراك، فضلاً عن الطبقات المنتفعة والمتمتعة بالامتيازات الطبقية كافة، لهذا كانت تقف من هذه الثورات موقفاً قاسياً تتصدى لثائريها[٣].

وقد قُدّر لجميع الثورات العلوية ضد العباسيين بالفشل، وذلك لقوة العباسيين، ويقظتهم، ونشاطهم في تعقب أعدائهم، وملاحقتهم، وإنزال العقوبات بهم.

ثانياً : الجانب الاقتصادي :

إنَّ حكام دولة بني العباس قد استولوا على المال العام استيلاءً لم يشهد مثله في الدولة الإسلامية إذا ما استثنينا الدولة الأموية، ويتضح الجانب الاقتصادي في ضوء النقاط الآتية :-

١- نظرية (الأُمَناء على المال) :-

ابتكر حكام بني العباس نصوصاً، ومرويات تجيز لهم، وتخوّلهم التسلط على المال

(٣)ينظر : الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية) : ٢١٥.

وكونهم الأمناء عليه بأمر الله (ﷻ) فهم خلفاء الله في الأرض يَعطون مَنْ يعطون، ويمنعون مَنْ يمنعون، فالمال مال الخليفة، والرعية عبيدٌ له شاؤُوا أم لم يريدوا ذلك، يروى عن أبي جعفر المنصور أنه خطب في يوم عرفة على منبر عرفة «يقول في خطبته: أيها الناس، إنّما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده، وخازنه على فيئه، أقسّمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلني الله عليه قفلاً إذا شاء أنْ يفتحني فتحني لإعطائكم وإذا شاء يقفلني عليه أقْفَلني، فارغبوا إلى الله أيها الناسُ»[1].

وقد فَطَن لابيدس إلى هذه الحقيقة، ومفادها أن الخليفة هو إله العطاء، والمنع يفيض ويحجب بملء إرادته، فالزراعة، وقيام المدن، والفنون، والمعارف متوقفة على دعواته، وكان الشعراء يقاربون هذه الرهبة بأفضل الطرق الممكنة ودأب شعراء البلاط الذين ما انفكوا رافعين حكام بني العباس إلى ما فوق الملائكة والأنبياء، كونهم مختارين من الله، وهم ظلال الله على الأرض، وأحراز الأمن والاستقرار والاطمئنان على سائر مخلوقات الدنيا، ويروى أن جنديّاً جاء من الولايات النائية إلى البلاط العباسي توهّم بسبب انبهاره ببهاء مظهر الخليفة كأنَّه في حضرة الله[2].

كان الخليفة يبعدُ ذلك، ويقرب هذا، ويَمُدّ يداً لهذا، ويقبضها عن آخر، ويفتحُ الخزائن إن أراد، ويغلقها إن لم يُرد، وما على الوزير أو الحاجب إلاَّ الإذعان والامتثال وإن نصحهم أبْعَدُوه، أو سجنوه، أو قتلوه إن ركبهم الغضبُ، ولا يلتفت إلى هذا، وذاك، ولا أهمية للفقراء وللأمة جاعوا أم شبعوا، فالمال مال الخليفة، والرعية عبيد له أرادوا أم لم يُريدوا.

هكذا أنعم حكام بني العباس وأذنابهم بسبب هذه النظرية إلى حَدّ السفه والهوس ومن ورائهم طبقات واسعة من الناس عامة قتر عليها الرزق فهي تعيش في ضنك، وفقر شديدين، ويبدو أنَّ هذه النظرية أسست وحُشّد لها بسبب سَعَة موارد الدولة الإسلامية لسعة أطرافها، ولكن هذه الأموال ما كانت تجد طريقها لعمارة البلدان،

---

(١)تاريخ الخلفاء: ٢٠٠.

(٢)ينظر: تاريخ المجتمعات الإسلامية: ١/ ١٦٢.

أو إشباع الجياع، وإنما هي أموالٌ جُبيت لحساب الخليفة، وحاشية السلطان، وهذا يعود إلى فلسفة الدولة العباسية التي وظّفت الأمّة ومواردها لتكون لقمة سائغة بيد الخليفة وأولاده، وجواريه، ومَنْ يطربه، ويسقيه كؤوس الخمور، ونِعم الشعراء والأدباء المتغنون بمفاخر بني العباس وأمجادهم بالجوائز، والعطايا السنية ؛ ومن هنا يصعبُ تصنيف النظام العباسي أو إدراك مشروعه الديني أو الإصلاحي الذي كان ينادي به سلاطين بني العباس، ويفخرون به ويمنّون به على الرعية بوصفهم ورثة النبي الكريم وأبناء عمّه، فهم ليسوا أكثر من نماذج من الغاصبين والعابثين بالأموال والمقدّرات(٣).

٢- تكدّس الأموال بيد المقرّبين :-

يتضحُ في سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) وبلحاظ الحالة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشه الإمام (عليه السلام) أنَّه قائم على أساس الطبقية الملحوظة، فالأموال تتركز وتتكدّس بيد الأقوياء، والمتنفذين في السلطة، ويحظى الأتراك والقواد الموالي بقسط كبير منها في حين يعيش أغلب الناس في الفقر المدقع.

ولم يكن للأتراك أية معرفة بشؤون الحكم والإدارة، ولا معرفة بالأمور السياسية، والاقتصادية، فلما صارت أمور الدولة، وأموالها في أيديهم تعرضت البلاد إلى أزمات اقتصادية كبيرة، وكان لظهور الفوارق الطبقية في المجتمع الإسلامي آثار سلبيّة أدّت إلى الانهيار الاقتصادي فضلاً عن المجاعة، وارتفاع الأسعار مما كان له أثر كبير في اضطراب الأمن، وفقدان السيطرة من قبل الدولة(٤).

ويبدو أنَّ تكدّس الأموال عند المسؤولين في جهاز الحكم جاء بسبب قربهم من

---

(٣) ينظر : الإمام الرضا (عليه السلام) بين نصوص الرسالة وسلطان الرأي والقبيلة : ١٧ – ١٨، وموسوعة المصطفى والعترة : ١٢ / ٣٠٥.

(٤)نظر : أعلام الهداية : ١٢ / ١٢٣ – ١٢٤، وموسوعة الإمام المهدي (عج) (تاريخ الغيبة الصغرى) : ١ / ١١٤. وحياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل : ٢٤٢ – ٢٤٣.

البلاط العباسي أولاً، واختلاسهم لأموال المسلمين بغير حقٍّ، فكان الوزراء والولاة والكتاب يختلسون أموال الخرائج، والضرائب وما كان يصير إلى الدولة من البلدان المختلفة[1].

إنَّ تكدّس الأموال الطائلة في بيوتهم، جعلهم يسرفون إسرافاً فاضحاً فكلما سئموا من شهوة مالوا إلى أخرى، وانقضت حياتهم بين اللهو، والغناء، وعقد مجالس الخمر، وبناء القصور الفارهة الفخمة بأموال الفقراء، والمحرومين، والمعوزين، فكان في الشارع الرئيس في سامراء المعروف بـ (شارع أبي أحمد) قطائع كبيرة للوزراء، والقواد، وكبار الدولة[2].

ويظهر أنَّ تكدّس الأموال، وانحصارها عند هؤلاء أدّى إلى استفراغ خزائن الدولة في الحال، مما جعل ملوك بني العباس يلجؤون إلى حبس الكتاب وإلزامهم الأموال العظيمة، وكذلك أخذ الأموال من القضاة، وهي أموال ضخمة تجعلُ المرءُ يتساءل : إذا كان الكاتب، أو القاضي يمتلك هذه الأموال، فما بالنا بالقائد، أو الوزير، والوالي بل أقرباء الخليفة[3].

٣- البذخ والإسراف :-

لقد ظهر الترف والبذخ والإسراف جليّاً عند ملوك بني العباس ولاسيّما عند المتوكل، وإن الكلمات لتعجز في وصف هذا البذخ والإسراف، وقد كانت للمتوكّل رغبة قوية للبناء وهو يُعَدُّ من أكبر الخلفاء اهتماماً بالعمران في مدة الخلافة العباسيّة في سامراء، وقد بنى قصوراً أنفق عليها أموالاً عظاماً[4]، قال المسعودي: «إنّه لم تكن

(١)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٤٢.

(٢) ينظر : سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : ٦٣.

(٣) ينظر : موسوعة الإمام المهدي (عج) (تاريخ الغيبة الصغرى) : ١ / ١١٤ – ١١٥.

(٤)ينظر تاريخ اليعقوبي : ٣٤٥.

النفقات في عصر من الأعصار ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل»[٥]، وكان من أرباب الذوق والأنس لا يقعده عمّا يشتهيه مال، وقد انصرف انصرافاً عجيباً إلى بناء قصور فخمة في سامراء كثر عددها حتّى بلغت تسعة عشر قصراً، أنفق في سبيلها أموالاً ضخمة تكاد تخرج من حدود التصديق، وقد رتبها كوركيس عواد بحسب الأحرف الهجائية، وهي : البديع، البرج، البركة، بركوارا، البهر، الجامع، الجعفري، الجوسق، السندان، الشاة، الصبيح، العروس، الغريب، القصر، قصر المتوكلية، القلاية، اللؤلؤة، المتوكيلية، المختار، المليح[٦].

وقد ابتدع كذلك نوعاً من القصور يُسَمّى (الحيري) ينقسم ثلاثة أقسام أوسطها الباب الأكبر، وإلى جانبه البابان الصغيران، فيدخل منها الفارس برمحه[٧]، وكذلك ابتدع بُرك الماء وكانت مسرحاً للهو والعبث والسخرية بالناس، فضلاً عن ذلك وهب المتوكّل وغيره من ملوك العباسيين الأموال الطائلة للمرتزقة من الشعراء، زد على ذلك الدعوات التي كان يقيمها المتوكل بمناسبة ختان بعض أولاده، والاحتفال بالبيعة لأولاده ناهيك عن اكتضاض القصور بالجواري اللاتي جلبن من مختلف أنحاء البلاد[٨]، ومن الطبيعي أن هذه الجواري كان ينفق عليهم ملايين الدنانير من بيت مال المسلمين، وهذه الأفعال كانت تستنزف خزائن الدولة فأصيب الاقتصاد العام بالشلل نتيجة لهذه الأفعال الشاذة.

وكان المستعين مبذراً متلافاً، فقد فرق جميع ما ادّخره الملوك من قبلُ في الخزائن من مال، وحلي، وفرش، وجواهر وأسلحة وغيرها، وقد أنكر عليه بغا الكبير ذلك، فقال له : يا أمير المؤمنين هذه الخزائن مادة المسلمين ادّخَرَها الخلفاء قبلك لمُلِمّ يَسْنَحُ أو عارض يعرض في الإسلام فلم يلتفت إليه، وراح سادراً في إسرافه وإتلافه لأموال الدولة[٩].

---

(٥) مروج الذهب : ٤ / ١٣٦.

(٦)ينظر : الديارات : الشابشيّ : ٣٦٤ – ٣٧١.

(٧) ينظر : تاريخ الإسلام : حسن إبراهيم حسن : ٣/ ٤٤٣.

(٨)ينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٤٦. وحياة الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل : ٣٦٧ – ٣٦٨.

(٩)ينظر : حياة الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل : ٣٣٥.

٤- **الحصار الاقتصادي على المسلمين :-**

إنَّ تكدّس الأموال بيد الحكام والقواد والولاة والكتاب، والبذخ والإسراف كان على حساب المجتمع آنذاك، فقد تعرّض المجتمع للفقر، والحرمان والبؤس في ظلّ حصار اقتصادي ظالم فرض عليهم فمنعوا من أقل متطلبات الحياة، فضلاً عن كمالياتها.

وقد امتحن المسلمون ولاسيّما شيعة أهل البيت من هذا الحصار الاقتصادي امتحاناً شديداً، فالأموال كانت تذهب إلى موارد غير أخلاقية، قال أحمد أمين : «إنَّ هارون والمتوكّل كانا لا يعطيانِ مالاً، ولا يبذلان نوالاً إلاّ لِمَن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب (...) ويملؤُون ديار الترك والديلم فضة وذهباً يستنصرون المغربي والفرغاني، ويَجْفُون المهاجري والأنصاري، ويولُّون أنباط السواد وزراءهم، وقلف العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمّهم، وفي جدّهم، يشتهي العلوي الأَكْلَة فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى ابن أبي مريم المديني، وإلى إبراهيم الموصلي، وابن جامح السهمي وإلى زلزل الضارب، (...) والمتوكل يَتَسَرَّى باثني عشر ألف سُرِّيّة، والسيّد من سادات أهل البيت يتعفَّف بزنجيّة أو سنديّة»[١]، وقد استعمل المتوكّل عمر بن الفرج الرُّخّجي فمنع آل أبي طالب من التعرّض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أنَّ أحدً أبرّ أحداً منهم بشيء وإن قَلَّ إلاَّ أنهكه عقوبة وأثقله غرماً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة[٢].

وإنَّ ما يذكره التاريخ من عطايا بني العباس على بني هاشم يدعو للاستغراب فالموفّق بالله قد خصّص لكل فرد من بني هاشم ديناراً واحداً في الشهر[٣]، يقول قاسم حسن السامرائي : «هكذا كانت رعاية آل البيت في زمن العباسيين رعاية

---

(١)ضحى الإسلام : ٣/ ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٢)ينظر : مقاتل الطالبيين : ٣٩٦.

(٣) ينظر : إتحاف العقول في أخبار آل بيت الرسول : ٦٥.

منظمة تسير وفق منهج، ومراسم خاصة أضحت دائمة مستقرة إلى نهاية هذه الدولة المفجعة على يد المغول»[٤]، وهو كلام يفتقر للصحة، ويخلو من التحقيق والتدقيق، فقد عانى العلويّون الأمرين من ظلم العباسيين وجورهم، وحقدهم.

إنَّ هذا الظلم والحصار الاقتصادي في المجتمع قد ولّد الشكوى والضجر من ملوك بني العباس، ومن ولاتهم، وعمالهم، وقد حنق الكثير من الناس على هذا الحصار متبرّمين مما أصابهم من حرمان، وبؤس، وفقر بعد أن انحرف العباسيون عن شريعة المساواة، والإنصاف بين طبقات المجتمع عامة.

ثالثاً : الجانب الأخلاقيّ :

انتشرت الخلاعة والمجون في أكثر أيام ملوك بني العباس، وكانت ظاهرة عامة ليست عند الملوك فحسب، بل عند غيرهم من سائر الناس، فالسلوك العام للناس كان نحو الطرب، والمجون، وشرب الخمر، وقد شجّعهم على ذلك تهالك ملوك بني العباس، فلم تكن للقيم الأخلاقية، والحياة الروحية أي أثر في قصورهم ومجالسهم، وقد وصف أحدُ ملوكهم (المهتدي بن الواثق ت ٢٥٦هـ) هذا الأمر مبدياً استياءه من أفعالهم الشنيعة بقوله : «أما تستحي بنو العباس أن لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز ؟ وكان قد اطّرح الملاهي، وحرّم الغناء والشراب، ومنع أصحاب السلطان عن الظلم»[٥].

وكان الخليفة يستقبل زائريه لابساً التاج ومرتدياً الجلباب الملكي جالساً على العرش، ومحجوباً عن باقي جمهوره بستارة، وأفراد حاشيته يجلسون على جانبي القاعة الطويلة، والجميع يخاطبونه بلغة الخضوع، وبالتحيّات الإطرائية، مجلسه زاخر بسماع الموسيقى، واحتساء الخمر، والراقصات، وإلقاء الشعر[٦].

---

(٤) إتحاف العقول في أخبار آل بيت الرسول: ٧١.

(٥)الكامل في التاريخ : ٧/ ٨٣ – ٨٤.

(٦)ينظر : تاريخ المجتمعات الإسلامية : ١/ ١٥٦ – ١٥٧.

وكانت الستائر تضربُ في مجالس الخلفاء العباسيين ؛ لتفصل بينهم وبين الندماء والمغنيين لئلاّ يظهر أحدٌ من هؤلاء على ما يفعله الخليفة إذا طرب للمغنّي والتذه، وكان المُوْكَل بأمر الستارة يعرف بصاحب الستارة وكان بعض المتقدّمين في الدولة كالوزراء، والأمراء يضربون الستائر في مجالسهم للسبب عينه[1].

ومن أهم مظاهر الانحلال الأخلاقي في هذا العصر :-

١ – انتشار ظاهرة شرب الخمر :-

لقد شاع شرب الخمر في ذلك العصر، وتعاطاه المتوكّل العباسي، وسائر وزرائه وحاشيته، فأصبح لديهم أمراً مألوفاً، ولم تردعهم نصوص التحريم، والعقاب الإلهي، وكان إهداء قناني الخمر من أثمن الهدايا عند العباسيين، ولا يخفى أنَّ المتوكل قتل وهو سكران قتله ابنه وهو سكران أيضاً، فإذا كان الخليفة لا يتحرّج من شرب الخمر الذي حرّمه اللهُ فكيف بغيره من جهاز دولته وسائر الناس[2].

ولم يكتفِ المتوكّل بذلك، بل كان يأمر الناس بشرب الخمر، قال الشابشتي (ت ٣٣٨هـ) : «لما طُهِّر المعتز اجتمع مشايخ الكتاب بين يدي المتوكل، وكان منهم يحيى بن خاقان، وابنه عبيد الله إذ ذاك الوزير وهو واقف موقف الخدم بقباء ومنطقة وكان يَحْيى لا يشرب النبيذ فقال المتوكّل لعبد الله : خذ قدحاً من تلك الأقداح واصبب فيه نبيذاً، وصيّر على كتفك منديلاً، وامضِ إلى أبيك يحيى فضعه في كفّه، قال : فرفع يَحْيَى رأسه إلى ابنه، فقال المتوكّل : يا يحَيى لا تردّه، قال : لا يا أمير المؤمنين، ثم شربه وقال : قد جلّت نعمتك عندنا يا أمير المؤمنين»[3]، أين موقف هؤلاء الخمّارين وموقف إمام الطهر، والإيمان الهاديّ (عليه السلام) عندما قدّم له المتوكل كأساً فقال قولته الإيمانية المملوءة تقوى وورعاً : ما خامر لحمي ولا دمي.

وقد جعل المتوكّل بساطاً ممدوداً من الإبريسم غرز فيه الذهب والفضة، ووضعت

---

(١)ينظر : الديارات : ٤٥ (هامش رقم (٦٥)).

(٢) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٤٠٣ – ٤٠٤.

(٣)الديارات : ١٥٦.

قدور مرصعة بالذهب، فيها تماثيل العنبر، والكافور، وهي مَلأى بالأموال، وتغدّى المتوكّل والناس، وأمر بالشرب، وأن ينتقل كلٌّ من يشرب بثلاث جفنات ما حملت يداه من ذلك المال(٤).

٢- التمثيل الهزلي :-

كثرت في مجالس ملوك بني العباس السَّماجة، وهي تشبه ما يعرف اليوم بـ (التمثيل الهزلي)، فأصحاب السماجة قوم يحاكون حركات بعض الناس، ويمثلونهم في أصواتهم، يظهرون في مظاهر مضحكة، إيناساً للناس، قال ابن الأثير ذاكراً أحد أبطال السماجة في دار الخلافة الهزليّين وهو (عبادة المُخَنَّث)، : «وكان المتوكّل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ولأهل بيته وكان يقصد من يبلغه عنه أنَّه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم، وكان من جملة ندمائه (عبادة المخنث) وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة، ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يديّ المتوكّل والمغنون يغنون : قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين يحكي بذلك عليّاً (عليه السلام)، والمتوكّل يشربُ ويضحك»(٥)، ولا تعجب أيّها القارئ العزيز من فعل هذا المخنّث المذمّم الفاسق، فقد نفاه المتوكّل إلى الموصل يوماً «فمضى إلى دير الشياطين، وهذا الدير غربي دجلة من أعمال بلد بين جبلين في فم الوادي له منظر حسن وموقع جليل، فهوي غلاماً من الرهبان بالدير وكان من أحسن الناس وجهاً وقدّاً، فهام به وجُنّ عليه، ولزم الدير من أجله، ولم يزل يخدعه ويلاطفه ويعطيه إلى سلخ الراهب من الدير، وخرج معه، وفطن رهبان الدير بعبادة وما فعل من إفساده الغلام فأرادوا قتله بأن يرموه من أعلى الدير إلى الوادي ففطن بهم وهرب فلم يعد إلى الموضع»(٦).

وقد ذكر الشابشتيّ جملة من أخباره تأنف هذه الدراسة التي تتصل بالطهر الطاهر، والنقي الخالص الإمام الهادي (عليه السلام) من ذكرها، لما فيها من خدشٍ للحياء العام، أعاذنا الله (عزّ وجلّ) من فسقه وخبثه.

---

(٤)ينظر : الديارات : ١٥٠ – ١٥١.

(٥) الكامل في التاريخ : ٧/ ٢٨ – ٢٩.

(٦)ينظر : الديارات : ١٨٥.

وقد استنكر قائد الحرس العباسي (إسحاق بن إبراهيم الطاهري) السَّماجة، عندما جَذَبُوا ذيله، وهم في مجلس المتوكّل، فقال: «أفٍّ وتُفٍّ فما تُغني حراستنا المملكة من هذا التضييع»[1].

٣- الفسق والفجور :-

ذكر المؤرخون أخباراً كثيرة، وقصصاً في فسوق ملوك بني العباس وفجورهم، قال المسعودي: «لا يعلم أحدٌ متقدّم في جدّ ولا هزل إلاّ وقد حظي في دولته، ووصل إليه نصيب وافر من المال، وكان منهمكاً في اللذات، والشراب، وكان له أربعة آلاف سُرِّيّة ووَطئ الجميع»[2]، ولم يكتف المتوكّل بهذه الأفعال الشنيعة فقد تعدّى على المخدّرات، فمن فسقه إذلاله لوزيره الرُّخّجي قال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : «ووصفت للمتوكل عائشة بنت عمر بن الفرج الرُّخّجي فوجّه في جوف الليل والسماء تهطل إلى عمر أن أحمل إليّ عائشة، فسأله أن يصفح عنها فإنها القيمة بأمره فأبى، فانصرف عمر وهو يقول: اللهمَّ قِني شرّ عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطأها ثم ردّها إلى منزل أبيها»[3]، ويبدو أنَّ عملِ المتوكّل هذا هو أمر من الأمور التي ذكرها المنتصر للفقهاء والذين أفتوا بقتله، وقد كَرِه الطبري ذكرها[4].

ولم يقتصر الفسق والفجور على الملوك، بَل سَرَى هذا الأمر إلى القضاء، والولاة، والشعراء، فقد افتضح أمر يحيى بن أكثم، «فرفع إلى المأمون أنّه أفسد أولادهم بكثرة لواطه، فقال المأمون: لو طعنوا عليه في أحكامه قُبل ذلك منهم»[5]، وكان «الحسين بن الضحّاك من الأدباء الشعراء وأهل الخلاعة، والمجون، وبالخليع يعرف، نادم

(١) ينظر: الديارات: ٣٩ – ٤٠.

(٢)مروج الذهب: ٤ / ٧١، وينظر: تاريخ الخلفاء: ٢٦٧.

(٣)المحاسن والأضداد: الجاحظ: ٢١٤.

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٦ / ٢٦٠.

(٥) مروج الذهب: ٣ / ٤٣٤.

جماعة من خلفاء بني العباس منهم الأمين، والمعتصم، والواثق، والمتوكّل»[٦]، وهناك أخبار كثيرة نضربُ عن ذكرها ؛ لما فيها خروجٌ عن القصد.

رابعاً : الجانب الثقافيّ :

أما فيما يتصل بالجانب الثقافي فقد كان لترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية أثر كبير في ثقافة هذا العصر، وكان لارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أثر كبير في التبادل الفكري، مما أنتج نشاطاً متميّزاً، وحركة فكرية أعطت للعلماء، والفقهاء دوراً كبيراً، وموقعاً مرموقاً عند الخلفاء والحكّام، وقد حظي الشعراء والأدباء بمكانة رفيعة عندهم مما أدّى إلى ازدهار الأدب في هذا العصر[٧].

وعلى الرغم ممّا أصاب الدولة العربية الإسلامية من تدهور سياسي، واقتصادي واجتماعي، وذهاب هيبة الخلفاء، وضعف سلطانهم، وتغلغل الأتراك وغيرهم من البلاط، إلاَّ أن الحركة العلمية والأدبية لم تتأثر نوعاً ما بهذه التغيرات.

وقد ألغى المتوكّل سلطان المعتزلة، وأعلى شأن المحدّثين، فاستقدمهم إلى سامراء، وأجزل عطاءهم وأكرمهم، وأمرهم أن يحدّثوا بأحاديث الصفات والرؤيا، قال أحمد أمين : «وما أظنُّ أن الجاحظ المعتزلي نجا من النكبة، إلاّ لأنه مَرِن وقد دفع عنه الشر بمرونته، وبما قَدّم من رسالة في إعلاء شأن الأتراك، واتّصاله بالفتح بن خاقان»[٨].

وقد استطاع الغلاة، والضّالون، والقوى المعادية للإسلام أن تتغلغل في الحياة الدينية آنذاك ؛ بسبب طبيعة هذه الحياة ذات السمة القلقة والمضطربة، فالوعي الدينيّ كان ضعيفاً، فلم يفهم الكثيرون من المسلمين دينهم عن دليل أو إدراك فكانوا مقلّدين فيه لآبائهم[٩].

---

(٦) الديارات : ٥٥.

(٧)ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ١٢٣.

(٨)ظهر الإسلام : ١ / ٣٩.

(٩)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٤٠٢.

إنَّ حكومة المتوكّل حاربت حرية الفكر والتفكير، ووضعت خطة منظّمة ضد المعتزلة والشيعة، وهذا ما سنبيّنه في ضوء عزل الإمام الهادي (عليه السلام) من الاتصال بمواليه، وتعليمه (عليه السلام) المسلمين عامة، والشيعة خاصة أحكام أمورهم الشرعية، وما فعله من هدم المقدسات ولاسيما قبر الإمام الحسين (عليه السلام)[1].

وقد وصف ابن الطقطقا انتشار الفرق الضالّة، وتغلغلها في المجتمع العربي، فيقول: «وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها، فانتشر الجبر، واضطرب الأمر، وانتقلت الدولة»[2].

(١)ينظر: موسوعة العتبات المقدسة (قسم سامراء): ٦ / ٢٦٩.

(٢)الفخري في الآداب السلطانية: ١٤٩ – ١٥٠.

المبحث الثالث

مشروعه (عليه السلام) السياسي في المدينة المنورة وبغداد

في هذا المبحث سنبسط الحديث عن الدور القيادي، والحركي للإمام الهادي (عليه السلام) في هذين المصرين (المدينة المنورة ، وبغداد) بوصفه إماماً، وقائداً، ومصلحاً مبيّنين بحسب ما يعنّ لنا التعامل الحكيم، والمتوازن مع الأحداث العظيمة التي جرت آنذاك، واقتضت طبيعة المادة المستقرأة أن نكشف هذا المشروع في المدينة المنورة، وبغداد من أجل إعطاء صورة واضحة لدور الإمام (عليه السلام) السياسي، وإظهار منهجه القويم في التعامل مع تصرفات الآخر المخالف، وكشف الإجراءات التي حيكت من أجل إبعاده عن دوره الرسالي، وعن المنهج الإسلامي الأصيل المتمثّل في إفهام المسلمين الإسلام الصحيح، وغرس المبادئ الإسلامية المتكاملة العالية المثالية في نفوسهم، وتعرّفهم بأئمة الأمة، وقاداتها الحقيقيين.

أولاً : مشروعه (عليه السلام) السياسي في المدينة المنوّرة :

كانت المدينة، أو مدينة الرسول تُسمّى يثرب، فاشتهرت باسم مدينة النبيّ بعد هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم سميت المدينة اختصاراً، واتخذ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) موطناً له، وآثرها على مكة بعد فتحها في العام الثامن الهجري، فعاش ومات فيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأصبحت بعد وفاته مركزاً للخلافة إلى سنة (٣٦هـ) إذ اتّخذ الإمام علي (عليه السلام) الكوفة مقرّاً لها حين تسنّم منصب الخلافة فانتقل مركز الخلافة إليها، وخضعت المدينة لسلطة الأمويين في عام (٧٢هـ) حتّى عام (١٣٠هـ)، واستولى عليها الخوارج في هذا العام، ثم آل أمرها

إلى الأمويين ثانية في عام (١٣١هـ)، وفي العام التالي أي (١٣٢هـ) سقطت الدولة الأموية وانهارت، ولمّا استولى العباسيون على السلطة اتخذوا بغداد مركزاً لخلافتهم، فأصبحت المدينة على مرّ الأيّام مقرّاً لتحشد العلويين وثوراتهم، إذا ثار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن (عليه السلام) المعروف بـ(النفس الزكيّة) عام (١٤٥هـ)، والحسين بن علي بن الحسن بن علي (عليه السلام) المعروف بصاحب فخ[1].

إن تحشّد العلويين، وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) في المدينة المنورة، وقيام الثورات في المدينة المنوّرة لاسيّما ثورات آل الحسن، جعلت خلفاء بني العباس متوجسين وخائفين من هذا الامتداد، والتحدّي والاستيلاء على المدينة، وبسط النفوذ عليها فالعلويون كانوا في العصر الأموي، والعصر العباسي من سكان المدينة على الدوام، ومن ذوي الجاه والسلطان فيها، ومن هنا فإنَّ خوف ملوك بني العباس كان مشروعاً، وحاصلاً بلا شك لذلك رأينا إشخاص أغلب الأئمة من المدينة إلى بغداد وخراسان، وسامرّاء، ومَرَدُّ هذا الشخوص كما قلنا آنفاً هي الثورات العارمة التي حدثت، فأصبحت الحركةُ جماهيرية معارضة شملت المسلمين، فقد عَرَف المسلمون حقيقة الإسلام، وجوهر التفكير الثوري والرسالي، فمن الخطأ وعدم التعقل السكوت على انحراف القيادة الظالمة.

إنَّ أول ما يلقانا من الأحداث المهمة التي واجهها الإمام الهادي (عليه السلام)، ولاسيّما بعد استشهاد أبيه (عليه السلام)، وانتقال الإمامة إليه هي سَعْي إمام جماعة الحرمين (بريحة) بالوشاية على الإمام إلى المتوكل، فقال له : إن كان لك بالحرمين حاجة فأخرج منها علي بن محمد، فإنَّه قد دعا إلى نفسه، وتبعه خلق كثير، وكتب إليه آخرون بهذا المعنى أيضاً، فضلاً عن ذلك فإنَّ والي المدينة (عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي) يؤذّي الإمام (عليه السلام) حتّى أنه كتب بشأنه كتاباً إلى المتوكل يذكر فيه التفاف الناس حوله، وأنه يريد الخروج على السلطة، ولمّا بلغ الإمام الهادي (عليه السلام) ذلك كتب إلى المتوكّل يذكر له

---

(١)ينظر : تاريخ الطبري : ٦ / ١٨٤، والتاريخ الإسلامي (دروس وعبر) : محمد تقي المدرسي : ١٧٠ - ١٧١، وعبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن (عليه السلام) وأولاده (دراسة تاريخية ٧٠هـ - ١٤٥هـ) : هاشم حسن مهدي الحسني : ٣٧٨.

تحامله عليه، وكذبه فيما كُتب له، وإيذاءه له[٢].

وفور وصول كتب هؤلاء الوشاة والحاقدين إلى المتوكّل، وجّه (يَحْيَى بن هرثمة) سنة (٢٣٤هـ) وكتب معه إلى أبي الحسن (عليه السلام) كتاباً جميلاً في ظاهره يعرّفه أنه قد اشتاقه، ويسأله القدوم عليه، وأمر يحيى بالمسير معه كما يحبّ وكتب إلى بريحه يعرفه ذلك، وقد عزل فيها عامله الباغي اللئيم، داعياً الإمام إلى الحضور إلى سامراء للإقامة الجبرية فيها، ليكون تحت مراقبته[٣].

وهذا نصُّ رسالته: «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعدُ: فإنَّ أمير المؤمنين عارفٌ بقدرك راع لقرابتك موجب لحقّك مؤثر من الأمور فيك، وفي أهل بيتك ما يُصْلح الله به حالك، وحالهم، ويثبت به عزك وعزّهم ويدخل الأمن عليك وعليهم يبتغي بذلك رضى ربّه، وأداء افترض عليه فيك وفيهم، وقد رأى أميرُ المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عمّا كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقّك واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك به، ونسبك إليه من الأمر الذي عَلم أمير المؤمنين براءتك منه، وصدق نبيّك في برّك وقولك، وأنَّك لم تؤهّل نفسك لما قرفت بطلبه، وقد ولّى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك، والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى اللهِ، وإلى أمير المؤمنين بذلك، وأمير المؤمنين مشتاق إليك، يحبّ إحداث العهد بك، والنظر إليك فإن نشطت لزيارته، والمقام قبله ما أحببت شخصت، ومَنْ اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة، وترحل إذا شئت، وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت، وإن أحببت أنْ يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين، ومَنْ معه من الجند يرتحلون برحيلك، ويسيرون بسيرك، فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدّمنا إليه بطاعتك، فاستخر الله حتّى توافي أمير المؤمنين فما أحد من إخوته، وولده، وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة، ولا أحمد لهم أثرة، ولا هو لهم أنظر، وعليهم أشفق، وبهم أبرّ وإليهم أسكن منه إليك، والسلام عليك ورحمة اللهِ

(٢) ينظر: منتهى الآمال: ٢/ ٤٩٥.

(٣) ينظر: بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٦ – ٢٢٧.

وبركاته، وكتب إبراهيم بن العباس في شهر كذا من سنة ثلاث وأربعين ومائتين»[1].

إنَّ هذا الجواب هو نفاق سياسي، وخداع محض، فالمتوكّل من أشدّ الناس عداوة لعليّ وذرّيّته (عليهم السلام)، فالكتاب يحمل بين طيّاته جملة من الأمور:

١. التصديق لما كتبه إليه الوشاة والسعاة.

٢. إشخاص الإمام (عليه السلام) إلى سامراء من أجل أنْ تكون حركات الإمام وسكناته ملحوظة من قبل عيونه.

٣. إبعاد الإمام عن قواعده الشعبيّة من مواليه، وعدم الإفادة منه في الدعوة إلى الإرشاد والوعظ والإصلاح، والتعريف بظلم السلطة وقهرها.

٤. إفراغ المدينة المنوّرة من رمزية أهل البيت (عليهم السلام) ومن ثمّ الاطمئنان على سلطانه وظلمه.

٥. الخوف من التوسع الاجتماعي والسياسي.

والذي يُعجبُ له أنَّ المؤرخين الذين كانوا من أقلام السلطة، ووعاظهم لم يذكروا هذا الكتاب، فذكر جلّهم خبر إشخاص الإمام من المدينة المنورة إلى سامراء من دون ذكر هذا الكتاب المهم، فلا يروق لهم أنْ يذكروا فضائل الإمام (عليه السلام) على لسان المتوكّل، وقد اعترف بنفسه بأحقيّة الإمام، وأفضليته، وجامعيته، ومنزلته وأنه سيحاط بالاحترام والثناء والإجلال على الرغم من أنَّ المتوكّل سينكث هذه العهود برمتها.

إن مجيء يحيى بن هرثمة رسول المتوكل بهذا الكتاب، مع ثلاثمائة من الجنود كان بداية لمرحلة جديدة من مراحل الجهاد، والإباء، والمجد للإمام الهادي (عليه السلام)، ومرحلة نهاية مخزية للمتوكّل.

لقد أراد الإمام (عليه السلام) أنْ يتفرّغ للانفتاح في مجال آخر للعمل، ويبادر إلى نشاط

---

(١) الإرشاد: ٣٣١ – ٣٣٢، وينظر: الفصول المهمة: ٢٦٨.

جديد، وعمل رسالي عظيم، ويظهر أنَّ استجابة الإمام لطلب إشخاصه إلى سامراء من أجل أمور مهمة، هي :-

١- الحفاظ على الوضع العام، (وحقن الدماء) :

لا يخفى على مَنْ تتبَّع سيرة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم كانوا من أشدّ الخلق دعوة إلى الوحدة، والتكاتف، والإصلاح، والتوادد، والتحاب، وخلق المناخات السلمية الطيّبة الصحيحة بين أفراد المجتمع كافة، فضلاً عن ذلك الاحتراز من الدماء، والدعوة إلى الحوار والخطاب العقلاني الهادئ المملوء رحمة ووعظاً، وإرشاداً، فكانوا أكثر الأمّة حقناً للدماء، وأحفظهم لها، وأحرزهم إليها.

فسرعان ما استجاب الإمام (عليه السلام) لطلب المتوكل حفاظاً على الوضع العام، وتجنّباً لحدوث الفَوْضى، والبلبلة في مدينة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد تنبّه المتوكل العباسي على هذا الأمر فيما لو لم يستجب الإمام لطلبه، فكتب إليه بأسلوب هادئ ليّن متعاهداً الإمام (عليه السلام) بالعطف والكرامة على الرغم من أنه كان يُضمر العداوة لأهل البيت (عليهم السلام)، مما دعاه إلى اختيار هذا اللون من أساليب التعامل مع الإمام لخوفه من سخط الأمّة وتحركها ضد الخلافة العباسيّة كما تشير أحداث انتقال الإمام، واستياء الناس من هذا الإجراء وخوفهم على الإمام[٢]، وقد علم الإمام بذلك، وإن عدم الاستجابة، والرفض يعني المواجهة من جهة، وكون المتوكل لا يتركه يعيش هو، وأهل بيته، ومواليه بأمان وسلام، ومن هند نجد الإمام (عليه السلام) يصرّح بقولته البهيّة : «أخرجت إلى سُرَّ مَنْ رأى كُرْهاً»[٣]، فأكره الإمام على مغادرة يثرب، والشخوص إلى سامرّاء، وقد صحبه في سفره أفراد عائلته، وقد قام يَحْيى بنفسه بخدمته، وقد أعجب بهديه، وورعه، وتقواه، وأخذ الركب يطوي البيداء حتى انتهى إلى بغداد.

(٢) ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٨٥ – ٥٨٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤١٩.

لقد أراد الإمام (عليه السلام) أنْ يظهر أمام المتوكل بشكل غير مثير للشك، والريبة والشبهة، وهو بهذا ينوي التفرغ لعمل جهادي ورسالي أكثر أهمية وقد أدرك الإمام (عليه السلام) آنذاك أنَّ طبيعة الحكم العباسي قائمة على المحسوبية والمنسوبية، وتأثير المصالح الشخصية، والوسطات فيه، فالإمام (عليه السلام) كان يرى أنَّه يمكن الإفادة من هذا الواقع وتسخيره لصالح الإسلام، والعمل على استبعاد الاضطهاد، والظلم عن قواعده، أو التخفيف، ودفع الأخطار عنها[1].

إنَّ عدم استجابة الإمام (عليه السلام) يعني الخروج على الحاكم العباسي، ومن ثم فإنَّه سيكون مع مواليه في مواجهة السلطة ؛ مما يعرّض نفسه ومواليه إلى القتل، والتفرق، والاضطهاد.

ويبدو من مجموع الروايات، والشواهد التاريخيّة أنَّ العلاقة بين الإمام الهادي (عليه السلام)، ودار الخلافة بالعراق قبل مجيء المتوكّل إلى السلطة كانت تتسم بالهدوء، والاستقرار لاسيّما في حكم المعتصم، والواثق، فلم يرد ما يشير إلى وجود أيّ توتر أو خلاف بين الجانبين، ولم يُمسّ الإمام بأيّ سوء أو مكروه من هذين، بخلاف منهج مَنْ تلاهما لاسيما المتوكّل الذي أشخصه إلى سامراء، فأراد (عليه السلام) أنْ يقطع الطريق على المتوكّل لعلمه بعدم ورع المتوكّل واستباحته الدماء والأعراض، وأنَّه لا يتوانى من فعل أيّ عمل، فالإمام (عليه السلام) كان يعرف النيّة السيئة للمتوكّل في استدعائه، ويعلم أنَّ تركه لمدينة جدّه (صلى الله عليه آله وسلم) خسارة للأمّة، وحرمان لهم من العمل الإسلامي المثمر الواسع، إلاَّ أنَّ القادم سيكون أثمر، وأنفع للأمّة من جهة، وفضح أعمال السلطة الحاكمة الجائرة، وممارساتها.

ومن الجدير بالذكر : إنَّ الإمام (عليه السلام) كان بإمكانه أن يستغل الوضع الحماسي للناس، والسخط الواضح، مؤجّجاً الوضع في المدينة فور وصول رسول المتوكّل، إلاَّ أنَّه آثر الهدوء، وضبط الوضع من أجل حقن دماء المسلمين، ومنع إراقتها، فضلاً عن ذلك مسايرته التخطيط الإلهي، فساير يحيى بن هرثمة وجنده مُلَبِّياً دعوة

(١) ينظر : الأمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية) : عادل الأديب : ٢٣٢.

المتوكل، قاطعا الطريق عليه في إشخاصه جبراً وقسراً في حالة عدم الاستجابة، يقول حسين الشاكريّ: «ليس لدينا ما يساعد على تتبع حركة الإمام (عليه السلام) من المدينة إلى بغداد، ومن ثمّ إلى سامراء، وكلّ ما يستفاد من الروايات أنَّ الإمام (عليه السلام) قد قطع هذا الطريق في تموز وفي أشدّ ما يكون عليه الحرّ، وقد رافقه في هذا الطريق كثير من القادة والجند الذي لا يعرفون مقامه الإلهي السامي حيث كان منهم الخارجي والحشوي وغيرهما»(٢).

ولا يخفى أنَّ الإمام (عليه السلام) كان حريصاً على مواليه من القتل، وكان يدعوهم إلى الحذر، فعن «علي بن محمد النوفلي، قال: قال لي محمد بن الفرج أنَّ أبا الحسن (عليه السلام) كتب إليه: يا محمدُ، اجمع أمرك، وخذ حذرك، فأنا في جمع أمري، ولست أدري معنى ما كتب به إلي حتّى ورد عليّ رسول حملني فورد عليّ منه كتابٌ: يا محمد، لا تنزل من ناحية الجانب الغربي، فقرأتُ الكتابَ، فقلتُ يكتبُ إليّ بهذا، وأنا في السجن، إنَّ هذا لعجبٌ فلم ألبث في السجن إلاَّ أيّاماً قليلة حتى خلّي عنى، وعنه»(٣).

٢- التفاف الناس حول إمامهم:

لقد أراد الإمام الهادي (عليه السلام) من عزمه قبول دعوة المتوكّل إلى تعريف الأمّة بالمنهج الرسالي، والخط الجهادي الذي ينهجه، ويسير عليه، وبيان مدى اتّصال الأمة به، والتفافهم حوله، زد على ذلك غرس مبادئ الإباء، والعزة، ورفض الظلم، والقهر، وبيان مقدرتهم في ردّة أفعالهم من أعمال المتوكّل، وإجراءاته.

وقد كشف ابن الجوزي التفاف الناس حول الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله: «قال علماء السير: وإنما أشخصه المتوكّل من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بغداد؛ لأن المتوكّل كان يُبْغض عليّاً وذريته، فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة، وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة، وقال: اذهب إلى المدينة وانظر في

---

(٢)موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)): ١٢ / ٣١٨.

(٣)إثبات الوصية: ٢٤٦.

حاله وأشخصه إلينا، قال يحيى، فذهبتُ إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجَّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سَمِع الناس مثله، خوفاً على عليّ، وقامت الدنيا على ساق ؛ لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، قال يحيى : فجعلتُ أسكّنهم وأحلف لهم أنّي لم أؤمر فيه بمكروه، وأنَّه لا بأس عليه، ثم فَتّشْتُ منزله فلم أجد فيه إلاَّ مصاحف، وأدعية، وكتب العلم، فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته، فلما قَدِمت به بغداد بدأتُ بإسحاق بن إبراهيم الطاهري، وكان والياً على بغداد، فقال لي : يا يحيى إنَّ هذا الرجل قد ولده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمتوكّل من تعلم، فإن حرَّضته عليه قتله، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خصمك يوم القيامة، فقلتُ له : واللهِ ما وقعت منه إلاَّ على أمر جميل، ثم صرت به إلى سرّ من رأى فبدأت بوصيف التركي، فأخبرته بوصوله، فقالَ : واللهِ لَئن سقط منه شعره لا يطالب بها سواك ! قال : فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق، فلمّا دخلت على المتوكّل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته، وسلامة طريقته وورعه وزهاته، وأنّي فَتَّشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأنَّ أهل المدينة خافوا عليه»[1].

إنّ فزع المدنيّين حينما علموا بالأمر خوفاً على الإمام من بطش الطاغية به، وكان المدنيُّون يحبون الإمام ؛ لأنه كان يغذي علماءهم بعلمه، ويحسن إلى فقرائهم، ولم يكن له أي إقبال على الدنيا.

لقد تجلّى مقام الإمام (عليه السلام) في نفوس الناس وحبهم له، وإجلالهم إيّاه، وكيف ضجّ أهل المدينة ضجيجاً لم يسمع مثله، وكيف قامت الدنيا على ساق، كلّ ذلك تخوّفاً عليه من ولاة عصره[2]، وجَعَل يحيى يسكن من روعهم، ويهدّى فزعهم وأقسم لهم أنّه لم يؤمر فيه بأيّ مكروه، فاطمأنُّوا إلى قوله.

إن استدعاء المتوكّل الإمام الهادي (عليه السلام) من أجل إبعاد الأمة في المدينة المنوّرة عن

(١) تذكرة الخواص : ٤٩٣ – ٤٩٥.

(٢)ينظر : سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : ٤٨.

قائدهم الحقيقي الذي أراده الله (عزّ وجلّ)، ليكون تحت مراقبته، وعينه إلاّ أنَّ هذه المكيدة لم تكن موفّقة ؛ لأن الإمام ظلّ متصلاً بأمته، ومواليه يرشدهم إلى الخير والصلاح، ويغرس في نفوسهم المبادئ الإسلامية السامية للدين المحمّدي الأصيل «فكانت نفسه مهذّبة وأخلاقه مستعذبة وسيرته عادلة، وخلاله فاضلة، ومبازه إلى العفاة واصلة، وزموع المعروف بوجود جوده عامرة آهلة، جرى من الوقار والسكون والطمأنينة والعفة والنزاهة والخمول في النباهة على وتيرة نبويّة، وشنشنة علوية ونفس زكيّة، وهمة عليّة لا يفارقها بها أحد من الأنام ولا يدانيها، وطريقة حسنة لا يشاركه فيها خلق، ولا يطمع فيها»[3].

إنَّ الإمام (عليه السلام) أراد بقبوله أمر المتوكّل أنْ يستقطب أكثر عدد من الموالين إليه في هذه الرحلة (رحلة الإباء، والمجد، والشرف)، فعامل المتوكّل بالمدينة المنورة مسقط رأس الإمام (عليه السلام) يكتب إلى المتوكّل أن الناس قد التفتوا حول الإمام، ونادوه بالإمام، ومما لا مواربة فيه أنَّ الناس يومذاك لم يلتفّوا حول زعيم سواء أكان روحياً أو دنيوياً إن لم يكن أهلاً للزعامة والقيادة المحنّكة، وهذا يدلّ بالبديهية على أنَّ الإمام علي الهادي (عليه السلام) كامل الصفات، وحائز للمؤهلات من الوجوه أجمع[4].

وقد التفت الجماهير حول الإمام أيضاً في بغداد كاسباً تأييدهم عندما سار الركب الجهادي من المدينة المنوّرة إلى سامراء، وقد أبدع عبد الرزاق البدري في وصف رحلة الإمام من بغداد إلى سامراء بقوله : «وعندما سار ركب الإمام الهادي من بغداد متوجّهاً إلى سامراء، وعَلِمَ أهل المدينة بذلك اشرأبت النفوس، وتطاولت الأعناق، وتفتّحت العيون، وخفقت القلوب، وكثر الهرج والمرج، وتجاوبت الأصداء في كلّ ناحية، ومكان، وأغلقت المتاجر وتوقّفت الأعمال ؛ وذلك لمشاهدة موكبه وطلعته البهية فخرج الناس إلى الساحات، وازدحمت الطرق بالمادة وتكردست الجماهير في الشارع الأعظم والذي يبلغ عرضه مائة وعشرين متراً بين صيحات عالية وهمس، وإشارات، وأعقبتها الهتافات له المتعالية بالترحيب والإجلال وازداد الحماس بين

(٣) الفصول المهمة : ٢٧٠.

(٤)سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : ١٤.

الجماعات والأفراد حتى شمل النساء والأطفال فلمّا علم الخليفة المتوكّل بذلك أرسل رسله إلى إسحاق بن إبراهيم رئيس شرطته يومذاك بأن يؤخّر الركب ومَن فيه إلى الليل، فلما جنّ الليل دخل الركب إلى سامراء وكان الخليفة المتوكل ينظر قدومه بفارغ الصبر، وعلى أحرّ من الجمر ليرى مَنْ هذا الذي عطّل الأعمال، ودفع بالناس إلى هذا التجمع وتَرْك الأشغال، ولِمَن هذا الاستقبال الرائع الذي لم يكن له في يوم من الأيام مع أنه الخليفة»[1].

لقد استطاع الإمام الهادي بعزمه على المسير إلى سامراء، وترك المدينة المنوّرة أنْ يكثر من الموالين حوله، وأنْ يكون قطب الرحى، وعَلَم التقى، وإمام الهدى، وقد فهمت القاعدة الشعبية الراعية الدور الرسالي الملقاة على عاتقها، ويظهر أنَّ التفاف الجماهير حول الإمام (عليه السلام) كان مخطّطاً له، فقد جعله الله (عزّ وجلّ) مهوى قلوب المسلمين، فعن «محمد بن الحسن الأشتر العلوي الحسيني، قال: كُنْتُ مع أبي على باب المتوكل، وأنا صبيٌّ في جمع من الناس في ما بين طالبي إلى عباسي إلى جعفري إلى غير ذلك، إذ جاء أبو الحسن علي بن محمد (عليه السلام)، فترجّل الناسُ كلهم حتى دخل، فقال بعضهم لبعض: لِمَ نترجلُ لهذا الغلام؟ فما هو بأشرفنا، ولا بأكبرنا سنّاً، ولا بأعلمنا! فقالوا: واللهِ لا ترجلنا له، فقال أبو هاشم الجعفري: واللهِ لتترجلنّ له على صغره إذا رأيتموه، فما هو إلاّ أن طلع وبصروا به حتى ترجل له الناس كلهم، فقال لهم أبو هاشم: ألستم زعمتم أنَّكم لا تترجلون له؟ فقالوا: ما ملكنا أنفسنا حتّى ترجّلنا»[2]، وقد سأل زيد بن موسى الكاظم (عليه السلام)، المعروف بـ(زيد النار) عمر بن الفرج الرُّخجي أنْ يقدّمه على ابن أخيه (الإمام الهادي (عليه السلام))، ويقول له: إنّه حَدَثٌ وأنا عمُّ أبيه، فقال عمر ذاك له، فقال: افْعل، فلما كان من الغد أجلسه، وجلس في الصدر ثم أحضر أبا الحسن (عليه السلام) فدخل، فلمّا رآه زيد قام من مجلسه، وأقعده في مجلسِه وجلس وقعد بين يديه، فقبل له في ذلك، فقال: لمّا رأيتُه لم أتمالك نفسي[3].

---

(١) سيرة الإمام العاشر (علي الهادي (عليه السلام)): ٥٤ – ٥٥.

(٢) الثاقب في المناقب: عماد الدين الطوسي: ٥٤٣.

(٣) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٤٢. وحلية الأبرار: ٥ / ٥٠.

إنَّ الأوضاع العامة لشيعة أهل البيت، والمسلمين قد وصلت إلى مراحلٍ متقدمة في التكون، والانتشار، أخذت في مرحلة الإمام الهادي (عليه السلام) منحى مهماً تمثل في الاتّصال الشديد بالإمام الهادي (عليه السلام)، والأخذ منه.

٣- فَضْحُ السلطة الجائرة:

من الأمور المهمة التي أراد الإمام تثويرها، وكشفها هو فضح السلطة الجائرة، كونها لا تمثل الشعب من جهة، وإن سياستها قائمة على الظلم، والاستبداد، وترويع الناس، والقتل.

إنَّ ضعف مركز الخلافة، وسقوط هيبتها عن أعين الناس، وخروج الأمر من يد الخليفة إلى زمرة من القواد الأتراك البعيدين كُلّ البعد عن الإسلام، وذكر الله تعالى أدّى إلى التخلخل في المنظومة السياسية، والاجتماعية ثم انهيارها.

لقد استطاع الأتراك أنْ يعزلوا الخليفة، وينصبوا الآخر بما فيهم المتوكل نفسه، وإن استطاع أنْ يفكّ نفسه من هذا الأمر إلى حدّ ما، فيقوم ببعض النشاط الاجتماعي، ويبقى في الملك مدة كافية[٤].

وقد تيقّن الإمام الهادي (عليه السلام) بمصير هؤلاء الحكام، قال الأربلي: «عن الوشّاء عن خيران الأسباطي، قال: قدمت على أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) المدينة، فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ قلت: جعلت فداك خلّفْتُه في عافيه أنا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيام، قال: فقال لي: «إنّ الناس يقولون: إنه مات»، فلما قال لي: إن الناس يقولون: علمت أنّه يعني نفسه، ثم قال لي: ما فعل جعفر؟ قلتُ: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن، قال: فقال: أما إنَّه صاحب الأمر، ما فعل ابن الزيات؟ قلت: الناس معه والأمر أمره، قال: أما إنّه شؤم عليه، قال: ثم سكت وقال لي: «لابد أن تجري مقاديرُ الله وأحكامه، يا خيران مات الواثق، وقد قعد جعفر

(٤) ينظر: موسوعة الإمام المهدي (عج) تاريخ الغيبة الصغرى: ١/ ١٣٤ - ١٣٥.

المتوكل، وقد قتل ابن الزيات، قلت : متى جُعلت فداك ؟ قال : بعد خروجك بستة أيام»»[1].

لقد فضح الإمام (عليه السلام) سياسة المتوكل القائمة على التضليل والتمويه فبهذا الأسلوب الهادئ اللين الماكر كتب المتوكل إلى الإمام (عليه السلام)، وكأنه من القديسين الذين يتعاهدون أولياء الله سبحانه بالعطف، والبر، والكرامة في حين أنَّه كان من أشدّ الناس عداوة لعليّ وآل عليّ، ولكلّ من يتصل بهم بنسب أو بسبب، والإمام علم منه ذلك، ويعلم أنَّه لا يتركه في المدينة، وليس بإمكانه أنْ يتهرب من إجابة طلبه[2].

وتلك أساليب، وحيل تغري عوام الناس، فالإمام (عليه السلام) كان يدرك ما يرومه المتوكل، وما يهدف إليه في استدعائه، فاستجاب (عليه السلام) له لكشف حقيقته، فكثر اضطهاد المتوكّل للإمام (عليه السلام)، وما هي إلاّ سنوات على هذه الوتيرة حتّى اجتمع له الظلم، والتعسف، والإقامة الجبرية، وكشف الوشاة والمنتفعون في إيقاعه في حِبال أفعالهم.

ولا يمكن إغفال أمر تفتيش يحيى بن هرثمة دار الإمام الهادي (عليه السلام)، مما يعني أنَّه كان مأموراً في الوقت الذي كان الكتاب ينفي أيَّ اتّهام ضده، ومن هنا فعلم أنَّ استقدام الإمام (عليه السلام) كان أمراً إلزامياً له، وإن كان بصيغة الاستدعاء، وإلاَّ فلِمَ هذا التفتيش الذي يكشف عن وجود سوء ظنّ بالإمام (عليه السلام) بعد تلك الوشايات[3].

لقد أحسّ الإمام (عليه السلام) بناقوس الخطر من لدن المتوكل العباسي، فأراد المتوكّل أن يضعضع حياة الإمام الهادي (عليه السلام) ونقله من موطنه وداره في المدينة إلى العاصمة سامراء، بهذا الأسلوب الماكر الذي اتّبعه المتوكل العباسي الذي لم يكن غائباً عن الإمام الهادي (عليه السلام)، وعيون مواليه وغيرهم، هذا الأسلوب الذي أراد المتوكل أنْ يُغطّي به عن منهجه السياسي، وعدائه الدفين لأهل البيت (عليهم السلام).

---

(١)كشف الغمة : ٤ / ١١ – ١٢، وينظر : الثاقب في المناقب : ٤ / ٤٤٢، والفصول المهمة : ٢٦٧.

(٢)ينظر : سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٦٧.

(٣)ينظر : أعلام الهداية : (الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)) : ١٢ / ٩٥ – ٩٦.

ثانياً : مشروعه (عليه السلام) السياسي في بغداد :

في ضوء النصوص التي وقفنا عليها فإن بغداد تمثل حلقة عبور بين المدينة المنورة وسامراء المشرفة التي شرفها الإمام الهادي حينما أشخص من المدينة المنورة إليها، فقد وصل الإمام الهادي (عليه السلام) بغداد ليلاً مع القوة العسكرية بقيادة يحيى بن هرثمة مما اضطر الركب أنْ يبيت الليلة من بغداد، ثم يواصل السير قبل شروق الشمس والذي يبدو أنَّ الركب لو وصل في وقت مبكر لواصل المسير إلى سامراء بسرعة، فضلاً عن ذلك فإنَّ معرفة أهل بغداد بقدوم الإمام الهادي (عليه السلام) جعلهم يزحفون إلى الإمام (عليه السلام) حافين حوله، فخاف يَحْيَى بن هرثمة، ووالي بغداد من وقوع الفَوْضى والفتنة، فأخبرهم أنَّ المتوكل يريد ملاقاة الإمام الهادي (عليه السلام) اشتياقاً ومحبة له.

وقد ذكر ابن الطقطقا أسماء مدينة بغداد بقوله : «أسماؤها يقال بغداد وكان هناك موضع يُسمّى بغداد فسمّيت المدينة باسمه، ويقال : بغداد بالدال المعجمة، ويقال: بغدان بالنون، ويقال الزوراء، وكان موضعها يُسمّى الزوراء قديماً، وقيل: لأن قبلتها غير مستقيمة يحتاج المصلّي في مسجدها الجامع أنْ ينحرف إلى جهة اليسار قليلاً، ويقال : مدينة المنصور، ويقال : دار السلام، وقيل : إنها مدينة مباركة مسعودة لم يمت فيها خليفة»[٤]، وقد ابتدأ المنصور بناءها سنة خمس وأربعين ومائة وتَمَّمَها في سنة ست وأربعين ومائة، وجعلها مدوّرة، وجعل قصره في وسطها لئلا يكون أحد أقرب إليه من الآخر[٥].

وبغداد تمثل أول مشروعات النظام الجديد بإيجاد عاصمة جديدة، ومنذ القديم درج حكام الشرق الأوسط على إعادة بناء مدن جديدة كمقرات قيادة لجيوشهم وجهازهم الإداري، ومن أجل انبثاق نظام جديد، قام العباسيون ببناء بغداد لتكون صرحهم، وقاعدتهم الإدارية[٦].

---

(٤) الفخري : في الآداب السلطانية : ١٦٣.

(٥) ينظر : م . ن : ١٦٣.

(٦)ينظر : تاريخ المجتمعات الإسلامية : ١ / ١٣٥.

وقد أشار اليعقوبي إلى ما حَلَّ بالإمام الهادي (عليه السلام) حينما نزل بغداد مِمّنْ لقيه أولاً، وحال الناس فور سماعهم بقدومه المبارك، ومدة إقامته، بقوله: «وكتب المتوكّل إلى عليّ بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد في الشخوص من المدينة، وكان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر أنَّ قوماً يقولون : إنه الإمام، فشخص عن المدينة، وشخص يحيى بن هرثمة معه حتى صار إلى بغداد، فلما كان بموضع يقال له الياسريّة نزل هناك، وركب إسحاق بن إبراهيم لتلقيه، فرأى تشوّق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل، ودخل به في الليل ، فأقام ببغداد بعض تلك الليلة، ثم نفذ إلى سُرَّ مَنْ رأى»[1]، وقد ذكر الرواة قولاً لـ (يَحْيَى بن هرثمة) المكلّف من المتوكّل في إشخاص الإمام الهادي (عليه السلام) إلى بغداد، قال يحيى بن هرثمة : «أشخصته وتوليت خدمته، وأحسنت عشيرته (...) فلما قدمت مدينة السلام بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري، وكان على بغداد، قال : يا يَحيى، إنَّ هذا الرجل قد ولده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمتوكّل مَنْ تعلم، وإنْ حرَّضته على قتله كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خصمك، فقلت : واللهِ ما وقفت له إلاَّ على كُلّ أمر جميل»[2].

ونلمح في نصِّ اليعقوبي، والمسعودي، وابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) وغيرهم إضاءات منها :

١. حُبّ الناس له في الموضع الذي نزله (عليه السلام)، وهو (الياسريّة)، فالقائد يحيى ابن هرثمة، ووالي بغداد إسحاق بن إبراهيم الطاهري يخافان من التمرّد، والفَوْضَى بسبب لقاء الناس بالإمام (عليه السلام)، واجتماعهم به، وهيبتهُ في نفوسهم ؛ لهذا ساروا به في الليل تحت جنح الظلام لتفادي الأمر.

٢. تعمّد إنزال الإمام (عليه السلام) ليلاً في مكان تحت المرَاقبة الشديدة، والرحيل به قبل شروق الشمس خوفاً من اتصاله بالمحبين والعلويين، واتصال المحبين

(١)تاريخ اليعقوبي : ٣٤٠ – ٣٤١.

(٢)مروج الذهب : ٤ / ١١٤، وينظر : تذكرة الخواص : ٢ / ٤٩٤.

والعلويين به.

٣. إن مكانة الإمام (عليه السلام) العلمية، والسياسيّة، والاجتماعية كانت جليّة لدى المتوكل، وقائده، ووالي بغداد، لذا فإنَّ أوامر إشخاصه إلى سامراء كانت فوراً بلا تراخ وفتور.

٤. الإجلال والإكرام الذي لقيه الإمام من حاكم بغداد، ومن يحيى بن هرثمة وإجماع كلمتهما على المحافظة على الإمام، لكونه ذا منزلة عالية لديهما، وأنه جمّاع المحاسن والشمائل، زد على ذلك اتفاقهما على عدم نقل أي أخبار إلى المتوكل بالإساءة له قطّ.

إن هذا الحوار بين هذين الرجلين اللذين يمثلان السلطة نفسها، ويعيشان على موائدها يكشف عن مدى الحقد، والتمرد على النظام القائم الجائر يومئذ، ويكشف كذلك مدى اتساع الذكر الحسن، والصدى الجميل لأقوال الإمام الهادي (عليه السلام)، وأفعاله بين جميع طبقات المجتمع البغدادي.

وقد حاول ابن هرثمة في أثناء مسيره مع الإمام الهادي (عليه السلام) أن يُحسّن العشرة مع الإمام الهادي (عليه السلام)، ولاسيما بعد أنْ رأى من الإمام الهادي (عليه السلام) الكرامات التي ترشده إلى عظمة الإمام (عليه السلام)، ومكانته، وحقيقة أمره، وتوضح له الإحساس بالجريمة التي ارتكبها في إزعاج الإمام (عليه السلام)، والتجسس عليه، والجعجعة به (عليه السلام)(٣).

إنَّ محبّة الناس للإمام الهادي (عليه السلام) ومعرفتهم بإمامته، ومنزلته لم يكن أمراً آنياً، فقد عرفوا إمامة أبيه وآبائه كافّة، وأنهم أئمة الحق، والهدى، والرشاد، والصواب، فلا نعجب من تعرض المتوكّل إلى الشتم، والطعن، على جدران المساجد فيما بعد، عندما أقدم على هدم قبر سيّد شهداء أهل الجنة، وهدم ما حوله من البيوت، قال السيوطي : «وفي سنة ست وثلاثين ومائتين أمر المتوكل العباسي جعفر بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من الدور، وأنْ يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته،

(٣)ينظر : سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٦٧ – ٤٦٨.

وخرّب وبقي صحراء، وكان المتوكّل معروفاً بالتعصب، فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء، فمنها قيل في ذلك :

بـالله إنْ كَـانَــــتْ أُمَيَّة قَدْ أَتَتْ   قَـتْـلَ ابن بِنْتِ نَبِيّها مَظْلُوْما
فـلـقـد أتـاه بـنو أبيه بمثـــــله   هـذا لَـعَـمْري قَبْرُه مَهدُوما
أسِفُوا على أن لا يكونوا شاركوا   فـي قَـتْلِه، فتتبَّعُوه رَمِيماً»[1].

إن إشخاص الإمام الهادي (عليه السلام) القائد العالم المصلح إلى أرض سامرّاء كشف عن بدء مرحلة جديدة وعظيمة من جهاد الإمام الهادي (عليه السلام) وتحدّيه، وعلمه، وإصلاحه، التي ستكون محطّ عنايتنا في قابل هذه الدراسة بحول الله (عز وجل) وقوته.

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٦٥.

الفصل الثالث

إمام سامرّاء

الفصل الثالث

إمام سامرّاء

في هذا الفصل سنتحدّث عن دور الإمام الهادي (عليه السلام) الرسالي والقيادي، ومنهجه القويم في التعامل مع الأحداث التي رافقت حياته الشريفة في مراحل أعصار ملوك بني العباس الذين عاصرهم، وهم (المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز)، ولمّا كان جلّ حياة الإمام (عليه السلام)، ودوره في مدينة سامرّاء المشرّفة كان لزاماً علينا أنْ نبحث في اسم هذه المدينة، وتاريخ بنائها، وشرافتها التي وصفت بها بفضل قدوم حفيد المصطفى، وسليل الدوحة الهاشمية الإمام الهادي (عليه السلام)، وابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

إنَّ أحاديث التأريخ محكومة بخصائص الجغرافيا وحقائقها، ومن ثم فإن كثيراً من الأحداث تقبلُ وتُردّ لتنافيها مع خصائص الإقليم الذي يحتضنها[1]، ومن هنا فإنَّ صغر إقليم سامراء، وقلّة قراه يحتم السيطرة على مشروع الإمام الرسالي والقيادي، وتعامله مع الأحداث، والعمل الحركي الذي قام به (عليه السلام)، ولاسيّما وقد عملت السلطة العباسية على الإقامة الجبرية، والتضييق الأمني عليه، وزجّه في السجون، إلاَّ أنَّ هذا لم يمنع الإمام (عليه السلام) بما أُوتي من حنكة، وقدرة فكرية عالية، وإرادة محمدية وعلوية خالصة أنْ يقوم بما ينبغي عليه التكليف الشرعي بوصفه إماماً للأمّة، وقائداً لها.

ومن الجدير بالذكر أننا سنذكر أخباراً من كراماته ومعاجزه التي جرت مذ

(١) ينظر: علم الكلام والتأريخ: ٨.

إشخاصه من مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سامرّاء المشرّفة ما لها علاقة بمنهج الإمام، وسلوكه المتوازن القائم على القرب من الله (عزّ وجلّ)، والذوبان في تعاليمه وحدوده، فأصبح مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾(الحج / ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾ (الفرقان / ٧٣ – ٧٦).

المبحث الأول

نبذة تاريخية عن مدينة سامراء (مدينة الإباء والمجد)

أولاً : تسميتها :

اختلف الباحثون في تسمية هذه البُلَيْدة العذبة الماء، الطيّبة الهواء، وهي البقعة الطاهرة التي ضمّت الجسدين الطاهرين للإمامين الهاديين العسكريين علي الهادي، والحسن العسكري (عليهما السلام)، جاء في مروج الذهب للمسعودي أنَّ المعتصم العباسي قد بنى أولاً في «القاطول القريب من نهر دجلة (...) قصراً وبنى الناس وانتقلوا من مدينة السلام نالتْ مَن مع المعتصم شدّة عظيمة لبرد الموضع، وصلابة أرضه وتأذّوا بالبناء، ولمّا تأذّى المعتصم بالموضع، وتعذّر البناء فيه خرج يتقرّى المواضع فانتهى إلى موضع سامرا، وكان هناك للنصارى دير عادي فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال : يعرف بسامرا، قال له المعتصم : وما معنى سامرا ؟ قال : نجدها في الكتب السابقة، والأمم الماضية أنها مدينة سام بن نوح، قال له المعتصم : ومِن أيّ بلاد هي ؟ وإلامَ تضاف ؟ قال : من بلاد طبرهان، وإليها تضاف»[1]، وقد ذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) لغات لهذه المدينة المباركة، وهي «سَرّ مَنْ رأى، وسُرَّ مَن رَى، وسُرَّاء»[2]، وقد اختار ياقوت اسم (سامراء) عنواناً لبحثه عن هذه المدينة[3]، ويرى الرحالة ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) أنَّ «مدينة سُرَّ مَنْ رأى، وتُسَمَّى أيضاً سامرا، ويقال

---

(١) مروج الذهب : ٤ / ٣٠٦٢. (القاطول : فاعول من القطل وهو القطع، اسم نهر كأنّه مقطوع من دجلة وهو نهر كان في موضع سامراء قبل أنْ تعمّد). معجم البلدان : ٤ / ١٦.

(٢) معجم البلدان : ياقوت الحموي :

(٣) ينظر : م.ن : ٣ / ١٧٣.

لها سام راه ومعناها بالفارسية طريق سام، وراه هو الطريق»[1]. وقد تابعه الدكتور حسين علي محفوظ بقوله: «لفظة سامراء معناها طريق سام، وكان سام بن نوح على - ما يزعمون - إن أتى جُوْفَى في فصل الشتاء مرّ عليها (...) أو إنَّ لفظ (سا) أتاوة الملك، ولفظ (مرا) عدد، وكان كسرى يأخذ الخراج في ذلك الموضع وصحّفت على كلا القولين بالهمز، والتشديد في حرفين»[2]، وقال الطُّريحيّ (ت ١٠٨٥هـ) أن «سامراء المدينة التي بناها المعتصم، ودُفن فيها علي الهادي (عليه السلام) والحسن العسكريّ (عليه السلام) وفيها لغات: سُرَّ مَنْ رأى، وسَرَّ مَنْ رأى بضم السين وفتحها، وساء مَنْ رأى، وسامرّاء»[3]، ويرى المستشرق كي ليسترنج أن «اسمها بالآرامية سامرا، فأمر الخليفة المعتصم مَنْ أقام فيها أنْ تُسمّى (سُرّ مَنْ رأى)، وبهذه الصيغة الأخيرة وجد اسمها في النقود العبّاسية المضروبة»[4].

ويرى مصطفى جواد أنَّ كثرة أسماء هذه البُلَيدة المباركة ما هي إلاَّ تلعّبات بالألفاظ، وتخريجات منه للتفاؤل وللتشاؤم مرة أخرى، إلاَّ أنَّ تسمية المدينة بسُرّ مَنْ رأى غلب على جميع التسميات؛ لأن المعتصم شاء ذلك، ثم ضعفت بمرور الزمن، فكان من الناس مَن يسميها سامرا، وكان منهم مَن يسميها (سُرّ مَنْ رأى) على عدّه أنه الاسم الصحيح وليس بذاك، ويرى أنها «اسم آرامي، وهو في أصله مقصور كسائر الأسماء الآرامية بالعراق مثل كربلا، وعكبرا، وحَرَورا، وباعقوبا، وبتّمارا، وتامَرّا، وقد مدّ العربُ كثيراً من هذه الأسماء الآرامية المقصورة في استعمالهم إيّاها، وخصوصاً ذكرها في الشعر إلحاقاً لها بالأسماء العربية، أو توهماً منهم أنها عربية تجمع بين المد والقصر مثل كثير من الأسماء التي انضمّت عليها اللغة العربية ذات الأصول

---

(١) رحلة ابن بطوطة المسماة (تُحف النظّار في غرائب الأمصار): محمد بن عبد الله اللواتي الطنجيّ (ابن بطوطة): ٣ / ١٧٣.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة (قسم سامراء): جعفر الخليلي: ١٢ / ١٣٩ (نقلاً عن بحث (سامراء في المرجع العربية) الدكتور مصطفى جواد.

(٣) مجمع البحرين: الطريحي: ٢ / ١٦٦.

(٤) بلدان الخلافة الإسلامية: كي ليسترنج: ٧٦.

العربية»[٥]، ويرى أيضاً أنَّ «مدّ سامرّا وجعلها (سامراء) فهو محدث أحدثه العرب إجراءً منهم لهذا الاسم مجرى الأسماء العربية (...) وكانوا يفعلونه حتّى مع اعترافهم بأن الاسم غير عربي»[٦].

ويرى مصطفى الموسويّ أنَّ «الاسم الآرامي هو الذي أرجّحه لهذه المدينة، ويبدو أن المعتصم حينما أقام بها أمر أنْ تُسَمَّى (سُرَّ مَنْ رأى)، وبهذه الصيغة وجد اسمها في النقود العباسية المضروبة فيها»[٧] وهذا ما نذهب إليه.

ويبدو أنَّ أصدق لغة رويت في اسمها هو (سامَرَّاء) بفتح السين بعدها ألف، يليها ميم مفتوحة، وبجانبها راء مثقلة مفتوحة، ثم ألف ممدودة، وفي الآخر همزة[٨].

ثانياً : بناؤها :

اتفق المؤرخون على أنَّ أبا إسحاق محمد بن الرشيد أخ المأمون العبّاسي الملقب بـ (المعتصم) هو الذي بنى سامراء[٩].

واتفقوا أيضاً على سبب بنائه هذه المدينة (سامرّاء)، قال الطبري : «إنَّ سبب خروج المعتصم إلى القاطول كان أن غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد منهم بعد الواحد قتيلاً في أرباضها، وذلك أنَّهم كانوا عُجْماً جفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طُرق بغداد وشوارعها، فيصدمون الرجل والمرأة ويطؤُون الصبي فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم فربما هلك من الجراح بعضهم، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم وتأذّت بهم العامة (...) فلمّا كان في العام

(٥)موسوعة العتبات المقدّسة (قسم سامراء) : ١٢ / ٧.

(٦)م.ن : ١٢ / ٩.

(٧)العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية : ١٤٧.

(٨) ينظر : موسوعة العتبات المقدّسة (قسم سامراء) : ١٢ / ١٠.

(٩) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ١٤، ومروج الذهب : ٤ / ٦١، والكامل في التاريخ : ٦ / ٢١٠، والفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ٢٣١، ودول الإسلام : ١ / ١٩٠.

المقبل في مثل ذلك اليوم خرج فصلَّى بالناس العيد ثم لم يرجع إلى منزله ببغداد ولكنه صرف وجه دابته إلى ناحية القاطول، وخرج من بغداد ولم يرجع إليها»[١]، وكان المعتصم يحبّ جمع الأتراك وشراؤهم من أيدي مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهّبة والحلية الذهبية بالزيّ عن سائر الجنود، وكانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهلُ بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة، أو شيخ كبير، أو صبي ضرير، فعزم المعتصم على ترك بغداد، وأنْ ينزل في فضاء من الأرض منزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد، فلم يستطب هواءها ولا اتّسع له هواؤها فلم يزل ينتقل ويتقرّى المواضع والأماكن إلى دجلة وغيرها حتى انتهى إلى الموضع المعروف بـ (القاطول) فاستطاب الموضع، وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة، وناسٌ من النَّبَط على النهر المعروف بالقاطول آخذاً من دجلة فبنى هناك قصراً وبنى الناس وانتقلوا من مدينة السلام، وخلت من السكان إلاّ اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين في ذلك معيراً للمعتصم بانتقاله عنهم :

أيَا سَاكِنَ القاطولِ بَيْنَ الجَرَامِقَة تَرَكْتَ ببغدادَ الكِباشَ البَطَارِقَهْ[٢].

وقد كَره أهل بغداد مجيئهم إذ كانوا شُؤماً عليهم في حلّهم وترحالهم فلمّا أقاموا بينهم كانتَ خيولهم تُصيب الضعفاء والمرضى، ولَما رحلوا عنهم إلى القاطول ثم سامرا أثر ذلك أثراً سيّئاً في بغداد من جهة تجارتها وحضارتها[٣].

وقد بدأت العصبية ضدّ الأتراك في عهد دخولهم بغداد، فقد شكا أهل بغداد للمعتصم، وقالوا له : تحوّل عنا وإلاّ قاتلنا ! قال : وكيف تقاتلونني وفي عسكري ثمانون ألف دارع ؟ قالوا : نقاتلك بسهام الليل - يعنون الدعاء - فقال المعتصم :

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ١٤١.

(٢) ينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٦. (الكِباش مفردها كبش السيّد والقائد، والبطارقه مفردها بطريق القائد من قواد الروم).

(٣) ينظر : ظهر الإسلام : ١ / ٧.

والله مَالي بها طاقة فبنى لذلك سرّ مَن رأى وسكنها[٤].

ويظهر ذلك من محاورة المعتصم لشيخ اعترضه : «فقال له : يا أبا إسحاق، فأراد الجندُ ضربه فمنعهم، فقال : يا شيخ مالك ؟ قال : لا جزاك اللهُ عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك فأسكنتهم بيننا، فأيتمت صبياننا، وأرملت بهم نسواننا وقتلت رجالنا، والمعتصم يسمع ذلك، فدخل منزله ولم يُرَ راكباً إلى مثل ذلك اليوم، فخرج فصلّى بالناس العيد، ولم يدخل بغداد بل سار إلى ناحية القاطول (...) وكان ابتداء العمارة بسامراء سنة إحدى وعشرين ومائتين»[٥].

ويبدو أنَّ المعتصم بعد أن وافق على اختيار موضع سامراء، صَيَّر إلى كلّ رجل من أصحابه بناء قصر، ثم خطّ القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع، واختط الأسواق حول المسجد الجامع[٦]، وأحضر المعتصم لها الصنّاع، وأهل المهن من سائر الأمصار وشيّد بها قصراً له ومسجداً جامعاً وثكنات لجنده، وأفرد لأهل كلّ صنف سوقاً كما أقطع القطائع لرؤساء الأتراك والأشروسية وغيرهم من مدن خراسان[٧]، ولما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الأساس للبناء في جانب سامراء عقد جسراً إلى الجانب الغربي من دجلة فأنشأ هناك البساتين والأجنة وحمل النخل إليها من البصرة، وحملت الغُروس من الشام وخراسان وسائر الأقاليم، ولما توفي المعتصم سنة (٢٢٧هـ) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد في فخامة قصورها وجمال مبانيها، وأكمل ابناه الواثق والمتوكل اللذان تعاقبا على الخلافة من بعده ما بدأ به أبوهما فقد بنى هارون الواثق القصر المعروف بـ (الهاروني) جاعلاً فيه مجالس من دكّة شرقية، ودكّة غربية، وخلفه أخوه جعفر المتوكل سنة (٢٣٢هـ) فنزل الهاروني أولاً، إلاّ أنّه في سنة (٢٤٥هـ) ابتدأ ببناء قصر جديد له على ثلاثة فراسخ شمال الكرخ، ومدّ الشارع الأعظم، وعُرف قصره والمدينة الجديدة التي قامت حوله

---

(٤)ينظر : م . ن : ١ / ٦.

(٥) الكامل في التاريخ : ٦ / ١٢٠، وينظر : الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣١.

(٦) ينظر : موسوعة العتبات المقدسة : ٢١ / ٧٨ – ٧٩.

(٧) ينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٠.

بالمتوكليّة، أو القصر الجعفري[1].

ويرى المستشرق لابيدس أنَّ توسع الدولة الإسلامية وامتدادها جعل الخلفاء يفكرون في تجنيد المماليك وتدريبهم واستخدامهم ابتكاراً وتجديداً ؛ مما أدى إلى إيجاد فرق عسكرية تشدّ من عضد الملوك العباسيين ولكن الجنود الآسيويين (ما وراء النهر)، والترك سرعان ما تصادموا مع أهالي بغداد، ومع الجنود السابقين العرب في الجيش البغدادي، وحصلت اشتباكات دامية وعلى الأثر قام المعتصم ببناء عاصمة جديدة (سامراء) على مسافة (٧٠) ميلاً إلى الشمال من بغداد لعزل القوات عن الجماهير، في حين بقيت بغداد عاصمة المنطقة الثقافية والتجارية، فإن سامراء كانت مقرّ القيادة العسكرية والإدارية للخلافة[2].

هكذا كانت سامراء مقرّاً للخلافة العباسية لمدة تقرب من (٥٨) عاماً، وقد انقطعت هذه المدة في عام (٢٥١هـ) حينما هرب المستعين إلى بغداد في محاولة فاشلة منه للهرب من الأتراك الذي قَويت شوكتهم في عهده، فاستبدوا بالملك والتولية والعزل[3].

وهي الآن تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة على مسافة ١٢٠ كيلو متراً من شمال بغداد وهي اليوم مركز قضاء واسع من أقضية محافظة صلاح الدين، ومن أهم آثارها بقايا دار الخليفة، المنارة الملوية، التي أُنشئت مع المسجد الجامع الكبير على عهد المتوكل، وفي قلب المدينة الروضة العسكرية حيث ضريح الإمام علي الهادي، والحسن العسكري (عليهما السلام)[4]، وفي أدناه خريطة توضح معالم مدينة سامراء المشرّفة[5].

---

(١)ينظر : بلدان الخلافة الشرقية : ١١.

(٢)ينظر : تاريخ المجتمعات الإسلامية : ١ / ٢١١.

(٣) ينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٦٤.

(٤)ينظر : موسوعة العتبات المقدّسة : ١٢ / ١٧٨.

(٥)ينظر : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية : ٢٨٧. (علماً أن الخريطة لم تحدّد المرقد المشرّف للإمامين (عليهما السلام)، وقد قمنا بتحديده).

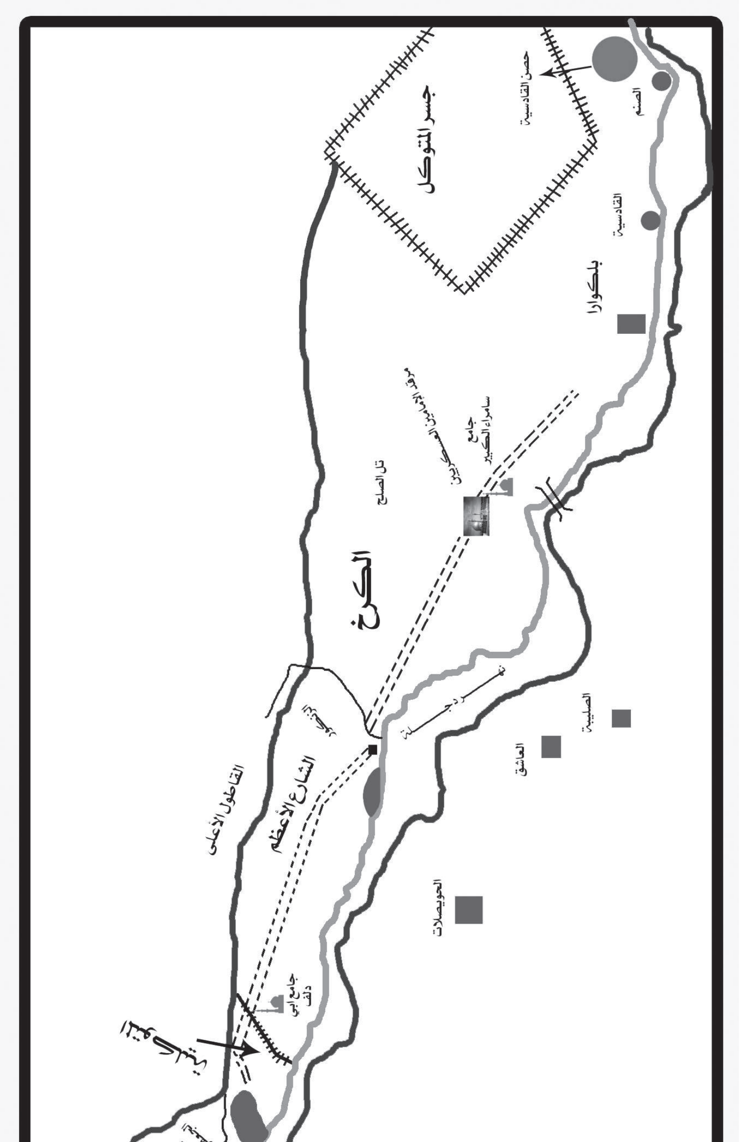
الدور
القاطول الأعلى
الشارع الأعظم
جامع ابي دلف
الحويصلات
الكرخ
نهر دجلة
العاشق
الصليبية
تل الصالح
مرقد الإمامين العسكريين
جامع سامراء الكبير
بلكوارا
جسر المتوكل
القادسية
حصن القادسية
الصنم

ونختم حديثنا عن بناء هذه المدينة المشرفة، وما آلت إليه بنصّ نقله لنا عبد الرزاق البدري من مقالة بعنوان (قصة سامرّاء) جاء فيها : «قصة إنشاء مدينة سامراء من أغرب وأمتع القصص للمدن في التاريخ، قطعة أرض قفراء على ضفة مرتفعة من نهر دجلة لا عمارة فيها، ولا أنيس بها إلاّ دير للنصارى تتحول من مثل لمح البصر إلى مدينة كبيرة لتكون عاصمة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ في دور من ألمع أدوار سؤددها تنمو هذه المدينة، وتزدهر بسرعة هائلة لم يرَ التاريخ مثلها في جميع القرون السالفة، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة إلاَّ في القرن الأخير في بعض المدن التي نشأت تحت ظروف خاصة (...) غير أن هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة ؛ لأن المدينة تفقد صفة العاصمة التي كانت علة وجودها، وعامل كيانها قبل أنْ يمضي نصف قرن على نشأتها، وبعد أن كان الناس يسمونها باسم (سُرّ مَنْ رأى) أضحوا يسمونها (ساء مَنْ رأى)، وبعد أن كان الشعراء يتسابقون في مدح قصورها أخذوا يسترسلون في رثاء أطلالها، في الواقع ماتت سامراء ميتة فجائية بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن، وأمست رسوماً وأطلالها هائلة تمتد اليوم أمام نظائر الزائر، وتتوالى تحت أقدام المسافر إلى أبعاد شاسعة لا يقل امتدادها عن الخمسة والثلاثين من الكيلو، وعندما يتحول المرء بين هذه الأطلال المترامية الأطراف ويتأمل في السرعة العظيمة التي امتاز بها تأسيس سامراء وتوسعها من جهة وإقفارها من جهة أخرى لا يتمالك نفسه من التساؤل عن العوامل التي سيطرت على مقدّرات هذه المدينة العظيمة، وصيرت قصة حياتها بهذا الشكل الغريب»[1].

ويبدو أن هذا التساؤل غير مفيد، وغير نافع، والذي يعجب له أنَّ كاتب هذه السطور قد فاته غضب الجبار من أعمال ملوك بني العباس في هذه المدينة، وغيرها من المدن، فالموبقات، والظلم، والتعسف الذي أذاقوه للناس جَعَلَ الناسُ يصوّبون

---

(١) سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : ٥ – ٦.

سهام السَّحر داعين الباري (عزّ وجلّ) بقلب مكسور، يدعونه سرّاً وجهراً فانجلى هذا الحكم في سامراء، إلاَّ أنَّ المتتبع يرى أنَّ قوله : ماتت سامراء ميتة فجائية فيما يخص الجانب السياسي فحسب، فهي لم تمت ميتة روحية، فهي تشمخُ بوجود مرقدي الإمامين الهمامين العسكريّين الهادي (عليه السلام)، والحسن العسكري (عليه السلام)، فَلِم هذا التساؤل وقد فعل الأمر الإلهي فعله في هؤلاء المتجبرين المتكبرين الذين لا يرجون لله(عزّ وجلّ) وقارا.

ثالثاً : شَرَفُها :

لقد تشرّفت هذه المدينة المقدّسة بمحيا إمام الرشاد، والتقى، والصلاح الإمام الهادي (عليه السلام)، وولده الإمام الحسن العسكري، وحفيده الإمام محمد بن الحسن (عليه السلام)، فتكحلت بمحياهم عيون أهل سامرّاء، ففي ذاكرة القاطنين هناك في سالف الأزمان، وفي عصرنا هذا مع عراقة تلك المنطقة وأصالتها تحتفظ سامراء بتلك الذاكرة، إذ بدأ المعتصم العباسيّ بتشييد هذه المدينة على الضفة اليسرى من نهر دجلة ولم تكن، أما آثار المتوكّل فلم يبق منها إلاّ الملويّة : ﴿ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الدخان / ٢٨ – ٢٩)، وقد وصف ابنُ جبير الشاطبي (ت ٦١٤هـ) الدُّجَيل وسامراء بقوله : «فكان مبيتنا تلك الليلة بإحدى قرى بغداد نزلناها وقد مضى هَدْءٌ من الليل وبمقربة منها دُجيل، وهو نَهْر يتفرّع من دجلة يسقي تلك القرى كلها (...) فنزلنا مع الصباح بمقربة من قرية تعرف بالحَدْبة من أخصب القرى وأفسحها، ورحلنا من ذلك الموضع وأسرينا الليل كلّه (...) ونزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شطّ دجلة بمقربة من حصن يعرف بـ(المعشوق)، ويقال : إنّه كان مُتَفرجاً لزبيدة ابنة عمّ الرشيد وزوجه (رحمه الله)، وعلى قبالة هذا الموضع في الشطّ الشرقي مدينة سُرّ مَن رأى، وهي اليوم عبرة مَنْ رأى : أين معتصمها، وواثقها، ومُتوكّلها ؟ مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها إلاّ بعض جهات منها هي اليوم معمورة، وقد أطنب المسعودي (رحمه الله) في وصفها ووصف طيب هوائها ورائق حسنها، وهي كما وصف لم يبق إلاّ

الأثر من محاسنها»[1]، ويبدو أن ابن جبير قد نظر إلى مجالس اللهو والغناء، والقصور الكثيرة التي بناها المعتصم والواثق وأكثر منها المتوكل، وقد آلت إلى الخراب، والدمار وهذه عاقبة الظالمين، ونَسي أنَّ سامرّاء حرسها الله وكلأها، فأصبحت عامرة بوجود حَفَدة الرسول المصطفىَ (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمامين الهاديين العسكريين (عليهما السلام)، وقد حظيت سامراء بهذا الثقل الروحي، فغدا المرقدان الشريفان مهوى قلوب المسلمين من كلّ بقاع الأرض.

وقد أشار ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) إلى هذه الحقيقة بقوله: «إلى أن كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء وأقام بها، وترك سرّ من رأى بالكلية، كان المعتضد بالله أمير المؤمنين في التاج، وخرجت حتى لم يبق منها إلاّ موضع (المشهد)، ومحلة أخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامراء، وسائر ذلك خراب يَبَاب يستوحش الناظر إليها»[2]، وهذه إرادة الله (عزّ وجلّ) ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ (الرعد/ من الآية ١٧)، وقوله تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ (القصص/ ٥).

ولعمري: إنّ إشخاص الإمام (عليه السلام) من مدينة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بغداد لم يكن اعتباطاً، والإقامة الجبرية التي فرضت عليه لم تكن مصادفة، وإشخاصه إلى سامرّاء ليكون أمام مرأى المتوكل لم يكن اتفاقاً، وإنما ذلك كلّه يرجع إلى أسباب طبيعيّة حتمية، وما كان يمكن أنْ يكون غير ذلك. قال محمد حسن آل ياسين: «ثم راقت الإقامة الجبرية على الإمام لمن تعاقب على تسلم السلطة بعد المتوكّل فاستمر إلزامه بها مدى الحياة، وكتب إلى أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أنْ ينقضي عمره هناك مع عائلته وأولاده بعيداً عن مسقط رأسه ومدينة جدّه، حتّى انتقل إلى جوار ربّه، وجنان رحمته»[3].

---

(١) رحلة ابن جبير: ابن جبير الشاطبي: ١٥٩.

(٢) معجم البلدان: ٣/ ١٧٨.

(٣) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٣٤٦.

إنَّ الإمام (عليه السلام) قد أُوتي من العلم، وبعد النظر، مما جعله أنْ يُهيّئ لهذه البقعة المشرفة أنْ تكون مهوى قلوب المؤمنين، وقلعة القاصدين في مشارق الأرض ومغاربها للتبرك ببضعة المصطفى، وسليل الدوحة الهاشمية.

وقد جاءت الأخبار أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد مدح سامراء فقد روى : «أبو محمد الفحّام عن المنصوريّ عن عمّه عن أبيه، قال : قال يوماً الإمام عليّ ابن محمد: يا أبا موسى أخرجت إلى سُرّ من رأى كَرْها، ولو أخرجت عنها أخرجت كَرْها قال : قلت : ولِمَ سيّدي ؟ فقال : لطيب هوائها، وعذوبة مائها، وقلة دائها، ثم قال : تخرب سرّ مَنْ رأى حتّى يكون فيها خان وقفاً للمارّة، وعلامة خرابها تدارك العمارة في مشهدي من بعدي :

دَخَلْنَا كَارِهِين لَهَـــا فلمّا ألِفْنَاها خَرَجْنَا مُكْرَهِينا»[٤].

إنَّ التاريخ المشرف لهذا الإمام العظيم على هذه البقعة التي احتضنته على الرغم من الظلم، والجور، والاستهزاء، والتسقيط، والسجن، والعزلة التي مورست ضده (عليه السلام)، أصبح لها قيمة رمزية مثالية في التحدّي والإباء، والشرف، فهي مدينة السنا والمجد، مدينة الإمام القائد الذائب في ذات الله (عزّ وجلّ)، العالم الفقيه الصبور الموجّه الحنّان العطوف المرشد، الصلب في إرادته، الهادئ في طبعه، الواثق من براءته، المتلألئ الوجود في مجالس العلم.

قال الشاعر :

سَقَى أرضَ سامراءَ منهمرُ الحَيَا وحـيَّا مغانيها هُبُوبُ النَّسَائم
مـعـالم قد ضُمّن أعلام حكـمه بِـنُور هُدَاها يهتدي كلُّ عـالمِ[٥]

---

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤٩.

(٥)ينظر : الدمعة الساكبة : محمد عبد الكريم البهبهاني : ٨ / ٢٢٨.

وقال السيد حيدر الحلي (ت ١٣٠٤هـ) :

«زان (سامرّا) وكانت عَاطِلا تَتَشَكَّى من مُحلّيها الجَفَاء

وغَدَت أفناؤها آنِسَة وهي كانت أوحشَ الأرض فناء

حَيِّ فيها (المَرْقَد الأسْنى) وقُلْ زَادَك اللهُ بَهَاءً وسَنَاء

ثم ناد (القُبّة) العليا وقُلْ طَاوِلي يا قُبَّةَ (الهادي) السَّماء

بمعالي العسكريين اشْمَخِي وعَلى أفلاكها زِيْدي عَلاء»[1].

لذلك تعد سامراء في مقدّمة المدن المقدّسة في الإسلام ؛ لأن تربتها الزكيّة قد ضمّت فيها رفات الإمامين العسكريين أبي الحسن علي الهادي، وأبي محمد الحسن الخالص الملقب بالعسكري (عليهما السلام)، ولأن الإمام الحجّة المهدي صاحب الزمان قد ولد فيها، واختفى في بيت من بيوتها مبتعداً عن جور العباسيين، واضطهادهم المعروف لآل البيت النبوي الكريم الذي أخذ يزداد ويشتدّ منذ أنْ تولى المتوكل الحكم فيها.

فغدت القبة الذهبية في وسط الصحن الكبير يراها الزائر من مسافات بعيدة حين المرور بهذه المدينة، أو المجيء إليها.

(١)ديوان السيد حيدر الحليّ : حيدر الحليّ : ٢٩ – ٣٠.

المبحث الثاني

الإمام الهادي (عليه السلام) والسلطة

في هذا المبحث سنبيّن موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من حكام عصره الذين عانى الإمام في مراحل حكمهم أصناف الظلم، والقهر، والضغط السياسي ولاسيّما في عصر المتوكّل العباسي، وسنفرد الحديث عن كلّ حاكم منهم مبيّنين موقف الإمام من الأحداث التي جرت عليه، وعلى المسلمين في أعصارهم.

والذي يبدو في ضوء استقراء ما وقع في أيدينا من نصوص، وأخبار بهذا الأمر أنها ذات حجم كبير، وعملية جمعها وترتيبها، وتحليلها أمر يتطّلب المزيد من الوقت والجهد، ولكن ما لا يُحصى كلّه لا يترك كلّه، فجاءت الفرصةُ سانحة سامحة بحول الله تعالى، فحاولنا قدر المستطاع أن نعرض ما نخاله ذا فائدة للقارئ، عَسَى أن ينال عملنا هذا القبول منه.

إنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد عاصر ستة من حكام بني العباس، وهذه المدة من سنة ٢٢٠هـ إلى استشهاده (عليه السلام) سنة (٢٥٤هـ) مليئة وزاخرة بالأحداث والخطوب فقد تحمّل الإمام مذ تسلمه الإمامة إلى أصناف الخطوب، وأنواع العذاب من هؤلاء الحكام، ولا يخفى على القارئ اللبيب أن الإمام قد عاش في مرحلة تعد من أشدّ المراحل في تأريخ الدولة الإسلامية وأقسامها، فالتكالب على الدنيا، وحبّ الرياسة، والإمعان في الفسق والفجور والابتعاد عن القيم الروحية، وضرب المقدّسات، والقتل، والحرمان، ومحاربة المؤمنين، وإبعادهم عن الأضواء، وغيرها تعدّ سمات واضحات لتلك المرحلة.

مما تتطلب من الإمام الهادي (عليه السلام) بوصفه إماماً، وقائداً أنْ ينتهج نهجاً سليماً، وموفّقاً في التعامل مع حكام عصره من جهة، ومع الأحداث الكثيرة والكبيرة من جهة أخرى بعقلية الإمام القائد، والأب الوحي، والعَلَم الألمعيّ، والمرشد الهادي، والإنسان العطوف الحنون، وهذا ما شَهِد به المؤرخون كافة ممّن ذكروا سيرته العاطرة، ووقفوا على شذرات أو قبسات منها.

وإنَّ المرء ليعجبُ من الأسلوب الرشيد والمنهج السديد، والمقدرة الفائقة، والهمة العالية، والصبر المثالي للإمام الهادي (عليه السلام) في موقفه من حكام عصره من جهة، وفي تعامله مع الأحداث الضخام من جهة أخرى، فالعناية الإلهية، واللطف الربّاني كان لهما الأثر الواضح في هذا الأسلوب، والمنهج.

وقد صرّح الإمام الهادي (عليه السلام) بهذا الأثر الإلهي لأحد أصحابه وقد سأله أنْ يدعو له، فاستجاب الله (عز وجل) دعاء الإمام، وقد تلمس الطالب هذا الأثر، فقال للإمام مبهوراً : إنَّ الله استجاب دعاءك يا سيّدي، فقال له (عليه السلام) : «إنَّ الله تعالى عَلِم منّا أنا لا نلجأ في المهمات إلاَّ إليه ولا نتوكّل في الملمات إلاّ عليه، وعوّدنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أنْ نَعْدِل فيعدل بنا»[1]، إنّها ترنيمة سامية البيان في القرب الإلهي قلّما يجودُ بمثلها الزمن.

الحكّام المعاصرون له (عليه السلام) :

الحقبة التي عاشها الإمام الهادي (عليه السلام) ،التي امتدت نحو ثلاثة وثلاثين عاماً، عاصر فيها ستة من حكام بني العباس، وإنَّ استقراء هذه الحقبة العباسية التي عاش فيها الإمام الهادي (عليه السلام) تسلّط الضوء على هذه المرحلة من تاريخ المسلمين، وكانت في مدة إمامته (عليه السلام) بقية ملك (المعتصم) بن هارون الذي حكم بين (٢١٨هـ - حتى ٢٢٧هـ)، ثم تولّى بعده (الواثق) أبو جعفر محمد بن المعتصم بن هارون الذي حكم بين (٢٢٧هـ حتى ٢٣٢هـ)، ثم تولّى بعده (المتوكل) جعفر بن المعتصم الذي حكم

(١)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤٢.

بين (٢٣٢هـ حتى ٢٤٧هـ)، ثم تولّى بعد المتوكّل ابنه (المنتصر) الذي حكم ستة أشهر ومات سنة ٢٤٨هـ، ثم ملك بعده (المستعين) أحمد بن محمد بن المعتصم بين (٢٤٨هـ حتى ٢٥١هـ)، ثم تولّى بعد المستعين (المعتز) الذي حكم بين (٢٥١هـ حتى ٢٥٤هـ)، وقد استشهد الإمام الهادي (عليه السلام) في آخر حكم المعتز العباسي، وتُعدّ إمامة الإمام الهادي (عليه السلام) من أطول الحقب التي مرّت بإمام قياساً بحياة الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

وإليك أيها القارئ العزيز مخططاً بأسماء ملوك بني العباس الذين عاصرهم الإمام الهادي (عليه السلام) :

(١)
المعتصم (محمد بن هارون الرشيد)
٢١٨هـ - ٢٢٧هـ

(٢)
الواثق (أبو جعفر محمد بن المعتصم)
٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ

(٣)
المتوكل (جعفر بن المعتصم)
(٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ)

(٤)
االمنتصر (محمد بن جعفر المتوكل)
(٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ)

(٥)
المستعين(أحمد بن محمد بن المعتصم)
(٢٤٨هـ - ٢٥١هـ)

(٦)
المعتز (محمد بن جعفر المتوكل)
(٢٥١هـ - ٢٥٤هـ)

وفي أدناه ترجمة يسيرة لكل حاكم من حكام بني العباس الذي عاصرهم الإمام الهادي (عليه السلام) :

١-المعتصم العباسيّ :-

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد[١]، وأُمّه أم ولد يقال لها ماردة، وبايع له القواد والجند الذين كانوا مع المأمون، وبايعه العباس بن المأمون يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨هـ[٢].

وكان سديد الرأي، شديد القوة يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات، وكان موصوفاً بالشجاعة، وكان يحب العمارة، ويقول : إنَّ فيها أموراً محمودة عمران الأرض، ويزكو الخراج، وتكثر الأموال[٣].

وقال الطبري : «إنه كان لا يبالي إذا غَضِب مَنْ قتل ولا ما فعل»[٤]، وقال ابن كثير : «وكان أمّياً لا يحسن الكتابة (...) وقيل : بَلْ كان يكتبُ كتابة ضعيفة»[٥]، وكان فيه ظلم وعنف، قال الذهبيّ : «وأمير المؤمنين المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن الرشيد (...) ودولته ثماني سنين وثمانية أشهر، وكان شجاعاً مهيباً (...) وكان فيه ظلم وعنف واللهُ يسامحه لكنه أرهب الأعداء»[٦].

وكانت فيه طباع تركية ؛ لأنَّ أمَّه من الأصقاع التركية فقد كانت من السغد، واسمها (ماردة)، فهو يُحبّ الأتراك، وقد أوضح أحمد أمين اصطباغ التاريخ الإسلامي في عصر المعتصم بالصبغة التركية، قال : «من ذلك التاريخ دخل في نزاع العصبية عنصر قويّ جديد، فقد كان النزاع قبل بين الفرس والعرب، فأصبح بين العرب والفرس والترك، وكان العربُ قد ضعف أمرهم في نزاعهم مع الفرس فجاءت قوة الترك ضغثاً على إبّالة، وتوجّهت قوة الترك أولاً لإضعاف شأن هؤلاء

(١) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٣١، ومروج الذهب : ٤ / ٥٣، والكامل في التاريخ : ٦ / ٢٠٤.

(٢)ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٣١، تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ١٣٥، ومروج الذهب : ٤ / ٥٣، والفخري في الآداب السلطانية : ٢٢٩، والكامل في التاريخ : ٦ / ٢٠٤، والبداية والنهاية : ٦ / ٢٨٥٢.

(٣) ينظر : مروج الذهب : ٤ / ٥٤، والفخري في الآداب السلطانيّة : ٢٢٩.

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ١٩٤، وينظر : البداية والنهاية : ٠١ / ٢٨٦٥.

(٥) البداية والنهاية : ٠١ / ٢٨٦٤.

(٦) دول الإسلام : ١ / ١٩٧.

الفرس المستبدّين بالسلطان، وأخذ التاريخ الإسلامي يصطبغ بالصبغة التركية، وبعد أنْ كانت الأحداث تتصل بأعلام الفرس كأبي مسلم الخراساني، والبرامكة، والحسن بن سهل، والفضل بن سَهْل، وعبد الله بن طاهر وأمثالهم ظهر التاريخ مرتبطة أحداثه بأشناس، وإيتاخ، وبُغا الكبير، وبُغا الصغير، وباغر، وابن طولون، والفتح بن خاقان، ويحيى بن خاقان وأمثالهم من الأتراك إذ كانوا من القابضين على زمام الدولة، والمتصرّفين في شؤونها»(٧).

وقد جانب قاسم حسن السامرائي الصواب حينما ذكر أنَّ المعتصم لما عاد من بلاد الروم مستقراً بدار الخلافة بايعه بنو هاشم وجماعة من أهل الحلّ والعقد وقد استمر يجاري بني هاشم كما استمرت الصلات عليهم، مما يؤكد استمرار الرعاية والإكرام، وتدفق الأرزاق والصلات والأعطيات إلى بني هاشم مدة حكمه(٨)، فالمعاملة الظالمة لم تقتصر على أهل البيت وحدهم، فقد شمل تعسّف المعتصم أئمة المذاهب، فقد روي أنَّ المعتصم استدعى أحمد بن حنبل إمام الحنابلة، وامتحنه في مسألة خلق القرآن، وجَلَده جلداً عظيماً حتّى غاب عقله، وتقطع جلده، وحُبس مقيّداً ثم نُوظر من قبل عبد الرحمن بن إسحاق حتّى أقرّ بعد المناظرة بخلق القرآن، فأشهد عليه، وأطلقه إلى منزله(٩)، قال السيوطي (ت ٩١١هـ) : «فسلك ما كان المأمون عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن فكتب إلى البلاد بذلك، وأمر المعلمين أنْ يعلموا الصبيان ذلك، وقاسَى الناس منه مشقة في ذلك، وقتل عليه خلقاً من العلماء، وضرب الإمام أحمد ابن حنبل، وكان ضربه في سنة عشرين»(١٠).

وقد ذكرنا من قبل : أن ثقل وجود الأتراك على أهل بغداد، والتذمر منهم وعدم قدرة المعتصم على صدّ هؤلاء الأتراك قرّر الانتقال من بغداد إلى سامراء، فكان المعتصم يخشى الفتنة والفَوْضى، وثورة أهل بغداد، وبعض العساكر بها لسخطهم

---

(٧)ظهر الإسلام : ١ / ٦.

(٨) إتحاف العقول في أخبار آب بيت الرسول : ٦٣.

(٩) ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته : ٢ / ٥٧٣. وأعلام الهداية (الإمام الهادي (ﷺ)) : ١٢ / ٨٠.

(١٠) تاريخ الخلفاء : ٢٥٦.

على تقريب الأتراك، وهكذا كان عدم اطمئنان المعتصم للجند القدماء ببغداد وتشككه بنوايا أهل تلك المدينة، كان عاملاً مهماً للانتقال من بغداد وإنشاء مدينة سامرّاء(١)، ومن هنا فقد ارتبطت نشأة هذه المدينة (سامرّاء) به.

توفّي المعتصم سنة (٢٢٧هـ)، ودفن في قصره المعروف بالجوسق، وكانت ولايته ثماني سنين، وخلّف من الولد الذكور ستة أشهرهم هارون الواثق، وجعفر المتوكّل(٢).

مات المعتصم وهو سكران، قال الطبريّ: «قيل: إنّه دعا برطليّة فشرب منها قدحاً، وجعلتُ أزمّره وأكدِّره، وقد تناول منديلاً فما زال يبكي ويمسح دموعه فيه، وينتحب حتّى رجع إلى منزله، ولم يستتم شرباً»(٣).

وكان الإمام الهادي (عليه السلام) عندما توفي المعتصم سبع سنين من إمامته (عليه السلام)، وله من العمر أربع عشرة سنة(٤).

وقد ذكرنا من قبلُ موقف المعتصم العباسي من الإمام الهادي (عليه السلام) حينما توفي أبوه الإمام الجواد (عليه السلام) فبعث إلى عمر بن الفرج الرُّخّجي أنْ يكلّف معلماً ناصبيّاً يؤدّب الإمام الهادي (عليه السلام)، ففعل ذلك، فبهر المؤدّب الجُنيديّ من علم الإمام، وحفظه الغزير.

---

(١) ينظر: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية: ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٣٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ١٩٣، وينظر: مروج الذهب: ٤/ ٧٢، والكامل في التاريخ: ٦/ ٢٤٣ - ٢٤٤، والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٨٦٤.

(٤) ينظر: إثبات الوصية: ٢٤٥.

٢-الواثق العباسيّ :-

هارون الواثق بالله بن أبي إسحاق، أمّه أم ولد يقال له قراطيس، تولّى الحكم يوم توفي المعتصم، وهو يوم الخميس، سنة ٢٢٧هـ(٥).

قال الذهبي : «وكانت دولتُه خمس سنين وأشهراً، ولي الأمر بعهد من أبيه، وكان عالماً أديباً جيد الشعر (...) في عينه نكتة، قام في مقالة خلق القرآن، وامتحن العلماء بإشارة قاضي القضاة أحمد بن أبي داود الإيادي الجهميّ (...) فيه جبروت كأبيه، وكان قد أسرف في التمتع بالنساء بحيث أنه أكل لذلك لحم الأسد فولّد له أمراضاً تلف منها»(٦)، وكان مواظباً على شرب النبيذ ليلاً، قال الطبري : «ذكر عن عزُّون بن عبد العزيز الأنصاري أنه قال : كنا ليلةً في هذه السنة عند الواثق، فقال : لستُ أشتهي الليلة النبيذ، ولكن هلمُّوا نتحدّث الليلة (...) فقال الواثق : من منكم يعلمُ السبب الذي به وثب جدّي الرشيد على البرامكة فأزال نعمتهم»(٧).

وقد تعاطى الواثق مسألة خلق القرآن، وقتل بسببها : «أحمد بن نصر الخزاعي وكان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحضره من بغداد إلى سامراء مقيّداً وسأله عن القرآن، فقال : ليس بمخلوق، وعن الرؤية في القيامة، فقال : كذا جاءت الرواية، وروى له الحديث فقال الواثق له : تكذب، فقال للواثق : بَلْ تكذبُ أنت، فقال : ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟ إنما كَفَرْتَ بربّ وصفته، ما تقولون فيه، فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب، فدعا بالسيف، وقال : إذا قُمْت إليه فلا يقومَنَّ أحدٌ معي (...) ثم أمر بالنِّطْع فأجلس عليه، وهو مقيد فمشى إليه، فضرب عنقه»(٨).

وقد زاد نفوذ الأتراك شيئاً فشيئاً بكثرة ما كان يرد على عاصمة الخلافة من

---

(٥) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٣٦، وتاريخ الأمم والملوك : ٦ / ١٩٥، ومروج الذهب : ٤ / ١٧٤، والكامل في التاريخ : ٦ / ٢٤٦، والفخري في الأحكام السلطانية : ٢٣٥، ودول الإسلام : ١ / ١٩٧،والبداية والنهاية : ٠١ / ٢٨٦٦.

(٦)دول الإسلام : ١ / ٢٠٠ – ٢٠١.

(٧) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ١٩٦.

(٨) تاريخ الخلفاء : ٢٦٠.

بلادهم، وبما أيدوا من بسالة في حروبهم، وبما تزاوجوا وتناسلوا فالواثق بعد المعتصم استخلف سنة (٢٢٨) على السلطة (أشْنَاس التركي)، وألبسه وشاحين مجوهرين، وتاجاً مجوهراً[١].

وقد نَكَل قواد الأتراك في حكمه بكثير من الأعراب في مواضع مختلفة من جزيرة العرب، فمرّة حول (المدينة)، ومرّة باليمامة، وكان على رأس الجيش بُغا الكبير التركيّ[٢].

وبسبب تفشّي الفساد المالي، وكثرة الرشا حبس الواثق سنة (٢٢٩هـ) كتاب دولته، وألزمهم أموالاً عظيمة، ويبدو أن اجتماع الأموال عند هؤلاء الكتبة وغيرهم كان على حساب أبناء الأمة الإسلامية الذين كانوا يعانون من الفقر وحياة التقشف التي أنتجها الظلم، إلى جانب التفاضل الطبقي الفاحش[٣].

عطاؤه لبني هاشم :

في ضوء النصوص التي وقفنا عليها ظهر أنَّ الواثق كان محسناً للعلويين، وقد فرّق «أموالاً جمّة بمكة والمدينة وسائر البلدان على الهاشميين، وسائر قريش، والناس كافة»[٤]، قال أبو الفرج الأصفهاني : «وكان آلُ أبي طالب مجتمعين بسُرّ مَنْ رأى في أيّامه تدور الأرزاق عليهم حتّى تفرَّقوا في أيّام المتوكّل»[٥]، وقد أحسن إلى بني عمّه الطالبيين وبرّهم[٦]، قال ابن الأثير : «لما تُوُفّي المعتصم، وجلس الواثق في الخلافة أحسن إلى الناس، واشتمل على العلويين، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، والتعهد لهم بالأموال، وفرّق بين الحرمين أموالاً لا تُحصى حتّى إنه لم يوجد في أيامه

---

(١) ينظر : ظهر الإسلام : ١ / ٨.

(٢)ينظر : م.ن : ١ / ٨.

(٣)ينظر : أعلام الهداية (الإمام الهادي (عليه السلام)) : ١٢ / ٨٤.

(٤)تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٣٩.

(٥) مقاتل الطالبيّين : ٤٧٦.

(٦) ينظر : الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٦.

بالحرمين من سائل»[٧]، هذه المنقبة جَعَلت يحيى بن أكثم يشيد بها فقال: «ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحْسَنَ إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير»[٨].

موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من الواثق:

في ضوء حقبة حكم الواثق كان الإمام الهادي (عليه السلام) يقيم في المدينة متفرغاً للعبادة والعلم والهداية وهو في سن الشباب، فكان نجمه يعلو وشخصيّته تتركّز وقلوب الناس تهوي إليه خصوصاً في المراكز التي يكثر فيها أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ومحبّوهم في الوقت الذي كانت فيه الدولة العباسيّة يتلاعبُ فيها القواد والحواشي الأتراك، والأموال والثروة ينهبها الولاة والكتاب، وقصور الخلافة تمتلئ بالجواري والمغنين والمغنيات[٩].

وقد أخبر الإمام الهادي (عليه السلام) أحد أصحابه القادمين من العراق وهو خيران الأسباطي عن موت الواثق وتسنم جعفر المتوكل مقاليد السلطة العباسيّة، قال ابن الصباغ المالكيّ: «وعن الوشا عن خيران الأسباطي قال: قَدمتُ على أبي الحسن علي بن محمّد بالمدينة الشريفة النبوية من العراق، فقال لي: ما خبر الواثق عندك، قلت خلّفته في عافية وأنا من أقرب الناس عهداً به، وهذا مقدمي من عنده وتركتهُ صحيحاً سوياً، قال: إنَّ الناس يقولون إنّه قد مات، فلمّا قال لي: إنَّ الناس يقولون: علمتُ أنه يعني نفسه، فسكت فقال لي: ما فعل ابن الزيات، قلت الناس معه والأمر أمره، فقال أما إنّه شؤم عليه، ثم قال لابد أنْ تجري مقادير الله وأحكامه يا خيران، مات الواثق وقعد جعفر المتوكل، وقتل ابن الزيات، فقلت متى جعلت فداك فقال بعد خروجك بستة أيام فما كان إلاّ أيام قلائل حتى وصل قصاد المتوكل

(٧)الكامل في التاريخ: ٧/ ١٨. وينظر إتحاف العقول في أخبار آل الرسول: ٦٣، وسيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام): ٢/ ٥٧٤ - ٥٧٥.

(٨)تاريخ الخلفاء: ٢٦١.

(٩) سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام): ٢/ ٥٧٥.

إلى المدينة»[1].

وقد أجاب الإمام الهادي (عليه السلام) عن سؤال تعايى الفقهاء عن الجواب، فبعث إلى الإمام (عليه السلام) فأخبرهم به، فقد روى البغدادي : «قال : يحيى بن أكثم في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته : مَنْ حَلَق رأس آدم حين حجّ ؟ فتعايى القوم عن الجواب، فقال الواثق : أنا أحضُركم مَنْ يُنَبّئكم بالخبر، فبعث إلى عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فأحضر فقال : يا أبا الحسن مَنْ حلق رأس آدم ؟ فقال : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ أعفيتني، قال : أقسمت عليك لتقولَنَّ، قال : أما إذا أبيت فإنَّ أبي حدّثني عن جدّي عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر جبريل أنْ ينزل بياقوتة من الجنة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرما»[2].

لقد أراد الواثق أنْ يظهر لهم علم الإمام الهادي (عليه السلام) وهو غلامٌ ؛ لأنَّ حكم الواثق بدأ سنة ٢٢٧هـ، وكان عمر الإمام الهادي (عليه السلام) يومها خمس عشرة سنة ؛ لأنه ولد سنة (٢٢٠هـ)، وكان عمره (عليه السلام) عند شهادة أبيه الجواد (عليه السلام) نحو سبع سنين، وقد أجمع الشيعة على إمامته ورجعوا إليه، وفيهم من كبار علماء الأمّة وفقهائها ؛ لأنهم رأوا منه من العلم والمعجزات ما يقطع الشك، ويوجب اليقين، ولا عجب أنْ يعتقد الواثق بإمامة الهادي (عليه السلام) ؛ لأنه شاهد عمه المأمون يثبت للعباسيين أنَّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى، وليس بالتعلم من الناس[3].

---

(١) الفصول المهمة : ٢٦٧. (ورد في النص مرتان اسم (جبران)، والصحيح هو خـَيْرَان).

(٢) تاريخ بغداد : ١٢ / ٥٦.

(٣) ينظر : الإمام محمد الجواد (شبيه عيسى ويحيى وسُلَيمان) : ٢١٦.

وفاة الواثق :

توفي سنة (٢٣٢هـ)، قال ابن الأثير : «وقال أحمد بن محمد الواثقي (...) ثم إن الواثق مات، وسجّيناه، وجاء الفرّاشون، وأخذوا ما تحته في المجلس، ورفعوه لأنه مكتوب عليهم، واشتغلوا بأخذ البيعة، وجلست على باب المجلس لحفظ الميّت، ورددت الباب فسمعت حسّاً، ففتحت الباب، وإذا جرذ قد دخل من بستان هناك فأكل إحدى عيني الواثق، فقلتُ لا إله إلا الله هذه العين التي فتحها من ساعة فاندق سيفي هيبةً لها صارت طعمة لدابة ضعيفة وجاؤوا فغسّلوه، فسألني أحمد بن أَبي دؤاد عن عينيه فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب منها»[٤].

وقد تحامل عليه ابن كثير الدمشقي حينما ذكر وفاته بقوله : «ثمّ دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين (...) وفيها كانت وفاة الخليفة الواثق هذه السنة بعلة الاستسقاء (...) ومدة خلافته خمس سنين، وتسعة أشهر وخمسة أيام، وقيل : سبعة أيام، وثنتي عشرة ساعة (...) فهكذا أيام أهل الظلم والفساد، والبدع قليلة قصيرة»[٥].

ويرى الباحث أنَّ تحامل ابن كثير على الواثق بسبب إحسانه وإكرامه آل أبي طالب أولاً، وبسبب قوله في مسألة خلق القرآن ثانياً، وعلى الرغم من قلة مساوئه، وقبائحه قياساً بغيره من حكام بني العباس لاسيّما المتوكل الذي أهال عليه صفات التقوى والورع والصلاح غافلاً عن موبقاته، وأعماله البعيدة عن القيم الإسلامية وتعاليمها.

(٤) الكامل في التاريخ : ٧ / ١٧، وينظر : مروج الذهب : ٤ / ٧٤، والبداية والنهاية : ١٠ / ٢٨٧٧، والإتحاف بحبّ الأشراف : ٤٨٣ – ٤٨٤.

(٥) البداية والنهاية : ١٠ / ٢٨٧٥.

٣-المتوكّل العباسيّ :

يظهر انَّ طول حكم المتوكل، وكثرة الأحداث في عصره، وظلمه للخلق لاسيما أهل البيت (عليهم السلام) موجبٌ كي نتوقف عند سيرته توقفاً نخاله طويلاً من أجل تمامية البحث، وكشف الحقائق.

اسمه وبيعته :

«هو جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد»[١]، وقد أطنب البغدادي في ذكر آبائه بقوله : «جعفر أمير المؤمنين المتوكّل على الله بن محمد المعتصم بالله هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنّى أبا الفضل»[٢]، ولد بسرّ مَن رأى، ويقال «إن مولده (...) في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين ومائتين»[٣]، وأمُّه أم ولد يقال لها شجاع، وبويع في اليوم الذي مات فيه الواثق أخوه، وهو يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ويكنى أبا الفضل وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر، وقتل وهو ابن إحدى وأربعين سنة فكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال[٤].

وقيل : من أسباب مبايعته أنّه لما مات الواثق سنة (٢٣٢هـ) اجتمع في دار الخلافة أحمد بن أبي دؤاد، وإيتاخ، ووصيف، وعمر بن الفرج الرُّخجي، ومحمد بن الزيات، وأراد البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام أمرد فألبسوه فإذا هو قصير، فقال وصيف : أَمَا تتقون الله تولّون الخلافة مثل هذا، ثم تناظروا فيما يولّونه فأحضروا المتوكّل فألبسه ابن أبي دؤاد وعمّمه، وسَلَّم عليه إمارة المؤمنين، ولقبه المتوكل فكان

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢١١.

(٢)تاريخ بغداد : ٧ / ١٧٥.

(٣)م.ن : ١٢ / ١١٨.

(٤) مروج الذهب : ٤ / ٩٦، وينظر : الكامل في التاريخ : ١٩ / ٧.

ذلك إيذاناً بعهد الظلم والتعسف(٥).

سيرته :

يظهر في ضوء النصوص التي وقفنا عليها فيما يتصل بالمتوكل أنها كثيرة ومضطربة في بيان سيرته، ويبدو أن طول حكم المتوكل، وكثرة الأحداث في عصره وظلمه للخلق خصوصاً أهل البيت (عليهم السلام)، وما جرى على الإمام الهادي (عليه السلام) من إقامة جبرية، وسجن، واستهزاء، ومنع من الاتصال بمواليه وغيرها، كان لها أثر في كثرة النصوص، وتنوعها.

وقد ألمحنا من قبل : أن الأهواء، والتعصب، والمذهب الكلامي، كان لها دور في المدونات التاريخيّة التي تناولت أحداث تلكم المرحلة، فغيّرت نصوصاً، وبترت أخرى، وقلبت الحقائق من أجل إرضاء السلطة، ومداهنتها من جهة أخرى، فضلاً عن مسايرة المنظومة الدينية السائدة.

فبينما نحن نقف على نصوص تكشف ظلم المتوكل وفسقه وفجوره وإرهابه نجد في قبالها نصوص الشفاعة، والمغفرة، والتوبة التي نالها المتوكل بعد موته من شخصيات موهومة رأت المتوكّل في عالم الآخرة وهو مغفور به، ولا يخفى على البصير أنَّ هذه النصوص لا تصمد أمام الحقائق، والوثائق الصحيحة في ثبات ظلم المتوكل، وإرهابه، وفجوره، فالمؤرخون الذين ذكروا أحاديث المغفرة، والشفاعة التي نالها المتوكل، يعترفون بظلمه، وفسقه، وفجوره. قال أحمد أمين في ضُحَى الإسلام : «كان من أظلم الخلفاء، فقد مدحه أهل السنة، واغتفروا له سوء فعله لرفعة المحنة»(٦)، ويبدو أنَّ التعصب الأعمى الذي يجرّ إلى التمزق، والوحدة الإسلامية قد دفع حسن إبراهيم حسن إلى افتعال رواية من أجل بيان مفهوم إحياء السنة عند المتوكل من دون تدبّر وتحقيق، قال : «وكان المتوكّل يميل إلى أهل السنة، ويعمل على نصرتهم، وضرب بالسياط رجلاً سبّ أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة، وقد

(٥) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٢ / ٢٩٩، والإمام الهادي (أضواء من سيرته) : ٨٦ –٨٧.

(٦) ضحى الإسلام : أحمد أمين : ٣ / ١٩٩.

بدأ حكمه بنهي الناس عن القول بخلق القرآن الذي شغل الدولة العباسيّة في عهد المأمون والمعتصم، والواثق»(١)، وفي ضوء إطلاعي على كتب التاريخ التي وقعت بين يديّ ولاسيّما القديمة منها لم أجد هذا الخبر، فمن يجرُؤ على سبّ الصحابة (رضي الله عنهم)، أراد حسن إبراهيم حسن أنْ يلمع وجه المتوكّل فاصطنع له هذه الرواية فأساء، واختلق هذه الرواية من أجل المتوكّل والتغطية على أفعاله الشنيعة، فكيف يسمح هذا الكاتب لنفسه أنْ يسترسل مع هذه التهم الرخيصة.

ويبدو من النصوص التي وقفنا عليها. وقد ذكرنا قسماً منها في التمهيد، أن من أصحابه من رآه في المنام، وقد غفر الله (عزّ وجلّ) له، لأنه أحيا السنة(٢). وقد جامل ابن كثير المتوكل، ذاكراً روايات في فضله، وهي روايات المنام بعد مقلته، وهو على مائدة الخمر واللهو والفجور، مع وزيره الفتح بن خاقان، وقد شُرِّب محيي السنة خمسة عشر رطلاً من الخمر فقتله ابنه المنتصر بمعية الأتراك، ولم يكتفِ ابن كثير بذلك، بَلْ صُعِد به إلى السماء، وقائلاً يقول:

مَلِكٌ يُغادِرُ إلى مَلِيكٍ عــادلٍ مُتَفَضِلٌ في العَفْو لَيْسَ بِجَائِرِ(٣)

وقال أيضاً: «وكان المتوكّل محبّباً إلى رعيته قائماً في نصرة أهل السنة، وقد شبّهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردّة؛ لأنّه نصر الحق وردّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين (...) وقد أظهر السنّة بعد البدعة وأخمد أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله، وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور، فقلتُ: المتوكّل؟ قال: المتوكل، قلتُ فما فعل بك ربُّك؟ قال: غفر لي، قُلْت: بماذا؟ قال: بقليل من السنّة أحييتها»(٤).

لكن ابن كثير عندما يأتي إلى ذكر مقتله يقتضب النص اقتضاباً صارخاً من دون

---

(١) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم: ٣/ ١٠.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد: ٧/ ١٨٠ – ١٨١.

(٣) ينظر: البداية والنهاية: ١٠/ ٢٩١٠.

(٤) م.ن: ١٠/ ٢٩١٠.

ذكر التفاصيل طلباً لإخفاء الحقائق، وتماشياً مع النصوص التي ذكرها. وقد ذكر ابن الأثير من قبل أن المتوكّل «كان من أحسن الناس سيرة، ومنع الناس من القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من المحاسن»[٥]، وقال السيوطيّ: «ورُؤي في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بقليل من السنّة أحييتها»[٦].

ولا يخفى أنَّ المتوكّل قد توسّع بالبناء، فقد اتخذ القصر الهاروني منزلاً له، هذا القصر الذي يُعدّ من أشهر عمارات الواثق في سامرّاء وهو على دجلة، وقد آثر المتوكل هذا القصر على غيره من القصور، ويُعدّ من أكثر ملوك بني العباس عناية بمدينة سامرّاء فعمل على زيادة عماراتها، ومدّ شوارعها، ومن أشهر أبنيته بناؤه المسجد الجامع في أول الحَيْر في موضع خارج منازل المدينة، وجامع سامراء من أهم الآثار العباسيّة في منطقة سامراء، وهو يظهر بجلاء الجهود العظيمة التي بذلت في سبيل إنشائه وإظهاره بالشكل الذي يليق بمكانة العاصمة العباسية والزائر له اليوم لا يرى إلاَّ بقايا جدرانه الخارجية، ومئذنته الشهيرة بالملوية[٧].

وأحدث المتوكّل في أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه، وهو المعروف بـ (الحَيْري)، والكمين، والأروقة، وذلك أنَّ بعض سُمَّاره حَدَّثه في بعض الليالي أنَّ بعض ملوك الحيرة من النعمانية مَنْ بنى قصراً أحدث بستاناً في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيآتها للبهجة بها[٨].

وكان المتوكل سفّاحاً قاتلاً شديد القسوة، وامتدت سياط غضبه وقسوته حتى شملت كبار من يحيط به، ولمّا سخط على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات صادر أمواله وحبسه في تنور من حديد فمات فيه، ثم غضب على وزيره عمر بن الفرج الرّخجي وحبسه وصادر أمواله أيضاً، ثم قتل كبير قوّاده إيتاخ الخَزَري في سنة

---

(٥) الكامل في التاريخ: ٧/ ٩٢.

(٦)تاريخ الخلفاء: ٢٦٨.

(٧)ينظر: معجم البلدان: ٣/ ١٧٤ – ١٧٥، وموسوعة العتبات المقدسة: ١٢/ ٨٤.

(٨) ينظر: مروج الذهب: ٤/ ٩٨.

(٢٣٥هـ)[١].

ويظهر من سيرة المتوكل أنه لم يكتف بالقتل والظلم والتعسف والتعذيب، بل كان يفرض الغرامات بحجة وبلا حجّة على أصحاب الأموال، ولاسيما الوزراء والولاة وغيرهم فالفساد المالي في دولته قد استشرى فالأموال مكدّسة عند هؤلاء، والمسلمون يعانون الفقر والعوز.

وممن أصابه إرهاب المتوكّل أهل الذمّة، قال ابن الأثير في أحداث سنة خمس وثلاثين ومائتين: «وفي هذه السنة أمر المتوكل أهل الذمّة بلبس الطيالسة العسلية، وشد الزنابير، وركوب السروج بالركب الخشب، وعَمَلَ كرتين في مؤخّر السروج»[٢]، وقد علّق أحمد أمين على هذا الإرهاب، وتقيد الحريات بقوله: «ولكن مهما كان الأمر فهي حالة سيئة تدلّ على ضيق العقل ومخالفته للنظر الواسع الحكيم الذي أمر به الإسلام، ونفذه خلفاء المسلمين الأولون، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب في حكمة ورفق، وكان هذا أيضاً مما أفسد قلوب عدد كبير من الرعية كان مستخدماً من قبل في مصلحة الدولة، وحرّك عدد منهم للثورة»[٣]، ويرى المستشرق ريتشارد كوك في كتابه (بغداد مدينة السلام) أن المتوكل قد أصدر مراسيم «خاصة بإجبار النصارى واليهود على لبس لباس خاص بهم، ومعاناة أنواع أخر من الإهانات، ولقد كانت شخصية المتوكّل من أسوء الشخصيات، وأنحسها حتى أطلق عليه (نيرون العرب)، لما كان بحالة سكر دائم صارت سطوته على أمور الدولة وشؤونها تتضاءل يوماً بعد يوم حتى أدى به الأمر إلى أن أقدم على اغتياله الحرس الأتراك بالتواطؤ مع ابنه»[٤].

وقد أحيا المتوكل القوانين المهجورة التي سنت ضدّ النصارى من قبل، وقد حتّم عليهم بذلك أنْ يرسموا صورة الشيطان على أبواب بيوتهم، ويدفعوا رسوماً، وضرائب خاصة بهم، ويلبسوا لباساً أصْفَر يميَّزون به عن الغير، ومُنعوا من تولي أية

(١)ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٣٤٠، ومروج الذهب: ٤ / ٩٩، والكامل في التاريخ: ٧ / ٣٠ – ٣١.

(٢) الكامل في التاريخ: ٧ / ٢٧، وينظر: دول الإسلام: ١ / ٢٠٦، وتاريخ الخلفاء: ٢٦٥.

(٣)ظهر الإسلام: ١ / ٤٤.

(٤) موسوعة العتبات المقدسة: ١٢ / ٢٥٠ – ٢٥١.

وظيفة حكومية، كما منع أولادهم من تعلّم العربية(٥).

ظلمه لأهل البيت لاسيّما الإمام الهادي (عليه السلام) :

عاصر المسلمون هذه المدة الطويلة من أيام المتوكّل، وكانت من أشد العهود المظلمة على أهل البيت (عليهم السلام)، وقد بدا عهد الظلم والجور للعلويين، وانتهى عهد السلم والصفاء فلم يكن المتوكل يعمل بأوامر الكتاب العزيز في التزام العدل والمساواة بين الرعية، وفرض العدل الاجتماعي، وعدم العمل بالشورى مع فئات المجتمع، والاستئناس برأي أهل النظر ومعرفة الصواب، وكذلك عدم استماعه إلى نصيحة العلماء وأهل النظر المشفقين، والمخلصين، بل كان يصغي إلى جلاوزته، والجواسيس، والمتملقين(٦).

إنَّ أهمّ مظاهر عداء المتوكل العباسي لأهل البيت لاسيما الإمام الهادي (عليه السلام)، هي:-

أ-بغضه خليفة المسلمين أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب (عليه السلام)) :

عُرف المتوكّل ببغضه أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب (عليه السلام))، والحطّ من منزلته (عليه السلام)، وقد بان أمره، وظهر نصبه وكان يقصد من يبلغه أنَّه يتولّى علياً وأهله بإزهاق روحه، وأخذ ماله، وكانت مجالسه مشهورة بالنصب، والبغض لعلي (عليه السلام) وأولاده، روى أبو الفرج الأصفهاني أنَّ المتوكل «كان (...) شديد الوطأة على آل أبي طالب غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن، والتهمة لهم، واتفق له أنّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يُسيء الرأي فيهم فحسّن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحدٌ من خلفاء بني العباس قبله»(٧)، وقيل: إن المتوكّل كان يبغض من تقدّمه من الخلفاء: المأمون، والمعتصم، والواثق في محبّة علي وأهل بيته، وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض

(٥) م.ن: ١٢/ ٢١٠.

(٦) ينظر: الإمام الهادي (أضواء من سيرته): ١٢٩.

(٧) مقاتل الطالبيين: ٤٧٨.

لعلي، منهم : علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة بن لؤي، وعمر بن فرج الرُّخجي، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أميّة، وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بـ (ابن أترجه)، وكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم ثم حسنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين[1].

وقد ذكرنا من قبل ما كان يفعله أحد ندماء محيي السنة (المتوكل) !!، وهو عبادة المخنّث في الاستهزاء بسيد الموحّدين، وإمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والمتوكل يشرب الخمر ويضحك، فانتفض ابنه المنتصر ملتفتاً إلى عبادة يتهدّده فسكت خوفاً منه، وكان المخنّث «يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة، ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكّل والمغنون يغنون قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين يحكى بذلك عليّاً (عليه السلام)، والمتوكّل يشرب ويضحك»[2]، وقد علق ابن الأثير على هذا الفعل الشنيع، والعمل القبيح بقوله : «فغطّت هذه السيئة جميع حسناته»[3].

ب-هدمه قبر الإمام الحسين (عليه السلام) :

أطبقت الروايات على فعلة المتوكّل الشنعاء بهدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وهدم ما حوله من المنازل، والدور، وأنْ يَبْذر ويسقى موضع قبره، وأنْ يمنع الناس من إتيانه، قال الطبري : «السنة السادسة والثلاثون والمائتان (...) فيها أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ صلوات الله عليه، وهدم ما حوله من المنازل والدور وأنْ يحرث ويبذر وسقي موضع قبره (عليه السلام)، وأنْ يمنع الناس من إتيانه، فذكر أنَّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية : مَنْ وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق فهرب

(١)ينظر : الكامل في التاريخ : ٧/ ٢٥ – ٢٦، والفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ : ٧/ ١٩.

(٣) م.ن : ٧/ ٢٠، وللمزيد من أخبار هذا النديم المخنّث (عبادة) ، ينظر : الإمام علي الهادي (عليه السلام) عمرٌ حافل بالجهاد والمعجزات : علي الكوراني : ٢٣ – ٢٦.

الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحُرث ذلك الموضع، وزرع ما حواليه»[٤]، وقال ابن كثير : «ونودي في الناس من وجد هنا بعد ثلاثة أيَّام ذهبت به إلى المطبق، فلم يبق هناك بشر، واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل»[٥]، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني السبب في كرب قبر الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله : «كان السبب في كرب قبر الحسين أنَّ بعض المغنّيات كانت تبعث بجواريها إليه قبل الخلافة يغنين له إذا شَرب، فلمّا وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين، وبلَغها خبره فأسرعت الرجوع، وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها : أين كنتم ؟ قالت : خرجت مولاتي إلى الحجّ وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان، فقال: إلى أين حججتم في شعبان ؟

قال إلى قبر الحسين، فاستطير غضباً وأمر بمولاتها فحبست، واستصفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له : الديزج وكان يهوديّاً فأسلم إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراب كلّ ما حوله فمضى لذلك وخرّب ما حوله، وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله ووكّل به مسالح بين كلّ مسلحتين ميل لا يزوره زائر إلاَّ أخذوه ووجهوه به إليه»[٦].

وقد تابع باقر شريف القرشي أبا الفرج الأصفهاني في هذا الرأي، وهو سبب لا يصمد أمام الواقع والدوافع التي دفعت المتوكل على هدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، فالنصب والعداء وبغض أهل البيت (عليهم السلام) كان منهج المتوكل وديدنه، فهذه الجريمة الشنعاء كان مخططاً لها، فقبره الشريف، رمزٌ خالدٌ يغذّي روح الحبّ والولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، ويستقطب مشاعر الأمّة، وهو عَلَمٌ تلتفّ حوله الأتباع والأنصار فأمر بهدمه، وهدم بيوت الساكنين من حوله، وإجراء الماء عليه وحرثه، وفرض العقاب على من يزوره أو يتقرّب منه، فضلاً عن ذلك فإن ربط

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٥)البداية والنهاية : ١٠ / ٢٨٨١.

(٦) مقاتل الطالبيين : ٤٧٨ – ٤٧٩. (مسالح وأحدها مسلحة : نقاط حراسة، ومراقبة).

هدم القبر الطاهر بزيارة المغنية الفاسقة التي ذكرها أبو الفرج الأصفهاني أمر مردود، فالذي يذهب إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يكون عارفاً بحقّه، لازماً لمبادئه، ومن هنا تسقط الحجّة الواهية التي ذكرها أبو الفرج ؛ لتبرير عمل السلطة العباسيّة في أيام المتوكل، زيادة على ذلك فالدافع لهدم القبر الشريف كان دينيّاً حتى لا يخلط الناسُ بين الحجّ وبين الزيارة وهذا يعتمد على فهم مخطوء ومغلوط مفاده : أن المتوكل كان يهتم بالسنة، ويسعى لإحيائها، والذي يبدو للباحث أن إحياء السنة التي ذكرها المؤرخون هي النصب، والعداء لـ(علي بن أبي طالب (عليه السلام))، وأولاده (عليهم السلام)، في ضوء بغضه أمير المؤمنين (عليه السلام) والحطّ من منزلته، والاستهزاء به من جهة، وهدم قبر سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام)، وقد أطبقت الروايات على هذا العمل الدَّنيء.

وقد تنبّه حسن إبراهيم على هذا العمل بقوله : «لكن المتوكّل أساء إلى نفسه بسياسة العنف التي أنتجها في معاملة العلويين، فأمر في سنة (٢٣٦هـ) بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من الدور وأن يحرث ويبذر، ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه»[١].

وقد أثار المتوكل بهذه السياسة حفيظة المسلمين لاسيّما أهل بغداد الذين ردُّوا على الإهانات التي ألحقها بالعلويين بسببّه في المساجد، والطرقات[٢]، فكانت تمتلئ ليلاً بكتابات خلاصاتها النيل منه، ورميه بالنصب والإلحاد[٣]، وقد شاعت أبيات حفظها الناس، وهي لشاعر أخفى اسمه خوفاً من السلطة الجائرة، قيل : إنّها لـ(ابن السكيّت)، وقيل : إنها لـ(البساميّ)، وقيل لغيرهما، وهي :

تــاللهِ إن كــانـــت أمية قد أتَتْ   قَـتْـلَ ابنِ بنتِ نبيّها مَظْلُوما

(١) تاريخ الإسلام : ٣/ ١١.

(٢) ينظر : م.ن : ٣/ ١١.

(٣) ينظر : العتبات المقدسة : ١٢/ ٢٥٩.

فـلـقـد أتـــــاه بـنو أبيْه بِمِثْلِهِ هَـذا لِـعَـمْرُك قَبْرُهُ مَـهْدُوْما

أسِفُوا على أنْ لا يكونوا شاركوا فـي قَـتْـلِه فَتَتَبّعـــُوْه رَمِيْما[٤]

ج-إشخاص الإمام الهادي (عليه السلام) إلى سامرّاء :

أقدم المتوكل إلى إشخاص الإمام الهادي (عليه السلام) من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بغداد ثم إلى سُرّ مَنْ رأى، فقدّمها وأقام بها عشرين سنة، وتسعة أشهر إلى أنْ توفي ودفن بها في أيام المعتز بالله. وقد سار المتوكل على نهج مَن سبقوه في التعامل مع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في ضوء استدعائه، (عليه السلام)، من مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سامراء، وعزله عن أوساط الأمّة مع علمه أنَّ دور الإمام (عليه السلام) في المدينة لا يعدّ كونه مبلّغاً لرسالة جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومحافظاً على سنته، ومبادئ كتاب الله تعالى، وليس همّه السلطة، ولا تنزع نفسه الكريمة إلى شيء من متاع الدنيا وزخرفها[٥].

وأوّل بوادر السوء في نفس المتوكّل هو وصيّتُه إلى قائده يحيى بن هرثمة ومَنْ كان معه بتفتيش دار الإمام تفتيشاً دقيقاً ؛ وذلك لأن أجهزة الحكم في المدينة أخبروه افتراءً بأن دار الإمام مقرّاً للسلاح، والرجال المعارضين للسلطة العباسيّة وأنه (عليه السلام) ينوي الإطاحة بهذه السلطة، فلمّا دخل يحيى بن هرثمة المدينة وأبان عن نواياه أحسَّ الناس بالشرّ، وخافوا على أبي الحسن (عليه السلام) من شرّه ؛ لأنهم يعرفون ما يضمره المتوكّل من الحقد والسوء لأهل البيت (عليهم السلام) لذلك ضجُّوا ضجيجاً عظيماً، وأصابهم الخوف والقلق حتّى هدّأهم قائد المتوكّل ابن هرثمة[٦].

وقد لقي الإمام الهادي (عليه السلام) من المتوكل العباسي أصناف الظلم من إقامة جبرية، وحصار اقتصادي، وسجن، وقتل، فقد ضاق المتوكل ذرعاً بوجود الإمام وسعى إلى

(٤)ينظر : تاريخ الخلفاء : ٢٥٦، ومنتهى الآمال : ٢ / ٥٠٢، وحياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٣٦٥.

(٥) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٢ / ٣٠٨.

(٦)ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٢ / ٣١٢، والأئمة الاثنا عشرة (سيرة وتاريخ) : ٤٤٣، وأعلام الهداية (الإمام الهادي (عليه السلام)) : ١٢ / ٩١ - ٩٢.

قتله مراراً بطريقة الاغتيال المكشوف تارة، وأخرى بالإيعاز إلى بعض جلاوزته ذلك بعد فشل المحاولات في استمالته، أو التأثير على شيعته ومحبيه[1].

وسنفصل الحديث – إذا شاء الله (عزّ وجلّ) – عن موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من هذه الأحداث التي واجهته (عليه السلام) في المبحث الثالث.

د-قَتْلُ الموالين من العلويين :

لما تولّى المتوكل تفرّق آل أبي طالب في النواحي، وقد استعمل على المدينة، ومكة عمر بن الفرج الرخّجي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أنَّ أحداً أبر أحداً منهم بشيء وإن قلّ إلاَّ أنهكه عقوبة، وأثقله فرماً، حتى كان القميصُ يكون بين جماعةٍ من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقّعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر إلى أن قتل المتوكّل، فعطف المنتصر عليهم، وأحسن إليهم، ووجّه بمال فرّقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله، ومضادة مذهبه طعناً عليه، ونصرة لفعله[2].

وقد لقي الطالبيّون لاسيما أبناء علي وفاطمة أشدّ الأذى والاضطهاد فقد كان يُعَاملهم بقسوة وكراهية شديدة، وكان يضيّق عليهم.

وقد تعرض الموالون من شيعة الإمام الهادي (عليه السلام) إلى الاضطهاد والظلم والقتل، قال السيوطي : «وفي سنة أربع وأربعين قتل المتوكل يعقوب بن السكّيت الإمام في العربية فإنّه ندبه إلى تعليم أولاده فنظر المتوكل يوماً إلى ولديه المعتز والمؤيد، فقال لابن السكيت : مَنْ أحبُّ إليك هما أو الحسن والحسين ؟ فقال : قنبر يعنى مولى عليّ خير منهما، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل : أمر بسلّ لسانه فمات، وأرسل إلى ابنه بديته»[3].

(١)ينظر : الإمام الهادي (عليه السلام) (أضواء من سيرته) : ١٢٥.

(٢) مقاتل الطالبيين : ٤٧٩ – ٤٨٠.

(٣) تاريخ الخلفاء : ٢٦٦، وينظر : ظهر الإسلام : ١ / ٤٢، وسيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٧٩.

وقد منع المتوكّل شيعة الإمام الهادي (عليه السلام) من الدخول عليه، وكان ذلك من الأهداف المهمة من إشخاص الإمام (عليه السلام) إلى مدينة سامراء، وتابعت أجهزة المتوكل وعيونه بعض الملازمين للإمام (عليه السلام) والقائلين بإمامته من شيعتهم الكرام لتوصّل كلّ ما يبدو منهم إلى أسماع الطاغية فيأمر برميهم من أعالي الجبال، أو قطع أرزاقهم، أو حبسهم لمدة طويلة، وقتل بعضهم بأبشع أنواع القتل، وكان ينجو بعضهم بلطف الله (عزّ وجلّ)، وببركة دعاء الإمام الهادي (عليه السلام) له.

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني مجموعة من العلويين قد تعرّضوا إلى النفي والاضطهاد، : «فغلب الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد على طبرستان ونواحي الديلم، وخرج بالري محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين يدعو إلى الحسن بن زيد فأخذه عبد الله بن طاهر فحبسه بنيسابور فلم يزل في حبسه حتى هلك (...) ثم خرج من بعده بالري أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يدعو إلى الحسين بن زيد، وخرج الكوكبي وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»[٤].

(٤) مقاتل الطالبيين : ٤٩٠.

مَقْتَلُهُ :

أطبقت المصادر التي وقفنا عليها أن المتوكّل قتل على يد ابنه المنتصر سنة (٢٤٧هـ)، وهو في مجلس لهوه يشرب الخمر[١].

قال ابن الأثير : «قال بُغا : إنَّ أمير المؤمنين أمرني أنَّه إذا جاوز السبعة لا أترك أحداً، وقد شُرّب أربعة عشر رطلاً»[٢].

وقد أسهب في ذكر قصة مقتله، ويبدو أنَّ المسعودي كان أكثر توثيقاً، فقد ذكرها برواية شاعره البُحتُري، نكتفي منها بذكر موضع الحاجة، قال البحتري : «اجتمعنا ذات ليلة مع الندماء في مجلس المتوكّل فتذاكرنا أمر السيوف، فقال بعض مَن حضر : بلغني يا أمير المؤمنين أنه وقع عند رجلٍ من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم يُرَ مثله فأمر المتوكل بكتاب إلى عاملِ البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ (...) فلما كان من الغداة قال للفتح : اطلب لي غلاماً تثق بنجدته وشجاعته ادفع له هذا السيف ليكون واقفاً به على رأسي لا يفارقني في كل يوم ما دمْتُ جالساً (...) حتى أقبل باغر التركي، فقال الفتح : يا أمير المؤمنين : هذا باغر التركي قد وصف لي بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما أراد أمير المؤمنين، فدعا به المتوكّل، فدفع إليه السيف (...) قال البحتري : لقد رأيت من المتوكل في الليلة التي قتل فيها عجباً، وذلك إنّنا تذاكرنا أمر الجبر، وما كانت تستعمل الملوك من الجبرية (...) ثم قصد للشراب فلمّا عمل فيه غنّى من حَضَره من المغنّيين صوتاً استحسنه (...) وسكر المتوكل سكراً شديداً، قال : وكان من عادته أنَّه إذا تمايل عند سكره أنْ يقيمه الخدم الذين عند رأسه، قال : فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل إذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الأتراك وهم متلثمون والسيوف في أيديهم (...) فهجموا علينا، وأقبلوا نحو المتوكل

---

(١) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٣٧٦ – ٣٧٧، وتاريخ الطبري : ٦ / ٢٤٥،٦ / ٢٤٧، ومروج الذهب : ٤ / ١٣٢ – ١٣٤، وتاريخ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة ومعجزاتهم المسمى بـ (الهداية الكبرى) : ٣٧٦ – ٣٧٧، وتاريخ بغداد : ٧ / ١٨٠، الكامل في التاريخ : ٧ / ٦٤، والفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٧، ودول الإسلام : ١/ ٢١٨، والبداية والنهاية : ١٠ / ٢٩٠٩، وتاريخ الخلفاء : ٢٦٧، وتاريخ الإسلام : ٣ / ١٢.

(٢)الكامل في التاريخ : ٧/ ٦٤ / ٧٤.

حتى صعد باغر وآخر معه من الأتراك على السرير فصاح بهم الفتح، ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضراً من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم، فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم، ويمانعهم، قال البحتري : فسمعت صيحة المتوكّل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكّل دفعه إليه على جانبه الأيمن فقدّه إلى خاصرته، ثم ثنّاه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك،وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحدٌ منهم بالسيف الذي كان في بطنه فأخرجه من متنيه»[٣].

وقد ذكرنا من قبلُ نصّاً مهماً مفاده : «أن المنتصر بن المتوكّل قد أفتى العلماء بقتل أبيه، بعد أن ذكر لهم أموراً قبيحة في حقِّ أبيه نأى الطبري وكره أن يذكرها[٤]، وقد استهزأ المتوكل بابنه المنتصر في مجلس، وأمر وزيره الفتح بن خاقان أنْ يلطمه، فلطمه مرتين، يمر يده ثم التفت إليه فقال : سميتك المنتصر فسماك الناس لحمقك المنتظر، ثم صرت الآن المستعجل، فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل عليّ مما تفعله بي، فقال : اسقوه، ثم أمر بالعشاء فأحضر وذلك في جوف الليل، فخرج المنتصر من عنده، وأمر بُنَاناً غلام أحمد بن يحيى أنْ يلحقه، فلمّا خرج وضعت المائدة بين يدي المتوكّل يأكلها ويلقم وهو سكران»[٥].

وقد أشاعوا أنَّ الفتح قتله فقتلناه به، وجلس ابنه على السرير بعده، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين[٦].

وقد ذكر القرشي إن المنتصر قتل أباه لسببين بحسب أقوال المؤرخين : الأول: الاستهزاء والازدراء والاحتقار الذي لقيه من أبيه المتوكل شتماً وضرباً وسقيّاً فوق طاقته، والثاني : إن المنتصر كان شديد الميل لأمير المؤمنين (عليه السلام) ولأبنائه (عليهم السلام) وكان ذلك هو السبب المهم حسبما يقول المؤرخون على إقدامه على قتل أبيه[٧].

---

(٣) مروج الذهب : ٢ / ١٣٢ - ١٣٤، وينظر : الإتحاف بحبّ الأشراف : ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٦٠، وينظر : الكامل في التاريخ : ٧ / ٥٥.

(٥) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٤٥.

(٦)ينظر: الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٧.

(٧) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٩٢٣.

إنَّ القول : إن المنتصر قتل أباه حُبّاً بآل البيت (عليهم السلام) ولاسيما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ودفاعاً عن مظلوميتهم يُعدّ سبباً ثانوياً – إن تنزّلنا على قبوله – فالمدقق لا يخفى عليه أنَّ بني العباس الذي عرفوا بحبّ السلطة، والرياسة، وتزاحمهم على الدنيا يقومون بكل ما أوتوا من قوة من أجل الاستيلاء على كرسي الحكم، ومن هنا فإنَّ المنتصر ليس بدعا عن آبائه في حبّ الحكم والتسلط وفاقاً لأسلافه، وقد تنبّه أبو الفرج الأصفهاني على أنَّ المنتصر كان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله، ومضادة مذاهبه طعناً عليه، ونصرة لفعله[١]، إذا ما استثنينا السبب الإلهي، والغضب الربّاني الذي حَلَّ بالمتوكل بسبب ظلمه للعباد من جهة، وظلمه لأهل بيت النبوة من جهة أخرى، فضلاً عن قيامه بهدم قبر ريحانة المصطفى الإمام الحسين (عليه السلام)، وانحرافه.

إنَّ خشية القادة الأتراك من تعاظم نفوذ المتوكل وسلطته وسطوته ولاسيما هم يدركون أنَّه إذا غضب من أحد فإنَّه هالك لا محالة مثلما فعل باثنين من وزرائه أحمد بن داود، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وقتله إيتاخ التركي فتغلغل الأتراك وخوفهم من هذا التسلط فضلاً عن انتقاله إلى مدينة الجعفرية (المتوكلية) ولدّ عدم الرضا والاستياء من هؤلاء فمكثوا في سامراء، والحقد يملأ صدورهم فأخذوا يتحيّون الفرصة للانقضاض عليه، والقضاء على سلطته[٢].

وقد أشار المستشرق دونالدسون أنَّ العدل الإلهي قد اقتصّ منه فقتله ابنه، وتهدّمت قصوره فغدت خرائب ؛ لأنَّ أوعز إلى جلاوزته بهدم قبر الحسين (عليه السلام) في كربلاء، ومنع الزوار من زيارته ردحاً من الزمن[٣].

ولا تعجب أيها القارئ العزيز مما حَلَّ بالمتوكّل، قال تعالى :﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(الشعراء / من الآية ٢٢٧)، فقد أذاق الإمام الهادي (عليه السلام) أنواع العذاب، وأصناف المعاملة السيئة، والذلّ والهوان، والله (عز وجل) يسلط الظالمين

(١) ينظر : مقاتل الطالبيين : ٤١٩.

(٢)ينظر : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية : ١٥١ – ١٥٢.

(٣) ينظر : العتبات المقدسة : ١٢ / ٢٦٥.

بعضهم على بعض، قال تعالى :

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾(هود / من الآية ١٠١)، وقد أكثر الشعراء في ذلك العصر من وصف ما أصاب البلاد من سوء الحال، وتحكم الأتراك في ملوك بني العباس، وما عمّ الناس من الفوضى والاضطراب.

وقد استقبل العلويون وشيعتهم نبأ هلاك المتوكّل بمزيد من الابتهاج، والأفراح، فقد استجاب الله (عزّ وجلّ) لوليه الإمام الهادي (عليه السلام) دعاءه، وأهلك ألد خصومه، وأعدائه[٤].

(٤)ينظر : أعلام الهداية (الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)) : ١٢ / ١١٢.

٤-المنتصر العبّاسيّ :

بويع محمد المنتصر بن جعفر المتوكل في الليلة التي قُتِل فيها أبوه سنة (٢٤٧هـ) وكانت خلافته ستة أشهر وتوفي يوم السبت سنة (٢٤٨هـ)(١)، وأمُّه بيزنطية تُدعى (حبشيّة)، ويبدو أنَّ المنتصر كره العيش في المدينة التي أقامها والده فقد ذكر المؤرخون أنه انتقل إلى سامراء بعد عشرة أيام من عائلته وقواده وجنده، وأمر الناس أنْ يهدموا المنازل ويحملوا المتاع إلى سُر مَنْ رأى، وصار الموضع موحشاً لا أنيس به، ولا ساكن فيه والديار بلاقع كأنها لم تعمد ولم تسكن(٢).

وذكر ابن الأثير أن «المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعة من الفقهاء، وأعلمهم بمذاهبه، وحكى عنه أموراً قبيحة كَرِهَتْ ذكرها، فأشاروا بقتله»(٣).

سيرته :

كان المنتصر فيما وصفوه «شهماً فاتكاً سفّاكاً كالدم، لما قتل أباه تحدّث الناس بأنّه لا يطول له العمر بَعْدَه»(٤)، ولما أفضت الخلافة إليه كان يكثر إذا سَكَر قتل أبيه المتوكل، ويقول في الأتراك هؤلاء قتلة الخلفاء(٥). وكعادته أراد ابن كثير أنْ يلمع صورة أبيه المتوكل، فأظهر المنتصر، وهو يبكي، وينتحب شديداً، والمتوكّل يعاتب ابنه لما فعله كأنه وليٌّ من الأولياء، «قال بعضهم : دخلنا عليه يوماً فإذا هو يبكي وينتحب شديداً، فسأله بعضُ أصحابه عن بكائه، فقال : رأيْتُ أبي المتوكل في منامي هذا، وهو يقول : ويلك يا محمّد قتلتني وظلمتني وغصبتني خلافتي، واللهِ، لا أقمت بها بعدي إلاّ أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار»(٦).

---

(١) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٣٤٧، وتاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٥٩، ومروج الذهب : ٤ / ١٤٣، وتاريخ البغدادي: ٢ / ١١٨.

(٢) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٥٠.

(٣) الكامل في التاريخ : ٧ / ٥٥.

(٤) الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٩.

(٥) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٦٠.

(٦) البداية والنهاية : ١٠ / ٢٩١٢.

ومن الجدير بالذكر أنَّ المنتصر كان محسناً للعلويين، ويظهر الميل إلى أهل البيت (عليهم السلام)، ويخالف أباه المتوكل في أفعاله، فلم يجر منه على أحدٍ منهم قتل، أو حبس، ولا مكروه[٧]. وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة، وخوف على دمائهم، قد مُنعوا زيارة قبر الحسين، والغريّ من أرض الكوفة، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد، ولم تزل الأمور على هذا الأمر إلى أن استخلف المنتصر فأمن الناس، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب، وترك البحث عن أخبارهم، وأنْ لا يمنع أحدٌ زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، وأطلق أوقاف آل أبي طالب، وترك التعرض لشيعتهم، ودفع الأذى عنهم[٨].

قال ابن الأثير: «وأمر بردّ فدك إلى ولد الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، وذُكر أنَّ المنتصر لما ولّي الخلافة كان أول ما أحدث أنْ عزل صالح بن علي عن المدينة، واستعمل عليها علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد، قال علي: فلما دخلت أودّعه، قال لي: يا عليُّ، إنّي أوجّهك إلى لحمي ودمي، ومدّ ساعده وقال: إلى هذا أوجّه بك، فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم يعني آل أبي طالب، قال: أرجو أنْ أمتثل أمر أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى فقال: إذا تسعد عندي»[٩].

إنَّ هذه الألطاف من قبل المنتصر ستذكر على امتداد التاريخ بالشكر الجزيل، والامتنان الكثير، والثناء العاطر، فقد برهن على عدم السقوط فيما أنزلق فيه المتوكّل – أبوه – إلى هوّة سحيقة أوجب له المذمّة، والخزي، والعار في درب الدنيا، والعذاب الخالد في دار الآخرة[١٠].

ويبدو في ضوء تتبعنا المصادر التي وقفنا عليها أنها لم تذكر أيّ التقاء بين الإمام الهادي (عليه السلام)، والمنتصر، ولم تشر إلى أيّ بادرة جرت بينهما، والشيء المؤكّد أنَّ الإمام

---

(٧) ينظر: مقاتل الطالبيين: ٥٠٤، وتاريخ الخلفاء: ٢٧٣.

(٨) ينظر: مروج الذهب: ٤/ ١٤٩ – ١٥٠.

(٩) الكامل في التاريخ: ٥/ ٥٥. وينظر: تاريخ الخلفاء: ٢٧٣، وظهر الإسلام: ١/ ٤٤، وتاريخ الإسلام: ٣/ ١٣.

(١٠) ينظر: حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام): ٣٣٣.

(عليه السلام) كان مسروراً من الأعمال التي اتخذها المنتصر تجاه العلويين، والتي عادت إليهم الأمن والسلام والاطمئنان والاستقرار بعد أنْ فقدوها أيام المتوكل[1].

مقتله :

اختلف المؤرخون في سبب موته، فلم «يتمتع بالملك إلاَّ ستة أشهر»[2]، فقيل أصابته الذبحة في حلقه، ويقال : إنَّ الطيفوري سمّه في محاجمه سنة (٢٤٨هـ)، ودفن في سامراء، من موضع يقال له الجوسق[3].

والذي يبدو أنَّ المنتصر سُمّ عن طريق الطبيب الطيفوري في مِشراط حجمه له، بتدبير من الأتراك، لأنه «عزم على تفريق جمع الأتراك»[4]، قال الذهبي : «إنَّ أمراء الترك خافوه فلما حُمّ دَسُّوا إلى الطبيب ثلاثين ألف دينار فقصده بريشة مسمومة»[5]، وهو أول من أُظهر قبره من ملوك بني العباس وكان عمره أربعاً وعشرين سنة[6].

(١) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٢ / ٣٤٨. وحياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٣٤.

(٢) تاريخ الخلفاء : ٢٧٣.

(٣) ينظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ١٢٠، والكامل في التاريخ : ٧ / ٥٤.

(٤) مروج الذهب : ٤ / ١٤٨.

(٥)دول الإسلام : ١ / ٢٢٠.

(٦) ينظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ١٢٠.

٥-المستعين :

سيرته :

هو «أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين، ويُكَنَّى أبا العباس (...) تولّى الخلافة سنة ثمانية وأربعين ومائتين»[٧]، ولما مات المنتصر اجتمع الأمراء وأكابر المماليك وقالوا : متى ولينا أحداً من ولد المتوكّل طَالَبَنا بدمه وأهلكنا، فأجمعوا على مبايعته وقالوا : هو ابن مولانا المعتصم، فإذا بايعناه لم تخرج الخلافة من ولده المعتصم[٨].

وكان المستعين لعبة بيد الأتراك، ولم يكن له أي نفوذ سياسي في جهاز دولته، قال ابن الطقطقا : «كان مستضعفاً في رأيه وعقله وتدبيره، وكانت أيّامه كثيرة الفتن، ودولته شديدة الاضطراب»[٩]، وقد تنكر له الأتراك لمّا قتل وصيفاً وبُغا، ونفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل، ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر حتى قيل في ذلك :

خليفةٌ في قَفَص   بَيْن وَصيْف وبُغا
يقول ما قالا له   كما تقولَ البَبَغا[١٠]

وقد أحسّ أحد الشعراء حال بني العباس في زمن المستعين :-

خُـلعَ الخلافةَ أحمدُ بن محمد   وسـيقتل التالي له أو يُخْلَعُ
ويزول مُلْكُ بني أميه ولا يُرَى   أحـدٌ تـملَّك منهم يستمتعُ
إيـهـاً بني العباس إنَّ سبيلكم   في قتل أعْبَدِكُم طريق مَهْيَعُ
رقّـعـتـم دنـياكم فتمزّقت   بـكم الحياة تمزُّقاً لا يُدْقَعُ[١١]

(٧) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٦١، مروج الذهب : ٤ / ١٠٩، تاريخ بغداد : ٥ / ٢٩٠، تاريخ الخلفاء : ٢٧٤.

(٨) ينظر : الفخري من الآداب السلطانية : ٢٤٠، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٢٥.

(٩) الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤١.

(١٠)ينظر : تاريخ الخلفاء : ٢٧٤.

(١١) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣١١، والكامل في التاريخ : ٧ / ٧٩ - ٨٠.

الثورات الشيعية :

وفي زمن المستعين كثرت الثورات الشيعيّة المناهضة لهذا الحكم الظالم، الذي أصبح الخليفة بعيداً عن الناس، وتحكّم الأتراك بجهاز الدولة، فكثر الظلم، والفقر والاضطهاد من جانب، فضلاً عن ذلك تفاقم الصراع من أجل السلطة بين المستعين، والمعتز بن المتوكّل فوقعت بينهما وقعات، ودام القتال أشهراً، وغلت الأسعار، وعظم البلاء، فَسَعَى الأتراك في الصلح على خلعه، وتعين المعتز.

ومن الثورات التي حدثت في زمن المستعين، خروج (علي بن عبد الله الطالبي المسمّى بـ (المرعشي)، وإسماعيل بن يوسف العلوي، والحسين بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بـ (الكركي)، وإسماعيل يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)[1].

ومن أهم هذه الثورات التي حدثت في حكم المستعين ثورة الشهيد يَحْيَى بن عمر، قال أبو الفرج الأصفهاني : «وممن خرج في أيام المتوكّل وقتل في أيام المستعين أبو الحسن يَحْيَى بن عمر بن يَحْيَى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)»[2]، وقد أجمع المؤرخون ممّن ذكر وأخبر خروج يحيى بن عمر (قتيل شاهي) أنَّه خروجه كان بسبب أزمة مالية، فقد نالته ضيقة، ولزمه دين ضاق به ذرعاً، فَلقِي عمر بن فرج الرُّخّجي فأغلظ عليه القول، وكذلك سأل وصيفاً التركي فنهره، وقال له : لأيّ شيء يُجْرَى على مثلك ؟ فانصرف وخرج حتى قتل سنة (٢٥٠هـ) وحمل رأسه فنصب بسامراء[3].

والذي يبدو أنَّ رواية خروجه طلباً للمال بسبب الأزمة المالية التي مرّ بها الشهيد يَحْيى بن عمر هي من صنع العباسيين من أجل إفراغ الثورة من محتواها وهدفها

---

(١)ينظر : الكامل في التاريخ : ٧/ ٧٦ – ٧٩، ومقاتل الطالبيين : ٤٣١ – ٤٣٢.

(٢) مقاتل الطالبيين : ٥٦٠.

(٣) ينظر : م.ن : ٤١٩، والكامل في التاريخ : ٦ / ٢٦، والفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٠ – ٢٤١.

السامي، وهي الثورة ضد القهر والظلم والاستبداد، والتنكيل ضد المسلمين عامة، والعلويين خاصّة، فلا يعقلُ أنَّ هذا القائد العظيم كان متسوّلاً مستجدياً على باب عمر بن فرج الرخجي، ووصيف التركي وهما يطردانه بهذه اللهجة السافرة فضلاً عن ذلك فمسألة مجيئه من خراسان إلى بغداد فسامراء من أجل الاستجداد، وطلب العون والمساعدة لا تصمد أمام الواقع.

إن الهدف الثوري، والمشروع الرسالي الذي تبنّاه القائد يحيى بن عمر في الخروج على حكام الظلم، والجور، والاضطهاد، والفساد كان هَمّ هذا القائم، فضلاً عن شعوره بمعاناة المسلمين عامة، ولاسيما العلويون بما أصابهم من صيف، وظلم، زد على ذلك تردّي الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، وظهور الفوارق الطبقيّة، فكان طريقاً جهادياً من أجل إقامة العدل، ونشر الأمن، والاطمئنان والسلام في المجتمع، وقد صرّح أبو الفرج الأصفهاني بهذا المشروع، بقوله: «قال: حدثنا محمد بن الحسين بن السميدع قال: قال لي عمّي: ما رأيْتُ رجلاً أورع من يَحْيَى بن عمر أتيت فقلت له: يا ابن رسول الله لعلّ الذي حملك على هذا الأمر الضيقة، وعندي ألف دينار ما أملك سواها فخذها فهي لك، وآخذ لك من إخوان لي ألف دينار أخرى، قال: فرفع رأسه ثم قال: فلانة بنت فلان يعني زوجته طالق ثلاثاً إن كان خروجي إلاَّ غضباً لله (عزّ وجلّ)، فقُلت له: امدد يدك فبايعته وخرجت معه»[٤].

وقد رُثي بمراث كثيرات، قال أبو الفرج: «وما بلغني أنَّ أحداً ممّن قتل في الدولة العباسية من أبي طالب رُثي به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه، واتفق في وقت مقتله عدة شعراء مجيدون للقول أولو هوى في هذا المذهب»[٥]. وممن رثاه أبو الحسن علي بن العباس المعروف بـ (ابن الروميّ) بقصيدة جيميّة طويلة تقع في (١١١) بيتاً، تعرض فيها لمظالم أهل البيت (عليهم السلام)، وقارن بينهم، وبين بني العباس، كاشفاً عن ظلم حكام بني العباس وجورهم، وهي «من مختار ما رُثي به،

---

(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٣٠.

(٥) م.ن: ٥٠٩ – ٥١٠.

بل : إنْ قلت : إنها عين ذلك، والمنظور إليه لم أكن مبعداً»[١].

وإليك أيها القارئ العزيز بعض أبياتها :-

«أمامك فانظر أيّ نهجيك تنهـــــجُ	طريقان شَتّى : مستقيم وأعـــــوجُ
أكلُّ أوانٍ للنبـــــيّ محمـــــــدٍ	قتيل ذكيٌّ بالدماء مضــــــــرَّجُ
بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكـــم	لبلواكم عمّا قليل مفــــــــرَّجُ
أما فيهم راعٍ لحـــــــقِّ نبيّه	ولا خائف من ربّه يتحــــــرَّجُ
أبعد المكنّى ًبالحسين شهيـــــدكم	تُضيء مصابيح السماء فتســــرجُ
لنا وعلينا لا علـــــــيه ولا له	تُسَحْسِحُ أسرابُ الدموع وتنشـــجُ
وكيف نبكي فائزاً عنـــــد ربّه	له في جنان الخلد عيـــشٌ مُخرفَجُ
فإن لا يكن حيّاً لدينـــــا فإنَّه	لدى الله حيٌّ في الجنـــانِ مزوَّجُ»[٢]

مقتله :

قتل المستعين بموضع يقال له القادسية في طريق سامرّاء سنة ثنتين وخمسين ومائتين[٣]، قال الطبري : «هَمَّ المعتز بقتل المستعين، وقيل : إنَّ أحمد ابن طول كان موكّلاً بالمستعين، وقيل : إنَّ سعيد بن صالح تسلم المستعين من بن طولون في القاطول وقتله، وقيل : بل ركب معه سعيد في زورق ومعه عدّة حتى حاذى به فم دُجَيل وشد في رجله حجراً، وألقاه في الماء، وقد قتل في سراويل وقطع رأسه، ومعه امرأة مقتولة أيضاً، وبها عدة ضربات، وأُوتي المعتز برأسه المستعين وهو يلعبُ الشطرنج، فقيل هذا رأس المخلوع، فقال : ضعوه هناك، ثم فرغ من لعبه، ودعابه فنظر إليه، ثم أمر بدفنه، وأمر لسعيد بن صالح بخمسين ألف درهم، ووُلّي معونة البصرة»[٤].

(١)مقاتل الطالبيين : ٥١١.

(٢)ديوان ابن الرومي : ابن الرومي : ٢ / ٤٩٢.

(٣) ينظر : تاريخ بغداد : ٥ / ٢٩١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ١٣١٩، وينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٨١، الكامل في التاريخ : ٧ / ٨٢، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٢، ودول الإسلام : ١ / ٢٢٢ – ٢٢٣، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٣.

٦-المعتز :

المعتز بالله هو الزبير بن جعفر المتوكّل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع بعد خلع المستعين نفسه سنة (٢٥٢هـ)(٥). وأمُّه أم ولد يقال له قبيحة(٦).

وقد عمل الأتراك على إضعاف المعتز، وشعر منهم بالشرِّ فكان لا يلتذُّ بالنوم، ولا يَشْرَبُ نبيذاً، ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا في نهار في غيبة (بُغا)، حتى تمكّن الوليد المغربي من قتل (بُغا)، وأتى برأسه فأعطاه المعتز عشرة آلاف دينار(٧).

وقد حرَّضت أمُّه (قبيحة) ولدها المعتز على الأتراك : «وقالت : يا بُني اقتلهم في كل مكان، وأخرجت إليه قميص أبيه المتوكّل مخضباً بدمائه، فقال : يا أمّاه، ارفعيه وإلاَّ صار القميصُ قميصين»(٨).

وقال ابن الطقطقا : «وكان المعتز جميل الشخوص حسن الصورة ولم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس إلاَّ أنَّ الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤوا خلعوه، وإن شاؤُوا قتلوه»(٩).

وقد كثر الفساد المالي، والأخلاقي في زمن المعتز، فضلاً عن تفشي الظلم والاضطهاد، وخرّبت الدور والحوانيت والبساتين، ونهبت الأسواق والأموال، وتردّت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بشكل لم يبق له مثيل، قال اليعقوبي : «ولمّا كثر الاضطراب تأخّرت أموال البلدان، ونفد ما في بيوت الأموال فوثب الأتراك بكرخ سرَّ مَنْ رأى، فخرج إليهم وصيف ليسكنهم فرموه فقتلوه وحزّوا رأسه في سنة ٢٥٣، وتفرّد (بُغا) بالتدبير، ثم تحرك صالح بن وصيف واجتمع إليه أصحاب

---

(٥) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣١٠، والديارات : الشابشتي : ١٦٩، ومروج الذهب : ٤ / ١٨٣، وإثبات الوصية : ٢٥٧، والكامل في التاريخ : ٧ / ٦٧، ودول الإسلام : ١ / ٢٢٣، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٢.

(٦) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٣٥١.

(٧) ينظر : دول الإسلام : ١ / ٥٥٢.

(٨) الديارات : ١٦٩ – ١٧٠.

(٩)) الفخري في الآداب السلطانيّة : ٢٤٣.

أبيه فصار في منزلته، وضعف أمر المعتز حتّى لم يكن له أمرٌ ولا نهي، وانتقَضت الأطراف»[1].

وكان المعتز مدمناً على شرب الخمر، قال الشَّابُشتي (ت ٣٨٨هـ) : «وشرب المعتز يوماً ويونُس بن بغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغنون بين يديه وقد أعدّ الخلع والجوائز، فدخل بغا، فقال : يا سيدي والدة عبدك يونس في الموت وهي تشتهي أنْ تراه فأذن له، فخرج وفتر المعتز وتغيّر ثم نعس فنام ونام الجلساء وتفرّق المغنون، فلما كان وقت المغرب، وعاد المعتز إلى مجلسه، عاد يونس وبين يديه الشمع، فلما رآه المعتز دعا برطلٍ فشربه وسقاه مثله، ثم عاد الندماء، وغناء المغنون ورجع المجلس إلى أحس مما كانَ فيه»[2].

وقد لَقِي الطالبون من المعتز الظلم والاستبداد، ففي سنة (٢٥٢هـ) حُمل الطلبيّون من بغداد إلى سامراء من أجل تصفيتهم[3]، وقد أعمل السيف في العلويين وآخرين حتى ماتوا في سجونه، وممن قتل في عهده : جعفر بن محمد الحسيني، وإبراهيم بن محمد العلوي، وممّن مات في الحبس فكثير منهم : عيسى بن إسماعيل الحضرمي، وأحمد بن محمد الحسيني[4].

(١) تاريخ اليعقوبي : ٣٥٣.

(٢)الديارات : ١٦٧.

(٣) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٧/ ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٤) ينظر : مقاتل الطالبيين : ٤٣٤.

مقتله :

ولم تَطُل أيام المعتز كثيراً بعد أنْ أقدم على جريمته النكراء في قتل الإمام الهادي (عليه السلام) حجّة الله في أرضه، وخليفته على عباده، فأخذه الله بظلمه، وأخزاه في الدنيا قبل الآخرة[٥]، قال الطبري : «قتله الأتراك الجنود (...) ؛ لأنهم طالبوه بأرزاقهم فأرسل إلى أمّه يسألها أنْ تعطيه مالاً لبعضهم، فأرسلت إليه ما عندي شيءٌ وكان معها أموالٌ لا تُحْصى (...) فاجتمعوا على خلع المعتز، وقتله تعذيباً سنة (٢٥٥هـ)»[٦]، والأكثر أنه أُدخل حماماً وأكره من دخوله إياه وكان محميّاً، ومنع الخروج منه ففاضت روحه فخمد من فوره[٧]

ومن الجدير بالذكر أنَّ هناك أخباراً كثيرة تتصل بحكام بني العباس دَسَسْناها لأنَّ ذكرها خروج عمّا إليه قَصَدْنا، ونحوه يمّمنا، وإنّما ذكرنا شيئاً منها لتغلغل الكلام إليها، وتشعبه نحوها، والله يعلم خائنة الأعين، وما تُخْفي الصدور.

---

(٥) ينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٨٨.

(٦) تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٧) ينظر : مروج الذهب : ٤ / ٢٠٠ - ٢٠١، والديارات : ١٦٩، والفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٣، ودول الإسلام : ١ / ٢٢٦، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٧، والإتحاف بحبّ الأشراف : ٤٨٥.

المبحث الثالث

منهج الإمام علي الهادي (عليه السلام) في التعامل مع الأحداث

في هذا المبحث سنتحدّث عن أهم الخطوات التي اتّبعها الإمام الهادي (عليه السلام) في التعامل مع الأحداث العظيمة، والكثيرة، والمتتابعة التي رافقت مسيرته الحياتية والجهادية مبيّنين حكمته وقدرته على التعامل مع هذه الأحداث تعاملاً سليماً ودقيقاً من دون تردّدٍ وتحيّر، ولا غرابة في ذلك فهو الإمام المعصوم المؤيد من خالقه فيما يقول ويفعل.

ويبدو أن التخطيط المدروس، والرؤية العلمية والمعرفية للإمام الهادي (عليه السلام) كان لها الأثر البالغ في تعامله مع هذه الأحداث المريرة، والقضايا المؤلمة التي رافقت مسيرته (عليه السلام).

وسنحاول أن نبيّن منهج الإمام (عليه السلام) في ضوء الفقرتين الآتيتين :-

أولاً : قدرتُه (عليه السلام) في التأثير :

لقد تمكن الإمام الهادي (عليه السلام) من أنْ ينفذ في قلوب الناس، وقد أشرنا إلى ما جرى في المدينة عندما أشخص الإمام (عليه السلام) إذ عمّ الضجيج والاضطراب وهذا الأمر يصور مدى تأثر أهل المدينة بأخلاقية الإمام المثلى، وحسن سلوكه وتعامله معهم، وشدة اندماجه في حياتهم، فهو سليل دوحة النبوة، وثمرة شجرة الإمامة التي هي فرع النبوة فضلاً عن ذلك فقد شاع صيته وذكره عند أصحاب البلاط، والولاة على الرغم من إحكام الرقابة الدقيقة على تصرّفات الإمام (عليه السلام)، وارتباطاته

؛ لِئلاّ يشيع نفوذه، وتمتد زعامته، وقد أبانت أقوال معاصريه على سموّ مكانته، وعلو منزلته التي تبيّن الموضع الاجتماعي المتميّز للإمام (عليه السلام).

إنَّ تأثير الإمام في الناس عامة ولاسيّما أصحاب الشأن والأمر كان واضحاً، ويتجلّى أنَّ الإمام (عليه السلام) قد سلك خطوات مهمة في هذا التأثير، ومن أهمها :-

١ - الحوار الهادئ المتزن :

يعد التعامل مع الناس من أصعب الممارسات الاجتماعية التي يمارسها البشر ضمن مجتمعاتهم، وذلك كثرة المتغيرات في النفس البشرية، وتمثل عملية التعامل بين البشر احتكاكاً بين نفسيتين مختلفتين أو نفسيات متعدّدة، ويشكل من التعامل مع الناس اليوم واحداً من أسس نجاح الأشخاص، والقادة المتصدّين للعمل الاجتماعي، وكلّما اكتسب الشخص مهارات التعامل مع الناس وأجاد استعمالها، حقّق لنفسه ولمؤسسته النجاح، والتقدم، والفرادة(١).

وفي ضوء النصوص التي وقفنا عليها أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) كان يستعمل الحوار الهادئ اللّيّن مع أصحابه تارة، ومع مناوئيه تارة أخرى من أجل كسب عطفهم ومودّتهم من جهة، والتأثير فيهم من جهة أخرى، زيادة على مناظراته الهادئة المتزنة التي تنمُّ عن قدرة جبّارة في العلم، والتأثير في المقابل.

كان الإمام (عليه السلام) يظهر في المواقف كلّها بمظهر اللامبالاة والهدوء التام، والشخص الواثق من براءته خصوصاً في مواقف كبس داره تارة ومواقف استدعائه إلى البلاط تارة أخرى، مستعملاً الحوار المتزن المليء بالحسن والثبات من دون أن يثير سلوك المقابل لاسيما الحكام، وأصحاب البلاط، والمتنفذين فيه(٢).

(١) ينظر : الإمام علي (عليه السلام) وفن التعامل مع الناس (بحث) : رزاق عبد الأمير الطيار : ١٤، منشور في مجلة (الولاية) : العتبة العلوية المقدسة، السنة السابعة، العدد (٦٩)، ٢٠١٣م - ١٤٣٤م.

(٢)ينظر : الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية) : ٢٢٨ - ٢٢٩.

وأول ما يلقانا من هذا الملمح الأسلوبي حينما عَلِم الإمام (عليه السلام) بوشاية عامل المتوكل في المدينة المنورة (عبد الله بن محمد الهاشميّ) ومؤامرته ضدّه، فخاف الإمام أن يتخذ المتوكل معه الإجراءات القاسية ؛ وذلك لعلمه بانحرافه عن أهل البيت (عليهم السلام)، وشدة عدائه لهم، فكتب (عليه السلام) له رسالة يشكو فيها أحقاد عامله عليه، وسوء معاملته له، وقيامه بما يسوءه، كما أحاطه علماً بكذب وشايته، وأنَّه لا يبقى للمتوكل سوءاً، ولا يرى الخروج على حكومته، واطمأن المتوكل بصدق الإمام (عليه السلام)، وبراءته مما نسب له[٣].

ونرى هذا الملمح متجسّداً في أشدّ الظروف، وأقساها، فقد روى الأربليّ : «عن علي بن إبراهيم بن محمد الطائفي قال : مَرِض المتوكّل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت فلم يجسر أحدٌ أنْ يمسه بحَديدة فنذرت أمُّه إن عوفي أنْ تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد مالاً جليلاً من مالها، وقال له : الفتح بن خاقان : لو بعثت إلى هذا الرجل يعني أبا الحسن فسألته فإنَّه ربّما كان عنده صفة شيء، يفرّج الله به عنك، فقال : ابعثوا إليه، فمضى الرسول، ورجع فقال : خذوا كُسب الغنم فديفوه بماء الورد، وضعوه على الخراج فإنّه نافع بإذن الله إن شاء الله، فجعل من يحضره المتوكل يهزأ من قوله، فقال لهم الفتح : وما يَضُرّ من تجربة ما قال : فوالله : إنّي لأرجو الصلاح به، فأحضر الكسب وديف بماء الورد ووضع على الخراج فانفتح وخرج ما كان فيه، وبُشّرت أم المتوكل بعافيته فحملت إلى أبي الحسن عشرة آلاف دينار تحت ختمها، (...) فلما كان بعد أيام سَعَى البطحائي بأبي الحسن (عليه السلام) إلى المتوكل وقال : عنده أموال وسلاح فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أنْ يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجده عنده من الأموال والسلاح ويحمله إليه، قال إبراهيم بن محمد : فقال لي سعيد بن الحاجب : صرت إلى دار أبي الحسن (عليه السلام) بالليل، ومعي سُلّم فصعدت منه إلى السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة فلم أدر كيف أصل إلى الدار، فناداني أبو الحسن (عليه السلام) في الدار : يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أنْ أتوني بشمعة فنزلت فوجدت عليه جبَّة صوف وقلنسوة منها، وسجادته على حصير

---

(٣) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٢٨٧.

بين يديه وهو مقبل على القبلة فقال لي : دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدتُ البدرة مختومة بخاتم المتوكل، وكيساً مختوماً معها، فقال لي أبو الحسن (عليه السلام) دونك المصلى فرفعته فوجدت سيفاً في جَفْن ملبوس فأخذت ذلك، وصرت إليه (...) فأمر أنْ يضم إلى البدرة ببدرة أخرى، وقال لي : أحمل ذلك إلى أبي الحسن واردد السيف والكيس عليه بما فيه فحملت ذلك إليه، واستحييت منه، فقلت يا سيدي : عزَّ علي دخولي دارك بغير إذنك، ولكني مأمور، فقال لي :﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

ونراه يحقق الحوار الناجح مع المتوكل فيجذب عقله، ويقرب نفسه المتنافرة مروّضاً لها مخضعاً إياها، وقد جسّد الإمام الهادي (عليه السلام) هذا الخلق السماوي على أكمل وجه، فكان (عليه السلام) يستمع للكبير والصغير، والموافق والمخالف، وينصت إليهم جميعاً باهتمام، انظر إلى ردّه الجميل حينما سأله المتوكّل : «قال علي بن يحيى بن أبي منصور، قال : كنت يوماً بين يدي المتوكّل ودخل عليّ بن محمد بن علي بن موسى (عليه السلام) فلمّا جلس، قال له المتوكّل : ما يقول ولد أبيك في العباس ابن عبد المطلب ؟ قال : ما يقول ولد أبي أمير المؤمنين في رجل فرض الله تعالى طاعة نبيّه على جميع خلقه، وفرض طاعته على نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)»[2] يتبين من هذا الحوار أن الإمام (عليه السلام) استعمل مفردات سهلة ومفهومة ذات مقاصد عميقة بطريقة رمزية وهذه بحق من أعقد حالات الحوار والجدال والنقاش وأسماها، والتي لا تتأتّى إلاّ لمن اكتملت قدرته العقلية ووصلت إلى ذروتها، وهم الأئمة والأولياء الصالحون بفضل الرعاية الإلهية لهم.

وتشتد المناظرات العلمية بين الإمام (عليه السلام)، والمتوكّل بمحضر العلماء والفقهاء، والقضاة، فكان الإمام يجيب بأسلوبه الهادئ البليغ عندما تنقطع السبل، وتخبو القرائح عن الجواب، جاء في بعض الروايات : «أنَّ المتوكل نادى يوماً أحد كتّابه،

---

(١) كشف الغمة : ٢ / ١٢ – ١٣، وينظر : الإرشاد : ٣٢٨، ومناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤٧، (سورة الشعراء/ ٢٢٧).

(٢) مروج الذهب : ٤ / ١٠٥، وينظر : كشف الغمة : ٤ / ٧.

وكان نصرانيّاً : أبا نوح، فأنكر عليه بعض مَن حضره أن يكنى الكتابيّون، فاسْتَفْتَى الفقهاء، فاختلفوا في الجواب فبعث إلى أبي الحسن يسأله عن ذلك فوقّع (عليه السلام) : بسم الله الرحمن الرحيم :﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾(فعَلِم المتوكل أنّه يَحِلّ ذلك ؛ لأن الله قد كَنّى الكافر»[٣].

وقيل للمتوكّل : إنَّ أبا الحسن (عليه السلام) يفسّر قول الله ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ (الفرقان / من الآية ٢٧)، في الأوّل، والثاني، قال : فكيف الوجه في أمره ؟ قالوا : تجمعوا له الناس، وتسأله بحضرتهم فإن فسّرها بهذا كفاك الحاضرون أمره، وإن فسّرها بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه، قال : فوجّه إلى القضاة وبني هاشم، والأولياء، وسُئل (عليه السلام) يوماً، فقال : هذانِ رجلان كَنّى عنهما، ومَنْ بالستر عليهما، أفيحبّ أمير المؤمنين أنْ يكشف ما ستره الله ؟ فقال : لا أحبُّ»[٤].

وعلى الرغم من فظاظة المتوكّل وقسوته مع الإمام، وكذلك سوء اعتقاده به (عليه السلام) لم يمنع المتوكّل كما جاء في الروايات المتعدّدة من اللجأ إليه، عندما تنسدّ أبواب المعرفة في وجهه، ووجه جلاوزته الذين يسمّون الفقهاء والقضاة، فقد روى الخطيب البغدادي، وغيره أنَّ المتوكل اعتل يوماً فقال : «لئن برئت لأتصدّقَنّ بدنانير كثيرة، فلما بَرِئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله، فقال : يتصدّق بثلاثة وثمانين ديناراً، فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا : تسأله يا أمير المؤمنين مِن أين له هذا فردّ الرسول إليه، فقال له : قل لأمير المؤمنين، في هذا الوفاء بالنّذر ؛ لأن الله تعالى قال :﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾، فروى أهلنا جميعاً أنّ المواطن في الوقائع والسرايا، والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وإن يوم حنين كان الرابع والثمانين، وكلّما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له، وآجر عليه في الدنيا والآخرة»[٥].

لقد وقف الحكام العباسيون بوجه الإمام الهادي (عليه السلام)، وخطّطوا لاحتواء عمل

---

(٣) بحار الأنوار : ١٢ / ٢٣٤. (سورة المسد / ١).

(٤) بحار الأنوار : ١٢ / ٢٣٦.

(٥) تاريخ بغداد : ١٢ / ٥٦ – ٥٧، وينظر : تذكرة الخواص : ٣٧٤. (التوبة / من الآية ٢٥).

الإمام، وتقريع تخطيطه من فاعليه النشاط، والتأثير، وكبح معارضته ولجمها في ضوء وقوفهم بوجهه متحدين إياه علمياً عندما كان يجيب على أسئلتهم، واستفتاءاتهم.

ولم يقتصر هذا الحوار الهادئ المقنع المتزن الذي اتّسم به الإمام الهادي (عليه السلام) مع مناوئيه فحسب، بل امتد إلى أصحابه، وكانت سمته (عليه السلام) حسن الاستماع مع شريكه في الحوار والحديث، ولا يقطع على متكلّم حديثه حتى يتمّه ؛ لأن من حقّ المتكلّم أنْ يتمّ حديثه ليعرب عما في نفسه، «فعن أبي هاشم الجعفري، قال : أصابتني ضيقة شديدة فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) فأذن لي، فلما جلست، قال : يا أبا هاشم، أيّ نعم الله (عز وجل) عليك تريد أنْ يؤدّي شكرها ؟ قال أبو هاشم : فوجمت، فلم أدر ما أقول له، فابتدأ (عليه السلام)، فقال : رزقك الإيمان فحرّم بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذّل، يا أبا هاشم : إنّما ابتدأتك ؛ لأني ظننتُ أنّك تريد أنْ تشكو لي مَنْ فَعَل بك هذا، وقد أمرتُ لك بمائة دينار، فخذها»[1].

(١) منتهى الآمال : ٢ / ٤٨٠.

٢- الارتباط الخالص بالله (عزّ وجلّ) :

إنَّ من المؤثرات المهمّة في نفوس شيعته، ومواليه، ومناوئيه هو ارتباط الإمام الهادي الخالص بالله (عزّ وجلّ)، فكان كثير العبادة، والتضرع إلى الله (عزّ وجلّ)، فما رُئي إلاَّ وهو يسبّح، ويكبر، ويذكر الله (عزّ وجلّ).

لقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى تركيز مفهوم إسلامي خالص وهو مسألة الارتباط بالله تعالى، فإنّه هو الذي ينفع، ويضر، ويدفع عن عباده الشرّ، فهذا بُرَيحة الذي سَعَى بالإمام إلى المتوكّل، فقد شكاه الإمام (عليه السلام) إلى الله (عزّ وجلّ) قبل يوم من سفره، وإن الإمام لم يكن من نيّته أنْ يشتكي بُريحه عند الخليفة العباسي، مما اضطرّ بُريحه أنْ يعتذر من الإمام، ويطلب العفو منه، فهو يعلم منزلة الإمام، وآياته (عليه السلام)، وصلته الوثيقة بربّه (عزّ وجلّ).

ومن الأدلّة القاطعة على صحة الإمامة هي إظهار المعجزة، والنسب الرفيع، والنصّ عليه من الإمام الذي قبله، والتفوق العلمي، والحكمة والشجاعة وكرم النفس، فإنَّ الأئمة (عليهم السلام) يتميّزون بارتباط خاص بالله تعالى، وبعالم الغيب بسبب العصمة والعناية الربّانية، ولهم معاجز وكرامات وآيات تؤيّد ارتباطهم المطلق بخالق الكون، وبكونهم أئمة، وتظهر على أيديهم في الوقت المناسب نماذج من العلم والقدرة الإلهية بحيث تؤدّي إلى اطمئنان النفس وتربية الأتباع، وتعد دليلاً وحجّة على أن ما يدعونه هو الحقُّ[٢].

ويرى هاشم معروف الحسني أنه قد رُوي للإمام الهادي (عليه السلام) عشرات الكرامات التي لا يجوز إلاَّ على مَنْ نذر نفسه للهِ، واستجاب لأمره، ونهيه، ولم يكن ذلك من غيره[٣]، فعندما تكبس دار الإمام الهادي (عليه السلام) ليلاً فيُرى (عليه السلام) مستقبلِ القبلة، يترنّم بآيات الله (عزّ وجلّ) في الوعد والوعيد، ليس بينه، وبين الأرض بساط إلاَّ الرمل والحصى.

(٢) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٢ / ١٥٣ – ١٥٤.

(٣)ينظر : سيرة الأئمة الاثنى عشر : ٢ / ٤٦٨ – ٤٦٩.

لذلك نرى أنَّ الإمام (عليه السلام) قد صَرَّح بأنَّه أكرم على الله من ناقة صالح فعن «الحسين بن محمد، قال: لما حبس المتوكّل أبا الحسن ودفعه عليّ بن كركر قال: أبو الحسن (عليه السلام) أنا أكرم على الله من ناقة صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ (هود/ ٦٥)، قال: فلما كان من الغد أطلقه، واعتذر إليه، فلما كان في اليوم الثالث وثب عليه باغر، وتامش، ومعلون، فقتلوه، وأقْعدوا المنتصر ولده خليفة»[١]، وروى الأربلي عن «ابن أُرومة قال: خرجتُ إلى سُرّ مَنْ رأى أيام المتوكّل فدخلت إلى سعيد الحاجب، ودفع المتوكل أبا الحسن (عليه السلام) إليه ليقتله، فقال لي: أتحبُّ أنْ تنظر إلى إلهك؟ فقلت: سبحان الله! إلهي لا تدركه الأبصار؟ فقال: الذي تزعمون أنه إمامكم؟ قلت: ما أكره ذلك، قال: قد أمرتُ بقتله، وأنا فاعله غداً، فإذا خرج صاحب البريد، فأدخل عليه فخرج، ودخلت، وهو جالسٌ وهناك قبر يُحْفَر فسلّمت عليه، وبكيت بكاءً شديداً، فقال: ما يُبْكيك؟ قلت: ما أرى، قال: لا تبكِ، إنَّه لا يتمُّ لهم ذلك، وإنَّه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه، ودم صاحبه»، فوالله ما مضى غير يومين حتّى قُتِل»[٢]، وقد رُوِي الشيخ الطوسي عن الفحّام عن محمد بن أحمد الهاشمي المنصوري (...) قال: قصدتُ الإمام الهادي (عليه السلام) يوماً، فقلت: يا سيدي، إنَّ هذا الرجل (يعني المتوكل) قد اطّرحني، وقطع رزقي وملّني، وما اتّهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك، وإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك فينبغي أنْ تتفضل عليّ بمسألة، فقال: تكفى إن شاء الله، فلما كان من الله طرقني رسل المتوكل رسولاً يتلو رسولاً فجئت، والفتح بن خاقان على الباب قائم، فقال: يا رجل، أما تأوي من منزلك بالليل؟ (...) فدخلتُ وإذا المتوكل جالس على فراشه، فقال: يا أبا موسى نشغل منك، وتنسينا نفسك؟ أيّ شيءٍ لك عندي؟ فقلت: الصلة الفلانية، والرزق الفلاني، وذكرتُ أشياء فأمر لي بضعفها؟ فقلت للفتح وافى علي بن محمد إلى هاهنا؟ فقال: لا، فقلت: كتب رقعة؟ فقال: لا، فوليتُ منصرفاً، فتبعني، فقال لي: لست أشك أنك سألته دعاء لك فالتمس لي منه

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٩.

(٢) كشف الغمة: ٤/ ٣٦ – ٣٧.

دعاءً، فلما دخلتُ إليه (عليه السلام)، قال لي : يا أبا موسى، هذا وجه الرِّضا، فقلتُ : ببركتك يا سيدي، ولكن قالوا لي: إنّك ما مضيت إليه، ولا سألته : فقال : إنَّ الله تعالى عَلِم أنّا لا نلجأ في المهمات إلاَّ إليه، ولا نتوكّل في الملمات إلاَّ عليه، وعوَّدنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أنْ نعدل فيعدل بنا (...) إذا أخلصت في طاعة الله، واعترفت برسول الله (صلى الله عليه وآله سلم)، وبحقّنا أهل البيت، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك، قلت: فتعلمني يا سيّدي دعاء اختصّ به من الأدعية، قال هذا الدعاء كثيراً ما أدعو الله به، وقد سألتُ الله أنْ لا يُخيّب من دعا به في مشهدي بعدي، وهو : يا عُدّتي عند العُدَد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحد يا أحد، يا قُل هو اللهُ أحد أسألك اللهمّ بحقِّ من خلقتهم من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً أنْ تصلي عليهم، وتفعل به كيت كيت»[٣].

وكان الإمام (عليه السلام) يأمر أصحابه بالدعاء في الحائر الحسينيّ، وهو من المواطن التي يُحبّ الله (عز وجل) أنْ يذكر فيها، ويأمرهم كذلك بالدعاء له في هذا الموطن المقدس.

(٣)منتهى الآمال : ٢ / ١٨٣ – ٤٨٤.

٣- التقيّة واليقظة :

ممّا لا شك فيه أنَّ المتوكّل وعصابته كانوا يدينون بالنصب، والعداء، والسوء لأهل البيت (عليهم السلام) أمثال علي بن الجهم، ومحمد بن داود الهاشميّ، وأبي السمط، والبطحائي، وغيرهم ممّن نذروا أنفسهم لخدمة أغراض الشيطان، وباعوا أنفسهم للشيطان، فالمتوكّل كان سمّاعاً لهؤلاء بلا تدبّر وتحقق مصوّرين له خطر الإمام (عليه السلام) على ملكه، فكان يأمر من دون وجه حقّ بمهاجمة دار الإمام، وكَبْسه، فيواجههم الإمام ؛ لأنّهم يجدونه (عليه السلام) تالياً للقرآن، أو مقيماً للصلاة، فيعودون فاشلين يجرُّون أذيال الخيبة، والخسران، والذلّ.

وقد كان الإمام (عليه السلام) في تحركاته كلّها، وفي كتبه، ووصاياه إلى شيعته يتصف باليقظة، والحذر ومن هنا كانت الوشايات به تبوء بالفشل وحينما كانت تكبس داره كما حصل ذلك مراراً لا يجد جلاوزة السلطان فيها غير القرآن الكريم وكتب الأدعية، والزيارات حتى حينما تسوَّروا عليه الدار لم يجدوه إلاَّ مصلّياً أو قارئاً للقرآن[١].

ونلمح كثيراً من مواقف يقظة الإمام، وحذره من المتوكل، فعندما مَرض المتوكل نذرت أمّه أنْ تهدي عشرة آلاف دينار إلى الإمام الهادي (عليه السلام) إن عُوفي ابنها فتحقق لها ذلك بدواء وصفه (عليه السلام) بنفسه للمتوكل، فأرسلت بدرة فيها المبلغ المذكور آنفاً، ولّما عَلِم أحد المتملقين وشي بالإمام، وأخبر المتوكّل أنَّ الإمام يجمع المال، ويعدّ العدّة للثورة عليه فأرسل المتوكل من يكبس دار الإمام، ويفتشه، ولم يعثر إلاَّ على البدرة، فلولا أنَّ الإمام قد احتفظ بختم المتوكل على المال لحدث أمرٌ لا يحمد عقباه[٢].

وكان الإمام (عليه السلام) متابعاً للأحداث السياسيّة والأوضاع العامة أولاً بأوّل فضلاً عن اهتمامه الكبير بمعاناة القاعدة الشعبية، ومواليه فكان يوافيهم بالأحداث السياسية، ويرقب لهم ما هو منظور؛ ليكونوا على حذرٍ أولاً، ولينمّي قابليتهم في

---

(١)ينظر : أعلام الهداية (الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)) : ١٢ / ٩٦ – ٩٧، وموسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٢ / ٣٢٧، ودور الأئمة في الحياة الإسلامية : ٣٥٨.

(٢)ينظر : دور الأئمة في الحياة السياسية : ٢٦٨.

المتابعة، وتحليل الظواهر ثانياً(٣).

ومما يؤكّد يقظة الإمام (عليه السلام) وتقيته ما رواه الأربلي بقوله : «وحدّث محمّد بن شرق، قال : كنتُ مع أبي الحسن (عليه السلام) أمشي بالمدينة، فقال لي : ألست ابن شرق، قلتُ : بَلَى فأردت أنْ أسأله عن مسألة، فابتدأني من غير أن أسأله قطّ : نحن على قارعة الطريق، وليس هذا موضع مسألة»(٤).

إنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) أراد ألاَّ يعطي أيّة ذريعة للحكام لكي يقنعوا الأمّة في تبرير أفعالهم الأثيمة عند النيل من الأئمة (عليهم السلام) فكانت مظلوميته واضحة (عليه السلام)، منها عدم الاحتفاظ بأي وثيقة أو رسالة تتصل بشؤون السلطة، أو سلاح، فقد كانت قوات السلطة تداهم دور الأئمة، ويطالب الحاكم بأن يفتش بيت الإمام، ويُؤْتى به على الهيأة التي يجده عليها جلاوزته فلا يجدون في الدار غير المصحف، والمصلاة(٥).

---

(٣)ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ٩٦ – ٩٧.

(٤) كشف الغمة : ٤ / ٢٤.

(٥) ينظر : دور الأئمة في الحياة السياسيّة : ٢٦١ – ٢٦٢.

ثانياً : تحمله (عليه السلام) لأساليب الضغط :

تميّزت المرحلة التي عاشها الإمام (عليه السلام) بشدّة الضغط على الشيعة، ولاسيما مرحلة المتوكّل العباسي الذي كان شديد العداء لأهل البيت (عليهم السلام)، ولشيعتهم فكلما «اقترب عصر الأئمة من عصر إمام العصر (عليه السلام)، كانت الأمور تزداد صعوبة عليهم (عليهم السلام)»(1).

ولم يكن الإمام الهادي (عليه السلام) بدعاً من الأئمة الذين سبقوه (عليهم السلام) في مقارعة هؤلاء الحكام الذين يرون وجود المنافس الحقيقي لهم حتى وإنْ لم يبادر إلى الثورة ضدّهم، ولم يثبت أنهم وراء الانتفاضات التي كانت تنطلق بين آونة وأخرى(2).

ويظهر أن أعمال المقاومة السياسية والرقابة المشدّدة من المتوكّل العباسي، وأركان السلطة ضد الإمام الهادي (عليه السلام) وأتباعه فقد بدأت منذ تسلمه مقاليد الإمامة (عليه السلام)، فمرّة يحاولون النيل من شخصيته، وأخرى تفتيش بيته وجلبه ليلاً إلى المتوكل، وثالثة سجنه ومحاولة اغتياله، فضلاً عن ذلك نراهم مرّة يحاولون إيجاد قائد روحي بديل عنه، وكلّ تلك المحاولات باءت بالفشل، وكانت عناية الله (عزّ وجلّ) تَرْعَى الإمام وتدفعُ عنه، وكانت شخصيته تعلو، ومقامه يفرض على المتوكّل رغم صَلَفه وكراهيته لآل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، كما كان الإمام يفرض وجوده على القصر وحواشيه(3).

وقد أمعن الوشاة والسعاة بين الحين والآخر في شحن المتوكل بالحقد على الإمام الهادي (عليه السلام) مصوّرين له خطره على العرش المتوكّلي وكانت الحاشية المحدقة به تدين بالنصب والعداء له (عليه السلام)، ولأهل بيته من الذين باض الشيطان في صدورهم، و فرّخ.

لقد استطاع الإمام الهادي (عليه السلام) أنْ يفرض وجوده، ومكانته وهيبته، وأنْ يجعل

(1) سيرة الأئمة الأطهار : مرتضى المطهّري : ٢٠٩.

(2) ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ٣٦.

(3) ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٥٨٩.

سَعَة صدره، وحلمه، وقوة صبره مفاتيح في علاج هذه المواقف العصيبة، والمؤامرات الخطيرة.

وهكذا استمرت أيام الشدّة والمعاناة حافلة بالصدمات، والمفاجآت وقد امتدّت سنين حتّى أجهز القادة الأتراك على المتوكّل فقطّعوه فتخلص الإمام الهادي (عليه السلام) من أخبث أعدائه المتربّصين به، وقد أظهر (عليه السلام) مقدرة فائقة في الصبر، وتحمل البلاء، قال المستشرق (دونالدسون) : «ولو أردنا أنْ نضع الزلفى المبالغ فيها جانباً يبدو أنه كان رجلاً رزيناً حسن الطبع، طيّب الخلق عانى كثيراً من كره المتوكل له في جميع الأيّام، لكنه مع ذلك حافظ على هيبته ووقاره وأبدى كثيراً من الصبر»[٤].

وكان الإمام يردّد قوله تعالى : ﴿تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾(هود / من الآية ٦٥)، ويقول (عليه السلام) : «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان»[٥]، عندما وصل ظلم المتوكل حدّه، ومداه سجناً واستهزاءً، وتسقيطاً، وعزلاً، وقتلاً وغيرها من الممارسات غير الأخلاقية بحقّ الإمام (عليه السلام)

وسنذكر في القابل أهم الممارسات التي جابهها الإمام الهادي (عليه السلام) من لدن السلطة العباسيّة الجائرة :

١ - الإقامة الجبرية :

قلنا من قبل : إنَّ حكام بني العباس كانوا يخافون دور الإمام الهادي (عليه السلام) وموقعه وتأثيره ؛ لذلك كانوا يحوّطونه بالرقابة، وعناصر التجسّس، وجمع المعلومات والحيلولة بينه، وبين جماهيره من أجل عزله، وإبعاده عن مجال التأثير الفكري، والسياسي، فهم يخشون المسار الإسلامي الصحيح الذي سلكه أهل البيت (عليهم السلام) محاولة منهم التضييق عليه، واستئصاله.

---

(٤) عقيدة الشيعة : دونالدسون : ٢٢٠. (نقلاً عن الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) محمد حسن آل ياسين ٢ / ٣٥٣).

(٥) منتهى الآمال : ٢ / ٤٨٩.

إنَّ أوّل محاولة مورست ضد الإمام (عليه السلام) هي جلبه من المتوكل إلى سامراء، ووضعه تحت الرقابة الجبرية الشديدة خوفاً من اتّصال الشيعة ومحبّيه به (عليه السلام)، فأقام مدّة مقامه بسامراء مكرهاً في ظاهر حاله «يجتهد المتوكل في إيقاع الحيلة به، فلا يتمكن منه»(١).

ولمّا فرض المتوكل الإقامة الجبرية على الإمام بادر (عليه السلام) فاشترى داراً من (دليل بن يعقوب النصرانيّ) فسكنها مع أفراد عائلته، وأقام فيها حتّى استشهد، ودفن فيها(٢).

إنَّ هذا التهجير القسري للإمام من مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سامرّاء كان لها تبعات، منها :

١-أن يكون الإمام الهادي (عليه السلام) تحت المراقبة الشديدة في سامراء، فكان شبيهاً بالمعتقل، فقد أحاطت بداره مباحث الأمن العباسيّ، وهي ترصد تحركاته أجمع.

٢-لا يحقّ له الخروج من البيت أحياناً.

٣-الإتيان إلى البلاط العباسي عند استدعائه.

٤-منعه من الاتصال بمواليه، ومراقبة كلّ من يتصل به، أو يَحْمِل له المال، فقد أحيط بالجواسيس(٣).

ويبدو أنَّ الإقامة الجبرية قد سعد بها ملوك بني العباس منذ قدوم الإمام (عليه السلام) سامراء، فقد فرض المتوكل الإقامة الجبرية على الإمام في سُرَّ من رأى ليكون تحت سمعه وبصره، وكان ذلك سنة ٢٤٣هـ كما نصّ عليه في ذيل رسالة المتوكّل إليه وقد رفض محمد حسن آل ياسين وفاقاً لـ (عباس القمّي) من قبل المدّة التي حدّدها الطبري لإقامته الجبرية إلى استشهاده (عليه السلام) وهي عشرون سنة، بقوله : «وهو تاريخ

(١) الإرشاد : ٣٣٢.

(٢) ينظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ٥٧.

(٣) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٢٨٧، والأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٤٧، والمنتخب من سيرة الأئمة المعصومين : ٤٢٣ - ٤٢٤.

لا نستطيع قبوله وإقراره ؛ لأنه مخالف لتاريخ الرسالة المتقدمة، ولما نصّ عليه الشيخ المفيد من أنه (عليه السلام) أقام بسرّ من رأى إلى أنْ قبض (عشر سنين وأشهراً)، كما أنه يخالف ما نصّ عليه ابن الصباغ المالكي من أنَّ إقامته فيها كانت إحدى عشرة سنة»(٤).

ومما يؤكد هذه الإقامة الجبرية القسرية الظالمة للإمام الهادي (عليه السلام) طوال مدة حكم المتوكل، وبعد حكمه ما جاء في حديث يوسف بن يعقوب النصراني (...) قال : صرت إلى سرّ من رأى وما دخلتها قطّ، فنزلت في دار وقُلْتُ : يجب أنْ أوصل هذه المائة دينار إلى ابن الرضا قبل مصيري إلى دار المتوكّل، وقبل أنْ يعرف أحد قدومي، وعرفت أنْ المتوكل قد منعه من الركوب، وأنه ملازم لداره(٥).

وقد بقي الإمام الهادي (عليه السلام) مدة عهد المنتصر الذي خلف أباه في سلطانه، وكذلك في عهد خلفه المستعين، ثم المعتز ملزماً بالإقامة الجبرية في سامراء، وكان مكرّماً معظماً مبجّلاً طوال هذه العهود، على الرغم من أن الإمام لم يشهد فيها ما شهده في عهد المتوكل من التحديات والوشايات بين الحين والآخر، فقد اكتفى هؤلاء الثلاثة بفرض الإقامة الجبرية عليه في (سامراء)، وانتهت باستشهاده مسموماً (عليه السلام) في عهد المعتز، «ولعلّ السبب في ذلك أنَّ سلطة الحكام العباسيّين في تلك المدّة من تاريخ خلافة بني العباس قد تلاشت تقريباً، ولم يعد للخليفة فيها غير الاسم، وأصبح الحكم للقادة الأتراك، وغيرهم، فهم يتولون الأمر والنهي، وهم يعزلون الخليفة، أو يقتلونه ويولّون غيره»(٦).

وعلى الرغم من هذه الإقامة الظالمة، فإنَّ الإمام لم يكن في عزلة تامة، فقد استطاع (عليه السلام) أنْ يفرض نفسه بوصفه إماماً، وعالماً فقد تمتّع بمكانة عالية في الطبقات الإسلامية جميعها، وظلّت شهرته تتسع ولم يستطع حكام بني العباس أنْ يحولوا بينه وبين الناس، قال دونالدسون : «كان يتمتع في أكثر الأحيان بحرية شخصيته (...)

(٤) الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٤٦. وينظر : منتهى الآمال : ٢ / ٥٠٢ – ٥٠٣.

(٥)ينظر : كشف الغمة : ٤ / ٢٥.

(٦) موسوعة المصطفى والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : ١٢ / ٣٦٤.

فيلقى أصحابه، ويجلس بحضرة الخليفة إلاّ أنّه كان محاطاً بالجواسيس»[1].

٢- خان الصعاليك (خان الإباء والمجد):

عندما وصل الركب الجهادي الطاهر إلى سامراء تجاهل المتوكّل أمره، لاسيما الإمام الهادي (عليه السلام)، وحاول الاستخفاف به، فأنزله في خان يعرف بـ (خان الصعاليك)[2]، وقد أمر المتوكّل بأنْ يحجب عنه في يومه للحطّ من شأنه، والتقليل من أهمية الإمام (عليه السلام)، فأقام فيه يومه، وفي اليوم الثاني أذن له بالدخول عليه، ثم أفرد له داراً ليسكن فيها[3].

إنَّ الإشارات التي نستقيها تؤكد أن المتوكّل لم يكن صادقاً، ووفيّاً في رسالته التي بعثها إلى الإمام (عليه السلام) وهو في المدينة من جهة إكرامه، وإلقاء المحبّة والمودّة عليه، فتعمّد المتوكل وضعه في هذا الخان رغبةً منه في إذلال الإمام (عليه السلام)، واحتقاره، وما دَرَى أنَّ هذا الخان الأشنع المهجور أصبح رمزاً للإباء، والعزّة، والكرامة، والخلود، هو خان الرفض والشرف والتحدي، فجدران الخان وسقفه وأرضه، وأجزائه كافة أصبحت تنبض بالحياة، وتسبّح لله (عزّ وجلّ)، فشرف المزور ينال من شرف الزائر وطهارته الإمام العظيم الهادي (عليه السلام)، قال «صالح بن سعيد: دخلتُ على أبي الحسن (عليه السلام) يوم وروده بسرّ من رأى، فقلت له: جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك حتّى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك، فقال: هاهنا أنت يا ابن سعيد، ثم أومئ بيده فإذا أنا بروضات آنفات وأنهار جاريات، وجنات فيها خيرات عطرات، وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون فحار بصري، وكثر عجبي، فقال لي: حيث كنا، فهذا لنا يا ابن سعيد، لسنا في خان الصعاليك»[4]، إنّها عبارات مليئة بالإيمان

(١) عقيدة الشيعة: ٢١٩. (نقلاً عن الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢/ ٣٤٧، وينظر: نور الأبصار: ١٦٥.

(٢) ينظر: الجرائح والخرائج: ٢/ ٦٨٠، ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٤٢ – ٤٤٣، والثاقب في المناقب: ٥٤٢، وكشف الغمة: ٤/ ٢٠، والفصول المهمة: ٢٦٨، وبحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٣، وحلية الأبرار: ٥/ ٥٠ – ٥١، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٩٦ – ٤٩٧.

(٣) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٤٩٦.

(٤)مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٤٢ – ٤٤٣، وينظر: الثاقب في المناقب: ٥٤٢، وكشف الغمة: ٤/ ٢٠، والفصول

والتقوى والذوبان في ذات الله (عزّ وجلّ)، ما أبهاها ! وما أجملها ! «حيث كنّا فهذا لنا يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك»، كلمات من نور.

وقد أبدع المجلسي في وصف هذا المشهد الروحاني العرفاني مبيّناً ذوبان الإمام (عليه السلام) في الذات القدسية، وقصور علم ابن سعيد وفهمه عن إدراك اللذات الروحانية، والدرجات المعنوية بقوله : «لمّا قَصُرَ علم السائل وفهمه عن إدراك اللّذات الروحانية، ودرجاتهم المعنوية، وتوهم أنَّ هذه الأمور مما يحطّ من منزلتهم، ولم يعلم أنَّ تلك الأحوال مما يضاعف منازلهم ودرجاتهم الحقيقية ولذاتهم الروحانية، وأنّهم اجْتَوَوا لذات الدنيا ونعيمها، وكان نظره مقصوراً على اللذات الدنية الفانية، فلما أراه (عليه السلام) ذلك، لأن كان مبلغه من العلم»(٥).

قال محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٦١هـ) :

أنزله في أشنـــــع المنازل	وفخر كُلّ منزل بالنـــازل
مَنْ هو عند ربّه مكيـــــن	فلا عليه أينما يكـــــون
له رياض القدس مأوى ومقرّ	خان الصعاليك غطاء للبصر(٦)

قال محمد علي اليعقوبي (ت ١٣٨٥هـ) :

أنزلوه خان الصعاليك عمداً	مُـذ أرادوا ذلاً به واحتقارا
ما دروا أنّه بدارٍ عليها الله	أرْخى دون العيونِ سِتَارا(٧)

المهمة : ٢٦٨، وبحار الأنوار : ١٢ / ٢٢٣، وحلية الأبرار : ٥ / ٥٠ – ٥١، ومنتهى الآمال : ٢ / ٤٩٦ – ٤٩٧.

(٥)بحار الأنوار : ١٢ / ٢٢٣. (اجتـَوَوا : كَرِهوا المقام).

(٦) ديوان ابن الرومي : ابن الرومي : ٢ / ٤٩٢.

(٧)ينظر : الذخائر (ديوان شعر اليعقوبي) : محمد علي اليعقوبي : ٦٤.

٣- عزله (عليه السلام) عن مواليه :

لقد فرض المتوكّل حصاراً ظالماً، وقويّاً على الإمام (عليه السلام)، فقد منع كلّ من يصل إلى الإمام (عليه السلام)، مطبّقاً أقصى العقوبات على مَنْ يصل الإمام من شيعته ومواليه بالحقوق الشرعية، أو سائر الصلات فكان الإمام في حكم المتوكّل في شدّة مالية هو وسائر العلويين، وامتنع المؤمنون في إيصال حقوقهم إليه خوفاً من السلطة الجائرة، وكانوا يرسلون حقوقهم بزقاق من الدهن ويبيعونها عليه، والسلطة لم تعلم بذلك، وقد لقّب بعض أصحاب الإمام (عليه السلام) بالدهّانين لذلك(١).

وعلى الرغم من هذا العمل الظالم الذي انتهجته السلطة الحاكمة الجائرة إلاَّ أنَّ أمر اتّصال الرساليين والموالين للإمام (عليه السلام) كان يجري على غير مرام السلطات نظراً لوجود الموالين له (عليه السلام) داخل الجهاز الحاكم، إذ كانوا يؤدُّون دوراً عظيماً في ذلك، وكانوا يتصلون به في الغالب بالمراسلة والكتابة فضلاً عن اللقاءات السريّة(٢).

إنَّ فصل الإمام (عليه السلام) وعزله عن قواعده المهمة من العلماء والفقهاء، والوجهاء، ومن شخصيات المهاجرين والأنصار، وبني هاشم وغيرهم، لأنهم يمثلون قوة عظيمة للإمام (عليه السلام)، فحاولوا حرمان الأمّة من توجيهات الإمام وتعاليمه.

وكان الإمام (عليه السلام) في تواصل مستمر، ولقاء حثيث يتتبع أخبار مواليه سرّاً، وعلنا، عارفاً بما يحدث لهم، قال الأربلي : «وعن علي بن محمد النوفلي قال : قال لي : محمد بن الفرج الرُّخجي إنَّ أبا الحسن (عليه السلام)، كتب إليّ : يا محمد، اجمع أمرك، وخذ حذرك، فقال : أنا في جمع أمري لست أدري ما أراد بما كتب به إليّ حتى ورد عليّ رسول حملني من مصر مصفّداً بالحديد، وضرب عليّ كلّ ما أملك فمكثت في السجن ثماني سنين، ثم ورد كتاب منه، وأنا في السجن : «يا محمّد لا تنزل في ناحية الجانب الغربي، فقرأت الكتاب، وقُلْت في نفسي : يكتب أبو الحسن إليّ بهذا، وأنا في السجن ! إنَّ هذا لعجب ! فما مكثْتُ إلاَّ أياماً يسيرة حتى أُفرج عنّي، وحُلّت قيودي،

(١) ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل : ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) ينظر : سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٦٩.

وخلّي سبيلي، قال: فكتبْتُ إليه بعد خروجي أسأله أنْ يسأل الله أنْ يَرُدَّ عليّ ضياعي قال: فكتب إليّ، سوف تُردُّ عليك، وما يضرُّك أنْ لا تردّ عليك، قال علي بن محمد النوفلي: فلما شخص محمد بن الفرج الرُّخجي إلى العسكر كتب له بردّ ضياعه، فلم يصل الكتاب حتى مات، وكتب علي بن الخصيب إلى محمد بن الفرج بالخروج إلى العسكر فكتب إلى أبي الحسن يشاوره في ذلك، فكتب إليه أبو الحسن (عليه السلام): أُخرج فإنّ فيه فرجك إن شاء الله فخرج فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى مات»»[٣].

٤- الاستهزاء به (عليه السلام):

من الأساليب غير الأخلاقية التي مارسها حكام بني العباس ولاسيّما المتوكل العبّاسي بحقّ الإمام الهادي (عليه السلام) الاستهزاء به، ومحاولة تسقيطه، وإظهار ضعفه، وقلة علمه، فقد تعرّض الإمام (عليه السلام) لأنواع الاحتقار، والتسقيط، والتضييق، قال أبو علي الطّبرسيّ (من أعلام القرن السادس): «كان المتوكّل يجتهد في إيقاع حيلة به، ويعمل على الوضع من قدره في عيون الناس، فلا يتمكن من ذلك، وله معه أحاديث يطول بذكرها الكتاب»[٤].

ومن محاولات المتوكّل لإهانة الإمام (عليه السلام) لإشباع روح الحقد، والحسد والأنانية التي ملأت نفسه هو أنه أمر بأن يترجّل الإمام (عليه السلام) ماشياً بين يديه يوم الفطر في السنة التي قتل فيها المتوكل سنة (٢٤٧هـ)، وقد مشى الإمام مع بني عمّه في هذا اليوم القائظ، وأخذ منديلاً، وجعل يمسح الإمام عرقه، وكان المتوكل يخفى غرضه الحقيقي، وهو الحطُّ من شأن الإمام الهادي (عليه السلام)، والاستخفاف به، قال: «زرافة صاحب المتوكّل: رأيته (عليه السلام) في ذلك اليوم يمشي، وقد شقّ عليه ما لقبه من الحرّ والزحمة والعرق يتصبّبُ من بدنه المبارك، فأقبلت إليه، وقلت له يا سيّدي يَعزُّ واللهِ عليَّ ما تلقى من هؤلاء الطغاة وما قد تكلّفته من المشقة فقال لي (عليه السلام): يا زرافة ما

(٣) كشف الغمة: ٤/ ١٤ - ١٥.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى: الطبرسيّ: ٤٣٧.

ناقة صالح عند الله بأكرم منّي، وفي رواية أخرى أنه (عليه السلام) قال : إن قلامة ظفري أكرم عند الله من ناقة صالح وفصيلتها»[1].

ومما نقله الرواة من استهزاء المتوكّل بالإمام الهادي (عليه السلام)، أنه قد نذر أن يتصدق بمال كثير، واختلف الفقهاء في تحديد المال الكثير، فأشار عليه أحد ندمائه بالسؤال من الإمام (عليه السلام)، قائلاً : ألا تبعث إلى هذا الأسود فتسأله عنه ؟ فقال المتوكل : مَنْ تعني ؟ ويحك ! فقال له : ابن الرضا، فقال له مستهزئاً : وهل يُحْسن مِن هذا شيئاً ؟، «إن هذا التنكر من المتوكل للإمام (عليه السلام)، أو هذا التعجب مع أنَّه قادر على الإجابة، (...) ليشير إلى مدى حقد المتوكل وتعمده في تسقيط الإمام (عليه السلام) أمام الآخرين، ولكنه لم يفلح حتّى أنه كان يبادر للتعتيم الإعلامي على فضائل الإمام (عليه السلام) مناقبه كما نرى ذلك بعد ردّه على أسئلة ابن الأكثم حيث قال ابن الأكثم للمتوكّل : ما نحبّ أنْ تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، وأنه لا يردّ عليه شيء بعدها إلاّ دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة»[2].

فالمتوكّل كان يتعمد أنْ يسقط الإمام (عليه السلام) أمام الآخرين ويظهر قلة علمه حتى أنه كان يبادر إلى التعتيم الإعلامي على فضائل الإمام (عليه السلام) ومناقبه، وهذا ما سنعرض له إذا شاء الله (عزّ وجلّ) في الفصل القابل (تراثه (عليه السلام) الفكري).

ومما روى أيضاً، فعن «المنتصر بن المتوكل قال : زرع والدي الآس في بُستان وأكثر منه، فلما استوى الآس كلّه، وحسن أمر الفرّاشين أنْ يفرشوا له على دكان في وسط البستان، وأنا قائم على رأسه، فرفع رأسه إليّ وقال : يا رافضي، سَلْ ربّك الأسود عن هذا الأصل الأصفر ما له من بين ما بقي من هذا البستان قد اصفرَّ، فإنّك تزعم أنّه يعلم الغيب ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ليس يعلم الغيب، فأصبحت وغدوت إلى أبي الحسن (عليه السلام) من الغد وأخبرتُه بالأمر، فقال : يا بني امضِ أنت

(١) منتهى الآمال : ٢ / ٥٠٠ – ٥٠١.

(٢) أعلام الهداية : ١٢ / ١٠٢.

واحفر الأصل الأصفر فإن تحته جمجمة نخرة واصفراره ببخارها، ونتنها، قال : ففعلتُ ذلك فوجدته كما قال (عليه السلام) ثم قال لي : «يا بنيّ لا تخبرَنَّ أحداً بهذا الأمر إلاَّ لِمَنْ يحدّثك بمثله»»[٣].

ونلحظ من هذه الرواية أن السلطة الحاكمة كانت تعرف مقدرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولاسيما الإمام الهادي (عليه السلام) في حَلّ المسائل المفصّلة، فهم أولياء الله (عز وجل)، وكذلك محاولتهم البائسة اليائسة من أجل التقليل من شأن الإمام، وإطلاقهم عليه الأوصاف غير المرضية بحقّه، والتي لا تليق به (عليه السلام).

إن توكيد الإمام (عليه السلام) لهذا السائل الذي بعثه المتوكّل للإمام الهادي (عليه السلام) بعدم إذاعة الخبر، ونشره إلاَّ لمن يحدّثك به خوفاً من التشكيك تارة، والتعرض إلى الإساءة تارة أخرى.

ولا تعجب أيها القارئ الحبيب أنَّ الاستهزاء، والسخرية من أفعال السفهاء، فقد روي عن الإمام الهادي (عليه السلام) أنَّه قال : «الهزل فكاهة السفهاء، وصناعة الجهّال»[٤].

٥- استدعاؤُه إلى مجالس اللَّهو والخمر :-

حاول المتوكّل، ومَنْ حوله الإيقاع بالإمام (عليه السلام)، وإضعاف مكانته والذهاب بمروءته، إلاَّ أنَّه (عليه السلام) كان يفرض وجوده، واحترامه ويتخذ أُسلوباً حكيماً ودقيقاً في علاج المواقف ومواجهة المؤامرات ضده، وحينما أعيت وسائل المتوكل كافة سَعَى جاهداً لاستيعاب الإمام، وتحجيم دوره، ثم إيجاد البديل ليحلّ محلّه، وليكون من أتباع القصور، ووعّاظ السلاطين، ومن المنادمين، وهذا منهجٌ اتبعته الأنظمة الظالمة لمحاولة تضليل الرأي العام، والتظاهر باحترام المبادئ والمقدّسات والتحرك من

---

(٣) الثاقب في المناقب : ٥٣٨.

(٤) منتهى الآمال : ٢ / ٩٤٠.

نقطة التأثير[1].

وكان الإمام (عليه السلام) يعطي من نفسه بإزاء ذلك، فيحضر موائد العباسيين، ويجلس مجالسهم، ويخرج في مواكبهم، لكن ينبغي اليقظة والالتفات إلى أنَّ الأئمة (عليهم السلام) كانوا يشعرون الأمّة بأن تصرفاتهم هذه لا تعني الموافقة على أعمال السلطة ومشروعيتها، يقول عادل الأديب: «ولم يكن هذا الموقف من الإمام (عليه السلام) تنازلاً أو تسامحاً مع الدولة فإنَّ هذا لا يمكن أنْ يكون مع شخصيته كشخصية الإمام (عليه السلام) المبدئية، وأيّ تنازل يبديه الإمام (عليه السلام) معناه التصرف ضد المصالح الإسلامية العليا، ولو أنَّ الدولة كانت تحسّ من الإمام تنازلاً في مواقفه لنال عندها أقصى المنازل الرفيعة، والجاه العظيم، ولألغت مراقبتها الشديدة عليه دون أن تكرهه على الإقامة الجبرية، مع العلم أنَّ سياستهم الجائرة تجاه الإمام كانت تتزايد يوماً بعد يوم حتّى أنَّ المتوكّل في آخر أيام حكمه ألقى بالإمام في غياهب السجون»[2].

ويتجلَّى هذا الموقف عندما سُعي بالإمام (عليه السلام) إلى المتوكّل، وقيل: إنَّ في منزله سلاحاً، وكتباً، وغيرها من شيعته فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في داره، وحُمل إلى المتوكّل في جوف الليل فمثل بين يديه، والمتوكّل يشرب وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، فنازله الكأس الذي في يده، فقال: واللهِ ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه، فأعفاه[3].

لقد حاول المتوكل هتك الإمام (عليه السلام) بكلّ ما أوتي من قوة فلمّا لم يتمكن منه، أُشير إليه بأخيه (مُوسى المبرقع)، قال ابن شهر آشوب: «كان المتوكّل يقول: أعياني ابن الرضا، فلا يشاربني فقيل له: فهذا أخوه موسَى قصّاف عزّاف فأحضره، وأشهره فإنَّ الخبر يسمع عن ابن الرضا، ولا يفرق من فعلهما، وأمر بإحضاره واستقباله، وأمر له بصلات وأقطاع، وبنى له فيها من الخمارين والقينات،

---

(١) ينظر: سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام): ٢/ ٥٩٠ – ٥٩١.

(٢) الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية): ٢٨٨.

(٣) ينظر: مروج الذهب: ٤/ ١٠٥ – ١٠٦، ووفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٣، والوافي بالوفيات: ١٧/ ٣٧٦، والبداية والنهاية: ١١/ ٢٩٣٥، ومنتهى الآمال: ٢/ ٤٩٨ – ٤٩٩.

فلما وافى موسى تلقّاه أبو الحسن في قنطرة وصيف فسلّم عليه، ثم قال : إنَّ هذا الرجل قد أحضرك ليهتكك، ويضع منك فلا تقرّ له أنك شربت نبيذاً قط، واتّق الله يا أخي أنْ تركب محظوراً، فقال موسى : وإنّما دعاني لهذا، فما حيلتي، قال : فلا تَضع من قدرك، ولا تعص ربّك ولا تفعل ما يشينك فما غرضه إلاَّ هتكك، فأبى عليه موسى، وكرّر أبو الحَسن عليه القول والوعظ، وهو مقيم على خلافه، فلما رأى أنّه لا يجيب، قال : أما أنَّ الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه أنت وهو أبداً، قال : فأقام ثلاث سنين يبكّر كلّ يوم إلى باب المتوكل ويروح فقيل له : قد سكر، أو قد شرب دواءً، حتى قتل المتوكّل»(٤).

إنَّ محاولة استمالة الإمام (عليه السلام) من المتوكّل لمجالسته، ومنادمته ضربٌ من الجهل والسفه وسوء الأدب من لدن المتوكّل ؛ لأنه نَسي أو تناسى أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) هو وليّ العصمة، ومنبع الأحكام وصاحب الشَريعة، وفي هذا يقول محمد حسين الأصفهاني :

وكَمْ أسَاءَ المتوكّـــل الأدب ... أحضره عند الشراب والطرب
وهو من السنة والكتـــاب ... منزلة اللّب من اللبــــاب
أهذه القبائـــح الشنيعـــة ... بمحضر من صاحب الشريعة
أيطلب الشـــرب من الإمام ... وهو وليّ عصمة الأحكـــام
أيطلبُ الغناء بالأشعـــــار ... من معدن الحكمة والأنـــوار(٥)

(٤)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤١، وينظر : كشف الغمة : ٤ / ١٦ – ١٨، وبحار الأنوار : ١٢ / ٢٣٤.

(٥) ينظر : الأنوار القدسيّة : ٩٩.

٦- **سجنُه ومحاولة قتله (عليه السلام) :**

ممّا لاشكّ فيه أنَّ أفعال حكام بني العباس غير الصحيحة، التي تخالف المنهج الإسلامي القويم لا يمكن أنْ تحظى برضا الإمام الهادي (عليه السلام) المعصوم، ومن البَدَهي أنْ يكون وليُّ الله (عزّ وجلّ) ندّاً لهم، وعدوّا، فنرى الأئمة (عليهم السلام) في ظلّ هؤلاء الطغاة العتاة المسرفين قَدْ وضعوا في الظلّ المنسي، وفي غياهب السجون، والمعتقلات المظلمة مُبْعدين عن الأمة، فحُرمت من بركاتهم، وخيراتهم، وهداهم ؛ لأن السلطة العباسية وضعت القيود والعيون على الأئمة (عليهم السلام)، وعلى صحابتهم، ومنعت الرجال من الأتّصال بهم[1].

ولمّا لم تجدِ محاولات المتوكّل في إقامة بيّنة على سيّدنا أبي الحسن (عليهم السلام)، تمكّنُهُ من إثبات حجة يستبيح بها الوقيعة بالإمام، لجأ إلى أسلوب الاعتقال والسّجن، فبقي فيه مدّة، وقد جاء لزيارته أحدُ أصحابه في السجن وهو (صقر بن أبي دلف).

إنَّ المتوكّل قد صدّق الوشايات وقَبِل مزاعم المتزلفين، وهمس الواشين الحاقدين، فقد سجن الإمام (عليه السلام) مرتين - إن لم يكن مرّات - وكان سجنه في إحداهما في بعض قصور المتوكل نفسه، وتدلّنا بعض الأخبار على أنَّ المتوكل قد أمر يوماً بإلقاء الإمام في بركة السباع بقصد القضاء عليه، ولكنّ أمر الله وإشاءته كانت أقوى من أمر المتوكل[2].

قال الأربلي : «حَدَّث جماعة من أهل أصفهان منهم أبو العباس أحمد بن النضر، وأبو جعفر محمد بن علوية، قالوا : كان بأصفهان رجل يقال له عبد الرحمن وكان شيعيّاً، فقيل له : ما السبب الذي أوجب عليك القول بإمامة علي النقي دون غيره من أهل الزمان ؟ فقال : شاهَدْتُ ما أوجبَ ذلك عليّ، وذلك أنّي كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسانٌ، وجرأة، فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين إلى

(١)ينظر : الإمام الرضا (عليه السلام) بين نصوص الرسالة وسلطان الرأي والقبيلة : عادل عبد الرحمن البدري : ١٩.

(٢) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٥٠، وأعلام الهداية : ١٣٦ - ١٣٧، ولمحات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : محمد رضا سيبويه : ١١٩.

باب المتوكّل متظلمين، فكنّا بباب المتوكل يوماً، إذ خرج الأمر بإحضار علي بن محمد بن الرضا، فقلت لبعض من حَضَر : مَنْ هذا الرجل الذي قد أُمِر بإحضاره ؟ فقيل : هذا رجلٌ علويٌ تقول الرافضة بإمامته، ثم قيل : ونقدّر أنّ المتوكّل يحضره للقتل، فقلتُ : لا أبرح من هاهنا حتى أنظر إلى هذا الرجل، أي رجل هو ؟ قال : فأقبل راكباً على فرس، وقد قام الناس صفّين يمنة الطريق ويَسْرتها ينظرون إليه، فلما رأيتُه وقع حبُّه في قلبي، فجعلت أدعو له في نفسي بأن يدفع الله عنه شرّ المتوكّل»[٣].

وكان المتوكّل يستدعيه بين الحين والآخر، وهو حاقد عليه يقصد الإساءة إليه، ولكنَّ الله سبحانه، كان يصرفه عنه، فقد جاء في رواية سهل بن زياد : «قال : حدّثنا أبو العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب (...) قال كنّا مع المعتز، وكان أبي كاتبه، فدخلنا الدار فإذا المتوكّل على سريره قاعد فسلّم المعتز، ووقف، ووقفت خلفه، وكان إذا دخل عليه رحّب به وأمر بالقعود، فأطال القيام، وجعل يرفع رِجلاً، وضع أخرى، وهو لا يأذن له بالقعود، ونظرتُ إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة، ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول : هذا الذي تقول فيه ما تقول ؟ ويردّد القول، والفتح مقبلٌ عليه يسكّنه، ويقول : مكذوب عليه يا أمير المؤمنين، وهو يتلظّى، ويقول : واللهِ لأقْتُلَنَّ هذا المرائي الزنديق، وهو الذي يدّعي الكذب، ويطعن في دولتي، ثم قال : جئني بأربعة من الخَزَرج جلاف لا يفقهون، فجيء بهم، ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أنْ يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن (عليه السلام) أنْ يقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه، وهو يقول : والله لأحرقنّه بعد القتل، وأنا منتصب قائم خلف المعتز من وراء الستر، فما علمت إلاَّ بأبي الحسن (عليه السلام) قد دخل، وقد بادر الناس قدّامه، وقد جاء والتفت، وإذا أنا به وشفتاه تتحركان وهو غير مكترث، ولا جازع، فلما بصر به المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه، وسبقه فانكبّ عليه فقبّل بين عينيه ويديه وسيفه بيده وهو يقول : يا سيّدي يا ابن رسول الله يا خير خلق الله يا ابن عمّي، يا مولاي، يا أبا الحسن»[٤].

---

(٣)كشف الغمة : ٤ / ٣٠.

(٤) حلية الأولياء : ٥ / ٥٣ – ٥٥، وينظر : الجرائح والخرائج : ١ / ٤١٧ – ٤١٩، وكشف الغمة : ٤ / ٣٨ – ٣٩.

وقد أبت النفس الآثمة، والروح الشريرة لحكام بني العباس إلاَّ أن ترتكب الجريمة الآثمة، وهي سمّ الإمام الهادي (عليه السلام)، فقد أقدم المعتز بن المتوكل على هذا الجرم الفادح، وقد وصف محمد حسين الأصفهاني، ما لقيه الإمام (عليه السلام) من سجن، وقتل على يد حكام بني العباس لاسيما المتوكل وابنه المعتز :

قَاسى الإمام من بني العبـاس ... ما ليس في الوَهْم وفي القِياسِ
كَمْ مرّة من بَعْد مرّة حُبـــسِ ... وهو بما يـراه منهم محتبـــسِ
حتَّى قَضَى بالغمِّ عمراً كامــلاً ... فسمّه المعتز سمّاً قاتـــــلاً
قَضَى شهيداً في ديار الغـــربة ... في شدّة ومحنةٍ وكُـــــرْبة[1]

ومنتهى الآمال : ٢ / ٤٩٩ – ٥٠٠. (الخَزَر : بالتحريك هي بلاد الترك، واسم إقليم من قصبة تُسَمَّى (إتل)، وإتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس والبلغار، وأيضاً هو انقلاب من الحدقة نحو اللحاظ، وهو أقبح الحال) (معجم البلدان : ٢ / ٣٦٧).

(١) الأنوار القدسية:١٠١

الفصل الرابع

تُرَاثُهُ (عليه السلام) الفكريّ

الفصل الرابع

تراثُهُ (عليه السلام) الفكري

آن الأوان أنْ نتحدّث عن تراث الإمام الهادي (عليه السلام) الفكري، ومشروعه العلمي، وهو تراث عظيم الأركان، واسع البناء، متعدّد الشعب وأنَّ المرء ليحارُ عندما يريدُ أنْ يلقي الضوء على هذا التراث الفكري الضخم، فلقد كان الإمام (عليه السلام) «من عمالقة العلم في الإسلام، فقد كان الوارثُ لعلوم آبائه الذين أضاؤُوا الحياة الفكرية في الإسلام»[1].

إنَّ الحديث عن هذا التراث يتطلب دراسة عميقة وواسعة، وجهداً كبيراً يحسن بنا، وبالباحثين الأكارم أنْ نعقد دراسة مستقلة ومفصلة عن هذا المشروع العلمي العظيم في قابل الأيام – إذا شاء الله (عزّ وجلّ) –، إلاَّ أنَّ من واجب الوفاء بالموضوع، وتماميته لا يسمح لنا بطيّ تلك المطالب، الفكرية، والمطالب العلمية للإمام الهادي (عليه السلام)، وأنْ نحيط – قدر المستطاع – بشذرات، وقبسات من مشروعه العلمي، وتراثه الفكري وهي غرفة من بحر، وغيض من فيض، وزهرة من روض[2].

ولا يخفى أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) كان حريصاً على نشر معالم الشريعة، وبيان أحكامها، وتدريس علومها، وقد احتف به الفقهاء، والعلماء وهم ينتهلون من نمير علومه، فكان خاصة الإمام الهادي (عليه السلام) من أهل بيته وشيعته يحرصون على حضور مجالسه، وعلى تدوين حديثه (عليه السلام) فإذا نطق بكلمة وأفتى في نازلة أثبت القوم ما

(١)حياة الإمام الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل) : ٣٠١.

(٢)ينظر : الأئمة الاثنا عشر : (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٥٩.

سَمِعُوا منه ذلك اليوم، فمن وصيته لأصحابه ما جاء في حديث أبي دعامة، قال : «أتَيْتُ علي بن محمد بن علي بن موسى عائداً في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة، فلما هممت بالانصراف قال لي : يا أبا دعامة قد وجب حقّك، أفلا أحدّثك بحديث تسرُّ به ؟ قال : فقلتُ له : ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله، قال : حدّثني أبي محمد بن علي، قال : حدثني أبي علي بن موسى، قال : حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال : حدثني أبي جعفر بن محمد قال : حدثني أبي الحسين بن علي، قال : حدّثني أبي علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أكتب يا عليّ، قال : قُلْتُ : وما أكتُب ؟ قال : «أكتب بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما وقّرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة» قال أبو دعامة : فقلتُ: يا بن رسول الله ما أدري والله أيُّهما أحسن : الحديث أم الإسناد ؟ فقلت : إنها لصحيفة بخطّ علي بن أبي طالب إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نتوارثها صاغراً عن كابر»[1]، وكان الرواة والعلماء يراجعونه كذلك فيما يشتبه عليهم عن طريق الكتابة، والمراسلة لاسيّما في تلك المرحلة إذ مُورست عليه الإقامة الجبرية، ونشرت العيون والجواسيس لمنع الاتصال بالإمام (عليه السلام)، لذلك جاءت روايات الإمام الهادي (عليه السلام) قليلة بالنسبة إلى أحاديث آبائه (عليهم السلام)؛ لأنَّه (عليه السلام) كان مقيماً بـ (سامرّاء) تحت مراقبة الحكومة العباسيّة، ولم يتيسّر له (عليه السلام) نشر العلوم والمعارف الإلهية، ولولا المراقبة، والتقية لوصلنا من تراث الإمام (عليه السلام) وافرٌ وتراث علمي كبير، ثم إنَّ الرواة – كما قلنا من قبل – يعبرون عنه بأسماء مختلفة عند نقل الحديث، ويروون عنه بعنوان أبي الحسن الهادي، أبي الحسن الثالث، أبي الحسن الأخير، أبي الحسن العسكري، الرجل، الطيّب، الأخير، الصادق بن الصادق، الفقيه، الفقيه العسكري وغيرها والمقصود منها عليّ بن محمد (عليهما السلام) للتقية، أو لعلل أخر[2]، وكان الرواة والعلماء يتصلون بالإمام (عليه السلام) في الغالب بالمراسلة، ويجدُ المتتبع لتراثه عشرات

(١)مروج الذهب : ٤ / ١٧١.

(٢)ينظر : مسند الإمام الهادي : (عليه السلام) عزيز الله العطاردي : ٩ – ١٠.

الروايات بهذا الطريق في مختلف الأبواب والموضوعات الفقهية[3]، قال محمد حسن آل ياسين: «إنَّ هذا الإرث النفيس لم يسمعه الرواة منه بطريق الدرس، والمحاضرة والإلقاء السردي للمطالب المنوّه عنها – كما قد يتصور بعض الناس اليوم – وإنّما هو في معظمه جواب مباشر على أسئلة خواصه وأصحابه، أو ردّ على استعلام زائريه ومراجعيه، أو شرح لما يودّ فهمه الراغبون بذلك من روّاد مجلسه من طلاب العلم وعشاق المعرفة، وكان هذا في غالبه قائماً على المشافهة والحوار، وفي بعضه الأقل مكتوباً يرسل إليه من خارج سُرّ من رأى فيجيب عليه كتابة وتحريراً أيضاً»[4].

ويجد المتتبع لمرويات الإمام الهادي (عليه السلام) عشرات المرويات بهذا الطريق في مختلف الأبواب الفقهية، والمسائل التشريعيّة، وللإطلاع على بعض الأمثلة من تلك المكاتبات، يمكن إلقاء نظرة – ولو سريعة – على كتاب (مكاتيب الأئمة (عليهم السلام) لـ (الفيض الكاشاني) لملاحظة حجم المراسلات للإمام الهادي (عليه السلام)، والأئمة المتأخرين (عليهم السلام)[5].

كان الإمام (عليه السلام) يشجّع أصحابه على مضاعفة الجهد والسعي، وركب المخاطر من أجل الدفاع عن أهل البيت (عليهم السلام) ونشر علومهم فهم يمثلون الخط المستقيم القويم، ويدعوهم إلى الهداية والرشاد وطلب العلم لا من أجل المحاججة والتخاصُم، بَلْ من أجلِ الوقوف على الحقائق العلمية، ونيل العلوم الفقهية في مسائل الفقه كافة، فضلاً عن نشرها في أوساط المجتمع آنذاك، وكان (عليه السلام) يكرم رجال الفكر والعلم، ويحتفي بهم، ويقدّمهم على بقية الناس ؛ لأنهم مصدر النور في الأرض، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال : «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بَقي أحد إلا

(٣)ينظر : سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٥٦.

(٤)الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٥٨ – ٣٥٩.

(٥)ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (عليهم السلام) : ١٢ / ٤٤ – ٤٥، ومكاتيب الأئمة : الفيض الكاشاني، مطبوع في جزئين، طبع ومكتبة الصدوق، قم – إيران.

ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هُم الأفضلون عند الله (عزّ وجلّ)»[1]، ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بتشجيع طلبة العلم، وتكريمه إياهم بَلْ يفضل العالم من شيعته على الهاشميّ واضعاً نصب عينيه (عليه السلام) النصوص القرآنية في رفع أهل العلم، وإنزالهم منازلهم اللائقة بهم، وهو أمرٌ يجدر بالحكام، والوزراء، وأصحاب الشأن الالتفات إليه من أجل بناء المجتمع، والسموّ به إلى مصاف الأمم المتقدّمة، فقد روي «عن الحسن العسكري (عليه السلام) أنه اتصل بأبي الحسن عليّ بن محمد العسكري (عليهما السلام) : أن رجلاً من فقهاء شيعته كلّم بعض النصاب فأفحمه بحجّته حتى أبان عن فضيحة، فدخل إلى عليّ بن محمد (عليهما السلام)، وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب، وهو قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه، فاشتدّ ذلك على أولئك الأشراف، فأمّا العلوية فأجلّوه عن العتاب، وأما الهاشميون، فقال له شيخهم : يا ابن رسول الله، هكذا تؤثر عاميّاً على سادات بني هاشم من الطالبين والعباسيين ؟! فقال (عليه السلام) : إيّاكم وإن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم﴾ أترضون بكتاب الله (عزّ وجلّ) حكماً ؟ قالوا : بلى، قال : أليس الله تعالى يقول :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ﴾، فلم يرض للعالم المؤمن إلاّ أنْ يرفع على المؤمن غير العالم كما لم يرض للمؤمن إلاّ أنْ يرفع على مَنْ ليس بمؤمن، أخبروني عنه، قال : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ﴾، أو قال : يرفع الله الذين أوتوا شرف النسب درجات ؟ أوليس قال الله﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾، فكيف تنكرون رفعي لهذا لمّا رفعه الله ؟ إنَّ كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علّمه إياها لا فضل له من كلّ شرف في النسب، فقال العباسي : يا ابن رسول الله : قَدْ أشرفت علينا هو ذا يقصر بنا عمّن ليس له نسب كنسبنا،

(١)الاحتجاج : أبو منصور الطبرسي : ٢ / ٥٠٢.

وما زال منذ أوّل الإسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه فيه، فقال (عليه السلام): سبحانَ الله !، أليس عباس بايع لأبي بكر وهو تيمِيّ، والعباس (هاشميّ)، (...) وعُمَر (عَدَويّ) ؟! وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى، ولم يدخل العباس ؟ فإن كان رفعنا لمن ليس بهاشميّ على هاشمي منكراً، فأنكروا على العباس بيعته لأبي بكر، وعلى عبد الله بن عباس خدمة لعُمَر بعد بيعته فإن كان ذلك جائزاً، فهذا جائز، فكأنما ألقم الهاشميُّ حجراً»[٢].

لقد شرح الله (عزّ وجلّ) صدر الإمام الهادي (عليه السلام) للعلم، وأوسع قلبه للمعارف، فقد تفتّحت له أسرار الحقائق، وغوامض الأمور بغير طلب أو جَهْد، وقد تحدّث الناس عن سعة معارفه إذ لم يكن هناك أحدٌ يجاريه في ثرواته العلمية المذهلة التي شملت أنواع العلوم من الحديث، والفقه، والتفسير، والفلسفة، وعلم الكلام وغيرها من سائر العلوم، وقد اعترف العلماء والفقهاء بأعلميته وجامعيته، وتسالموا على الرجوع إلى رأيه المشرق في المسائل المعقّدة والغامضة من أحكام الشريعة كافة[٣]، فالإمام (عليه السلام) كان أعلم الموجودين وأفقههم في عصره بلا منازع، وقد لجأ إليه الحكّام، والعلماء، والفقهاء في حلّ كثير من المسائل المعضلات، فنجد في النصوص التي وقفنا عليها عبارات (تعايى القوم)، و (فلم يُجب أحدٌ)، و (اسألوا ابن الرضا)، و (أرسلوا إلى علي بن محمد) وغيرها، «قال يَحْيى بن هرثمة : تذاكر الفقهاء يوماً بحضرة المتوكل مَنْ حلق رأس آدم حين حجّ فلم يعرفوا من حلقة، فقال المتوكل : أرسلوا إلى عليّ بن محمد بن علي الرضا فأحضروه، فحضر فسألوه، فقال : «حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عن جدّه عن أبيه، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنَّ الله تعالى أمر جبرئيل أنْ ينزل بياقوتة من يواقيت الجنة فنزل بها فمسح بها رأس آدم (عليه السلام) فتناثر الشعر منه فحين بلغ نورها صار حرماً»»[٤].

---

(٢)الاحتجاج : ٢ / ٥٠٠ – ٥٠٢، وينظر : حلية الأبرار : ٥ / ٣١ – ٣٢. (آل عمران / ٢٣)، (المجادلة / ١١)، (الزمر / من الآية ٩).

(٣)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل : ٧٣، ونفحات من سيرة أئمة أهل البيت : ٣٢٩ – ٣٣٠.

(٤)تذكرة الخواص : ٢ / ٤٩٨ – ٤٩٩.

لقد ترك الإمام الهادي (عليه السلام) لنا تراثاً ضخماً في العلم، والتقوى، والسلوك الإنساني، وأصول الأخلاق، زد على ذلك الأقوال الحكيمة، والأدعية الجبّارة التي تمثل وثائق تاريخية في بيان الظلم، والاضطهاد الذي عاناه الإمام (عليه السلام) في ظل حكومة بني العباس، لاسيّما المتوكل العباسي، وحينما تتضح لنا مصادر علم الإمام الهادي (عليه السلام)، ومنابع عبقريته الفكرية والثقافية، يكون من المنطقي جداً وحتماً أنْ نتطلع بمنتهى الشوق والتلهف إلى معرفة ما أسند إلى هذا الإمام العظيم من تراث الإمامة الواسع الممتد عبر عوالم الفلسفة، والتوحيد، والتفسير والفقه، والأخلاق والسلوك وغيرها[1].

ويظهر أنَّ هذا المشروع الفكري، والتراث العلمي العظيم كان متفاعلاً ومتناغماً مع الواقع المعيش آنذاك، فكان الفساد، وضعف السياسة والإدارة ولهو الحكام في حين كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يحاولون بث الوعي الإسلامي، والحفاظ على أصالة الفكر، ومسار السياسة، «فبعلومهم النجاة، وبهم الحياة، فقد أقام الله بهم الحجّة، وأقام بمكانهم المحجّة»[2].

وعودٌ على بدء فإنَّ النصوص الفكرية، والشرعية، والأخلاقية، والتربوية التي صدرت عن الإمام الهادي (عليه السلام)، وكذلك المادة العلمية المستخرجة من مراسلاته وأدعية، وأقواله الحكمية القصار هي مصدرنا الأول في عرض تراثه الفكري، ومشروعه العلمي، بيد أنَّ التعامل مع هذه النصوص لا يتوقف عند قضيّة جمعها من المصادر المتفرقة في كتب المسلمين وتراثهم، بل هي بحاجة إلى دراسات تحليليّة ليفاد منها في معرفة أنساق منظومة الإمام الهادي (عليه السلام) الثقافية، والفكرية، ومن ثم تعرّفها الأجيال الجديدة، وهذا ما ندعو إليه في الدراسات القابلة التي ستتناول تراث الإمام الهادي (عليه السلام)، لاسيما الدراسات التربويّة، والروحيّة.

بعد هذه التوطئة، نقول : يمكننا حصر تراث الإمام الهادي (عليه السلام) الفكري –

---

(١)ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٥٨.

(٢)تحف العقول : ١١.

قدر المستطاع – والإحاطة به في ضوء عرض أهم المباحِث التي سنقف عليها، وهي مناظراتُهُ واحتجاجاته العلمية، ومرويّاته، وأقواله الحِكَميّة، وأصحابه ورواته.

المبحث الأول
مناظراتُه (عليه السلام) واحتجاجاتُه العلميّة

سنبسط في هذا المبحث جملة من المناظرات، والاحتجاجات العلميّة التي صدرت من الإمام الهادي (عليه السلام) في الجانب الفقهي، والجانب التفسيري، والجانب الكلامي، وإن سعة هذه المناظرات والاحتجاجات يدلُّ بشكل واضح على الدور الكبير، والأثر المشرق للإمام (عليه السلام)، وأصحابه في التشريع، ومساهمتهم في الحفاظ على خطّ الإسلام الأصيل، ومبادئه السمحاء في أشدّ الظروف وأقساها.

أولاً : الجانب الفقهي :

في ضوء النصوص التي وقفنا عليها، المتصلة بالجانب الفقهي التشريعي نجد كثرة المسائل الفقهية والتشريعية التي صدرت عن الإمام الهادي (عليه السلام)، وقد أفاد عزيز الله العطاردي في مسنده (مسند الإمام الهادي (عليه السلام))[١]، وباقر شريف القرشي في (حياة الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل)[٢]، وحسين الشاكري في موسوعته (موسوعة المصطفى والعترة (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣] في جمع هذه النصوص من الكتب الحديثية الأربعة، وكذلك الكتب الأخر المعنيّة بالأحاديث، وقد ضمّت هذه المصادر قدراً كبيراً من الروايات عن الإمام الهادي (عليه السلام) في شؤون العبادات

(١)ينظر : مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ١٧ – ٢٩.

(٢)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٩٠ – ١٠٧.

(٣)ينظر : موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٨١ – ١٤٢.

والمعاملات والعقود والإيقاعات، وقد رتّب هؤلاء المسائل الفقهية ترتيباً موضوعيّاً.

لقد كان الإمام (عليه السلام) فقيه عصره سواء أكان في المدينة المنوّرة، أم في بغداد، أم في سامرّاء، حتى أن الحكام العباسيين ولاسيما المتوكل الذي كان من أعدى أعدائه، وأشدّهم حقداً عليه كان يرجع إليه في المسائل الغامضات حينما يتعايى الفقهاء، والعلماء عن الجواب، فضلاً عن ذلك نراه يقدم فتوى الإمام (عليه السلام) على فتاوى الفقهاء.

والذي يهمنا أولاً هو عرض أهم المسائل الفقهية التي عرضت عليه (عليه السلام) من مناوئيه في المناظرات والمجالس العلمية التي كانت تعقد، أو الأسئلة التي توجّه إليه (عليه السلام) عن طريق بعض الفقهاء أو أصحابه، من أجل إسقاط الإمام، والتشهير به (عليه السلام) والحطّ من شأنه، وإظهار عجزه، إلاَّ أنه كان يردُّ على الأسئلة ردّاً قاطعاً يسكت الأفواه، ويخرس الألسنة، فدلّل على طاقاته العلمية الهائلة التي هي إحدى العناصر الواضحة في معالم شخصيته الإمام العظيمة.

فمن المسائل التي أجاب عنها الإمام الهادي (عليه السلام) في الجانب الفقهي أن نشير في هذا السياق ما حدّثنا به المحدّثون من أسئلة وجهها إليه المتوكل العباسي، وكذلك الواثق، والقاضي يحيى بن أكثم.

١- مناظرة المتوكل الإمام الهادي (عليه السلام):

أ. (مسألة التصدق بثمانين ديناراً):

قال الخطيب البغدادي: «اعتلّ المتوكل في أول خلافته، فقال: لئِن برئت لأتصدّقن بدنانير كثير، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله فقال: يتصدّق بثلاثة وثمانين ديناراً، فتعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فردّ الرسول إليه فقال له: قُلْ لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنَّذر، لأنَ الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾(التوبة / ٢٥)، فروى أهلنا

جميعاً أَنَّ المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأَنَّ يوم حنين كان الرابع والثمانين وكلّما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له، وآجر عليه في الدنيا والآخرة»[1].

ب. (مسألة النصراني الذي فجر بامرأة مسلمة) :

قال الطبرسي : «قدّم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أنْ يقيم عليه الحدّ فأسلم، فقال يحيى بن أكثم : قد هدم أيمانُه شركه وفعله، وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم يفعلُ به كذا وكذا، فأمر المتوكّل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري (عليه السلام) وسؤاله عن ذلك، فلمّا قرأ الكتاب كتب (عليه السلام) يضرب حتى يموت، فأنكر يحيى، وأنكر فقهاء العسكر ذلك فقالوا : يا أمير المؤمنين : سَلْه عن ذلك، فإنَّه شيء لم ينطق به كتاب، ولم يجيء به سنة فكتب إليه : إن الفقهاء قد أنكروا هذا، وقالوا : لم يجيء به سنة ولم ينطق به كتاب، فبيّن لنا لمَ أوجبت عليه الضرب حتى يموت ؟ فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ (...) قال : فأمر به المتوكّل فضرب حتى مات»»[2].

ونفهم من سياق الآية المباركة أَنَّ الإسلام الذي أظهره هذا النصراني الفاجر ليس إيماناً صادقاً، وإنما هو قلقلة لسان من أجل التهرب من إقامة الحد، والنجاة من العقاب، وكل مَن أظهر الإيمان خوفاً من العدل الإلهي لا يكون الإيمان نافعاً له ويكون مستحقاً للعقاب الذي أمر به البارئ (عزّ وجلّ)، وقد استنبطه الإمام الهادي (عليه السلام).

(١)تاريخ بغداد : ١٢ / ٥٧، وينظر : تحف العقول : ٣٥٦ – ٣٥٧، والاحتجاج : ٢ / ٤٩٧ – ٤٩٨، والوافي بالوفيات : ١٧ / ٣٧٧، وحلية الأبرار : ٥ / ١٩ – ٢٠.

(٢)الاحتجاج : ٢ / ٤٩٨ – ٤٩٩، وينظر : حلية الأبرار : ٥ / ١٨ – ١٩، (سورة غافر / ٨٤ – ٨٥).

ج. (تكنية الكافر) :-

كان للمتوكل كاتب نصرانيّ، وكان أثيراً عنده، وكان يخلص له في الحبّ فلم يناده باسمه، وإنما كان يكنيه (أبا نوح)، فأنكر عليه جماعة من الفقهاء أنْ يكنيه وقالوا : لا يجوز للمسلّم أنْ يكنّي الكافر، وأجاز آخرون منهم، ورفع المتوكل بذلك استفتاء للإمام (عليه السلام) فكتب في الجواب بعد البسملة الآية الكريمة) ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، فأخذ المتوكّل بفتوى الإمام (عليه السلام)[1].

د. (العلة التي بُعث من أجلها موسى (عليه السلام)، وعيسى (عليه السلام)، ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«وقال المتوكل لابن السكّيت سَلْ ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي فسأله، فقال : لَمِ بعث الله موسى (عليه السلام) بالعَصَا، وبعث عيسى (عليه السلام) بإبراء الأكمه والأبرص وإحياءَ الموتى، وبعث محمداً بالقرآن والسيف، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : بعث الله موسى (عليه السلام) بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم، وبهرهم وأثبت الحجة عليهم، وبعث عيسى (عليه السلام) بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطب فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم، وبعث محمداً بالقرآن والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم، وأثبت الحجّة عليهم»[2].

---

(١)ينظر : بحار الأنوار : ١٢ / ٢٣٤. (سورة المسد/ ١).

(٢)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٤ – ٤٣٥، وينظر : بحار الأنوار : ١٢ / ٢٣٦.

٢- مناظرة الواثق الإمام (عليه السلام) :

نقل لنا الخطيب البغدادي مسألة فقهية جرت في مجلس الواثق نقلناها من قبلُ، وعذري في ذلك أنّي أجد لها ضرورة في مواضعها لتعاد في شاهد آخر، وتوثيق آخر، «قال يحيى بن أكثم في مجلس الواثق، والفقهاء بحضرته : مَنْ حلق رأس آدم حين حجّ ؟ فتعايى القوم عن الجواب، فقال الواثق : أنا أحضركم من ينبئكم بالخبر، فبعث إلى عليّ بن محمد فأحضر، فقال : يا أبا الحسن مَنْ حلق رأس آدم ؟ فقال : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلاَّ أعفيتني، قال : أقسمت عليك لتقولنَّ، قال : أما إذا أبيت، فإنّ أبي حدّثني عن جدّي عن أبيه عن جدّه، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أمر جبريل أنْ ينزّل بياقوتةٍ من الجنّة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً»»[٣].

٣- مناظرة يحيى بن أكثم الإمام (عليه السلام) :

من المسائل التي أجاب عنها الإمام (عليه السلام) في الفقه، ما حدَّث به المحدّثون من أسئلة يَحْيى بن أكثم، قال ابن شعبة الحرّانيّ : «أجوبته (عليه السلام) ليحيى بن أكثم عن مسائله، قال : موسى بن محمد بن الرضا : لقيت يَحْيَى بن أكثم في دار العامة، فسألني عن مسائل، فجئت إلى أخي علي بن محمد (عليهما السلام) فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت له : جعلت فداك : إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل فقهية لأفتيه فيها، فضحك (عليه السلام)، ثم قال : هل أفتيته، قلت : لا، لم أعرفها»[٤]، وهذه المسائل :-

---

(٣)تاريخ بغداد : ١٢ / ٥٦.

(٤)تحف العقول : ٣٥٥.

أ.   (مسألة قبول شهادة المرأة وحدها) :

قال موسى بن محمد بن الرضا : «وعن شهادة المرأة جازت وحدها، وقد قال الله : ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (الطلاق / من الآية ٢)، قال الإمام الهادي (عليه السلام) : «وأمّا شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضا، فلا أقل من امرأتين، تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة ؛ لأن الرجل لا يمكنه أنْ يقوم مقامها، فإنْ كانت وحدها قبل قولها مع يمينها»»[1].

ب. (مسألة معرفة الخنثى) :

«وعن الخنثى، وقول علي (عليه السلام) : يورث من المبال، فمَنْ ينظر إذا بال عليه، مع أنه عسى أنْ يكون امرأة، وقد نظر إليها الرجال، أو عسى أنْ يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء، وهذا لا يحلّ، وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل (...) قال الإمام الهادي : «وأما قول علي (عليه السلام) في الخنثى فهي كما قال : ينظر قوم عدول يأخذ كلّ واحد منهم مرآة، وتقوم الخنثى خلفهم عريانه وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه»»[2].

ج. (مسألة الشاة المَنْزُوّ بها، وقد دخلت بين الغنم) :

«وعن رجلٍ أتى إلى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها، فلمّا بَصُرَ بصاحبها خلّى سبيلها، فدخلت بين الغنم، كيف تذبح، وهل يجوز أكلها أم لا (...) قال الإمام الهادي (عليه السلام) : «وأما الرجلُ الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة، فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسّم الغنم نصفين، وساهم بينها، فإذا وقع

(١)تحف العقول : ٣٥٥، وينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٦.

(٢)م. ن : ٣٥٣، وينظر : م. ن : ٤ / ٤٣٦.

على أحد النصفين، فقد نجا النصف الآخر، ثم يفرّق النصف الآخر، فلا يزال كذلك حتّى تبقى شاتان، فيقرع بينهما، فأيّتها وقع السهم بها ذبحت، وأحرقت ونجا سائر الغنم»»(٣).

د. (مسألة علّة الجهر بصلاة الفجر) :

«وعن صلاة الفجر لمَ يُجْهَر فيها بالقراءة، وهي من صلاة النهار، وإنّما يجهر في صلاة الليل (...) قال الإمام الهادي : «وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة ؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يغلس بها، فقراءتها من الليل»»(٤).

ه. (لماذا لم يقتل الإمام علي (عليه السلام) قاتل الزبير بن العوام) :

«وأما قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : بشّر قاتلك ابن صفيّة بالنار، لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان مِمّن خرج يوم النهروان، فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة ؛ لأنه علم أنه يقتل في فتنة النهروان»(٥).

و. (مسألة اختلاف تعامل الإمام علي (عليه السلام) مع أهل صفين، وأهل الجمل) :

«وأما قولك : إنَّ عليّاً (عليه السلام) قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين وأجاز على جريحهم، وإنّه يوم الجمل لم يتبع مواليًا، ولم يجهز على جريح، ومن ألقى سلاحه آمنه، ومن دخل داره آمنه، فإن أهل الجمل قتل إمامهم، ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين رضوا بالكفّ عنهم

---

(٣)تحف العقول : ٣٥٣ – ٣٥٦، وينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٦.

(٤)م.ن : ٣٥٦، وينظر : م.ن : ٤ / ٤٣٦.

(٥)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٦ (ابن صفيّة : هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المقتول في البصرة سنة (٣٦هـ)، وصفية أمه بنت عبد المطلب، وعمّة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقاتله (عمر بن جُرْموز) الشاعر.

فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة، وإمام يجمع لهم السلاح والدروع، والرماح، والسيوف، ويسني لهم العطاء، ويهيئ لهم الإنزال، ويعود مريضهم، ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسو حاسرهم، ويردّهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم، فلم يساوِ بين الفريقين في الحكم، لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد، لكنه شرح ذلكَ لهم، فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك»[1].

ز. (مسألة الرجل الذي أقرّ باللواط على نفسه):

«وأخبرني عن رجل أقرّ باللواط على نفسه، أيحدّ أن يدرأ عنه الحدّ ؟ (...) قال الإمام الهادي (عليه السلام): وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنّه لم تقم عليه بينة، وإنما تطوع بالإقرار على نفسه، وإذا كان للإمام الذي مَنّ الله أنْ يعاقب عن الله كان له أنْ يمنّ على الله»[2]، «أما سمعت الله يقول لسليمان:) ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾(ص / ٣٩) فبدأ بالمَنّ قبل المنع»[3].

فلما قرأ ابن أكثم هذه الأجوبة «قال للمتوكل: ما نحبّ أنْ تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، وإنه لا يردّ عليه شيء بعدها إلاّ دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة»[4].

---

(١) تحف العقول: ٣٥٦. وينظر: مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٣٧.

(٢) م. ن: ٣٤٥ – ٣٥٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٣٧.

(٤) م. ن: ٤ / ٤٣٧.

٤ – أسئلة فقهيّة متنوعة من أصحابه (عليه السلام) :

سنذكر قسماً من الأحكام الشرعيّة التي أجاب الإمام أصحابه ومواليه عنها، «روى أبو تراب الروياني، قال : سمعت أبا حماد الرازي، يقول : دخلتُ على علي بن محمّد (عليه السلام) بسرّ من رأى، فسألته عن أشياء من الحلال والحرام، فأجابني فيها»[٥].

أ. (مسألة الأيام التي تُصام في السنة) :

روى الشيخ الطوسي عن إسحاق بن عبد الله العلوي، قال : «ركب أبي وعمومتي إلى أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام)، وقد اختلفوا في الأيام الأربعة التي تصام في السنة، وهو مقيم بـ (صريا) قبل مصيره إلى (سرّ مَنْ رأى)، فلما دخلوا عليه، قال : جئتم تسألوني عن الأيام التي تصام في السنة، فقالوا : ما جئنا إلاّ لهذا، فقال : السابع عشر من ربيع الأول، وهو اليوم الذي ولد فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واليوم السابع والعشرون من رجب، وهو اليوم الذي بعث فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واليوم الخامس والعشرون من ذي القَعْدَة وهو اليوم الذي دحيت فيه الأرض، واليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وهو يوم الغدير»[٦].

ب. (مسألة اللُّقَطَة في المسجد الحرام) :

عن محمد بن رجاء الأرجاني أنه قال : «كتبْتُ إلى الطيِّب : إني كنت في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت إليه لآخذه، فإذا أنا بآخر، ثم بحثت الحصا فإذا أنا بثالث، فأخذتها، وعرفتها، فلم يعرفها أحدٌ فما ترى في ذلك فكتب : فهمت ما ذكرت من أمر الدنانير، فإن كنت محتاجاً فتصدق بثلثها، وإن كنت غنيّاً فتصدّق بالكلّ»[٧].

---

(٥)سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار : عباس القـُمّي : ٦ / ٣٤.

(٦)منتهى الآمال : ٤ / ٤٧٧.

(٧)سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٥٧. (الطيّب : من ألقاب الإمام الهادي (g).

ج. (مسألة القراطيس والكواغد المكتوبة عليها يجوز السجود عليها) :

«قال الشيخ الصدوق : سأل داود بن أبي زيد أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن: القراطيس والكواغد المكتوبة عليها، يجوز عليها السجود ؟ فكتب : يجوز»[1].

د. (مسألة المُغْمى عليه يوماً أو أكثر، هل يقضي ما فاته ؟) :

«روى الشيخ الطوسي عن أيوب بن نوح، قال «كتبتُ إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام)، أسأله عن المُغْمى عليه يوماً، أو أكثر هل يَقْضي ما فاته، أم لا ؟ فكتب (عليه السلام) لا يقضي الصوم، ولا يقضي الصلاة»»[2].

ه. (مسألة الرجل المأمور الذي سُرق متاعُهُ) :

عن علي بن محمد القاساني، إنه قال : «كَتَبْتُ إلى أبي الحسن الثالث، وأنا بالمدينة سنة إحدى وثلاثين ومائتين : جعلت فداك رجل أمر رجلاً يشتري له متاعاً أو غير ذلك، فاشتراه وسرق منه، أو قطع عليه الطريق من مال من ذهب المتاع من مال الآمر، أو من مال المأمور، فكتب سلام الله عليه : من مالٍ الآمر»[3].

و. (مسألة ادّعاء الأب والزوج بإعارة المرأة المتوفاة) :

روى جعفر بن عيسى، قال : «كتبتُ إلى أبي الحسن يعني علي بن محمد (عليه السلام) : المرأة تموت فيدّعي أبوها أنه كان أعارها بعض ما كان عندها من متاع وخدم، أتقبل دعواه بلا بيّنة ؟ فكتب (عليه السلام) إليه : يجوز بلا بينة، وقال : وكتبت إليه إن ادّعى زوج

---

(١)مَنْ لا يحضرُه الفقيه : الصدوق : ١ / ٢٧٠.

(٢)تهذيب الأحكام : الطوسي : ٤ / ٢٢٣.

(٣)سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٥٨.

المرأة الميّتة أو أبو زوجها، أو أم زوجها عن متاعها وخدمها مثل الذي ادّعى أبوها من عارية بعض المتاع والخدم أيكون في ذلك بمنزلة الأبّ في الدعوى، فكتب (عليه السلام): لا»[٤].

ز. (مسألة الرجل الذي دخل دار غيره للتلصّص أو الفجور فقتل) :

«روى الشيخ الكليني بالإسناد عن الفتح بن يزيد الجرحاني، عن أبي الحسن (عليه السلام) في رجل دخل على دار آخر للتلصّص أو الفجور فقتله صاحب الدار، أيقتل به أم لا ؟ فقال : اعلم أنَّ من دخل دار غيره فقد أهدر دَمُه، ولا يَجب عليه شيء»[٥].

ح. (مسألة أكل لحم الجاموس) :

«عن أيوب بن نوح بن درّاج، قال : سألتُ أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن الجاموس، وأعلمته أنَّ أهل العراق يقولون : إنّه مسخ، فقال : أو ما سمعت قول الله : ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾[٦].

(٤)تهذيب الأحكام : ٦ / ٢٨٩.

(٥)الكافي : ٧ / ٢٩٤.

(٦)تفسير العياشي : العياشي : ١ / ٣٨٠. (الأنعام / من الآية ١٤٤).

ثانياً : الجانب التفسيري :

مما لا شكّ فيه أنَّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم حملة القرآن الكريم، فقد نزل في بيوتهم، وهو يمثل أساساً فكرياً مهماً في توجّهاتهم (عليهم السلام)، ولا يمكن أنْ نمرّ على سيرة واحد منهم من دون أنْ نتلمس ذلك الاهتمام الكبير، وهو أمر بديهي، فالقرآن الكريم هو النصّ الخالد الذي يساير الزمان والمكان إلى يوم يبعثون، وهو البحر الذي لا ينضب ماؤه، والشجرة المعطاء التي لا تيبس وقد أشار الإمام الهادي (عليه السلام) إلى هذا المضمون، فعن أبي جعفر الطوسي، قال : «أخبرنا جماعة عن أبي المفضل، قال : حدّثنا أبو الحسين رجاء ابن يحيى العبرتائي قال : حدّثنا يعقوب بن السكيت النحوي، قال : سألت أبا الحسن علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام)، ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلاَّ غضاضة ؟ قال : إنَّ الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضٌّ إلى يوم القيامة»(١).

ولا يخفى أنَّ لأهل البيت منهجاً خاصاً في تفسير القرآن الكريم يفهمه كلّ من مارس كلماتهم، وأحاديثهم في تفسير القرآن الكريم، والخطوط العامة له هو تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك تنزيه الله (عزّ وجلّ) عن التجسيم، والوصف، والرؤية، وكذلك تنزيه الأنبياء من المعاصي، وقولهم جميعاً بسلامة القرآن الكريم من التحريف(٢).

وقد نقل لنا المؤرخون ممّن ذكروا سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) أنَّ سعيداً الحاجب لمّا أراد أن يتجسّس على الإمام (عليه السلام) ليلاً بطلب من المتوكّل، قال : رأيته (عليه السلام) جالساً على حصير في وسط الدار، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجّهاً إلى ربّه يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد(٣).

إنَّ اتصال الإمام (عليه السلام) بالدستور الإلهي جعله يكثر من الاستشهاد بالقرآن

(١)أمالي الطوسي : الطوسي : ٢ / ١٩٣.

(٢)ينظر : موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٧٧.

(٣)ينظر : مروج الذهب : ٤ / ١٠٥ – ١٠٦، والوافي بالوفيات : ١٧ / ٣٧٦.

الكريم فهو الثّقل الأكبر، والنظام العام للمسلمين كافة، ففي الرسالة التي وجهها الإمام الهادي (عليه السلام) إلى جماعة من الموالين يخبرهم بتعيينه أبا الحسن علي بن راشد البغدادي وكيلاً له، فقال: «وأحمدُ اللهَ إليكم ما أنا عليه من عافيتِهِ، وأُصلّي على نبيّه وآلِهِ أفضل صلاتِهِ، وأَكْمَلَ رَحْمَتِهِ ورأفته، وإنّي أَقَمْتُ أبا عليّ بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربّه، ومَنْ كان قِبَله من وُكلائي، وصار في منزلته عندي ووَلَّيْتُه ما كان يتولاّه غيرُهُ من وُكلائي قبلكم ليقبض حقّي، وارتضيتُه لكم، وقَدَّمْتُهُ على غيره في ذلك وهو أهله ومَوْضعُهُ فصيروا رَحِمَكُمُ الله إلى الدفع إليه ذلك وإِلَيّ وأنْ لا تجعلوا له على أنفسكم عِلَّةً فعليكم بالخروج عن ذلك، والتسرع إلى طاعة الله، وتحليل أموالكم والحَقْن لدمائكم، وتعاونوا على البرّ والتقوى، واتقوا الله لعلكم ترحمون واعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون، فقد أَوْجبتُ في طاعته طاعتي، والخروج إلى عصيانه الخروج إلى عصياني، فالزموا الطريق يأجُرُكم الله ويزيدُكُم من فضله، فإن الله بما عنده واسع كريم، متطوّل على عباده رحيم، نحن وأنتم في وديعة الله وحفظه، وكتبتُه بخطّي، والحمد لله كثيراً»(٤).

وسنذكر في الآتي أهم النصوص التفسيريّة التي جاءت عن الإمام الهادي (عليه السلام)، مرتبة بحسب السور في الكتاب العزيز:

أ. سورة البقرة:

«العياشي بإسناده عن حمدويه عن محمد بن عيسى، قال: سمعته يقول: كتب إليه إبراهيم بن عنبسة يعني إلى علي بن محمد (عليه السلام): إن رأي سيدي ومولاي أنْ يخبرني عن قول الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾((البقرة/ من الآية ٢١٩) فما الميسر جعلت فداك؟ فكتب ما قُوْمِر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام»(٥).

---

(٤)حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل: ٢٣١.

(٥)تفسير العياشي: ١ / ١٠٦.

ب. سورة آل عمران :

قال الإمام الهادي (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ (آل عمران / ٦١) : «ولو قال : عليكم لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أنَّ نبيّه يؤدّي عن رسالته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبيُّ أنه صادق فيما يقول، ولكن أحبَّ أنْ ينصف من نفسه»[١].

ج. سورة الأنعام :

«العياشي ؛ بإسناده عن أيوب بن نوح بن درّاج، قال : سألت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن الجاموس، وأعلمته أن أهل العراق يقولون إنّه مسخ، فقال : أوَ ما سمعت قول الله : ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾»[٢].

د. سورة الأعراف :

وكان من جملة ما فسره، الشجرة التي ورد في القرآن أنَّ الله قد نهى آدم وزوجه أنْ يأكلا منها، قال تعالى : ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ (الأعراف / من الآية ٢٢)، وكان جواب الإمام الهادي (عليه السلام) أنَّ في الجنة «من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس، وتلذّ الأعين، وأباح الله ذلك كلّه لآدم، والشجرة التي نهى اللهُ عنها آدم وزوجه أنْ يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أنْ لا ينظر إلى مَنْ فَضَّل الله على خلائقه بعين الحسد فنسي، وأكل، ونظر بعين الحسد ولم يجد له عَزما»[٣].

(١) تحف العقول : ٣٥٤.

(٢) تفسير العياشي : ١ / ٣٨٠. (الأنعام : من الآية ١٤٤).

(٣) تفسير العياشي : ٢ / ٩. وينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٥ - ٤٣٦.

هـ. سورة التوبة :

عن «عروة بن أذينة : سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ (التوبة / من الآية ١٠٥)، فقال : إيّانا عَنَى»(٤).

و. سورة يونس :

سُئِلَ الإمام الهادي (عليه السلام) عن المخاطب في قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (يونس / ٩٤)، فأجاب : «إن المخاطب به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يكن في شك مما أنزل إليه، ولكن قالت الجهلة، كيف لم يبعث الله نبيّاً من الملائكة ؟ ولِمَ لم يفرّق بين نبيّه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق ؟ فأوحى الله إلى نبيّه : ﴿ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (بمحضر من الجهلة هل بعث الله نبيّاً قبلك إلاَّ وهو يأكل الطعام والشراب ولك بهم أسوة يا محمد، وإنّما قال : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ ﴾ ولم يكن شك، ولكن للنصفة»(٥).

ز. سورة يوسف :

وعن قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ (يوسف / من الآية ١٠٠)، سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء، فقال الإمام الهادي (عليه السلام): «وأما سجود يعقوب (عليه السلام) وولده كان طاعة لله ومحبّة ليوسف (عليه السلام) كما أنَّ السجود من الملائكة لآدم (عليه السلام) لم يكن لآدم (عليه السلام)، فسجود يعقوب (عليه السلام) وولده يوسف (عليهم السلام) معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك

---

(٤)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٢.

(٥)م . ن : ٤ / ٤٣٥.

الوقت :﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف / من الآية ١٠١)»[١].

ح. سورة طه :

عن «علي بن عبد الله قال : سأله رجل عن قوله :﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه / من الآية ١٢٣)، قال : مَنْ قال بالأئمة، وتبع أمرهم ولم يجز طاعتهم»[٢].

ط. سورة النور :

«وعن العباس بن هلال، قال : سألتُ أبا الحسن عليّ بن محمّد (عليهما السلام) عن قول الله (عزّ وجلّ) :﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، فقال (عليه السلام) : هادي مَنْ في السماوات، وهادي مَنْ في الأرض»[٣].

ي. سورة الفرقان :

روى الشيخ الطوسي بالإسناد عن عبد الله بن محمد بن عبيد الله، قال : «سمعت سيّدي أبا الحسن علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام) بسرّ مَنْ رأى يقول : الغوغاء قتلة الأنبياء، والعامّة اسم مشتق من العمى، ما رَضي الله لهم أنْ شبّههم بالأنعام حتّى قال: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾»[٤].

---

(١)تحف العقول : ٣٥٤.

(٢)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٢.

(٣)الاحتجاج : ٢ / ٤٨٧. (سورة النور / من الآية ٣٥).

(٤)بحار الأنوار : ١ / ١٩٥. (سورة الفرقان / من الآية ٤٤)

ك. سورة النمل :

سُئِل الإمام الهادي (عليه السلام) عن قول الله : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل / من الآية ٤٠)، فأجاب (عليه السلام) : «فهو أصف بن رخيا، ولم يعجز سليمان (عليه السلام) عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحبّ أنْ يعرف أمته من الجنّ والإنس أنَّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان (عليه السلام) أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لئلاّ يختلف عليه في إمامته ودلالته كما فهم سليمان (عليه السلام) في حياة داود (عليه السلام) لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتأكّد الحجة على الخلق»(٥).

ل. سورة لقمان :

سُئل الإمام الهادي عن تفسير الأبحر السبعة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان / ٢٧)، فأجاب : «فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام، والبحر مداد يمده سبع أبحر مدّا حتى انفجرت الأرض عيونا كما انفجرت في الطوفان ما نفدت كلمات الله، وهي : عين الكبريت، وعين اليمن : وعين بَرَهوت، وعين الطبرية، وحمّة ماسيدان تدعى لسان، وحمّة أفريقية تدعى سيلان، وعين باحوران، ونحن كلمات الله التي لا تنفد، ولا تدرك فضائلنا»(٦).

م. سورة الشورى :

قوله تعالى :﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾(الشورى / من الآية ٥٠)، كيف يزوّج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك، قال الإمام الهادي (عليه السلام) :

(٥)تحف العقول : ٣٥٤. وينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٥.

(٦)تحف العقول : ٣٥٤ – ٣٥٥، وينظر : الاحتجاج : ٢ / ٤٩٩ – ٥٠٠، ومناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٥.

«وأما قوله ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ أي يولد له ذكور، ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحدٍ منهما زوج، ومعاذ الله أنْ يكون عَنَى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المحارم ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ إن لم يتب»[1].

ن. سورة الزخرف :

قوله تعالى : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(الزخرف / من الآية ٧١)، إذ اشتهت نفس آدم (عليه السلام) أكل البر فأكل وأطعم، وفيها ما تشتهي الأنفس، فكيف عوقب ؟ فأجاب الإمام الهادي (عليه السلام) : «وأمَّا الجنّة فإنَّ فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تُشتهي الأنفسُ وتَلَذُّ الأعين، وأباح الله ذلك كلّه لآدم (عليه السلام) والشجرة التي نهى الله عنها آدم (عليه السلام) وزوجته أنْ يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظر إلى مَنْ فضل الله على خلائقه بعين الحسد منسي، ونظر بعي الحسد ولم يجد له عزما»[2].

س. سورة الأحقاف :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ (الأحقاف / من الآية ٢١)، استشهد الإمام الهادي (عليه السلام) بهذه الآية حينما أمر المعتصم بحفر بئر بالبطائية، فحفروا ثلاثمائة قامة فلم يظهر الماء، فتركه ولم يحفره، فلمّا ولّي المتوكّل أمر أنْ يُحْفر ذلك البئر أبداً حتى يبلغُ الماء، فحفروا حتّى وضعوا في كل مائة قامة بكرةً، حتى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول فانكسرت فخرج منها ريح باردة فمات من كان بقربها، فأخبروا المتوكّل بذلك فلم يعلم بذلك ما ذاك، فقالوا : سَلْ ابن الرضا، فقال

(١)تحف العقول : ٣٥٥ (الفرقان / الآية ٦٨ – ٦٩)، وينظر : حلية الأبرار : ٥/ ٩ – ١٠.

(٢)تحف العقول : ٣٥٥.

أبو الحسن (عليه السلام) : تلك بلاد الأحقاف، وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر[3].

ع. سورة التغابن :

روى الشيخ الطوسي بالإسناد عن الإمام الهادي (عليه السلام)، قال : وسَمِع أمير المؤمنين رجلاً يقول : اللهم إنّي أعوذ بك من الفتنة، قال : أراك تتعوّذ من حالك وولدك، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن / من الآية ١٥)، ولكن قُلْ : اللهم إني أعوذ بك من مضلاّت الفتن[4].

ف. سورة التحريم :

«روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) عن أبيه، قال : حدّثنا محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد أنَّ أحمد بن هلال قال : سألت أبا الحسن الأخير (عليه السلام) عن التوبة النصوح ما هي ؟ فكتب (عليه السلام) : أنْ يكون الباطن كالظاهر، وأفضل من ذلك»[5]، والإمام الهادي (عليه السلام) يشير إلى تفسير قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (التحريم / من الآية ٨).

---

(٣)ينظر : حلية الأبرار : ٥ / ١٨.

(٤)ينظر : أمالي الطوسي : ٥٨٠.

(٥)موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٨٩.

ثالثاً : الجانب الكلاميّ :

ظهر في ضوء استقراء النصوص المتصلة بالجانب الكلامي والتي صدرت من الإمام الهادي (عليه السلام) أنَّ لها جَنْبَة متصلة بالتوحيد، وصفات الله (عزّ وجلّ)، وامتناع رؤيته (عزّ وجلّ)، واستحالة التجسيم، واستحالة وصفه (عزّ وجلّ)، وأولى هذه المسائل التي سنعرض لها هي :

١. التوحيد :

لا يصل الإنسان إلى مقام الإنسانية الحقيقيّة حتى يعرف الله (عزّ وجلّ)، إنَّ العبادة لله لا تعطي نتائجها وثمارها في الدنيا والآخرة إلاَّ بمعرفة الله (عزّ وجلّ) فالعبادة تكون لله (عزّ وجلّ)، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(فاطر / من الآية ١٠)، فكلّما ازداد الإنسانُ معرفة بالله كلما كان ذات قيمة علياً عند الله فأوّل «الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدُه، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نَفْيُ الصفات عنه لشهادة كلِّ صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنها غير الصفة، فَمَنْ وصف الله سبحانه فَقَدْ قَرَنَه ومَنْ قَرَنَه فَقَد ثنّاه، ومَنْ ثناه فقد جزَّأه، ومَنْ جزّأه فقد جَهِلَه، ومَنْ جَهِلَه فقد أشار إليه، ومَنْ أشار إليه فقد حَدَّهُ، ومَنْ حَدَّه فقد عَدَّهُ»[1].

وفي ضوء ركائز نظرية التوحيد عند سيّد الموحدين، وإمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سنذكر ما جادت به قريحة الإمام الهادي (عليه السلام) وفاقاً لآبائه في رؤيتهم لهذه النظرية (التوحيد)، ورؤيتهم في استحالة وصف الحق (تعالى)، وامتناع رؤيته (تعالى).

---

(١) نهج البلاغة : الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ١ / ٥١ – ٦١.

حقيقة التوحيد :

أ. «سُئِل أبو الحسن (عليه السلام) عن التوحيد فقيل له : لم يزل الله وحده لا شيء معه ثم خلق الأشياء بديعاً، واختار لنفسه الأسماء، ولم تزل الأسماء له معه قديمة ؟ فكتب : لم يزل الله موجوداً ثم كَوّن ما أراد لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه تاهت أوهام المتوهمين، وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه أو الوقوع بالبلوغ عن علوّ مكانه، فهو بالموضع الذي لا يتناهى، وبالمكان الذي لم يقع عليه عيون بإشارة، ولا عبارة هيهات هيهات»(٢).

ب. «عن الكليني عن سَهْل عن إبراهيم بن محمد الهمداني، قال : كَتَبْتُ إلى الرجل (عليه السلام) : أن مَنْ قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول : جسمٌ ومنهم من يقول صورة، فكتب (عليه السلام) بخطّه : سبحان مَنْ لا يحدّ ولا يوصف ليس كمثله شيء وهو السميع العليم أو قال : البصير»(٣).

ج. «عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : سألته عن أدنى المعرفة فقال : الإقرار بأنَّه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير له، وأنّه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء»(٤).

د. «عن علي بن إبراهيم عن المختار بن محمد همداني، ومحمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن العلوي جميعاً عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : سمعته يقول : وهو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد لو كان كما يقول المشبّه لم يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشئ من المنشأ لكنه المنشئ فرّق بين مَنْ جسّمه وصوّره وأنشأه إذ كان لا يشبه شيء ولا يشبهه شيئاً»(٥).

---

(٢)الاحتجاج : ٢ / ٤٨٥ – ٤٨٦.

(٣)مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ٤٨.

(٤)سفينة البحار : ٦ / ٢١٨.

(٥)أعلام الهداية : (الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)) : ٢٢٠.

ه. قال الإمام أبو الحسن (عليه السلام) : «علي بن محمد النوفلي، قال : سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول : اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنما كان عند آصف حرف واحد فتكلّم به فانخرق له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله مستأثرٌ به في علم الغيب»[1].

و. «عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن (عليه السلام) يسأله عن الله (عزّ وجلّ) أكان يعلم الأشياء قبل أنْ خلق الأشياء وكوّنها، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها، وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وما كوّن عندما كوّن ؟ فوقّع (عليه السلام) بخطه : لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أنْ يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء»[2].

---

(١)مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٧.

(٢)أعلام الهداية : ٢٢٢.

استحالة وصفه (عزّ وجلّ) :

أ. قال الفتح بن يزيد الجرجاني : قال : ضمّني وأبا الحسن الطريق في منصرفي من مكة إلى خراسان وهو صائر إلى العراق فسمعته وهو يقول: من اتّقى الله يُتَّقَى ومن أطاع الله يطاع، قال فتلطفت في الوصول إليه فسلمت عليه فردّ علي السلام وأمرني بالجلوس وأول ما ابتدأني به أنْ قال: يا فتح من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومَنْ أسخط الخالق فأيقن أن يحلّ به الخالق سخط المخلوق وإن الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وأن يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أنْ تدركه والأوهام أنْ تناله والخطرات أنْ تحده، والأبصار عن الإحاطة به جلَّ عما يصفه الواصفون وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيّف الكيف فلا يقال كيف، وأيّن الأين فلا يقال أين، إذ هو منقطع الكيفيّة والأينيّة هو الواحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فجلّ جلاله، أم كيف يوصف بكنهه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قرنه الجليل باسمه وشركه في عطائه وأوجب لمّن أعطاء طاعته إذ يقول : ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾، وقال يحكي قول من ترك طاعته وهو يعذّبه بين أطباق نيرانها، وسرابيل قطرانها :﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾، أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعة رسوله حيث قال : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، وقال: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾، وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، وقال:﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٣].

ب. قال الإمام الهادي (عليه السلام) لـ (الفتح بن يزيد الجرجاني) : «اجلس يا فتح، فإنَّ لنا بالرسل أسوة كانوا يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وكل جسم

---

(٣)كشف الغمة : ٤ / ٢٥ – ٢٦، وينظر : إثبات الوصية : ٢٤٩ – ٢٥٠. (التوبة / ٧٤)، (الأحزاب / ٦٦)، (النساء / ٥٩)، (النساء / ٨٣)، (النساء / ٥٨)، (الأنبياء / ٧).

مغذوٌّ بهذا إلاَّ الخالق الرازق ؛ لأنه جسم الأجسام وهو لم يجسّم ولم يجزء بتناهٍ ولم يتزايد، ولم يتناقص مبرّؤ من ذاته ما ركب في ذات من جسمه الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد مُنشئ الأشياء مجسم الأجسام، وهو السميع العليم اللطيف الخبير الرؤوف الرحيم تبارك وتعالى عما يقول الظالمون عُلوّاً كبيراً لو كان كما وصف لم يعرف الربُّ من المربوب، ولا الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المُنشأ ولكن فرّق بينه وبين مَنْ جسمه وشيّأ الأشياء إذ كان لا يشبهه شيءٌ يُرى ولا يشبه شيئا»[1].

استحالة رؤيته (عزّ وجلّ) :

«حدّثنا أحمد بن إسحاق، قال : كتبتُ إلى أبي الحسن عليّ بن محمد العسكري (عليه السلام) أسأله عن الرؤية، وما فيه الخلق، فكتب : لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه والله تعالى منزّه عن الاشتباه فثبت أنه لا يجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار ؛ لأن الأسباب لابُدّ من اتّصالها بالمسببات»[2].

أفعال الله (عزّ وجلّ) :

أ. قال الإمام علي الهادي (عليه السلام) : «إنَّ لله إرادتين ومشيئتين، إرادة حتم، وإرادة عزم يَنْهى وهو يشاء، ويأمر وهو يشاء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أنْ يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشية الله تعالى، وأمر إبراهيم أنْ يذبح إسحاق ولم يشأ أنْ يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئته إبراهيم مشيئة الله تعالى»[3].

(١)كشف الغمة : ٤ / ٢٧ – ٢٨.

(٢)الاحتجاج : ٢ / ٤٨٦.

(٣)أعلام الهداية : ٢٢٢. (ورد في النص أنَّ المأمور بالذبح هو إسحاق (عليه السلام)، والصحيح (إسماعيل (عليه السلام))).

ب. «عن معلى بن محمد، قال : سُئل العالمُ (عليه السلام) كيف علم الله ؟ قال : عَلِم، وشاء، وأراد، وقدّر، وقضى، وأبدى فَأمضى ما قضى، وقَضَى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيّئه كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدم المشيّة، والمشيّة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشيّة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيفها عياناً وقياماً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم في المفعولات ذوات الأجسام»(٤).

(٤)التوحيد : الصدوق : ٣٣٤. (العَالِم من ألقاب الإمام الهادي (عليه السلام)).

رابعاً: أجوبته (عليه السلام) في مسائل متفرقة:

أ. «أبو محمّد الفحّام قال: سأل المتوكل ابن الجهم: مَنْ أشعر الناس؟ فذكر شعراء الجاهلية والإسلام ثم أنّ سأل أبا الحسن، فقال: الحمّاني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمدّ خدود وامتداد أصابع

فلما تنازعنا المقال قضى لنا ... عليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا ... عليهم جَهير الصوت في كلّ جامع

فإنَّ رسول الله أحمد جدّنا ... ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

فقال له المتوكّل: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنَّ محمداً رسولُ الله»[١].

ب. «روى أبو هاشم، قال: دخلتُ على أبي الحسن علي بن محمد وهو محموم عليل، فقال لي: يا أبا هاشم: ابعث رجلاً من موالينا إلى الحائر يدعو الله لي، وخرج أبو هاشم فاستقبل في الطريق علي بن بلال، فأخبره بأمر الإمام، وطلب منه السفر إلى كربلاء ليدعو له فبهر عليٌّ، وقال: اسمع والطاعة، ولكني أقول: إنَّه أفضل من الحائر، أراد المكان المقدس الذي دفن فيه الحسين (عليه السلام) إذ كان بمنزلة من في الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له (...) وبادر أبو هاشم فنقل حديثه للإمام (عليه السلام) فأجابه (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر، وإنَّ لله تعالى بقاعاً يُحب أنْ يُدعى فيها فيستجيب لِمن دعاه والحائر منها»[٢].

---

(١)مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٣٧ – ٤٣٨، وينظر: بحار الأنوار: ١٢ / ٢٢١.

(٢)حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام): ٣١٣.

المبحث الثاني

مرويّاته (عليه السلام)

في هذا المبحث سنقف على مجموعة من أهم مرويات الإمام أبي الحسن (عليه السلام) الباهرة التي وردت عنه (عليه السلام) ولاسيما الزيارات التي زار بها آباءه الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، وهي مليئة بالاحتجاج على أحقية أهل البيت (عليهم السلام) بالإمامة، وقد حوت وثائق وأدلة مهمة من مآثرهم، وفضائلهم، ومناقبهم، وأحقيتهم، فضلاً عن ذلك أدعيته المهمة خصوصاً دعاء المظلوم على الظالم المعروف بدعاء السيف الذي يُعدّ هو الآخر وثيقة مهمة ودليل قاطع على ظلم السلطة الحاكمة من جهة، ومظلومية أهل البيت، ولاسيما صاحب هذا الدعاء المبارك الإمام الهادي (عليه السلام).

أولاً : الزيارة الجامعة :

تُعدّ هذه الزيارة من أهم الزيارات المرويّة عنه (عليه السلام) لما فيها من دقّة التعبير، وجمال الأسلوب، وعمق المضمون[٣]، وهي من أشهر الزيارات وأعلاها شأناً، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، وقد أقبل أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم على حفظها، وزيارة الأئمة بها، ولاسيما في يوم الجمعة[٤].

وصفها :-

قال أحمد الإحسائي : «إنَّ هذه الزيارة الجامعة اشتهرت بين الشيعة حتى استغنت

---

(٣)ينظر : موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٧٨.

(٤)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ١٧٠.

باشتهارها عن ذكر إثباتها، وبيان سندها فكانت متلقاة عند جميع الشيعة بالقبول من غير معارض فيها، ولا راد لها مع ما كانت مشتملة عليه من المعاني الغريبة والأسرار المستصعبة العجيبة التي كثير منهم ينكرونها من غير هذه الزيارة الشرعية ولكن لأجل ما اشتملت عليه من الألفاظ البليغة، والأمور البديعة والأسرار المنيعة والأحوال الشريفة الرفيعة التي تشهد للعقل السليم بصحة ورودها عن ذلك الإمام العظيم فإنَّ على كلّ حقٍّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً مع ما هي عليه عندهم من القبول بحيث لا يختلف فيه اثنان، وهذه الزيارة المذكورة رواها الصدوق في (الفقيه)، ورواها الشيخ في (التهذيب) عنه، قال محمد بن علي بن الحسين بن بابويه عن علي بن أحمد بن موسى، والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب، عن محمد ابن أبي عبد الله الكوفي عن محمد بن إسماعيل البرمكي، قال : حدثنا موسى بن عبد الله النخعي، قال : قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) : علّمني يا ابن رسول الله قولاً أَقُوله بليغاً كاملاً إذا زُرْتُ واحداً منكم»[1].

سندها :-

بعد أن أفرد الإحسائي لكل راوٍ من رواة هذه الزيارة بالحديث مبيّناً أقوال رجال الحديث، وأصحاب الجرح والتّعديل فيه، قال : «بل كل ما يحصل للمتقدمين من القرائن تصل إلينا أو بدلها من وجود الكريم الوهاب ولتلقي الفرقة المحقّة لها بالقبول حتّى لا تجد، ولا تسمع منكراً لها ولا متوقفاً فيها، بل لو أراد البصير الناقد أنْ يدّعي الإجماع على صحتها الكاشف عن قول المعصوم (عليه السلام) أمكنه ذلك مع ما اشتملت عليه ألفاظها من البلاغة والفصاحة والمعاني والأسرار التي يقطع العارف بها أنها كلام المعصوم (عليه السلام) ولا يصدر مثلها عن غيره»[2].

---

(١)شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : أحمد بن زين الدين الإحسائي : ١ / ٢٠.

(٢)م.ن : ١ / ٢٤ - ٢٥.

شروح الزيارة الجامعة الكبيرة :

وفيما يأتي أهم شروح هذه الزيارة، والتي تدلّ على أهميتها في تراث أهل البيت الزاخر، وموقفها المتميز عند علماء الشيعة :

١ .شرح الزيارة الجامعة الكبيرة الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي، وهو شرح كبير.

٢ .شرح الزيارة الجامعة : محمد تقي بن مقصود المجلسي.

٣ .شرح الزيارة الجامعة (فارسي) : السيد حسين بن محمد تقي الهمداني.

٤ .شرح الزيارة الجامعة : علي نقي الحائري.

٥ .شرح الزيارة الجامعة : محمد علي الرشتي النجفي.

٦ .شرح الزيارة الجامعة : محمد بن محمد بن باقر المجلسي.

٧ .شرح الزيارة الجامعة : عبد الله بن محمد رضا شبر الحسينيّ.

٨ .شرح الزيارة الجامعة : محمد بن عبد الكريم الطباطبائي[٣].

وأفضل هذه الشروح، وأوسعها هو شرح أحمد الإحسائي، قال عبد الرسول الحائري : «الزيارة الجامعة الكبيرة من أفضل الزيارات وأكملها التي تحتوي لزيارة المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) وقد شرحها كثير من الشرّاح أعلى الله مقامهم، أما الشرح الذي علّقه الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي أعلى الله درجاته المباركة من أفضل الشروح الذي ما رأيتُ نظيره إلى الآن، وهو شرح كامل حول المقامات العاليات، والدرجات الرفيعة لساداتنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين (عليهم السلام)»[٤].

(٣)ينظر : موسوعة المصطفى والعترة : ١٢ / ١٤٤ – ١٤٥.

(٤)شرح الزيارة الجامعة : ١ / ٩ (المقدمة).

نصُّ الزيارة مع بيان مضامينها :

وفيما يأتي نذكر الزيارة كاملة، بمعية أهم المضامين التي تضمّنتها، والملامح العظيمة والمفاهيم التي يمكن تصورها :

١ .الأئمة هم أهل البيت (الاصطفاء الإلهي) :

«السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزّان العِلم، ومنتهى الحِلم، وأُصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأُمناء الرّحمن، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعترة خيرة ربّ العالمين، ورحمة الله وبركاته.

السلام على أئمة الهدى، ومصابيح الدُّجى، وأعلام التُّقى، وذَوي النُّهى، وأُولي الحِجا، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدّعوة الحُسنى، وحُجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى، ورحمة الله وبركاته.

السلام على محالِّ معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحَفَظة سر الله، وحَمَلة كتاب الله، وأوصياء نبيّ الله، وذُرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ورحمة الله وبركاته.

السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاّء على مرضاة الله، والمستقرِّين في أمر الله، والتّامِّين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمُظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونّه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته.

السلام على الأئمة الدُّعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذّادة الحُماة، وأهل الذِّكر، وأولي الأمر، وبقية الله، وخيرته وحِزبه، وعيبة علمه، وحجّته وصراطه، ونوره وبرهانه، ورحمة الله وبركاته.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم»

٢.الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) امتدادٌ واحد وخط رسالي متواتر :

«وأشهدُ أن محمداً عبده المنتجب، ورسوله المُرتضى، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأشهد أنكم الأئمة الهداة الرّاشدون، المهديّون، المعصومون، المُكرّمون، المقرّبون، المتقّون، الصّادقون، المصطفَوْن، المُطيعون لله، القوّامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته.

اصطفاكُم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسرّه، واجتباكم بقدرته، وأعزّكم بهداه، وخصّكم ببرهانه، وانتجبكم لنوره، وأيّدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريّته، وأنصاراً لدينه، وحفظةً لسرّه، وخزَنَةً لعلمه، ومستودعاً لحكمته، وتراجمةً لوحيه، وأركاناً لتوحيده، وشُهداءَ على خلقه، وأعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده، وأدلاّء على صراطه.

عصمكم الله من الزّلل، وآمنكم من الفتن، وطهّركم من الدّنس، وأذهب عنكم الرِّجس وطهّركم تطهيراً».

٣.معرفتكم الكبرى بالخالق :

«فعظّمتم جلاله، وأكبرتُم شأنه، ومجَّدتم كرمه، وأدمنتم ذكره، ووكّدتم ميثاقه، وأحكمتم عقد طاعته، ونصحتم له في السر والعلانية، ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حق جهاده، حتى أعلنتم دعوته، وبيّنتم فرائضه، وأقمتم حدوده، ونشرتم شرائع أحكامه، وسننتم سنَّته، وصرتم في ذلك منه إلى الرضا، وسلّمتم له القضاء، وصدّقتم من رسله من مضى».

٤. أنتم أهلٌ للإتّباع والاهتداء :

«فالراغب عنكم مارقٌ، واللاّزم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم، وفيكم، وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه ومأواه، وميراث النبوّة عندكم، وإيابُ الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخِطاب عندكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وأمره إليكم.

مَنْ والاكم فقد والى الله، ومَنْ عاداكم فقد عادى الله، ومَنْ أحبّكم فقد أحبّ الله، ومَنْ أبغضكم فقد أبغض الله، ومَنِ اعتصم بكم فقد اعتصم بالله.

أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرّحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والبابُ المُبتلى به الناس.

مَنْ أتاكم فقد نجا، ومَنْ لم يأتكم فقد هلك ؛ إلى الله تدعون، وعليه تدُلّون، وبه تؤمنون، وله تسلّمون، وبأمره تعملون، وإلى سبيله تُرشدون، وبقوله تحكمون.

سَعِدَ والله من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضلَّ من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدّقكم، وهُدِيَ من اعتصم بكم.

من اتبعكم فالجنة مأواه، ومن خالفكم فالنار مثواه، ومن جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك، ومن رد عليكم في أسفل دركٍ من الجحيم.

أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى، وجارٍ لكم فيما بقي ؛ وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت، بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه مُحدقين، حتّى منّ علينا بكم، فجعلكم ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[١]، وجعلَ صلواتنا عليكم، وما خصّنا به من ولايتكم، طيباً لخلقنا، وطهارةً لأنفسنا، وتزكيةً لنا، وكفّارةً لذُنوبنا.

فكنّا عنده مسلمين بفضلكم، ومعرفين بتصديقنا إيّاكم، فبلغ الله بكم أشرف محل

---

(١) النور : من الآية ٦٣.

المكرمين، وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع ؛ حتّى لا يبقى ملكٌ مقرّب، ولا نبيٌّ مرسل، ولا صدِّيقٌ ولا شهيدٌ، ولا عالم ولا جاهل، ولا دَنيٌّ ولا فاضل، ولا مؤمنٌ صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبّار عنيد، ولا شيطانٌ مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلاّ عرَّفهم دلالة أمركم، وعظم خطركم، وكِبَرَ شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلكم، ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصّتكم لديه، وقرب منزلتكم منه.

بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي وأسرتي».

٥. الإقرار والشهادة بالإيمان لكم وملازمتكم والبراءة من أعدائكم :

«أُشهِد الله وأُشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم وبضلالة خالفكم، موالٍ لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سِلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم، محققٌ لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم، مطيعٌ لكم، عارف بحقكم، مقر بفضلكم، محتمل لعلمكم، محتجب بذمّتكم، معترف بكم، مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم، آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم، زائر لكم، عائذ بكم، لائذ بقبوركم، مستشفع إلى الله عزّ وجلّ بكم، ومتقرب بكم إليه، ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري، مؤمن بسرّكم وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأولكم وآخركم، ومفوّض في ذلك كله إليكم، ومسلم فيه معكم، وقلبي لكم مسلّم، ورأيي لكم تبع، ونصرتي لكم معدة، حتى يُحيي الله تعالى دينه بكم، ويردّكم في أيامه، ويظهركم لعدله، ويمكّنكم في أرضه.

فمعكم معكم، لا مع عدوّكم، آمنت بكم، وتولّيت آخركم بما تولّيت به أولكم، وبرئت إلى الله عز وجل من أعدائكم، ومن الجبت والطّاغوت، والشياطين وحزبهم، الظالمين لكم، والجاحدين لحقكم، والمارقين من ولايتكم، والغاصبين لإرثكم،

والشّاكّين فيكم، والمنحرفين عنكم، ومن كل وليجة دونكم، وكل مطاع سواكم، ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار.

فثبّتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم، ومحبّتكم ودينكم، ووفقني لطاعتكم، ورزقني شفاعتكم، وجعلني من خيار مواليكم، التّابعين لما دعوتم إليه، وجعلني ممّن يقتص آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمرتكم، ويكرّ في رجعتكم، ويُملّك في دولتكم، ويُشرّف في عافيتكم، ويمكّن في أيّامكم، وتقرّ عينه غداً برؤيتكم.

بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي، من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم.

مَواليَّ، لا أُحصي ثنائكم، ولا أبلُغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم، وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبّار.

بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبكم يُنفّس الهم، ويكشف الضر، وعندكم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته، وإلى جدّكم بعث الروح الأمين.

آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، طأطأ كلّ شريف لشرفكم، وبخع كل متكبر لطاعتكم، وخضع كل جبّار لفضلكم، وذلّ كلّ شيء لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرّضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن.

بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذّاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النّفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور؛ فما أحلى أسماءكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم، وأجلّ خطركم، وأوفى عهدكم، وأصدق وعدكم».

٦. معدن الفضائل والشمائل والمحاسن :

«كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيّتكم الكرم، وشأنكم الحقّ والصدق والرفق، وقولكم حكم وحتم، ورأيكم علمٌ وحلم وحزم ؛ إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.

بأبي أنتم وأمي ونفسي، كيف أصف حسن ثنائكم، وأحصي جميل بلائكم، وبكم أخرجنا الله من الذل، وفرّج عنّا غمرات الكروب، وأنقذنا بكم من شفا جرف الهلكات، ومن النار ؟».

٧. بكم يعرف الناس معالم الدين وينالون دار المتقين :

«بأبي أنتم وأمي ونفسي، بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفرقة، وبموالاتكم تُقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودة الواجبة، والدرجات الرفيعة، والمقام المحمود، والمكان المعلوم عند الله عز وجل، والجاه العظيم، والشأن الكبير، والشفاعة المقبولة.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (١).

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (٢).

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (٣).

يا ولي الله، إن بيني وبين الله عزّ وجلّ ذنوباً لا يأتي عليها إلاّ رضاكم ؛ فبحق من ائتمنكم على سره، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعائي ؛ فإنّي لكم مطيع».

---

(١) آل عمران / ٣٥.

(٢) آل عمران / ٨.

(٣) الإسراء / ١٠٨.

٨. **طاعتكم طاعة الله ومعصيتكم معصية الله :**

«من أطاعكم فقد أطاع الله، ومن عصاكم فقد عصى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله.

اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد و أهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار، لجعلتكم شفعائي ؛ فبحقكم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

السلام عليكم سلام مودّع لا سئم ولا قال ولا مال، ورحمة الله وبركاته عليكم يا أهل بيت النبوّة، إنه حميد مجيد، سلام وليٍّ لكم، غير راغب عنكم، ولا مستبدل بكم، ولا مؤثر عليكم، ولا منحرف عنكم، ولا زاهد في قربكم.

لا جعله الله آخر العهد من زيارة قبوركم، وإتيان مشاهدكم، والسلام عليكم ؛ وحشرني الله في زمرتكم، وأوردني حوضكم، وجعلني من حزبكم، وأرضاكم عنّي، ومكّنني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم، وملّكني في أيامكم، وشكر سعيي بكم، وغفر ذنبي بشفاعتكم، وأقال عثرتي بمحبتكم، وأعلى كعبي بموالاتكم، وشرّفني بطاعتكم، وأعزّني بهداكم.

وجعلني ممّن انقلب مفلحاً منجحاً، غانماً سالماً، معافاً غنيّاً، فائزاً برضوان الله وفضله وكفايته، بأفضل ما ينقلب به أحد من زوّاركم ومواليكم ومحبّيكم وشيعتكم.

ورزقني الله العود، ثم العود أبداً ما أبقاني ربّي، بنيّة صادقة، وإيمان وتقوى وإخباتٍ، ورزقٍ واسعٍ حلالٍ طيّبٍ.

اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتهم وذكرهم والصلاة عليهم، وأوجب لي المغفرة والرحمة والخير والبركة والتقوى والفوز والنور والإيمان وحسن الإجابة، كما أوجبت لأوليائك، العارفين بحقّهم، الموجبين طاعتهم، والرّاغبين في زيارتهم،

والمتقرّبين إليك وإليهم.

بأبي انتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي اجعلوني في همِّكم، وصيّروني في حزبكم، وأدخلوني في شفاعتكم، واذكروني عند ربّكم.

اللهم صل على محمد وآل محمد، وأبلغ أرواحكم وأجسادهم مني السلام.

والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

وصلى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[1].

---

(١)ينظر: مَنْ لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦٠٩ الحديث ٣٢١٦، وتهذيب الأحكام: ٦/ ٩٥ الحديث ١.

ثانياً : زيارة الغدير :

من أهم زيارات الأئمة الطاهرين – عند الشيعة الإمامية – زيارة الغدير الأغر فقد اهتموا به اهتماماً بالغاً، لأنها رمزٌ لذلك اليوم الخالد في دنيا الإسلام ذلك اليوم الذي حدّد فيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) المصير الحاسم لأمّته فنصب الإمام علي (عليه السلام) إماماً للمسلمين، وقد زار الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في السنة التي أشخصه فيها المتوكل من المدينة المنوّرة إلى سامرّاء(١).

وقد تحدّث فيها الإمام الهادي (عليه السلام) عن فضائل أمير المؤمنين وما عاناه من المشاكل السياسية والاجتماعية، وأنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أسلم وآمن بالله (عزّ وجلّ)، واستجاب دعوة نبيه، مبيّناً جهاده وبسالته، وشجاعته وصموده في الحروب، ووقايته النبيّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه.

وأهم فقرات هذه الزيارة بمعيّة أهم المضامين التي تضمنتها، والمعالم العظيمة التي حوتها :

١. ذكر الإمام الهادي (عليه السلام) أنَّ جدَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد نال الكمالات الإلهية، والشمائل الكثيرة والفضائل الواسعة فحباه (تعالى) نعمة الولاية العامة للمسلمين، فقال (عليه السلام) مخاطباً له :

«السلام على محمد رسول الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وصفوة رب العالمين أمين الله على وحيه وعزائم أمره والخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله ورحمة الله وبركاته وصلواته وتحياته السلام على أنبياء الله ورسله وملائكته المقربين وعباده الصالحين السلام عليك يا أمير المؤمنين وسيد الوصيين ووارث علم النبيين وولي رب العالمين ومولاي ومولى المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين يا أمين الله في أرضه وسفيره في خلقه وحجته البالغة على

(١)ينظر : مفاتيح الجنان : عباس القمي : ٤٣٦، وحياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٨١، وأعلام الهداية : ١٢ / ١٨٧.

عباده، السلام عليك يا دين الله القويم وصراطه المستقيم، السلام عليك أيها النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه يسألون، السلام عليك يا أمير المؤمنين آمنتَ بالله وهم مشركون وصدّقت بالحق وهم مُكذّبون وجاهدتَ وهم محجمون وعبدتَ الله مخلصاً له الدين صابراً مُحتسباً حتى أتاك اليقين ألا لعنة الله على الظالمين، السلام عليك يا سيد المسلمين ويعسوب المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين ورحمة الله وبركاته أشهد أنك أخو رسول الله ووصيّه ووراث علمه وأمينه على شرعه وخليفته في أمته وأول من آمن بالله وصدّق بما أنزل على نبيه وأشهد أنه قد بلّغ عن الله ما أنزله فيك فصدع بأمره وأوجب على أمته فرض طاعتك وولايتك وعقد عليهم البيعة لك وجعلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم»(٢).

٢.ذكره (عليه السلام) المزيد من صفات الإيمان والتقى بحقِّ جده أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال:

«وأشهد أنك لم تزل للهوى مخالفاً وللتقى محالفاً وعلى كظم الغيظ قادراً وعن الناس عافياً غافراً وإذا عَصي الله ساخطاً وإذا أُطيع الله راضياً وبما عهد إليك عاملاً راعياً لما استحفظت حافظاً لما استودعت مبلغاً ما حُمّلت مُنتظراً ما وُعدت وأشهد أنّك ما اتّقيت ضارعاً ولا أمسكت عن حقك جازعاً ولا أحجمت عن مجاهدة غاصبيك ناكلاً ولا أظهرت الرّضى بخلاف ما يُرضي الله مداهناً ولا وهنت لما أصابك في سبيل الله ولا ضعفت ولا استكنت عن طلب حقّك مراقباً معاذ الله أن تكون كذلك بل إذ ظُلمت احتسبت ربّك وفوّضت إليه أمرك وذكّرتهم فما ادّكروا ووعظتهم فما اتّعظوا وخوّفتهم الله فما تخوّفوا»(٣).

٣.ذكر الإمام الهادي (عليه السلام) أن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من جاهد، وصبر على الأذى، وهو أول من آمن بالله وناصب الشرك والكفر :

«لقد جاهدت في الله حقّ الجهاد وصبرت على الأذى صبر احتساب وأنت أوّل

(٢)مفاتيح الجنان : عباس القمي : ٤٣٦ – ٤٣٧. (وجاهدتُ في الله وهم مُجْمحون).

(٣)م.ن : ٤٣٨.

من آمن بالله وصلى له وجاهد وأبدى صفحته في دار الشرك والأرض مشحونة ضلالةً والشيطان يُعبد جهرةً وأنت القائل لا تزيدُني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عني وَحشةً ولو أسلمني الناس جميعاً لم أكن متضرعاً اعتصمت بالله فعززْتَ وآثرت الآخرة على الأولى فزهدتَ وأيّدك الله وهداك وأخلصك واجتباك فما تناقضتْ أفعالك ولا اختلفت أقوالك ولا تقلّبت أحوالك ولا ادّعيتَ ولا افتريْتَ على الله كذباً ولا شرِهتَ إلى الحطام ولا دنَّسك الآثام، ولم تزل على بيّنةٍ من ربِّك ويقينٍ من أمرك تهدي إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيم»[1].

٤. تحدّث الإمام الهادي (عليه السلام) عن المقامات العالية، والدرجات الرفيعة لجده (عليه السلام) مؤيداً قوله بالنصوص القرآنية من جهة، والسنن التاريخية التي أبانت جهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) رسالته من الحروب كافة، فقال (عليه السلام) : «وأنَ الله تعالى استجاب لنبيّه صلى الله عليه وآله فيك دعوته ثم أمره بإظهار ما أولاك لأمته إعلاءً لشأنك وإعلاناً لبُرهانك ودحضاً للأباطيل وقطعاً للمعاذير فلما أشفق من فتنة الفاسقين واتقى فيك المنافقين أوحى إليه رب العالمين ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ فوضع على نفسه أوزار المسير ونهض في رمضاء الهجير فخطب وأسمع ونادى فأبلغ ثمّ سألهم أجمع فقال هل بلّغتُ ؟ فقالوا : اللهم بلى، فقال : اللهم اشهد، ثمّ قال: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقالوا : بلى فأخذ بيدك، وقال : مَنْ كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فما آمن بما أنزل الله فيك على نبيّه إلا قليلٌ ولا زاد أكثرهم غير تخيير ولقد أنزل الله تعالى فيك من قبل وهم كارهون ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

---

(١) مفاتيح الجنان : ٤٣٩.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ اللهم إنا نعلم أن هذا هو الحق من عندك فالعنْ من عارضه واستكبر وكذّب به وكفر ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ السلام عليك يا أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأول العابدين وأزهد الزاهدين ورحمة الله وبركاته وصلواته وتحياته أنت مطعم الطعام على حبة مسكيناً ويتيماً وأسيراً لوجه الله لا تريد منهم جزاء ولا شكورا وفيك أنزل الله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وأنت الكاظم للغيظ والعافي عن الناس والله يحب المحسنين وأنت الصابر في البأساء والضراء وحين البأس وأنت القاسم بالسوية والعادل في الرعية والعالم بحدود الله من جميع البرية والله تعالى أخبر عما أولاك من فضله بقوله ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ وأنت المخصوص بعلم التنزيل وحكم التأويل ونصّ الرسول ولك المواقف المشهودة والمقامات المشهورة والأيام المذكورة يوم بدر ويوم الأحزاب ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ فقتلت عَمْرَهم وهزمت جمعهم ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ويوم أُحد) ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ وأنت تذود بهم المشركين عن النبي ذات اليمين وذات الشمال حتى ردّهم الله تعالى عنكما خائفين ونصر بك الخاذلين ويوم حنين على ما نطق به التنزيل ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ

ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ والمؤمنون أنت ومن يليك، وعمّك العباس يُنادي المنهزمين يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة حتى استجاب له قومٌ قد كفيتهم المؤونة وتكفّلت دونهم المعونة فعادوا آيسين من المثوبة راجين وعد الله تعالى بالتوبة وذلك قول الله جل ذكره ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ وأنت حائز درجة الصبر فائز بعظيم الأجر ويوم خيبر إذ أظهر الله خور المنافقين، وقطع دابر الكافرين والحمد لله رب العالمين ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً مولاي أنت الحجة البالغة والمحجّة الواضحة والنعمة السابغة والبرهان المنير فهنيئاً لك بما آتاك الله من فضل وتباً لشانئك ذي الجهل شهدْتَ مع النبي صلى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه تحمل الراية أمامه وتضرب بالسيف قُدّامه ثم لحزمك المشهور وبصيرتك في الأمور أمّرك في المواطن، ولم يكن عليك أمير»[1].

٥.بيان ما حدث لأمير المؤمنين (عليه السلام) من نكث العهود، وخروج أهل الضلال، والبغي عليه، فقال الإمام الهادي (عليه السلام) :

«ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهّم وامترى بقولك صلى الله عليك قد يرى الحُوّل القُلّب وجه الحيلة ودونها حاجزٌ من تقوى الله فيدعها رأي العين وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين صدقْت وخسر المبطلون، وإذ ماكرك الناكثان فقالا نريد العُمرة فقلت لهما لعمركما ما تريدان العمرة لكن تريدان الغدرة فأخذت البيعة عليهما وجدّدت الميثاق فجدّا في النّفاق فلمّا نبّهتهما على فعلهما أغفلا وعادا وما انتفعا وكان عاقبة أمرهما خُسراً ثم تلاهما أهل الشام فسرتَ إليهم بعد الإعذار وهم لا يدينون دين الحق ولا يتدبرون القرآن : همجٌ رعاعٌ ضالّون وبالذي أُنزل على محمد فيك كافرون ولأهل الخلاف عليك ناصرون، وقد أمر الله تعالى بإتّباعك

(١)مفاتيح الجنان : ٤٤٠ – ٤٤٣. (المائدة / ٧٦) ، (المائدة / ٥٤ – ٥٦) ، (آل عمران / ٥٣) ، (آل عمران / ٨) ، (الشعراء / من الآية ٢٢٧) ، (الحشر / من الآية ٩) ، (السجدة / ١٨ – ١٩) ، (الأحزاب / ١٠ – ١٣) ، (الأحزاب / ٢٢) ، (الأحزاب / ٥٢) ، (آل عمران / ١٥٣) ، (التوبة / ٢٥ – ٢٦) ، (التوبة / ٢٧).

وندب المؤمنين إلى نصرك وقال عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ مولاي بك ظهر الحق، وقد نبذه الخلقُ وأوضحت السنن بعد الدروس والطمس فلك سابقةُ الجهاد على تصديق التنزيل، ولك فضيلة الجهاد على تحقيق التأويل وعدوّك عدو الله جاحد لرسول الله يدعو باطلاً ويحكم جائراً ويتأمر غاصباً ويدعو حزبه إلى النار وعمّارٌ يجاهد ويُنادي بين الصّفّين الرّواح الرّواح إلى الجنة، ولما استسقى فسقي اللّبن كبّر، وقال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله آخر شرابك من الدنيا ضياحٌ من لبن، وتقتلك الفئة الباغية فاعترضه أبو العادية الفزاري فقتله فعلى أبي العادية لعنة اللّه، ولعنة ملائكته ورسله أجمعين، وعلى من سلَّ سيفه عليك وسلَلْتَ سيفك عليه يا أمير المؤمنين من المشركين والمنافقين إلى يوم الدين، وعلى من رضي بما ساءك ولم يكرهه وأغمض عينه ولم ينكر أو أعان عليك بيدٍ أو لسان أو قعد عن نصرك أو خذل عن الجهاد معك أو غمط فضلك وجحد حقّك أو عدل بك من جعلك الله أولى به من نفسه وصلوات الله عليك ورحمة الله وبركاته وسلامُهُ وتحياته وعلى الأئمة من آلك الطاهرين إنه حميد مجيد»[٢].

---

(٢)مفاتيح الجنان : ٤٤٣ – ٤٤٤. (التوبة / ١١٩).

ثالثاً : دعاء المظلوم على الظالم :

قبل أنْ نعرض نصّ هذا الدعاء، لابد من القول : إنَّ أدعية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تمثل دوائر واسعة مملوءة بأنفس الكلام في تنزيه البارئ (عزّ وجلّ) عما ينسبه إليه الظالمون والمنحرفون، والترغيب في مغفرته ومرضاته، والتعوّذ من بأسه وسخطه، وشكره على الإحسان، ونعمة العدل والتوحيد.

والدعاء أسلوب روحي تربوي يعلّم المرء كيفية عبادة الله (عزّ وجلّ) وآلية التوسل بالحق (عزّ وجلّ).

وقد ذكر باقر شريف القرشي أهم ملامح أدعية أهل البيت (عليهم السلام) :

١ .أنها وضعت قواعد السلوك، وأصول الأخلاق، وما تزدهر به الشخصية من القوى الروحية الواعية.

٢ .أنها تشتمل على وثائق سياسية خطيرة، فهي تمثل مدى الاضطهاد والظلم الذي مني به العالم الإسلامي في تلك العصور من قبل الحكام الأمويين والعباسيين الذين لم يألوا جهداً في ظلم الناس، وإرغامهم على ما يكرهون.

٣ .أنها تمثل انقطاع الأئمة إلى الله والتجائهم إليه، وإنهم قد آمنوا به بمشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم[١].

وقد ذكرنا في الفصل الأول في فقرة (عبادته) جملة من أدعيته (عليه السلام)، نكتفي هنا بذكر الدعاء المشهور المرويّ عن الإمام الهادي (عليه السلام) والمعروف بـ(دعاء المظلوم على الظالم)، ويُسمّى بدعاء السيف، ودعاء اليماني أيضاً[٢]، وهذا الدعاء العظيم (الإكسير المجرّب) دعا به الإمام الهادي (عليه السلام) حينما أصابه الظلم والضرر من المتوكّل، قال (عليه السلام) : ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني، مشيراً إلى قوله تعالى في قصة الناقة: ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ ﴾ (هود / من الآية ٦٥)، فلما جاء اليوم الثالث حتّى

(١)ينظر : حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ١٥٤.

(٢)ينظر حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ١٥٤.

هجم المنتصر ومعه الأتراك على المتوكل فقتلوه، وقطّعوه هو ووزيره الفتح بن خاقان قطعاً حتى لا يعرف أحدها من الآخر، فقال الإمام (عليه السلام): «لما بلغ بي الجهد رميت إلى كنوز نتوارثها عن آبائنا هي أعزّ من الحصون والسلاح والجند، وهو دعاء المظلوم على الظالم»[٣].

ويعدّ هذا الدعاء من الكنوز المشرقة في تراث أهل بيت العصمة سلام الله عليهم، فهو يكشف عن شدة العنت الذي يقاسيه الإمام (عليه السلام) وإحساسه العميق بما تعانيه الأمة من الحيرة والضياع والحدود المعطّلة، والأحكام المهملة فضلاً عن الجوع، وسوء الأحوال[٤].

وقد رواه ابن طاووس بالإسناد عن أبي الحسن محمد بن محمد بن المحسن ابن يحيى بن الرضا، ذاكراً سبب هذا الدعاء حينما أمر المتوكل العباسي بإهانة الإمام (عليه السلام) لإشباع روح الحقد، والحسد، والأنانية التي ملأت نفسه الظالمة، فقد أمر بأن يترجّل الإمام (عليه السلام)، ويمشي بين يديه، فبلغ من الإمام (عليه السلام) الجهد، فدعا الإمام به، وهو دعاء المظلوم على الظالم فأهلك الله (عز وجل) المتوكل، وهذا نصّ الدعاء : «اللهم إني وفلان ابن فلان عبدان من عبيدك نواصينا بيدك تعلم مستقرنا ومستودعنا وتعلم منقلبنا ومثوانا وسرّنا وعلانيتنا وتطّلع على نيّاتنا وتحيط بضمائرنا علمك بما نُبديه كعلمك بما نخفيه، ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نظهره، ولا ينطوي عنك شيء من أمورنا، ولا يستتر دونك حالٌ من أحوالنا ولا لنا منك معقل يحصننا ولا حرز يحرزنا ولا هارب يفوتك منا ولا يمتنع الظالم منك بسلطانه ولا يجاهدك عنه جنوده، ولا يغالبك مغالب بمنعة ولا يعازك متعزز بكثرة أنت مدركه، أينما سلك وقادر عليه أينما لجأ فمعاذ المظلوم منا بك وتوكل المقهور منا عليك، ورجوعه إليك ويستغيث بك إذا خذله المغيث ويستصرخك إذا قعد عنه النصير، ويلوذ بك إذا نفته الأفنية، ويطرق بابك إذا أغلقت دونه الأبواب المرتجة ويصل إليك إذا احتجبت عنه الملوك الغافلة تعلم ما حل به قبل أن يشكوه إليك وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك

(٣)موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٠.

(٤)م . ن : ١٢ / ٣٣٩.

له، فلك الحمد سميعاً بصيراً لطيفاً قديراً اللهم إنه قد كان في سابق علمك ومحكم قضائك وجاري قدرك وماضي حكمك ونافذ مشيئتك في خلقك أجمعين سعيدهم وشقيّهم وبرّهم وفاجرهم أن جعلت لفلان ابن فلان عليّ قدرة فظلمني بها، وبغى علي لمكانها وتعزز علي بسلطانه الذي خولته إياه، وتجبر علي بعلو حاله التي جعلتها له وعزه إملاؤك له، وأطغاه حلمك عنه فقصدني بمكروه عجزت عن الصبر عليه وتغمدني بشر ضعفت عن احتماله ولم أقدر على الانتصار منه لضعفي والانتصاف منه لذلي فوكلته إليك، وتوكلت في أمره عليك وتوعدته بعقوبتك وحذّرته سطوتك وخوّفته نقمتك فظن أن حلمك عنه من ضعف وحسب أن إملاءك له من عجز ولم تنهه واحدة عن أخرى ولا انزجر عن ثانية بأولى، ولكنه تمادى في غيه وتتابع في ظلمه، ولج في عدوانه واستشرى في طغيانه جرأةً عليك يا سيدي وتعرُّضاً لسخطك الذي لا ترده عن الظالمين وقلة اكتراث ببأسك الذي لا تحبسه عن الباغين، فها أنا ذا يا سيدي مستضعف في يديه مستضامٌ تحت سلطانه مستذلٌ بعنائه مغلوبٌ مبغيٌّ عليٌّ مغضوب وجلٌ خائف مروع مقهور قد قلّ صبري وضاقت حيلتي وانغلقت عليّ المذاهب إلا إليك وانسدّت عليّ الجهات إلا جهتك والتبست عليّ أموري في دفع مكروهه عنّي واشتبهت عليّ الآراء في إزالة ظلمه وخذلني من استنصرته من عبادك وأسلمني من تعلّقت به من خلقك طُرّاً واستشرتُ نصيحتي فأشار إلي بالرغبة إليك واسترشدت دليل فلم يدُلّني إلاّ عليك فرجعت إليك يا مولاي صاغراً راغماً مستكيناً عالماً أنه لا فرج لي إلا عندك، ولا خلاص لي إلا بك أنتجز وعدك في نصرتي وإجابة دعائي فإنّك قلت: وقولك الحق الذي لا يُردُّ ولا يبدّل ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ وقلتَ جلّ جلالك وتقدست أسماؤك: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وأنا فاعل ما أمرتني به لا منّاً عليك وكيف أمُنُّ به وأنت عليه دللتني فصلِّ على محمد وآل محمد فاستجب لي كما وعدتني يا من لا يُخلف الميعاد وإني لأعلم يا سيدي أنّ لك يوماً تنتقم فيه من الظالم للمظلوم، وأتيقّن أن لك وقتاً تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب؛ لأنك لا يسبقك مُعاندٌ ولا يخرج عن قبضتك منابذٌ ولا تخافُ فوت فائتٍ ولكن جزعي وهلعي لا يبلغان بي

الصّبر على أناتك وانتظار حلمك فقدرتك عليّ يا سيدي ومولاي فوق كل قدرة وسلطانك غالبٌ على كل سلطان، ومعادُ كل أحدٍ إليك، وإن أمهلته ورجوع كل ظالم إليك وإن أنظرته وقد أضرّني يا ربِّ حلمك عن فلان ابن فلان وطول أناتك له وإمهالك إياه وكاد القنوطُ يستولي عليّ لولا الثقة بك واليقين بوعدك، فإن كان في قضائك النافذ وقدرتك الماضية أن يُنيب أو يتوبَ أو يرجع عن ظلمي أو يكف مكروهه عني وينتقل عن عظيم ما ركب مني، فصلّ اللهم على محمد وآل محمد، وأوقع ذلك في قلبه الساعة قبل إزالة نعمتك التي أنعمت بها عليّ وتكديره معروفك الذي صنعته عندي، وإن كان في علمك به غير ذلك من مقام على ظلمي فأسألك يا ناصرَ المظلوم المبغي عليه إجابة دعوتي فصلِّ على محمد وآل محمد وخذه من مأمنه أخذ عزيز مقتدر وافجأهُ في غفلته مفاجأة مليكٍ منتصر، واسلبه نعمته وسُلطانه وافضض عنه جموعه وأعوانه ومزّق ملكه كلّ ممزّق وفرِّق أنصاره كلّ مفرّق وأعره من نعمتك التي لم يقابلها بالشكر، وانزع عنه سربال عزّك الذي لم يُجازه بالإحسان واقصمه يا قاصم الجبابرة وأهلكه يا مهلك القَرون الخالية وأبره يا مبيرَ الأمم الظالمة واخذله يا خاذل الفِئات الباغية وابتر عُمره وابتزّ ملكه وعفّ أثره واقطع خَبره وأطْفِ ناره وأظلم نهاره وكوِّر شمسه، وأزهق نفسه، وأهشم شدّته وجبّ سنامه وأرغم أنفه وعجّل حتفه، ولا تدع له جنة إلاّ هتكتها، ولا دعامة إلاّ قصمتها، ولا كلمةً مجتمعةً إلا فرقتها ولا قائمة علوٍّ إلا وضعتها ولا رُكناً إلا وهنته ولا سبباً إلا قطعته وأرنا أنصاره وجنده وأحبّاءه وأرحامه عباديدَ بعد الألفة وشتّى بعد اجتماع الكلمة، ومقنعي الرؤوس بعد الظهور على الأمة، واشْفِ بزوال أمرهِ القلوب المنقلبة الوجلة والأفئدة اللهفة والأمة المتحيّرة والبريّة الضائعة، وأدلْ ببواره الحدود المُعطّلة والأحكام المهملة والسنن الدائرة والمعالم المغيّرة والتلاوات المتغيرة والآيات المحرَّفة والمدارس المهجورة والمحاريب المجفُوّة والمساجد المهدومة وأشبعْ به الخِماص السّاغيةَ وأرْوِ به اللّهوات اللاّغبة والأكباد الظّامية وأرح به الأقْدام المتعبة وأطرقه بليلةٍ لا أختَ لها، وساعة لا شفاء منها وبنكبةٍ لا انتعاش معها وبعثرة لا إقالة منها وأبحْ حريمهُ ونغّص نعيمه وأره بطشتك الكبرى ونقمتك المثلى وقدرتك التي هي فوق كل قدرةٍ وسلطانك الذي هو أعزّ من سلطانه وأغلبه لي بقوّتك القويّة

ومحالك الشديد وامنعني منه بمنعتك التي كل خلق فيها ذليل وابتله بفقر لا تجبره وبسوء لا تستره وكله إلى نفسه فيما يريد إنّك فعّال لما تريد، وأبْرئه من حولكً وقوّتك وأحوجه إلى حوله وقوّته وأذلّ مكره بمكرك وادفع مشيئته بمشيئتك وأسقم جسده وأيتم ولده وأنقص أجله وخيّب أمله وأزل دولته وأطل عولته واجعل شغله في بدنه ولا تفكّه من حزنه وصيّر كيده في ضلال وأمره إلى زوال ونعمته إلى انتقال وجدّه في سفال وسلطانه في اضمحلال وعاقبته إلى شرِّ مآل وأمِتْهُ بغيظِه إذا أمتّه وابقه لحزنه إن أبقًيته وقني شرّه وهمزهُ ولمزهُ وسطوته وعداوتهً والمحهُ لمحةً تدمّر بها عليه فإنك أشد بأساً، وأشدّ تنكيلاً والحمد لله رب العالمين»[1].

(١)مهج الدعوات : ٢٤٨ – ٢٥٢. (الحج / من الآية ٦٠) ، (غافر / من الآية ٦٠).

المبحث الثالث

أقواله (عليه السلام) الحِكَمِيَّة القصار

أُثرت عن الإمام الهادي (عليه السلام) مجموعة واسعة من الجمل الصغيرة والحكم القصيرة ذات أبعاد إنسانية عليا، وأهداف اجتماعية عُظمى عالج فيها الإمام الهادي (عليه السلام) الكثير من القضايا التربويّة والأخلاقية، والنفسيّة، وتعدّ من أحسن التعاليم التربوية، ومن أفضل وسائل تزكية النفوس وتطهير القلوب وإصلاح المجتمع، وقد جاءت بأسلوب رصين مقرون بالفصاحة والبلاغة والإيجاز، وقد استمدّ الإمام الهادي (عليه السلام) في هديها هدي الكتاب الكريم، وسنة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهدي آبائه الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وقد ذكرها مَنْ تحدّث عن الإمام الهادي (عليه السلام)[٢]، وإليك أيها القارئ العزيز هذه الأقوال الحكيمة القصار الذهبيّة.

١. قال (عليه السلام) : «إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عُوتِب قَبِلَ»[٣].

٢. قال (عليه السلام) : «مَنْ اتّقى الله يُتّقى ومَنْ أطاع الله يُطاع ومَنْ أطاع الخالق لم يبالِ

(٢)ينظر : تحف العقول : ٣٥٦ – ٣٥٨، ومنتهى الآمال : ٢ / ٤٨٩ – ٤٩٢، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٨٥، والأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٦٥، ومسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ٢٩٥ – ٣٠٥، وسيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) : ٢ / ٤٧٤ – ٤٧٥، وحياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٢٠٤ – ٢١٤، وسيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٦١١، ولمحات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٧٢ – ٧٥، وموسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٣٨٠ – ٣٨٥، وأعلام الهداية : ١٢ / ٢٣٣ – ٢٣٧.

(٣)تحف العقول : ٣٥٦.

سخطَ المخلوقين، ومَنْ أسْخَطَ الخالق فلْييقن أنْ يَحِلّ به سخط المخلوقين»[1].

٣.قال (عليه السلام) : «إنَّ لله بقاعاً يُحبُّ أنْ يُدْعى فيها فيستجيب لمن دَعَاهُ والحَيْر منها»[2].

٤.قال (عليه السلام) : «إنَّ الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً (...) لا تعد ولا تجعل للأيام صنعاً في حكم الله»[3].

٥.قال (عليه السلام) : «مَنْ أمِنَ مكرَ الله وأليم أخذه تكبّر حتى يحل به قضاؤه ونافذ أمره، ومن كان على بيّنة من ربّه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر»[4].

٦.قال (عليه السلام) : «لو قلت : إنَّ تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً»[5].

٧.قال (عليه السلام) : «الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر؛ لأن النعم متاع، والشكر نِعَمٌ وعُقْبى»[6].

٨.قال (عليه السلام) : «إنَّ الله جَعَلَ الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عرضاً»[7].

٩.قال (عليه السلام) : «إنَّ الظالم الحَالم يكاد أنْ يُعْفَى على ظلمه بحلمه، وإن المحقَّ السفيه يكاد أنْ يطفئ نور حقّه بسفَهه»[8].

١٠.قال (عليه السلام) : «من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك»[9].

---

(١)تحف العقول : ٣٥٧، وينظر : إثبات الوصية : ٢٤٩.

(٢)تحف العقول : ٣٥٦.

(٣)م . ن : ٣٥٨.

(٤)م . ن : ٣٥٨.

(٥)م . ن : ٣٥٨.

(٦)م . ن : ٣٥٨.

(٧)م . ن : ٣٥٨.

(٨)م.ن : ٣٥٨.

(٩)م . ن : ٣٥٨.

١١. قال (عليه السلام) : «مَنْ هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه»[١٠].

١٢. قال (عليه السلام) : «الدنيا سوق رَبِحَ فيها قومٌ وخَسِر آخرون»[١١].

١٣. قال (عليه السلام) : «الإيمان ما وقّرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة»[١٢].

١٤. قال (عليه السلام) : «السهر ألذّ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام»[١٣].

١٥. قال (عليه السلام) : «اذكر مصرعك بين يدي أهلك فلا طبيب يمنعك ولا حبيب ينفعك»[١٤].

١٦. قال (عليه السلام) : «المقادير تريك ما لا يخطر ببالك»[١٥].

١٧. قال (عليه السلام) : «الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة»[١٦].

١٨. قال (عليه السلام) : «إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أنْ تظنّ بأحد سوءاً حتى تعلم ذلك، وإذا كان زمان الجور فيه أغلب من العدل فليس لأحد أنْ يظن بأحدٍ خيراً حتى ذلك منه»[١٧].

١٩. قال (عليه السلام) : «مَنْ رَضِي عن نفسه كَثُر الساخطون عليه»[١٨].

٢٠. قال (عليه السلام) : «الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك، والفقر شره النفس، وشدة

---

(١٠)تحف العقول : ٣٥٨.

(١١)م . ن : ٣٥٨.

(١٢)مروج الذهب : ٤ / ١٨٨، وينظر : منتهى الآمال : ٢ / ٥٨٥.

(١٣)منتهى الآمال : ٢ / ٤٩٠.

(١٤)م . ن : ٢ / ٤٩٠، وينظر : أعيان الشيعة : ٢ / ٥٨٥.

(١٥)م . ن: ٢ / ٤٩٠.

(١٦)م . ن : ٢ / ٤٩١، وينظر : أعيان الشيعة : ٢ / ٥٨٥.

(١٧)منتهى الآمال : ٢ / ٤٩٢، وينظر : أعيان الشيعة : ٢ / ٥٨٥.

(١٨)أعيان الشيعة : ٢ / ٥٨٥.

القنوط»[1].

٢١. قال (عليه السلام) : «الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال»[2].

٢٢. قال (عليه السلام) : «وقال لشخص وقد أكثر من إفراط الثناء عليه : أقبل على شأنك فإنَّ كثرة الملق يهجم على الظنّة، وإذا حللت من أخيك في محل الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النيّة»[3].

٢٣. قال (عليه السلام) : «المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان»[4].

٢٤. قال (عليه السلام) : «الحسد ماحي الحسنات جالب المقت»[5].

٢٥. قال (عليه السلام) : «العجب صارف عن طلب العلم داعٍ إلى الغمط والجهل»[6].

٢٦. قال (عليه السلام) : «البخل أذمُّ الأخلاق، والطمع سجيّة سيئة»[7].

٢٧. قال (عليه السلام) : «الهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال»[8].

٢٨. قال (عليه السلام) : «العقوق يعقب القلة ويؤدّي إلى الذلّة»[9].

٢٩. قال (عليه السلام) : «المراد يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أنْ يكون في المغالبة، والمغالبة أسُّ أسباب القطيعة»[10].

---

(١) أعيان الشيعة : ٢ / ٥٨٥.

(٢) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(٣) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(٤) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(٥) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(٦) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(٧) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(٨) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(٩) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

(١٠) م. ن : ٢ / ٥٨٥.

٣٠.قال (عليه السلام) : «العتاب مفتاح التعالي والعتاب خير من الحقد»[١١].

٣١.قال (عليه السلام) : «العقوق ثكل من لم يثكل»[١٢].

٣٢.قال (عليه السلام) : «الغضب على من تملك لؤم»[١٣].

٣٣.قال (عليه السلام) : «خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله، وشرّ من الشرّ جالبه، وأهول من الهول راكبه»[١٤].

٣٤.قال (عليه السلام) : «إياك والحسد فإنه يبين فيك، ولا يعمل في عدوّك»[١٥].

٣٥.قال (عليه السلام) : «لا تطلب الصفاء ممن كدّرت عليه ولا الوفاء ممن غدرت به، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك كقلبك له»[١٦].

٣٦.قال (عليه السلام) : «ابقوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها، واعلموا أن النفس أقبل شيء لما أعطيت، وأمنع شيء لما منعت»[١٧].

٣٧.قال (عليه السلام) : «مَنْ سأل فوق قدر حقّه فهو أولى بالحرمان»[١٨].

٣٨.قال (عليه السلام) : «صلاح من جهل الكرامة هوانه»[١٩].

٣٩.قال (عليه السلام) : «الحلم أنْ تملك نفسك وتكظم غيظك مع القدرة عليه»[٢٠].

---

(١١)أعيان الشيعة : ٢ / ٥٨٥.

(١٢)م . ن : ٢ / ٥٨٥.

(١٣)م . ن: ٢ / ٥٨٥.

(١٤)م . ن : ٢ / ٥٨٥.

(١٥)م . ن : ٢ / ٥٨٥.

(١٦)م . ن : ٢ / ٥٨٥.

(١٧)م . ن : ٢ / ٥٨٥.

(١٨)أعلام الهداية (الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)) : ١٢ / ٤٣٢.

(١٩)م . ن : ١٢ / ٢٣٤.

(٢٠)م . ن : ١٢ / ٢٣٤.

٤٠.قال (عليه السلام) : «راكب الحرون، وهو الفرس الذي لا ينقاد – أسير نفسه»[١].

٤١.قال (عليه السلام) : «اللجاجة مسلبة للسلامة، ومؤدية للندامة»[٢].

٤٢.قال (عليه السلام) : «اذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم»[٣].

٤٣.قال (عليه السلام) : «الجاهل أسير لسانه»[٤].

٤٤.قال (عليه السلام) : «ما استراح ذو الحرص والحكمة»[٥].

٤٥.قال (عليه السلام) : «مَنْ لم يحسن أنْ يمنع لم يحسن أنْ يعطي»[٦].

٤٦.قال (عليه السلام) : «حسن الصورة جمال زاهر، وحسن العقل جمال باطن»[٧].

٤٧.قال (عليه السلام) : «إنَّ من العزة بالله أنْ يصرّ العبد على المعصية، ويتمنّى على الله المغفرة»[٨].

٤٨.قال (عليه السلام) : «العلم وراثة كريمة، والآداب حلل حسان، والفكرة مرآة صافية والاعتبار منذر صالح، وكفى بك أدباً لنفسك تركك ما كرهته من غيرك»[٩].

٤٩.قال (عليه السلام) : «شرُّ الرزيّة سوء الخلق»[١٠].

---

(١)أعلام الهداية (الامام علي بن محمد الهادي(علية السلام)) : ١٢ / ٢٣٤.

(٢)م . ن : ١٢ / ٢٣٤.

(٣)م . ن : ١٢ / ٢٣٥.

(٤)م . ن : ١٢ / ٢٣٤.

(٥) م . ن : ١٢ / ٢٣٥.

(٦)م . ن : ١٢ / ٢٣٥.

(٧)م . ن : ١٢ / ٢٣٦.

(٨)م . ن : ١٢ / ٢٣٦.

(٩)مسند الإمام الهادي(عليه السلام) : ٣٠٢.

(١٠)أعلام الهداية (الامام علي بن محمد الهادي(علية السلام)) : ١٢ / ٢٣٤.

المبحث الرابع

أصحابه (عليه السلام) ورواته

كان تنوع ثقافة الإمام الهادي (عليه السلام) وشمول معارفه، فهو المتخصص بجميع العلوم، وهو الخبير في تفسير القرآن، وفي الفقه، وآداب الإسلام وأخلاقه، ومن ثم كان مقصد طلاب العلوم، وكان أصحاب الأئمة (عليهم السلام) يمثلون الخط الرسالي في الإسلام، فهم الذين صانوا رسالة الإسلام من الضياع، فاتّصلوا بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم المنبع الفياض، والبحر الزخّار، لجوهر الإسلام فرووا أحاديثهم، ودوّنوها في أصولهم التي بلغت أربعمائة أصل وقد جمعت في الكتب الأربعة التي يرجع إليها فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعيّة[11]، وإنَّ «الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) على تراثه العظيم، وما حمل من فكر وعطاء، (...) يعود إلى أولئك الرواة عنه والمشافهين له الذين سمعوا منه ذلك فحدّثوا به وأبلغوه إلى مَنْ جاء بعدهم فأنعموا علينا بالإطلاع عليه، والإفادة منه والاهتداء بهديه، ونخصّ بالذكر منهم أولئك النوابغ الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات حفظتها من الضياع، وحمتها من النسيان[12].

وعلى الرغم من وجود الاضطهاد والظلم الذي عاشه الإمام الهادي (عليه السلام) ولاسيّما في زمن المتوكّل العباسي الذي كان شديد البغض والتحامل على أهل البيت

(١١)حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٢١٧.

(١٢)الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) ٢ / ٣٦٦.

(عليهم السلام)، فقد استطاعت مجموعةٌ من عشاق المعارف الإلهية من الاتصال بالإمام عليّ الهادي (عليه السلام)، والانتفاع بعلومه ومعارفه فكان فيهم العلماء والفقهاء والمؤلفون والمفسرون والشخصيات المرموقة في مختلف العلوم والفنون والمعارف، وكان لهم الفضل في نشر تراث الأئمة الأطهار وثرواتهم الفكرية الكبرى[1].

وقد أورد الشيخ الطوسي في رجاله نحو (١٨٥) تلميذاً وراوياً أخذوا عن الإمام الهادي (عليه السلام) العلم والفقه والمعارف الأُخر، ويرى أن «رواة الحديث لا ينضبطون: ولا يمكن حصرهم لكثرتهم وانتشارهم في البلدان شرقاً وغرباً غير أنْ أرجو أنْ لا يشذّ عنهم إلاّ النادر، وليس على الإنسان إلاّ ما تسعه قدرته وتنال طاقته ولم أجد لأصحابنا كتاباً جامعاً في هذا المعنى إلاَّ مختصرات قد ذكر كلّ إنسان طرف منها إلاَّ ما ذكره ابن عقدة من رجال الصادق (عليه السلام) فإنه قد بلغ الغاية في ذلك، ولم يذكر رجال باقي الأئمة (عليهم السلام)»[2].

وقد ذكر الخصيبي ما ينوف على الستين رجلاً ممّن لَقِي الإمامين العسكريين، ورويت الأخبار عنهم جميعاً[3].

وسنذكر في الآتي أسماء أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ورواته وفاقاً لما ذكره الشيخ الطوسي في رجاله مرتبة بحسب الأحرف الهجائية[4]، مترجمين لكوكبة منهم :

---

(١)ينظر : موسوعة المصطفى والعترة : ١٢ / ٣٨٥.

(٢)رجال الطوسي : ٢٧.

(٣)ينظر : تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة ومعجزاتهم المُسَمّى بـ (الهداية الكبرى) : ٢١. (ذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين أسماء هؤلاء الصحابة والرواة بحسب الأحرف الهجائية لأسمائهم وفاقاً لما جاء في مدونة الشيخ الطوسي (رجال الطوسي) مع ذكر مؤلفاتهم فقط (الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٦٧ – ٣٨٦)، وقد ذكر السيد محمد كاظم القزويني نقلا عن أعلام الهداية (٣٤٦) شخصا كانوا قد ارتبطوا بالإمام ورووا عنه.(أعلام الهداية : ١٢ / ٢٠١)، وذكر الشيخ عزيز الله العطارديّ في مسنده (١٨٠) رجلا (مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٠٩ – ٣٧٧)، وذكر الشيخ باقر شريف القرشي (١٨٥) راويا مَن رواته، وصحابيا مَن صحابته (حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل : ٢١٨ – ٢٨١). وذكر الشيخ حسين الشاكري (٢٦٣) صحابيا وراويا مرتبين بحسب الحروف الهجائية مترجما لكثير منهم، (موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٣٨٥ – ٤٥٤).

(٤)ينظر : رجال الطوسي : ٣٥٣ – ٣٩٤.

باب الهمزة :

١. أحمد بن إسماعيل بن يقطين.

٢. أحمد بن حمزة بن اليسع، قمي، ثقة.

٣. أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، قمي.

٤. أحمد بن الحسن بت إسحاق بن سعد.

٥. أحمد بن الخضيب.

٦. إبراهيم بن إسحاق، ثقة.

٧. إبراهيم بن عقبة.

٨. إبراهيم بن محمد الهمداني.

٩. إبراهيم بن إدريس.

١٠. إبراهيم بن مهزيار، أهوازي.

١١. إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري.

١٢. إبراهيم بن داود اليعقوبي.

١٣. أيوب بن نوح بن دراج، ثقة.

١٤. أحمد بن إسحاق الرازي، ثقة.

١٥. إبراهيم، يكنّى أبا محمد.

١٦. أحمد بن أبي عبد الله البرقي.

١٧. أحمد بن الحسن بن عليّ بن فضّال.

١٨. أحمد بن زكريا بن بابا.

١٩. إبراهيم بن عبدة النيسابوري.

٢٠. أحمد بن هلال العبرتائي، بغدادي، غالٍ.

٢١. إبراهيم بن شيبة.

٢٢. إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت.

٢٣. احمد بن محمّد السياري.

٢٤. إسحاق بن محمد البصري، يرمى بالغلو.

٢٥. إبراهيم الدهقان.

٢٦. أحمد بن الفضل.

باب الباء :

١. بشر بن بشار النيسابوري، وهو عمّ أبي عبد الله الشاذاني.

باب الجيم :

١. جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الخطّاب.

٢. جعفر بن إبراهيم.

٣. جعفر بن هشام.

٤. جعفر بن أحمد.

٥. جعفر بن عبد الله بن الحسين بن جامع، قمي، حميري.

٦. جعفر بن محمد بن يونس الأحول.

٧. جعفر بن سليمان.

باب الحاء:

١. الحسن بن محمّد، ابن أخ محمد بن رجاء الخياط.

٢. الحسن بن علي الوشّاء.

٣. الحسن بن محمد المدائني.

٤. الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الناصر للحق رضي الله عنه.

٥. الحسن بن الحسن العلوي.

٦. الحسين بن سعيد، كوفي أهوازي، مولى علي بن الحسين عليهما السلام.

٧. الحسين بن أسد البصري.

٨. الحسين بن مالك القمي، ثقة.

٩. حفص المروزي.

١٠. الحسن بن راشد، يكنى أبا علي، بغدادي.

١١. الحسن بن ظريف.

١٢. الحسن بن علي بن أبي عثمان السجادة، غالٍ.

١٣. الحسن بن محمد بن حيّ.

١٤. الحسين بن محمد المدائني.

١٥. حمزة، مولى علي بن سليمان بن رشيد، بغدادي.

١٦. حاتم بن الفرج.

١٧. الحسن بن جعفر، المعروف بأبي طالب الفافاني، بغدادي.

١٨. الحسين بن اشكيب القمي، خادم القبر.

١٩.الحسين بن عبيد الله القمي، يرمى بالغلو.

٢٠.الحسن بن خرزاذ، قمي.

٢١.الحسن بن محمد بن بابا القمي، غالٍ.

٢٢.الحسن بن سفيان الكوفي.

٢٣.الحسن بن الحسين العلوي.

٢٤.حمدان بن سليمان بن عميرة، نيسابوري، المعروف بالتاجر.

باب الخاء:

١.خيران الخادم، ثقة: مولى الرضا (عليه السلام) ثقة جليل القدر من أصحاب أبي الحسن الثالث (عليه السلام)، كان من أصحاب الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) ومستودعاً لأسرارهم، وله مسائل يرويها عن الإمام الهادي (عليه السلام) وهو الذي كان يلزم باب أبي جعفر (عليه السلام) ليخدمه في أثناء اعتلاله (عليه السلام)، فأتاه رسول من قبل الجواد (عليه السلام) فقال له: مولاك يقرئك السلام، ويقول لك: إني ماضٍ، والأمر صائر إلى ابني عليّ وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي، وهذا الحديثُ مشهور في باب النصّ على الإمام الهادي (عليه السلام)(١).

٢.خيران بن إسحاق الزاكاني.

٣.خليل بن هشام الفارسي.

(١)ينظر: منتهى الآمال: ٢/ ٥١١ – ٥١٢.

باب الدال :

١.داود بن القاسم الجعفري، يكنّى أبا هاشم، ثقة : وهو داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) ثقة جليل الشأن عظيم القدر والمنزلة عند الأئمة (عليهم السلام) أدرك أيام الرضا (عليه السلام) حتى الإمام محمد المهدي المنتظر (عليه السلام)، وروى عنهم جميعاً، توفى سنة إحدى وستين ومائتين، قبره مشهور في بغداد، لأنه من أهلها ومستوطنيها، وكان رجلاً ذا ورع وزهد، ونسك وعلم وعقل وكان كثير الرواية، ولم يكن بين آل أبي طالب في زمانه أحد بعلوّ نسبه، وكان أبو القاسم أميراً على اليمن ورجلاً جليلاً[٢].

٢.داود بن أبي زيد، اسمه زنكان، يكنّى أبا سليمان، نيسابوري، في النجّارين في سكة طرخان في دار سختويه، صادق اللهجة.

٣.داود الصرمي، يكنّى أبا سليمان.

باب الراء :

١.الريان بن الصلت البغدادي، ثقة.

٢.رجاء العبرتائي بن يحيى، يكنّى أبا الحسين، روى عنه أبو المفضل محمد ابن عبد الله بن المطلب الشيباني، أخبرنا عنه جماعة من أصحابنا.

باب السين :

١.سليمان بن داود المروزي.

٢.سليمان بن حفصويه.

---

(٢)ينظر : منتهى الآمال: ٢ / ٥١٢.

٣.سهل بن يعقوب بن إسحاق، يكنّى أبا السري، الملقب بأبي نؤاس.

٤.سهل بن زياد الآدمي، يكنّى أبا سعيد، ثقة، رازي.

٥.السري بن سلامه الأصبهاني.

٦.السندي بن محمد، أخو علي.

باب الشين :

١.شاهوية بن عبد الله.

باب الصاد :

١.صالح بن محمد الهمداني، ثقة.

٢.صالح بن موسى بن عمر بن بزيع.

٣.صالح بن مسلمة الرازي، يكنّى أبا الخير.

باب العين :

١.عبد العظيم بن عبد الله الحسني (رضي الله عنه) : بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من أكابر المحدّثين، ومن أعاظم العلماء والزهّاد والعبّاد وذوي الورع والتقوى، وهو من أصحاب الجواد والهادي (عليهما السلام)، وكان في غاية الانقطاع إليهما والتوسل بهما، وروى أحاديث كثيرة عنهما، توفي في حياة الإمام أبي الحسن الهادي، وكان وكيلاً للإمام الهادي (عليه السلام) في مدينة الري، وكان الإمام يقول لأبي حمّاد الرازي : إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسلْ عنه عبد العظيم الحسني، وقد عرض على الإمام الهادي (عليه السلام) دينه بخصوص التوحيد، والأصول، والفروع، وغيرها فقال أبو الحسن (عليه السلام) له : يا أبا القاسم هذا

والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه، ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة[1].

٢.عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور.

٣.علي بن مهزيار، الأهوازي، ثقة.

٤.علي بن الحسين بن عبد ربه.

٥.علي بن بلال، بغدادي، يكنّى أبا الحسن.

٦.علي بن معبد، بغدادي، له كتاب.

٧.علي بن سليمان بن رشيد، بغدادي.

٨.علي بن شيرة، ثقة.

٩.علي بن محمد القاساني، ضعيف، إصبهاني، ولد زياد مولى عبد الله بن عباس، من آل خالد بن الأزهر.

١٠.علي بن الحسين الهمداني، ثقة.

١١.علي بن زياد الصيمري.

١٢.علي بن زياد النوفلي.

١٣.علي بن عبد الغفار.

١٤.علي بن جعفر، وكيل، ثقة.

١٥.علي بن عمرو العطار القزويني.

١٦.علي بن الحسن.

١٧.علي بن عبيد الله.

---

(١)ينظر : منتهى الآمال : ٢ / ٥١٣ – ٥١٤.

١٨.علي بن إبراهيم الهمداني.

١٩.علي بن أبي قرة، يكنّى أبا الحسن.

٢٠.عبد الرحمن بن محمد بن طيفور المتطبب.

٢١.عروة بن يحيى الدهقان، غالٍ.

٢٢.عبد الله بن جعفر الحميري.

٢٣.علي بن الريان بن الصلت.

٢٤.علي بن محمد بن زياد الصيمري.

٢٥.علي بن الحسن بن فضال.

٢٦.علي بن عبد الله.

٢٧.عبد الرحمان بن محمد.

٢٨.عباس بن معروف القمي.

٢٩.عبد الصمد بن محمد، قمي.

٣٠.علي بن محمد المنقري.

٣١.علي بن عبيد الله الزبيري.

٣٢.علي بن رُميس، بغدادي، ضعيف.

٣٣.علي بن إبراهيم.

٣٤.عبدوس العطار، كوفي.

٣٥.عروة النخاس الدهقان، ملعون غالٍ.

٣٦.عثمان بن سعيد العمري، يكنّى أبا عمر السمان، ويقال له : الزيات خدمه عليه السلام، وله إحدى عشرة سنة، وله إليه عهد معروف.

باب الفاء :

١ .الفضل بن شاذان النيسابوري، يكنّى أبا محمد.

٢ .الفتح بن يزيد الجرجاني.

٣ .فارس بن حاتم القزويني، غالٍ ملعون.

٤ .الفضل بن كثير، بغدادي.

باب القاف :

١ .قاسم الصيقل.

٢ .القاسم الشعراني اليقطيني، يرمى بالغلو.

باب الكاف :

١ .كافور الخادم، ثقة.

باب الميم :

١ .مسافر، مولاه (عليه السلام).

٢ .محمد بن سعيد بن كلثوم المروزي، وكان متكلماً.

٣ .محمد بن الفرج.

٤ .محمد بن رجاء الحنّاط.

٥ .محمد بن علي بن مهزيار، ثقة.

٦. محمد بن عبيد الله الطاهي، من أهل طاهي.

٧. محمد بن جزك الجمال، ثقة.

٨. محمد بن أحمد بن إبراهيم.

٩. محمد بن عبد الله النوفلي الهمداني.

١٠. محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، يونسي، ضعيف على قول القميين.

١١. محمد بن يحيى، يكنّى أبا يحيى البصري.

١٢. محمد بن علي بن عيسى الأشعري، قمي.

١٣. محمد بن أحمد بن مطهر.

١٤. محمد بن أحمد بن عبيد الله بن المنصور، أبو الحسن، أسند عنه.

١٥. محمد بن مروان الجلاب، ثقة.

١٦. محمد بن الريان بن الصلت، ثقة.

١٧. محمد بن عبد الجبار، وهو ابن أبي الصهبان، قمي، ثقة.

١٨. محمد بن أبي طيفور المتطبب.

١٩. محمد بن الفضل.

٢٠. موسى بن عمر الحصيني.

٢١. موسى بن عمر بن بزيع.

٢٢. مصقلة بن إسحاق القمي الأشعري.

٢٣. محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات الكوفي، ثقة، من أصحاب أبي جعفر الثاني عليه السلام.

٢٤. منصور بن العباس.

٢٥.محمد بن الحسين الأهوازي.

٢٦.محمد بن عبد الله بن مهران الكرخي، يرمى بالغلو، ضعيف.

٢٧.محمد بن الحسن بن شمون، بصري.

٢٨.موسى بن داود اليعقوبي.

٢٩.موسى بن محمد الحضيني.

٣٠.محمد بن يحيى بن درياب.

٣١.محمد بن سليمان الجلاب.

٣٢.محمد بن حمزة القمي.

٣٣.محمد بن إسماعيل الصيمري، قمي.

٣٤.محمد بن صيفي، كوفي.

٣٥.محمد بن خالد الرازي، يكنّى أبا العباس.

٣٦.محمد بن إسماعيل البلخي.

٣٧.محمد بن أحمد بن حماد المحمودي، يكنّى أبا علي.

٣٨.محمد بن موسى الربعي.

٣٩.محمد بن حصين الفهري، ملعون.

٤٠.محمد بن مروان الخطاب.

٤١.محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي.

٤٢.معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي.

٤٣.محمد بن حسان الرازي الزينبي.

٤٤.موسى بن مرشد الوراق، نيسابوري.

٤٥. محمد بن موسى بن فرات.

باب النون :

١. النضر بن محمد الهمداني، ثقة.

٢. نصر بن جازم، قمي.

باب الياء :

١. يحيى بن محمد.

٢. يعقوب بن يزيد الكاتب، ثقة.

٣. يعقوب البجلي.

٤. يحيى بن أبي بكر الرازي الضرير.

٥. يعقوب بن منقوش.

٦. يعقوب بن إسحاق : الأهوازي المعروف بـ (ابن السكّيت) أحد أئمة اللغة وحامل لواء علم العربية والأدب والشعر، وصاحب (إصلاح المنطق) ومن خواصّ الإمامين الجواد والهادي (عليهما السلام) كان ثقة جليلاً، قتله المتوكل سنة أربع وأربعين ومائتين، وقيل سنة ست وأربعين ومائتين، وكان مؤدباً لأولاد المتوكل فسأله ذات يوم : هَلْ ولداي المعتز والمؤيد أفضل عندك أم الحسن والحسين ؟، فراحَ ابن السكّيت يعدّد فضائل الحسنين (عليهما السلام)، فأمر المتوكل غلمانه من الأتراك أنْ يدسوه تحت أقدامهم، ثم نقلوه إلى بيته فمات من فوره، وقيل : إنه أجاب المتوكل بقوله : إنَّ قنبراً خادم الإمام (عليه السلام) أفضل منك، ومن ولديك، فأمر المتوكل فاستل لسانه من قفاه، وله مؤلفات كثيرة ذكرها محمد حسن آل ياسين[1].

---

(١) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٣٨٣ – ٣٨٥، ومنتهى الآمال : ٢ / ٥١٤ – ٥١٥.

باب الكنى :

١.أبو الحصين بن الحصين، نزل الأهواز، ثقة.

٢.أبو عبد الله المغازي، غالٍ.

٣.أبو طاهر بن حمزة بن اليسع الأشعري، قمي، ثقة.

٤.أبو عمر الحذاء.

٥.أبو الحسين بن هلال، ثقة.

٦.أبو عبد الله بن أبي الحسين.

٧.أبو محمد بن إبراهيم.

٨.أبو بكر الفهفكي.

٩.إبن أبي طيفور المتطبب.

١٠.أبو عبد الله المكاريّ.

١١.أبو طاهر البرقي، أخو أحمد بن محمد.

١٢.أبو يحيى الجرجاني.

١٣.أبو طاهر محمد، وأبو الحسن، وأبو الطيب بنو علي بن بلال.

١٤.إبن راشتة المتطبب.

باب النساء :

١.كلثم الكرخية، روى عنها عبد الرحمن الشعيري، وهو أبو عبد الرحمان أحمد بن داود البغدادي.

الفصل الخامس

مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحيّ

الفصل الخامس

مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحي

في هذا الفصل – وهو خاتمة فصول الدراسة – سنتحدّث عن مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحي، هذا المشروع الذي تلبّس بالإمام (عليه السلام) منذ ولادته حتّى استشهاده (عليه السلام)، ولا غرابة في ذلك فهو من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذي أسهموا في أداء دورهم الرسالي، والحركي في إقامة مبادئ الكتاب الكريم، والسنة النبويّة، ومقاومة مظاهر البدع والانحراف، وتوجيه الأمّة نحو الأصول الحقيقية للشريعة السمحاء، ونحو التكامل الإسلامي السامي، فكانوا أعلام الحقّ، ومراجع الدين، وقادة الهداية والرشاد يَهْرَعُ إليهم الناس، وقد عبّرت النصوص الإسلامية عن حقيقة هذا الوعي العميق لدرجة التزام أئمة أهل البيت بمطالب الشريعة بأساليب شتّى فهم مرّة أمان الأمّة، وباب حطّة، ومرّة المُطَهّرون من كلّ دَنَس، والذين أذهب الله عنهم الرجس، وأخرى سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وغير ذلك(1).

لقد دافع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن الإسلام أُصولاً وفروعاً، وناظروا المشكّكين والملحدين، وأجابوا عن أسئلتهم بالأسلوب الهادئ الرصين المدعوم بالحجة والمنطق، ولم يجتمع إليهم أحدٌ من المشككين المعاندين إلاّ وخرج من مجالسهم مقتنعاً مؤمناً هادياً.

إنَّ من أهمّ ملامح هذا المشروع الإصلاحي عند الإمام الهادي (عليه السلام) هو ربط

(1) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية) : ١٥.

الأمّة بالأئمة الهداة، والقادة الذادة، الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لاسيما في زيارته أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب (عليه السلام)) يوم الغدير، وفي الزيارة الجامعة المباركة المرويّة عنه (عليه السلام)، فضلاً عن ذلك دعوته أصحابه إلى زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) إمام الإصلاح، والتحدي والتضحية من أجل استلهام معاني المجد والفخر والإباء منه (عليه السلام)، فكان يعلّم أصحابه زيارة هذه المشاهد المباركة ؛ لأن الله (عز وجل) يُحب أنْ يُدعى فيها، فعندما ألمّ المرض بالإمام الهادي (عليه السلام)، بعث بعض أصحابه، وأعطاهم مالاً لكي يذهبوا إلى كربلاء، ويدعون له بالشفاء عند مرقد الحسين، وقد تعجب أصحابه من طلب الإمام (عليه السلام) فقال أحدهم: يوجّهنا إلى الحائر وهو بمنزلة مَنْ في الحائر ؟ فأجابه الإمام (عليه السلام) : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر، وإنَّ لله تعالى بقاعاً يحبّ أنْ يدعى فيها فيستجيب لمّن دعاه، والحائر منها، وكان هذا التصريح من الإمام طريقاً جديداً لمعرفة عظمة الحسين (عليه السلام)، والحائر المقدّس، وإنّما أراد الإمام أنْ يوضّح هذا المعنى المهم، وبهذا المضمون أراد الإمام الهادي (عليه السلام) أنْ يربط المسلمين بموضع زيارة الأئمة العظام ولاسيّما أمير المؤمنين، والإمام الحسين (عليهما السلام) من أجل التأكيد على الزيارات والدعوات المأثورات، والصلوات عليهما من الإمام الهادي(عليه السلام) نفسه، فاستطاع أن يركّز شهادة الأولياء في قلوب الناس ؛ لينهلوا من نهج عليّ (عليه السلام) العدل والإنصاف، ومن نهج الحسين الصمود، والتضحية، وبذلك أوجد (عليه السلام) قاعدة روحية، ومنهجاً إيمانيّاً جديداً يلهم الثائرين عزيمة، ويزيد المحبّين له عقيدة[1]، وقد ركّز الإمام (عليه السلام) في خطابه السلوكي على إشباع الحاجات العقلية والروحية، وانتقد السلوك المفضي إلى إشباع الحاجات الجسدية.

لقد مارس الإمام الهادي (عليه السلام) نشاطاً مكثّفاً، وعَمِل عملاً دؤُوباً لإعداد الجماعة الصالحة من أجل الدخول إلى عملية الإصلاح المنظور، والقيام بالمشروع التصحيحي الإصلاحي المنشود مربّياً هذه الجماعة الخيّرة تربية إسلامية مثالية مستعملاً العبارات

---

(١) ينظر : المنتخب من سيرة الأئمة المعصومين : فاضل الفراتي : ٤٢١، والتاريخ الإسلامي (دروس وعبر) : ٣٣٨، ودور الأئمة في الحياة الإسلامية : ٥٥.

الطيّبات الحكيمات التي تحفّز فيهم روح الإعداد والإصلاح والتغيير، وإثارة كوامن البناء والتصحيح، ومحاسبة النفس، وعدم الغفلة، فعمل على توعيتهم في ضوء مجالستهم بشكل دائم ومنظم، فضلاً عن ذلك قام (عليه السلام) بقيادة الحركة الرسالية، فالرساليون كانوا منتشرين في البلاد الإسلامية كافة، وهم يحملون مشعل الحرية في الأمّة الإسلامية، وكان الإمام (عليه السلام) يقوّم هذه الحركة المنتشرة في هذه البقاع، والتي تعمل ليل نهار من أجل رفع مستوى الأمّة، وإيصالها إلى مستوى الحركة الحقيقية المرتكزة على هدي القرآن الكريم[٢].

وقد ألمح الإمام الهادي (عليه السلام) إلى لزوم أخذ العبر والعظات من تجارب الآخرين، ودروس الماضي ولاسيّما الحكام الظالمون، وما لحِقهم من تاريخ مخز، وظلٍّ منسي مظلم، وأن يتجنب الفردُ المخاطر التي تحيق به، فالقدرة العقلية لها أثر في توعية الفرد من أجل الوصول به إلى المراقي العليا، والدرجات الكبرى.

ومن جهة أخرى مارس الإمام الهادي (عليه السلام) مشروعاً إسلاميّاً عالياً تجاه الحكم القائم، والزعامة المنحرفة، وقد تمثل في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل إيقاف الحاكم من المزيد من الانحراف، والانزياح عن طريق الهداية والاستقامة مستنيراً بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ (النحل / ١٢٥)، معرّفاً إيّاهم بمبادئ الإسلام بالحكم والسياسة، ومبيّناً للمسلمين سيرة الحاكم العادل وأخلاقيته.

إنّ الإرهاب السياسي، والظلم الاقتصادي لم يُثنِ الإمام الهادي (عليه السلام) من أداء مهمته الكبرى وهي نشر الإسلام، وبيان أحكامه، والمحافظة على دين جدّه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في أسلوب علمي رصين، ودراسة عميقة[٣].

ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) بذلك، فقد كشف زيف المزيّفين، وضلال المضلّين

(٢) ينظر: التاريخ الإسلامي (دروس وعبر): ٣٣٨.

(٣) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة (عليهم السلام): ١٢ / ٩.

الذين مرقوا في الدين يظهرون الإيمان، ويسترون الكفر من الذين أضلّهم الشيطان وأعماهم، فنرى الإمام (عليه السلام) يفضح نواياهم، ويكشف سرائرهم الخبيثة خصوصاً الغلاة، والمتصوفة وغيرها من الفرق الضّالة المضلّة، محذّراً المسلمين عامة، وأصحابه من شرورهم، وأفكارهم المنحرفة المشوّهة لهذا الدين القيّم.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد مثّل الصورة التطبيقية الحيّة للرسالة الإسلامية في ضوء مراعاة الظروف والملابسات والتعقيدات في عالم الأفراد والجماعات، كما يفرضه مفهوم الحكمة القرآنيّ، لذا لجأ الإمام (عليه السلام) إلى الالتزام الحرفي بالرسالة الإسلامية، وعدم التفريط بمطلب من مطالبها، وكذلك مراعاة الظروف الواقعية والقائمة في الأمّة من الجانب السياسي، والاجتماعي، والعقلي[1].

إنَّ ضخامة المنهج الذي اضطلع به الإمام الهادي (عليه السلام) وقداسته يظهر الأبعاد الحقيقيّة للإمامة، وأثر الإمام (عليه السلام) في الحياة الإسلامية، ويردّ على التصور الشائع لدى الكثير من الناس الذين يصفون الأئمة بالمظلومين فحسب وقد أقصوا من مركز القيادة، وأذيقوا ألوان الاضطهاد، وصنوف العذاب والحرمان مما يولّد نظرة سلبية في دورهم الإصلاحي، والقيادي (عليهم السلام)، وهذا التفكير على الرغم من خطئه، يُعَدُّ خطراً من الناحية العملية ؛ لأنّه يُحَبّب إلى الناس السلبية والانكماش والعزلة من مشاكل الأمة، ومجالات قيادتها[2].

إنَّ أهم الأهداف عند الإمام الهادي (عليه السلام) وأسماها هي تحقيق كمال السلوك البشري، وبلوغ الغاية عبر التأمل العقلاني للواقع الإلهي، فالدنيا دار فناء وزوال، والآخرة هي دار الخلود والمقام ؛ لذلك جاءت قولته المنيرة الخالدة : «الدنيا سوق رَبح فيها قومٌ وخَسِر آخرون»[3].

ويتجلّى مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) في ضوء محافظته على الجماعة الصالحة من

---

(١) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليليّة) : ١٥ – ١٦.

(٢) ينظر : دور الأئمة في الحياة الإسلامية : ٥٤ – ٥٥.

(٣) تحف العقول : ٣٥٨.

الخطر والانحراف، وفي مَبْدَأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وردّه (عليه السلام) على الشبهات العقديّة التي وجدت لها مكاناً في عصره (عليه السلام).

المبحث الأول

قيادة الجماعة الصالحة والحفاظ عليها

لقد تنوّعت مجالات عمل الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) بحسب الظروف، والأحوال وبلحاظ الحكم القائم، زد على ذلك درجة ثقافة الأمّة ومدى وعيها وإيمانها ومعرفتها بالأئمة (عليهم السلام)، ومدى انقيادها للحكام المنحرفين، وكذلك نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسلامي، ودرجة التزام الحكام بالإسلام، وتعامل الحكام مع الوضع، والناس، والآليات التي يستخدمها في هذا التعامل.

وقد عاش الإمام الهادي (عليه السلام) بعد استشهاد أبيه ظروفاً صعبة وقاسية وقد عاصر المتوكّل الذي عرف بحقده على الإمام (عليه السلام) وملاحقته لأصحابه، وقواعده التي كانت تتسع يوماً بعد يوم، هذا التوسع الذي انعكس على البلاط الحاكم حتى شعر المتوكّل بخطورة الموقف، وحرجه فحاول منع المضاعفات وحجبها بطريقين متلازمين في آن واحد معاً، الأول : شنّ حملة مطاردة واضطهاد لقواعد الإمام (عليه السلام) وأصحابه، وتدمير كلّ أثر شيعيّ لهم زيادة في إرهابهم، وإمعاناً في إذلالهم، والثاني: عزل الإمام (عليه السلام) عن قواعده تمهيداً لشرذمتها، وتمييع قضيتها، وتيئيسها من الانتصار[1].

وفي ضوء هذه الأحداث مارس الإمام الهادي (عليه السلام) دور الإصلاح، والبناء في أجواء الكبت والرقابة، والإقامة الجبرية التي امتدت إلى عشرين سنة أو تزيد قليلاً وهذا الدور أنموذج عالٍ وفائق لما يجب أنْ يقوم به الداعية والمصلح الذي يختار

---

(١) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية) : ٢٢٦، والتاريخ الإسلامي (دروس وعبر) : ٣٢٩.

الوقت المناسب ليقول كلمته، ويحافظ على الرعية من التصفية والبطش، لاسيما وقد قام الإمام (عليه السلام) بتهيئة الجماعة الصالحة في ارتباطه بشيعته المخلصين على الرغم من العزلة التي قد فرضتها السلطة العباسيّة على الإمام (عليه السلام)، إذ أحكمت الرقابة عليه في عاصمتها سامراء لكن الإمام كان يمارس دوره المطلوب ونشاطه التوجيهي الإصلاحي بدقة وحذر، وكان يستعين بجهاز الوكلاء الذي أسسه الإمام الصادق (عليه السلام)، وأحكم دعائمه أبوه الإمام الجواد (عليه السلام)، وسعى في ضوء هذا الجهاز المحكم، والظالم أنْ يقدم لشيعته أهم ما تحتاج إليه في ظرفها العصيب، وقد سعى الإمام الهادي (عليه السلام) بجد، وعزم، وإرادة إلى تربية العلماء، والفقهاء إلى جانب رفده المسلمين بالعطاء الفكري والديني والإرشادي والأخلاقي[1].

ومن هنا فإنَّ من أهم الجوانب المضيئة في حياة الإمام الهادي (عليه السلام) أنّه قاد الأمّة، ونمّى حركتها الرسالية، والإرشادية، ودفعها خطوات واسعة، وعظيمة نحو السير بالمجتمع إلى طريق الهداية، والإصلاح، والفلاح.

إنَّ أهم معالم قيادة الجماعة الصالحة، والحفاظ عليها من لدن الإمام الهادي (عليه السلام) تتضحُ في ضوء ما يأتي:

أولاً: التمسك بتعاليم الله (عزّ وجلّ) وفعل الخير، والتحلّي بمكارم الأخلاق:

كان للأئمة الأطهار (عليهم السلام) نشاط مستمر في مجال تربية الأمّة عقائديّاً وأخلاقيّاً وسياسيّاً، في ضوء تربية الأصحاب العلماء، وبناء الكوادر العلمية، والشخصيات القيادية التي تقوم بمهام كبيرة مثل نشر الوعي والفكر الإسلامي، وتصحيح الأخطاء المستجدّة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية السياسية المنحرفة والعلمية المنحرفة التي كان يوظفها الحاكم المنحرف لدعم زعامته، فدور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يتمثّل في بثّ روح المودّة والتسامح

(١) ينظر: أعلام الهداية: ١٢ / ١٨ – ١٩، والإمام الهادي(علية السلام) (أضواء من مسيرته): ١٢.

وفض الخلافات بين الناس، وتوجيههم إلى الطريق القويم الذي يتمثل بإتباع القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه دستوراً للحياة[٢]، وكانوا (عليهم السلام) ينهون عن سبّ المسلمين ولاسيما الشيخان ؛ لأن إثارة هذه المشكلة من دسائس القوى المعادية للإسلام لتفريق المسلمين ولا يترتب عليها أية فائدة دينية، بل تجر على الأمّة الويلات والتفرق.

وكان الإمام يعلم أصحابه توثيق الصلة بالله (عزّ وجلّ)، والقرب منه (عزّ وجلّ) في ضوء كثرة الدعاء، فكان (عليه السلام) يكرّر قولته المباركة : إنَّ الله تعالى عَلِم منّا أنا لا نلجأ في المهمات إلاّ إليه، ولا نتوكّل في الملمات إلاّ عليه وعوّدنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أنْ نعدل فيعدل بنا[٣]، وقد دفع الإمام الهادي (عليه السلام) بعض العادات الجاهلية، وتقاليدها، ولاسيما التشاؤم من الأيام وهي الفكرة التي آمن بها المجتمع الجاهلي، فإنها لا تجلب خيراً، ولا تدفع شرّاً، فإن مسارات الأحداث بيد الله تعالى خالق الكون، وواهب الحياة، فنراه (عليه السلام) يردّ على أحد أصحابه – حسن –، وقد سمعه يقول : كفاني الله شرّك من يوم، فما أيْشَمَك ؟! فقال الإمام الهادي (عليه السلام) : يا حسن ما ذنبُ الأيام حتى صرتم تتشاءمون منها، أما علمت يا حسن أنَّ الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلة وآجلة، لا تعد ولا تجعل للأيام صنعاً في حكم الله[٤].

ومن عنايته بوسائل تربية النفوس، وتهذيب المشاعر، والابتعاد عن أفكار الشيطان، ووسوسته كراهة المسلمين الموت، فقد سأله أحد أصحابه (عليه السلام)، ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت ؟ فقال (عليه السلام) : لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله (عزّ وجلّ) لأحُبّوه، ولعلموا أنَّ الآخرة خير من الدنيا، ثم قال (عليه السلام): يا أبا عبد الله ما بال الصبيّ والمجنون يمتنعان عن الدواء المنقّى لبدنهما، والنافي للألم عنهما ؟ قال : لجهلهما بنفع الدواء، فقال (عليه السلام) : والذي بعث محمداً بالحقّ نبيّاً : إنَّ

---

(٢) ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ٧٤، والتاريخ الإسلامي (دروس وعبر) : ٣٤٢.

(٣) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤٢.

(٤) ينظر : : تحف العقول : ٣٥٧ – ٣٥٨.

من استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات وجلب السلامة[1]، وأشار (عليه السلام) أنه ينبغي للمؤمن إذا نزل بساحته الموت ألا يحزن، ولا يجزع، فقال (عليه السلام) لأحد من أصحابه (عبد الله) وقد شكا إليه جزعه وبكاءه من الموت، فقال (عليه السلام) له : يا عبد الله : تخاف من الموت لأنك لا تعرفه ؛ أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ ليك، وأصابك قروح وجرب، وعلمت أنَّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّه، أما تريد أنْ تدخله فتغسل ذلك كلّه، أو تكره أنْ تدخله فيبقى ذلك عليك ؟ فقال : بلى يا بن رسول الله، فقال (عليه السلام) : فذلك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك، وتنقيتك من سيّئاتك، فإذا أنت وردت عليه، وحاورته، فقد نجوت من كلّ همّ وغمّ وأذى، ووصلت إلى كلّ فرح وسرور[2].

وقد أوضح الإمام الهادي (عليه السلام) لأصحابه ومواليه أن الإيمان هو الفيصل والمقدّم في أعمال الإنسان، تأمّل قوله (عليه السلام) إلى أبي دعامة «الإيمان ما وقّرته القلوب، وصدّقته الأعمال والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة»[3].

وقد ضمَّن الإمام الهادي (عليه السلام) كتابه الذي بعث به إلى جماعة من الموالي في بغداد يدعوهم فيه إلى إقامة أحد أصحابه المخلصين، وهو أبو علي بن راشد، آياتٍ مباركات في التعاون على عمل الخير، والدعوى إلى تقوى الله، والاعتصام بحبله (عزّ وجلّ)، قال المجلسي : عن «محمد بن مسعود بن محمد بن نصير (...) قال نسخة الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها، والمدائن والسواد وما يليها «أحمد الله إليكم ما أنا عليه من عافيته وأصلّي على نبيه وآله أفضل صلواته، وأكمل رحمته ورأفته، وإني أقمت أبا عليّ بن راشد مقام عليّ بن الحسين بن عَبد ربّه، ومن كان قِبَله من وُكلائي، وصار في منزلته عندي وولَّيته ما كان يتولّاه غيره من

(١) ينظر : بحار الأنوار : ١٢ / ٢٤٥.

(٢) ينظر : م.ن : ١٢ / ٢٤٦.

(٣) مروج الذهب : ٤ / ١٠٤.

وُكلائي قبلكم ليقبض حقّي (...) فعليكم بالخروج عن ذلك والتسرع إلى طاعة الله، وتحليل أموالكم والحَقْن لدمائكم ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (...) فالزموا الطريق يأجركم الله ويزيدكم من فضله»[٤]، وهذا الكتاب يدلّ على دعوته (عليه السلام) إلى الله (عز وجل) وحثّهم على طاعته واهتمامه (عليه السلام) بتقويم الأمة، وصلاحها في ضوء التمسك بحبل الله (عز وجل).

ثانياً: قربُه (عليه السلام) من أصحابه وقضاء حوائجهم:

إنَّ المتتبع لسيرة الإمام الهادي (عليه السلام) يجد القرب، والاتصال الشديدين بأصحابه ومواليه والمسلمين، فكان يسعى لقضاء حوائجهم، وإسعافهم بما يحتاجونه، وتركيز ثقتهم به بصفته قائدهم الأعلى، وزعيمهم الأسمى، زد على ذلك يخاطبهم بالكلام الصريح منبّهاً إياهم على المخاطر المحدقة بهم.

إن قضاء حوائج المؤمنين فضلاً عن دوره التربوي يُعدّ خطوة من خطوات التحصين الاقتصادي لهم، إذ يشكل عاملاً من عوامل استقلالهم، وعدم اضطرارهم للخضوع الكثير مما يستذلّ به الحكام رعيتهم[٥].

وكان الإمام الهادي (عليه السلام) عارفاً بشؤونهم وأوضاعهم، فقد جاء في الروايات أنه خطب خطبة النساء لأحد أصحابه حينما أراد أنْ يتزوَّج «روى الشيخ الكليني عن عبد العظيم الحسني (رحمه الله)، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يخطب بهذه الخطبة: الحمدُ لله العالم بما هو كائن من قبل أن يدين له خلقه دائن فاطر السموات والأرض مؤلف الأسباب بما جرت به الأقلام، ومضت به الأحتام من سابق علمه، ومقدّر حكمه، أحمه على نعمه، وأعوذ به من نقمه واستهدي الله الهدى، وأعوذ به

---

(٤) بحار الأنوار: ٢ / ٢٥٩. (المائدة / من الآية ٢)، (الحجرات / من الآية ١٠)، (آل عمران/ من الآية ١٠٣)، (البقرة/ من الآية ١٣٢).

(٥) ينظر: أعلام الهداية: ١٢ / ١٨٤.

من الضلالة والردى من يهده الله فقد اهتدى وسلك الطريقة المثلى، وغنم الغنيمة العظمى، ومَنْ يضلل الله فقد حاد عن الهدى، وهوى إلى الردى، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله المصطفى ووليه المرتضى، وبُعَثِه بالهدى، أرسله على حين فترة من الرسل، واختلاف من الملل، وانقطاع من السبل، ودروس من الحكمة، وطموس من أعلام الهدى، والبينات فبلغ رسالة ربّه وصدع بأمره، وأدّى الحق الذي عليه وتوفي فقيداً محموداً، ثم إنَّ هذه الأمور كلّها بيد الله تجري إلى أسبابها ومقاديرها، فأمر الله يجري إلى قدره، وقدره يجري إلى أجله، وأجله يجري إلى كتابه، ولكلّ أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، أما بعدُ، فإن الله (جل وعز) جعل الصهر مألفة للقلوب، ونسبة المنسوب أوشج به الأرحام، وجعله رأفة ورحمة إن في ذلك لآيات العالمين، وقال في محكم كتابه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾، وقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾، وإن فلان بن فلان قد عرفتم منصبه في الحسب، ومذهبه في الأدب، وقد رغب في مشاركتكم، وأحبَّ مصاهرتكم، وأتاكم خاطباً فتاتكم فلانة بنت فلان، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا العاجل منه كذا، والآجل منه كذا فشفّعوا شافعنا، وأنكحوا خاطبنا، وردُّوا ردّاً جميلاً، وقولوا قولاً حسنا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين»[1].

وكان (عليه السلام) يعود مريضهم، ويرسل لهم الدواء المناسب عند مرضهم. ولا يخفى أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) كان يلاحظ الواقع الخارجي للمجتمع الذي يعيش فيه، ويدرس ظروفه العقلية والفكرية والنفسية حتى لا يكون الأسلوب المنيع لديه في العمل واحداً من جهة النوع، فإن من الواضح أنَّ الدعوة لن تكون عملية إذا حاولت أنْ تساوي بين الجاهل والمثقف في طبيعة الفكرة التي تلقى، والأسلوب الذي يتبع، فإن الأدوات التعبيرية والفكرية التي يملكها كل منهما تختلف عما يملكه الآخر[2].

---

(١) الكافي: ٥ / ٣٧٢. (الفرقان / ٥٤)، (النور / من الآية ٣٢).

(٢) ينظر: أسلوب الدعوة في القرآن الكريم: محمد حسين فضل الله: ٥٠.

لقد عَمِل الإمام الهادي (عليه السلام) على حماية قواعده، والإشراف عليها ومساعدتها على قضاء حوائجها، والعمل على تثقيفهم، وتركيز ثقتهم به بوصفه قائدهم الأعلى فقد انصرف الإمام الهادي (عليه السلام) يعمل بدأب على تجديد نشاطهم الاجتماعي كلما سنحت لهذا النشاط فرص العمل(٣).

ولابُد من القول: إنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) أشار في كثير من النصوص إلى قدرته العقلية التي يستفيد منها عقلاء الناس في تجنب الأخطار، والأهوال، وأخذ العبرة مما جرى في حياة الآخرين، وإذ تمرّ على الناس مواقف وأحداث معقدة تنطوي على عظة أخلاقية وإرشادية تستوجب من الفرد أخذ العظة والعبرة مما جرى على غيره.

ثالثاً: إيقاظ روح العزم والصبر:

لا يخفى أنَّ الأئمة تركوا العمل المسلح والاصطدام المباشر لثوار علويين لتحريك ضمير الأمّة وإرادتها، وتحصين الأمّة ضد الانحراف، وحاولوا بتضحياتهم المتتالية أنْ يحافظوا على الضمير الإسلامي، والإدارة الإسلامية من الانهيار، والأئمة (عليهم السلام) كان دورهم يسندون المخلصين منهم، إمّا بشكل مباشر، أو في ضوء تعاليمهم التي كانت تؤثر في نفوس قواعدهم الموالية مما يؤدّي إلى إعلان العصيان المسلح على الدولة، وكانت أغلب نشاطاتهم مقتصرة على الدوائر الخاصة من أصحابهم في حدود ارتفاع ظلم العباسيين، أو انخفاضه، وهذه الدوائر تتسع أو تضمر بحسب الظروف التي يمرّ بها الإمام (عليه السلام)، وتتناسب قوتها تناسباً عكسيّاً مع ضعف الجهاز الحاكم(٤)، ومن هنا فإنَّ الإمام كان يوقظ في نفوس أصحابه روح العزم والصبر، وترك الجزع والضجر، فهذا أحدُ أصحابه الأوفياء (الصقر بن أبي دلف الكاشاني)(٥) جاء زائراً الإمام الهادي (عليه السلام) في سجنه، فالتفت إليه الإمام (عليه السلام)

---

(٣) ينظر: الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية): ٢٣٠ – ٢٣١.

(٤) ينظر: الآئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية): ٢٣٣ – ٢٣٤، وموسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) تاريخ الغيبة الصغرى: ١/ ٥٥ – ٥٦.

(٥) لم يرد اسمه في رجال الطوسي.

قائلاً له بحنان ولطف : يا صقر ما أتى بك ؟ قال صقر : جئت لأتعرّف على خبرك، وأجهش الصقر بالبكاء رحمةً بالإمام، وخوفاً عليه، فقال (عليه السلام) : يا صقر لا عليك لم يصلوا إلينا بسوء، فهدّأ روعه وحَمِد الله على ذلك، ثم سأل الإمام عن بعض المسائل الشرعية فأجاب عنها(١).

ونجده (عليه السلام) يحاول أن يذكي روح العمل، والتفكّر، واستحضار المثل الروحية، والأخلاقية، والجهادية، والعزوف عن الكسل والنكوص والتقهقر ومواجهة التحديات بإرادة جبارة، ولم يكن هذا الموقف العظيم تجاه أصحابه فحسب، بل امتدّ إلى المخالفين ممّن عَلِم الإمام أنهم قادرون على العودة إلى طريق الحق، وعلى هذا المستوى نرى موقف الإمام (عليه السلام) تجاه سعيد بن سهل البصري المعروف بـ (الملاّح) الذي كان واقفيّاً، فقال له الإمام (عليه السلام) إلى كَمْ هذه النومة ؟ أما لك أنْ تنتبه منها ؟ قال : فقدح في قلبي شيئاً وغشي عليّ، وتبعت الحقّ، تأمل: هذه الرمزية التي استعملها الإمام (عليه السلام) في خطابه، فأدخله في قواعده ومواليه بعد أنْ كان حائداً عن الطريق(٢).

وتتعالى صياحات العزم، والصبر في خطاب الإمام الهادي (عليه السلام)، حينما شكا له أحد أصحابه (عليه السلام) عداء المتوكل، وظلمه، فقال (عليه السلام) : «كم تشكون إليّ ما كان من تمرّد هذا الطاغي علينا، لولا لزوم الحجّة، وبلوغ الكتاب أجله، ليهلك من هلك عن بينة، ويَحْيَى من حيّ عن بيّنة، ويحقّ كلمة العذاب على الكافرين لعجّل الله ما بعد عنه، ولو شئتُ لسألتُ الله النكال الساعة ففعل، وسأريكم ذلك»(٣).

ويعلو صوت الإمام الهادي (عليه السلام) صارخاً بفضل أصحاب العزم، والصبر، والإرادة ممّن تمسكوا بالقيم، والتعاليم الإسلامية، فهم الفائزون والظافرون بالجائزة العظمى التي وعدهُم الله (عزّ وجلّ) بها وهي فراديس جنانه، فقال (عليه السلام) : «لولا مَنْ يبقى من غيبة قائمكم (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذّابين عن دينه بحجج الله والمنقذين الضعفاء عباد الله من شباك إبليس، ومردته، ومن فخاخ

(١) ينظر : إعلام الورى بأعلام الهدى : ٢ / ٢٤٥.

(٢) ينظر : موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) تاريخ الغيبة الصغرى : ١ / ١٤٤.

(٣) تاريخ النبي والأئمة ومعجزاتهم المسمّى بـ (الهداية الكبرى) : ٣٨١.

النواصب لما بَقِي أحدٌ إلاَّ ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سُكّانها، أولئك هُمُ الأفضلون عند الله (عزّ وجلّ)»(٤).

رابعاً: استحضار القدرات العقلية:

كان الإمام الهادي (عليه السلام) يشجّع على الحوار التعليمي الهادئ الرصين مع أصحابه من أجل استحضار القدرات العقلية المسوقة إلى النشاط الفكري الذي يقود إلى فهم الواقع المعيش الذي يتطلب الهداية والإرشاد، وغرس القيم والمبادئ التربوية في نفوسهم، من ثم التأثير في نفوس الناس.

ونلمح هذا الملمح التربوي المهم عند الإمام الهادي (عليه السلام) بشكل واضح في تاريخ الإمام السياسي والإصلاحي، ويكاد يكون كبيراً من هذين الجانبين، ويظهر هذا الملمح في ضوء مناظراته خصومه ولاسيما جعفر المتوكل وأعوانه، ونلمح هذا الملمح بين الإمام الهادي (عليه السلام) وأتباعه، وبين أخيه (موسى المبرقع) كذلك، ولا يخفى أنَّه كان يشجّع هذا الملمح؛ لأنه يمثل قدرة فعّاله في المجال التربويّ.

وكان الإمام الهادي (عليه السلام) يمنع بعض أصحابه من الحديث والمسائلة في الطريق وغيره من الأماكن التي يكون فيها عيون للسلطان، فعن محمد بن شرف، قال: كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) أمشي في المدينة، فقال لي: ألستَ ابن شرف؟ قلت: بلى، فأردتُ أنْ أسأله عن مسألة فابتدأني من غير أن أسأله، فقال: «نحن على قارعة الطريق، وليس هذا موضع مسألة»(٥).

ومن دلالات هذا الاستحضار أنه (عليه السلام) كان يدعو أصحابه إلى الإصغاء، وفهم الجواب في ضوء شحذ الذهن، والقدرة على التفكير الفعّال، فقد أتى الفتح بن يزيد الجرجاني الإمام (عليه السلام) فسلّم، فردّ (عليه السلام) السلام: «فقلت يا ابن رسول الله تأذن لي في

(٤) الاحتجاج: ١/ ١، ١٠، ٢/ ٢٦٠.

(٥) أعلام الهداية: ١٢/ ١٨٧.

كلمة اختلجت في صدري ليلتي الماضية، فقال لي : سَلْ وأصغ إلى جوابها سمعَك، فإن العالمَ والمتعلمَ شريكان في الرشد مأموران بالنصيحة فأمّا الذَي اختلج في صدرك، فإنْ يشاء العالمُ أنبأك أنَّ الله لم يظهر علي غيبه أحداً إلاَّ مَنْ ارتضى من رسول، وكل ما عند الرسول فهو عند العالم، وكل ما اطلع الرسول عليه فقد اطلع أوصياؤه عليه، يا فتح عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك في بعض ما أورد عليك، وأشكك في بعض ما أنبأتك حتى أراد إزالتك عن طريق الله وصراطه المستقيم، فقلت : متى أيقنت أنهم هكذا فهم أرباب، معاذَ الله، إنّهم مخلوقون مربوبون مطيعون داخرون راغمون فإذا جاءك الشيطان بمثل ما جاءك به، فاقمعْه بمثل ما أنبأتك به»[١].

خامساً : لزوم إعمال الحيطة والكتمان والتثبت :

إنَّ توعية الأمّة، وإقامة المجالس الفقهية، وتخرّج هذه الأعداد الكبيرة من الأصحاب والرواة، والمحدّثين ليكونوا عقل الأمّة ومرجعها في التفكير لم يكن – كما ظهر لنا فيما مضى – علناً، بل نجدُ الإمام الهادي (عليه السلام) قد اتّبع منهجاً وأسلوباً مهماً، وهو أسلوب الحيطة والكتمان، وهو الأسلوب المعروف بالمنطق الإسلامي بالتقية، الهدف منه هو خلق ملاك منظم وواعٍ يمثل الجيل الإصلاحي، والإرشادي في المنظومة الاجتماعية.

وكان الإمام (عليه السلام) يحذّر أصحابه، ويدعوهم إلى الحيطة واليقظة والسريّة التامة، وأوضح موقف يروى في ذلك هو موقف الإمام مع محمد بن الفرج الرُّخّجي، إذ كتب إليه محذّراً : يا محمدُ أجمع أمرك، وخذ حذرك، فلم يفهم المراد من قول الإمام، ولو كان قد فهم لدفع عن نفسه شرّاً مستطيراً، حتى ورد رسول المتوكل حملني من وطني مصفّداً بالحديد، وضرب على كلّ ما أملك وكنت في السجن ثماني سنين[٢].

زد على ذلك كان (عليه السلام) يحذّر أصحابه من تدوين الأمور، وكتابتها ولاسيما ما

(١) إثبات الوصية : ٢٥٠.

(٢) ينظر : موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) (تاريخ الغيبة الصغرى) : ١ / ١٥١ – ١٥٢.

يتعلق بعلاقات الجماعة الصالحة، وأوضاعها، ومواقفها، فعن داود الصرمي قال : أمرني سيّدي بحوائج كثيرة، فقال (عليه السلام) لي : قُلْ كيف تقول ؟ فلم أحفظ مثل ما قال لي، فمدّ الدواة وكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم اذكره إن شاء الله والأمر بيد الله» فتبسمتُ، فقال (عليه السلام) مالكَ ؟، قلت : خير، فقال : أخبرني، قال : جعلت فداك ذكرت حديثاً حدّثني به رجل من أصحابنا عن جدّك الرضا (عليه السلام) إذا أمر بحاجة، كتب : بسم الله الرحمن الرحيم، اذكر إن شاء الله، فتبسمتُ، فقال (عليه السلام) لي : يا داود، ولو قلت : إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً[٣].

ويتضح هذا الأسلوب في ضوء استلام الإمام (عليه السلام) الأموال الطائلة - وبالطرق السرية أو العلنية الممكنة - من مواليه كالزكاة والخمس ويصرفها في مواضعها الإسلامية العامة، بعيداً عن أعين الحكام.

ويبدو أنَّ أهم عوامل التحصين الأمني للجماعة الصالحة في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) فيما يتصل بالإمام، وأتباعه، هو نظام الوكلاء، وهو جهاز حساس ومهم للغاية لما يتسم به من حفظ التعاملات، والقضايا المتعلقة بالجماعة الصالحة[٤].

وقد دعا الإمام الهادي (عليه السلام) أصحابه بالعمل متفردين، وعدم الإكثار من التواصل ولاسيما الوكلاء منهم، قال المجلسي ذاكراً أمر الإمام الهادي (عليه السلام) لأحد أصحابه، «وأنا آمرُك يا أيوب بن نوح أنْ تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي، وأنْ يلزم كلُّ واحدٍ منكما ما وكّل به، وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته، فإنّكم إن انتهيتم إلى كلّ ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي، وآمرك يا أبا عليّ بمثل ما آمرك به يا أيوب أنْ لا تقبل من أحدٍ من أهل بغداد، والمدائن شيئاً يحملونه، ولا تلي لهم استيذاناً عليّ، ومُرْ من أتاك بشيءٍ من غير أهل ناحيتك أنْ يصيره إلى الموكّل بناحيته، وآمرك يا أبا عليّ بمثل ما أمرت به أيوب، وليقبل كلّ واحدٍ منكما ما أمرته به»[٥]، وهذا النصّ يصوّر السرية في توزيع الحقوق على المحتاجين، والدعوة إلى حفظ كيان المسلمين،

(٣) ينظر : مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٠١.

(٤) ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ١٩١، ودور الأئمة في الحياة الإسلامية : ٢١٦.

(٥) بحار الأنوار : ٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

والموالين، وكذلك الحفاظ على العمل بين الوكلاء بلحاظ سرية أسماء الوكلاء، وعدم إرسال الحقوق إلى الإمام، بل إلى الوكلاء الذين نصبّهم الإمام (عليه السلام).

وقد ألزم الإمام (عليه السلام) شيعته بالتثبت من الأخبار المرويّة عن الأئمة الطاهرين، فما علموا أنَّه صادر منهم، وفهموا معناه أخذوا به، وما أشكل عليهم معناه فقد أمرهم بردّه إليهم حتّى يبيّنوه لهم، وقد نهى الإمام أصحابه في أوقات الشدّة والضيق عن التصريح بما يخالف القانون السائد، والوضع العام[1].

سادساً : تأييده (عليه السلام) للحركات المناهضة للحكم العباسيّ :

على الرغم من أننا لم نظفر من بين النصوص التي وردت عن الإمام الهادي (عليه السلام) بنصّ يشير فيه (عليه السلام) إلى موقفه من الحركات الكثيرة التي حدثت مدة إمامته التي بلغت أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً، إلاَّ أننا بلحاظ قرائن الأحوال، والمقامات نرى أنَّ الإمام (عليه السلام) كان مؤيداً لها، ولاسيّما الثورات الحقيقية الإصلاحية التي أحدثت دويّاً في البلاط العباسي ؛ بسبب إلتفاف الجماهير حولها، وقد جابهتها السلطة العباسيّة بأنواع القمع والتنكيل، وقد كفانا مؤونة البحث عن هذه الحركات الثورية، وأسماء الثائرين في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) أبو الفرج الأصفهاني في مقاتله[2].

وقد توسّم الثوار العلويون في أنفسهم القوة والاتباع، ويرون وجوب التخطيط للثورة، والخروج على الحكام المنحرفين، وكان أغلب الثورات تدعو إلى شعار الرضا من آل محمد، ويريدون بهذا الشعار الشخص الذي هو أفضل آل محمد، وليس في اعتقادهم غير الإمام الهادي (عليه السلام)، والثوّار بشعارهم الخفي هذا يريدون به تمويهاً واضحاً لإخفاء اسم الإمام (عليه السلام) دون أن يضعه في حال فشل الثورة موضع التهمة، والحرج تجاه السلطة الحاكمة وهم يعلمون أنَّ الإمام (عليه السلام) أمام سمع الدولة،

---

(١) ينظر : موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) (تاريخ الغيبة الصغرى) : ١ / ٥٦.

(٢) ينظر : مقاتل الطالبيين : ٣٨٢ – ٤٣٤، وموسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) (تاريخ الغيبةالصغرى) : ١ / ١٠٥ – ١١٢.

وبصرها، ولربّما قتلته بعد أن تتهمه بإثارة العصيان والتمرد ضدّها[٣].

وهدف الثوار هو تحريك الضمير الإسلامي، وتقوية إرادة الرفض للواقع المنحرف لدى الأمة.

ويرى محمد الصدر أنَّ الأئمة (عليهم السلام)، ولاسيما الإمام الهادي (عليه السلام) استطاعوا بوعي فعّال، وحذر عظيم إخفاء أي نوع من الوثائق، والدلالات على مثل هذا التأثير على الدولة القائمة، وكانوا يستعملون الرموز والمعاني البعيدة والأعمال غير الملفتة للنظر في قضاء الحاجات الخطرة، والمعقّدة[٤].

ويمكن القول: إنّه من باب الدقة والموضوعية عدّ كُلّ الثوار العلويين كان ثائراً بالمعنى الذي يقوم على أساس الوعي الإسلامي، وهو الدعوة إلى تطبيق أحكام الإسلام بقيادة الإمام المعصوم (عليه السلام)، إلاَّ أن أفراداً منهم ربّما كان منحرفاً عن ذلك أو غير واعٍ له، فكانت ثورته إما للدعوة إلى إمامة نفسه أو إمامة شخص آخر غير الإمام المعصوم (عليه السلام)، أو لمجرّد التمرّد على الظلم، أو لحبّ الظهور والسيطرة، ونحو ذلك من الأهداف[٥].

ويرى عادل عبد الرحمن البدري أنَّ الكثير من حركات المعارضة التي أطلق عليها المؤرخون القدامى في أحيان كثيرة صفة الثورة، مع أنها لا تمتّ إلى مفهوم الثورة بصلة والأفضل أنْ يطلق على هذه الحركات صفات أخر مثل: هياج، فتن، تمرّد، عصيان مسلح، حركة معارضة، أو حتّى مغامرات تعبر عن طموحات شخصيّة لا غير، لأنَّ الثورة الوحيدة التي شهدتها تاريخ الحقبة الأموية والعباسيّة هي ثورة الحسين (عليه السلام) فهي الثورة الحقيقية الصادقة، وما عداها تندرج تحت عنوان: هياج، فتن، تمرد، ولا يعني إحجامنا عن إطلاق مصطلح الثورة على المواجهات التي قام بها مخالفو النظام العباسي أنها كانت باطلاً كلّها، وإنّما لم تنل شرف الثورة ودرجتها كما نالت ثورة

---

(٣) ينظر: الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية): ٢٣٣.

(٤) ينظر: موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) (تاريخ الغيبة الصغرى): ١/ ١٠٣ – ١٠٤.

(٥) ينظر: م.ن: ١/ ١٠٤.

الحسين (عليه السلام)[1].

إلاَّ أنّ هذا الأمر لا يعني قبول التهم والأفكار السلبية ضد الخط الرسالي حتى أننا نرى أقلاماً محسوبة على التقدمية تكتب عن الثوار الإسلاميين ولا تتورع أنْ تلصق التهم غير الصحيحة بهم[2]، ومهما اتخذت التسميات المناهضة، والمعارضة للنظام العباسي في عنوانها، فإنَّها حقّقت بعض الأهداف المعلنة، وأسهمت في ضعضعة النظام العباسي وهلهلته[3].

وقد جانب محقّق كتاب (الصواعق المحرقة) (عادل شوشة) الصواب والحقيقة، فهو يرى أنَّ الثورات، والانتفاضات التي حدثت في التاريخ الإسلامية، ولاسيما العلوية منها كانت فاسدة وموجّهة إلى أجساد أهل السنة، قال: «وكانت أسلحتهم موجّهة إلى أجساد أهل السنة، يستحلون قتلهم بل ودينهم، وينتهكون أعراضهم ويرون أموالهم وأملاكهم غنيمة لهم، (...) ولو استنطقت التاريخ لنطق بها، والبكاء ملء عينه منها، ما جرى للخلافة العباسيّة في بغداد»[4].

أعاذنا الله (عزّ وجلّ) جميعاً من سمّ شوشة القاتل، الذي ما فتئ يقذفه هنا وهناك طلباً للفرقة، والتناحر، والتباغض، فقد بان أمره، وانكشف فعله، والحقيقة أن كلامه هذا ليس رأياً في معرض الآراء حتى يناقش ويتدبر ولكنه هذيان المحموم الذي لا يعي ما يقول، وهو جدير بقول الشاعر:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمِلٌ ... ما هكذا تُوردُ يا سعدُ الإبلُ

ما هكذا توردُ يا ظالم شوشة الأمور، أعاذنا الله (عزّ وجلّ) من الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويلقون الكلام على عواهنه.

ألم ينظر شوشة في كتب التاريخ ولاسيما مرحلة الخلافة العباسية، فالخلفاء

---

(١) ينظر: الإمام الرضا (عليه السلام) بين نصوص الرسالة وسلطان القبيلة: ١٢٤.

(٢) ينظر: التاريخ الإسلامي (دروس وعبر): ١٦.

(٣) ينظر: الإمام الرضا (عليه السلام) بين نصوص الرسالة وسلطان القبيلة: ١٢٤.

(٤) الصواعق المحرقة: ٧ (المقدمة).

العباسيون يقتل بعضهم بعضاً، ويخلع بعضهم بعضاً، ومجالس اللهو والخمر والفجور هي الشائعة في أعصارهم، وقد تعرض أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم إلى صنوف العذاب، وألوان الاضطهاد، وقد ذكرنا أخباراً كثيرة في أفعالهم المخزية، ودسسنا أخباراً أكثر حفاظاً على الحياء العام.

وخلاصة الأمر : إنَّ الحركات الثورية التي حصلت في عهد الإمام الهادي (عليه السلام) كانت مؤيّدة منه (عليه السلام)، وهي تعطي للأمّة روح الصمود، والثبات، والاستقامة.

المبحث الثاني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً : مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الهادي (عليه السلام) :

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة سماوية وهي ركن من أركان دين الإسلام، وقد جاء بها الدين بأمر إلهي، وتكليف قرآني، ولها بابٌ مستقل كبير عند فقهاء الأمة في كتبهم الفقهية، ورسائلهم العملية، وهذا يكشف على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المسائل التوقفية التي لا يسوّغ شرعاً الحديثُ عن شروطها وحدودها إلاَّ بنصٍّ شرعي أما ما عدا ذلك من التأويلات البعيدة التي نراها عند بعضهم إذ يكفرون هذا ويفسّقون ذاك، فليست هي من الدين في شيءٍ، لأن القضية ليست قضية هوى ومزاج ليشتهيها بعضهم فيتصدى لها من أجل التسلط على الآخرين، ويتدخّل في شؤون الناس على نحو الفضول والتجسس المقيت[1].

إنَّ مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ المهمة في عملية الإصلاح السياسي والاجتماعي وغيرها، ولاسيّما عندما يدُبُّ الظلم والانحراف، واستشراء المصالح الشخصية، والمنحرفة في المجتمع فكان الأئمة (عليهم السلام) يشعرون بواجبهم ومسؤولياتهم العظمى تجاه إصلاح الفاسد، وتقويم المعوج في المنظومة المجتمعيّة فكان سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) هي النأي عن حكام الجور، والبغي، والظلم مستنداً إلى قوله تعالى :﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا

---

(١) ينظر : وظيفتان في الإصلاح والردع : جعفر البياتي : ١٨.

لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (هود / ١١٣)، وقد جاءت الآية الكريمة : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ (آل عمران / من الآية ١١٠) فذكر الحقُّ تعالى الإيمان بالله بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبيل ذكر الكلّ بعد الجزء، والغرض منه هنا الإشارة إلى ثقله وأهميته، وكونه من أركان دين الإسلام المهمة، وفرائضه المقدسة[1].

لقد تجسّدَ في الإمام الهادي (عليه السلام) كلُّ معروف، فهو المراقب، والمصلح، والناصح، والأحقّ أنْ يأمر بكلّ إصلاح، والأحقُّ أنْ يَنْهَى عن كلّ منكر، فقد روى الصدوق بسند موثق عن الإمام الرضا (عليه السلام) في بيان علامات الإمام، أنّه قال : «للإمام علاماتٌ يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأكفّ الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس (...) ويكون آخذ الناس بما يأمر به، وأكفّ الناس عما ينهى عنه»[2]، وقد وقفنا في الفصل الرابع على زيارته الجامعة المباركة، فقد خاطب الإمام الهادي (عليه السلام) الأئمة بهذه العبارات الشريفة، «السلام على أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأعلام التقى، وذوي النهي، وأولي الحجى، وكهف الورى، وورثه الأنبياء والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا، والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته (...) السلام على الدعاة إلى الله والأدلاء على مرضاة الله»[3].

لقد مثّل الإمام الهادي (عليه السلام) على طول الخطّ منهجَ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ولاسيّما ضد جهاز الحاكم العباسي خصوصاً المتوكلِ العباسي الذي مثل الانحراف الظاهر عن تعاليم الدين القويم، فحكمه وإن كان قائماً على اسم الإسلام، إلاّ أنّه لم يكن يفهم حقيقته وروحه، فطفق الإمام (عليه السلام) يمارس هذا المنهج الريادي، والرسالي في ضوء إعمال هذا المبدأ الإسلامي الأصيل الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) ينظر : وظيفتان في الإصلاح والردع : ١٩ – ٢٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه : الصدوق : ٤ / ٤١٨ حديث رقم ٥٩١٤.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : ٢ / ٢٧٣ – ٢٧٧.

المنكر، فقد عاشت الأمة تحت وطأة الانحراف بما فيه من استعانة بالمنحرفين وغير الكفوئين في إدارة شؤون الأمة، في الإدارة، والقضاء، وفي انتهاج مفهوم التمايز في مسألة العطاء بوصفه بديلاً لمفهوم التسوية في توزيع العطاء في المجتمع الإسلامي، ومن ظهور الروح العشائرية والقبلية بوصفها قاعدة للتكريم كبديل لمفهوم التقوى الإسلامي، يَصْحَب ذلك التلاعُب بالنصوص الإسلامية والتشريع[٤].

ولم تقتصر وظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عند الإمام (عليه السلام) على حكام السلطة الجائرة ولاسيما المتوكّل فيما سنرى، بل امتدّت إلى أقرب المقرّبين له (عليه السلام) وهو أخوه، فقد «رَوَى الحسين بن الحسن، قال: حدّثني أبو الطيب يعقوب بن ياسر، قال: كان المتوكل يقول: ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا، وجهدت أنْ يشرب معي، وأنْ ينادمني فامتنع وجهدت أنْ أجد فرصة في هذا المعنى فلم أجدها فقال له بعض مَنْ حضر: إن لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذا الحال فهذا أخوه موسى قصّاف عزّاف يأكل ويشربُ ويعشق ويتخالع فأحضره وأشهره، فإنَّ الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك ولا يفرّق الناس بينه وبين أخيه، ومَنْ عرفه اتّهم أخاه بمثل فعله، فقال: اكتبوا بإشخاصه مكرّماً، فأشخص مكرّماً فتقدم المتوكل أنْ يتلقاه جميع بني هاشم، والقواد وسائر الناس، وعَمِل على أنه إذا وافى أقطعه قطيعة وبنى له فيها وحوّل إليها الخمارين والقيان وتقدم بصلته، وبرّه، وأفرد له منزلاً سريّاً يصلح أنْ يزوره هو فيه، فلمّا وافى موسى، تلقّاه أبو الحسن (عليه السلام) في قنطرة وصيف، وهو وضع يتلقّى فيه القادمون فسلّم عليه، ووفاه حقّه ثم قال له: إنَ هذا الرجل قد أحضرك ليهتكك ويضع منك فلا تقرّ له أنك شربت نبيذاً قط، واتَّقِ الله يا أخي أن ترتكب محضوراً، فقال له موسى: إنما دعاني لهذا فما حيلتي؟ قال: فَلا تضع من قدرك، ولا تعصي ربّك ولا تفعل ما يشينك، فما غرضه إلاَّ هتكك فأبى عليه موسى، فكرّر عليه أبو الحسن (عليه السلام) القول والوعظ، وهو مقيم على خلافه، فلما رأى أنَّه لا يُجيب، قال له: أما إنَّ المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه أنت وهو أبداً، قال: فأقام موسى ثلاث سنين يبكّر كلّ يوم إلى باب المتوكّل، فيقال له: قد تشاغل اليوم،

---

(٤) ينظر: الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية): ١٦، وأسلوب الدعوة في القرآن الكريم: ١٧.

فيروح فيقال له : قد سكر، فيكرّ فيقال له : قد شرب دواءً، فما زال على هذا ثلاث سنين حتّى قُتل المتوكل، ولم يجتمع معه على شراب»[1].

ويظهر أثر الإمام الهادي (عليه السلام) في رؤيته العميقة لهذا المفهوم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في ضوء ما يأتي :-

١. إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف.

٢. تعرية الزعامة المنحرفة، وفضحها.

٣. التنديد بجرائم السلطان.

٤. قول الحق في وجوه الحكام الطغاة.

٥. إسداء النصيحة إلى الحكام، والقواد، والولاة ما داموا على خطّ الإسلام.

٦. عدم الركون إلى الحكّام ورفض ولايتهم بسبب انحرافهم عن الخط الإسلامي.

٧. مواجهة المؤامرات التي يقوم بها الحكام[2].

---

(١) الإرشاد : ٣٣٠.

(٢) ينظر : في رحاب الإمام الهادي (عليه السلام) : حسين الحاج حسن : ١٦٨ – ١٨٠.

ثانياً : ترنيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (القصيدة اللاّمية) :

اقترنت هذه القصيدة الإرشادية الوعظية بالإمام الهادي (عليه السلام)، فأغلب مَنْ كتب عن أخبار الإمام (عليه السلام)، وسيرته أشار إليها مبيّناً مناسبتها، إنّها كلمة حقّ أمام سلطان جائر، فقد ذكر المؤرخون أنه «سُعي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكّل، وقيل له: إنَّ في منزله سلاحاً، وكتباً وغيرها من شيعته فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم مَنْ هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في داره فوجده في بيت وحده، فغلق عليه، وعليه مِدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلاَّ الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجّهاً إلى ربّه يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأخذ على ما وجد عليه، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه، والمتوكل يشربُ وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكّل الكأس الذي في يديه، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قطّ، فأعفني منه فعافاه، وقال : أنشدني شعراً أستحسنه، فقال : إنّي لقليل الرواية للأشعار، فقال : لابدّ أن تُنشدني، فأنشده :

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرُسهم ... غُلْبُ الرجالِ فما أغْنتهُمُ القُللُ
واستُنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأوْدُعوا حُفراً يا بِئْسَ ما نزلوا
ناداهم صارخٌ مِنْ بعد ما قُبُروا ... أيْنَ الأسرّةُ والتيجانُ والحُللُ
أين الوجوه التي كانت منعَّمةً ... مِنْ دونها تُضرب الأستارُ والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدودُ يَقْتتلُ
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصْبحُوا بَعْدَ طول الأكل أُكلوا
وطالما عمَّروا دوراً لتحصّنهم ... ففارقُوا الدودَ والأهْلينَ وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلَّفوها على الأعداءِ وارتحلوا
أضحت منازلهم قَفْراً معطّلةً ... وساكِنوها إلى الأجْداثِ قَدْ رَحلوا

قال : فأشفق كلُّ من حضر على عليٍّ، وظنَّ أنّ بادرة تبدُر منه إليه، قال : والله لقد أبكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بلّت دموعُه لحيته، وبكى مَنْ حضره، ثم أمر برفع الشّراب، ثم قال له : يا أبا الحسن، أعليك دين ؟ قال : نعم، أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه، وردّه إلى منزله من ساعته مكرَّماً»[1] فالإمام يرى أن وظيفة الشعر تهذيب النفوس، وتدريب الأفهام، وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق.

ويرى الشَّبلنجي أنَّ هذه «الأبيات من قصيدة وجدت على قصر سيف ذي يزن الحميري، وكان يسمّى عمدان، وكان سيف من الملوك العاربة، وكانت مكتوبة بالقلم المسند فعرّبت، فإذا هي أبيات جليلة، ووعظة بليغة، وأوّلها :

انظُر ماذا ترى يا أيها الرجلُ ... وكُنْ على حَذَرٍ من قبل تنْتَقِلُ
وقدّم الزادَ من خيرٍ تُسرُّ به ... فكُلُّ ساكنٍ دارٍ سوف يرتحلُ
وانْظر إلى معشرٍ باتُواً على دعة ... فأصبحوا في الثرى رهناً بما عملوا
بَنَوا فلم ينفعِ البنيان وأدَّخروا ... مالاً فلم يُغنهم لمّا انقضى الأجلُ
باتُوا على قُللِ الأجبال تحرُسُهم ... الأبيات»[2]

(١) مروج الذهب : ٤ / ١٠٥ - ١٠٦، وينظر : جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام : الشيزري : ٢ / ٤١٥ - ٤١٦، وتذكرة الخواص : ٢ / ٤٩٧، ووفيات الأعيان : ٣ / ٢٧٣، والوافي بالوفيات : ١٧ / ٣٧٦ - ٣٧٧، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٦، الإتحاف بحُبّ الأشراف : ٤٢٦، ونور الأبصار : ١٦٦. (سُعى : وُشي، المِدرعة : الجُبّة، قُللُ الجبال : مفردها (قُلّة) : القمة، الكُلل : جمع كُلّة : الستر الرقيق، الأجداث : جمع جَدَث : القبر).

(٢)نور الأبصار : ١٦٦ . (وقد خمّس السيد محمد باقر الفالي بعض أبيات هذه القصيدة اللامية الخالدة منها :

سِرْ وفق مذهب أهل البيت إنهم ... مشاعلٌ للتقى يهدون تابعهم
ولا تُتابعنَّ ملوكاً حين تدرُسُهم ... باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القلل).:حياة أولي النهى (حياة الامام علي الهادي(علية السلام):٥١)

والذي يبدو لنا أن القصيدة بحسب ألفاظها، ومفاهيمها الإسلامية الخالصة لا تمت بصلة إلى تلك العصور السحيقة عصور ما قبل الإسلام، وأنها كتبت بالقلم المسند، فالدلالات والمعاني الساميات التي تضمنّتها هذه القصيدة والمتصلة بعالم الآخرة، ومآل الإنسان إلى ذلك العالم، فضلاً عن الرموز الإسلامية المحضة في القصيدة من مناداة (الصارخ) (النفخ بالصور)، وسؤال القبر (منكر ونكير) عن أعمال الإنسان (أفْصَح القَبْر)، زد على ذلك الدراية الواضحة المعالم بوجود هذا العالم الأخروي (عالم البعث والنشور والحساب)، وهي إشارات تدلُّ على نسبتها للعصر الإسلامي وما تلاه.

وهذه القصيدةُ ترنيمةٌ في فضح الدنيا وشهواتها، وملذّاتها، ودرسٌ أخلاقي وإرشادي ووعظي للسلاطين، والملوك المتجبرين الذين أنستهم دنياهم اللاهية العابثة التفكر والتفكير في مآلهم، وإيابهم، فحاشية الملوك والسلاطين وقوادهم وشرطهم الذين طالما كانوا محامين عنهم، ومدافعين سيتركونهم في الوقت المحدّد، وهو وقت ترك الدنيا فجأة، فيهْوون من السلالم العالية، والمراقي الشاهقات إلى حُفر القبور ما أشدَّها ! وما أقْهَرَها ! فيباغته الصارخ المأمور سائلاً إيّاهم مستنكراً مكرّراً، أين الفُرُش الوثيرات، والمقاعد المزركشات، والتيجان المرصّعات بأنواع الحلي والجواهر؟!، أين الحُلل والقطع المعدنية النفيسة التي كانت على أجسامهم، ويُعاودُ الصارخ سؤاله الاستنكاري، أين الوجوه النضرة الجميلة المملوءة ماءً ورونقاً؟، التي كانت محميّة من العوارض، والتغييرات المناخية، هذه الوجوه أصبحت غذاءً لذيذاً للدود والحشرات المتلهفة لها، فالزمان يعيد نفسُه، والحياة دولٌ، فطالما أسرفوا في الطعام والشراب، جاء من يأكل لحومهم، ويشرب دماءهم، ولا تخفى الجمل الخبرية المتتالية في هذه الأبيات التي تحتمل الصدق، فضلاً عن ذلك نلمح الجمل الإنشائية الطلبيّة وقد أُدّيت بأسلوب الاستفهام الاستنكاري (أين الأسرة، والتيجان، والحلل؟) ، (أين الوجوه التي كانت منعّمة)، وأدّيت، بأسلوب النداء (يا بئس ما نزلوا) الذي خرج إلى معنى التبكيت والتعنيف والتهديد، ونلمح في القصيدة طاقات وشحنات تعبيرية منها استعمال جموع القلّة (الأجبال) ، (الأستار)

، (الأسرّة) ، وجموع الكثرة (الرجال، القُلل، معاقل، حُفُر، التيجان، الحُلل، الكُلل، الدود)، ونلمحُ كثرة الأفعال المبنيّة للمجهول (استُنْزلوا، أودِعُوا، قُبِرُوا، تُضْرَبُ، أُكِلوُا) ولا يخفى أنَّ الفاعل قد سكت عنه ؛ لاشتهاره وعظمته، وهوَ دليل صارخ على إسلامية القصيدة.

إنها أنشودة عالية البيان في حقارة الدنيا، وسقوطها للّذين أُوغلوا في الانكباب على شهواتها وملذّاتها، هي دعوة للتفكر في الآخرة ووعيدها، وهي تدكّ معاقل الملوك والسلاطين الطغاة، وتدقُّ مضاجعهم.

لقد جاءت هذه القصيدة موافقة للمناسبة، ومصادفة للموقف، فاتفاقها مع معاينة المجلس وفضاءات المكان، الملك الخمّار، وحاشية السوء والبعد عن الله(عزّوجل)، والانغماس في شهوات الدنيا وملذّاتها، دعت الإمام (عليه السلام) إلى إنزال صواعقه الحاميات الحارقات الهالكات على رؤوس هؤلاء لِمَوات الحسّ فيهم.

قال محمد حسين الأصفهاني :-

وكَمْ أساء المتوكـــــل الأدب	أحضره عند الشراب والطرب
وهو في السنة والكتـــــاب	منزلة اللّبِّ من الألبـــــاب
أهذه القبائح الشنيعـــــــة	بمحضر مِن صاحب الشريعة
أيطلب الشربَ من الإمـــام	وهو وليّ عصـــمة الأحكام
أيطلب الغناء بالأشعـــــار	من معدن الحكـــمةوالأنوار[1]

هذا الموقف البطولي الشجاع من الإمام الهادي (عليه السلام) نجد في قباله شعراء البلاط والقصور والمال يؤلّهون المتوكل، «قال المبرّد (...) وردت سُرَّ مَنْ رأى فدخلتُ

(١) ينظر : الأنوار القدسية : ١٠٠.

على المتوكل فسلّمت، وسئلتُ عن بعض ما وردت له فأجبتُ، وبين يدي المتوكّل البحتري الشاعر، وهو ينشده قصيدة مدحَ بها المتوكل، وفي المجلس أبو العنبس الضمري فأنشد البحتري القصيدة التي أوّلها :

عن أيّ ثغر تبتسمُ وبأيّ طرفٍ تحتكم
حسنٌ يضيء بحسنه والحسن أشبهُ بالكرم
قل للخليفة جعفر المتوكل ابن المعتصم
المرتضى ابن المجتبى والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهي من أمنات عدْلك في حرم
يا باني المجد الذي كان قويّاً فانهدم
أسلم لدين محمدٍ فإذا سلمت فقد سلم
نلنا الهدى بعد الهدى بك والغنى بعد العدم

فلما انتهى مشى القهقرى للإنصراف، فنظر المتوكلُ إلى أبي العَنْبس، فقال أبو العنبس : يا أمير المؤمنين تأمر بردّه، فقد عارضته ارتجالاً، فمنها هذا البيتان:

في أي سَلْحٍ تلتطمُ وبأيّ كفٍّ تلتقم
أدخلت رأسَ البحتري أبي عبادة في الحرم

ووصل ذلك بما أشبه من الشعر، فضحك المتوكل حتى وقع على قفاه، وقال: يُدفع إلى أبي العنبس عشرة آلاف درهم، فقال الفتحُ : يا سيدي فالبحتري الذي هُجي، وأسمع المكروه ينصرف خائباً، قال : ويدفع للبحتري عشرة آلاف درهم، وقال : يا سيّدي وهذا البصري الذي أشخصناه من بلده، لا يشركهم فيما حصلوه؟

قال : يدفع له عشرة آلاف أخرى، قال المبرّد : فانصرفنا كلّنا في شفاعة الهزل»[1].

ومن الجدير بالذكر، والإشارة أنَّ سؤال المتوكّل الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله : ألك دَيْنٌ ؟ في هذه المناسبة، فأجابه الإمام (عليه السلام) : أربعة آلاف دينار، فدفعها المتوكّل للإمام (عليه السلام)، هو من اختلاق العباسيين، وموضوعاتهم ؛ لإظهار كرمهم وكثرة عطاياهم لأهل البيت (عليهم السلام)، وتبرير مواقفهم غير الأخلاقية في رفد الشعراء، والإغداق عليهم ولاسيما الفاسقون والكاذبون منهم، وهو أمر نخاله لا يتناسب، مع منهج الإمام الهادي (عليه السلام) القائم على القناعة، والرِّضا بما قسم الله (عزّ وجلّ)، وعدم الركون للظالم ألبته.

(١) جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام : ٢ / ٤٩٤ – ٤٩٥.

ثالثاً : نتائج هذا المبدأ الإسلامي الأصيل :

إنَّ من أهم نتائج هذا المبدأ الإسلامي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هو إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، سواءٌ أكان بالتوجيه الكلامي، أم بالسخط الجماهيري المتمثل من أجل هزهزة السلطة الجائرة وزعزعتها.

فالإمام الهادي (عليه السلام) لم يكن ليوافق على تصرفات الحكام العباسيين وكذلك تصرفات ولاتهم وقوادهم، وقد استطاع الإمام (عليه السلام) من تقريب بعضهم بَل الإقرار بإمامته وأعلميته[٢].

ويبدو أن هذا الموقف الإيجابي المتصل بالوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ولّد الشعور بالخوف، وعدم الاطمئنان، والحذر؛ بسبب معرفة السلطة العباسية بقدرة الإمام (عليه السلام) على التغيير، وجذب العناصر المختلفة، فكان ردّ الفعل قويّاً وعنيفاً تجاه الإمام (عليه السلام) فقد تعرّض إلى الإقامة الجبرية، والسجن، ومحاولات القتل[٣].

لقد أراد الإمام (عليه السلام) حماية المجتمع الإسلامي في ظلّ تغيير ذهنيات الأفراد والجماعات، ومفاهيمهم، وعواطفهم، وممارساتهم، وقد تمثل هذا الخط الإسلامي الملتزم في العمل الاجتماعي في مفاهيم وخطوط فكرية وعملية شتى اتخذ الطابع الإصلاحي والجهادي والرسالي الملتزم، كوجوب الدعوة للإسلام، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب التحدي والجهاد من أجل حماية المجتمع الإسلامي أو توسيع دائرته[٤].

(٢) ينظر : موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) : ١ / ١٦٦ – ١٦٧، وأعلام الهداية : ١٢ / ١٥٤.

(٣) ينظر : دور الأئمة في الحياة الإسلامية : ٣٩، وموسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٩٥.

(٤) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (دراية تحليلية) : ١٢ – ١٣.

المبحث الثالث

موقفُه من الغلاة والشبهات العقديّة

شاعت في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) كثير من الشكوك والأوهام بخصوص أصول العقيدة الإسلامية، وكانت بدايتها أيام الحكم الأموي، فهو الذي فسح المجال لانتشار الأفكار المضلّلة، وشجَّع عليها، وقد استمرت متصاعدة أيام الحكم العباسي، وقد تصدّى علماء المسلمين، وفي طليعتهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) إلى تزييف الآراء الملحدة بالأدلّة العلمية الحاسمة، وقد سجّلت في كتب منها (الاحتجاج) لـ(الطبرسي ت ٥٦٠هـ)، وغيره، التي ألَّفها علماء الشيعة للتدليل على كفاح أئمتهم في نصرة العقيدة الإسلامية، ومكافحة الكفر والإلحاد[١].

إنَّ النصوص التي أُثرت عن الإمام (عليه السلام) حول الرؤية، والجبر، والاختيار، والتفويض، والردّ على الشبهات المثارة حول آيات القرآن الكريم تفيد تصدّي الإمام (عليه السلام) لهذا التحصين العقائدي في الساحة الإسلامية العامة والخاصة معاً، ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) بالردّ على الشبهات العامة، بل تصدّى للردّ الخاص على ما كان يثار من تساؤلات خاصة تعرض لأفراد من أتباعه، أو ممن كان يتوسم فيهم الإمام (عليه السلام) الانقياد للحقّ كبعض الواقفة الذين اهتدوا بفضل آراء الإمام الهادي (عليه السلام) النافعة الناجعة[٢].

لقد تصدّى علماء المسلمين، وفي مقدّمتهم الإمام الهادي (عليه السلام) إلى ردّ هذه

(١) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (دراسة وتحليل) : ١٠٨، وأعلام الهداية : ١٢ / ٧١ – ٧٢.

(٢) ينظر : أعلام الهداية : ١٢ / ١٦٣، ودور الأئمة في الحياة الإسلامية : ٣١.

الشبهات المنحرفة، التي كانت رائجة، وتفنيد المزاعم الإلحادية التي يثيرها الزنادقة وجماعة الوضّاعين.

لقد انتهج الإمام الهادي (عليه السلام) أسلوباً خاصاً في العمل الفكري فقد شهدت المرحلة التي عاشها نشاطاً ملموساً للزنادقة والغلاة، وأمّا على الصعيد التشريعي فنرى التمييع للحدود، والثوابت الأساسية، أما الأمّة، فقد وصل فيها الضمير الإسلامي إلى درجة كبيرة من الجمود والغفلة، وكان (عليه السلام) حريصاً على تنزيه تعاليم الإسلام من التشويه والتحريف والافتراء.

والذي يبدو أنَّ موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من الغلاة، والشبهات العقدية كان قبل عصر المتوكل، وبعد مقتله، لأنَّ المتوكّل فيما يذكر المؤرخون أنه نهى عن الكلام في القرآن، وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان، ومَنْ أخذ في خلافة الواثق، فخلاّهم جميعاً وكساهم، وكتب إلى الآفاق كتباً ينهى عن المناظرة والجدل، فأمسك الناس، وقال المسعودي: «ولما أفضت الخلافة إلى المتوكّل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك، لما كان عليه الناس في أيام المعتصم، والواثق، والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر الشيوخ والمحدّثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة»[1].

وسنبيّن موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من الغلاة أولاً، ثم موقفه من الشبهات العقدية ثانياً.

---

(١) مروج الذهب: ٤ / ٩٧.

أولاً : موقفه من الغلاة :

لقد اتخذ الأئمة (عليهم السلام) وشيعتهم موقفاً صريحاً، وصلباً من الغلوّ والغلاة فتبرَّؤُا منهم، وأعلنوا كفرهم وإلحادهم، ونفوا صراحة أنْ تكون لهم أية صلة بهم، وبجميع المنحرفين من الخطّ الرسالي الذي دافع عنه الأئمة بكلّ ما لديهم من قوة.

وقد ظهرت في صفوف الشيعة زمرة خبيثة من الملاحدة، والمارقين في الدين، فأشعلوا نار الفتنة، ونشروا البدع والأضاليل في صفوفهم، وقد امتحن بهم الإسلام أشد ما يكون الامتحان، وذلك بما أذاعوه من الباطل الذي أضَلُّوا به الجهّال، والسذج الذين لا يميزون بين الحق والباطل، وبين الهداية، والضلال، ومن رؤوس هؤلاء الغلاة المعاصرين للإمام الهادي (عليه السلام)، (علي بن حسكة)، و(القاسم بن يقطين)، و (الحسن بن محمّد بن باب القُمّي)، و (فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني)، و (محمد بن نصير الفهري النميري)(٢).

وقد ذكر باقر شريف القرشي ثلاثة أسباب للغلوّ، وهي :

١. ما ظهر للإمام من المعاجز والكرامات التي منحها الله له، ولآبائه (عليهم السلام) فاستغلها المنحرفون عن الدين، والحاقدون عليها لإظهار البدع، وإماتة الإسلام، والإجهاز عليه.

٢. التحلّل من القيم والآداب الإسلامية، فقد أباحوا كلّ ما حرّمه الإسلام، ونهى عنه.

٣. الطمع بأموال الناس وأخذها بالباطل، والاستيلاء على الأموال التي تدفعها الشيعة إلى أئمتها (عليهم السلام)(٣).

---

(٢) ينظر : موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٥٨.

(٣) ينظر :م.ن : ١٢ / ٢٥٨.

ونرى أنَّ هنالك أسباباً أخر وراء ظهور الغلو والغلاة، وهي :

١. دأب السلطة العباسيّة على إسقاط أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ممّن عُرِفوا بضعف الإيمان، وعدم الالتزام بالحدود الإسلامية الصحيحة إلى إتباع هذا النهج من أجل إضلال أصحاب الإمام، وإبعاد الشيعة عنه (عليه السلام).

٢. تشويه مكانة الإمام (عليه السلام) ومنزلته في ضوء تشويه صورة أصحابه أولاً، وتشويه مبادئه السامية، وقيمه العالية.

٣. إثارة الفَوْضَى، وعدم النظام في صفوف البيت الشيعي.

٤. محاولة إبعاد الشبهات، وعدم التفكير فيما يرتكبه الجهاز الحاكم من موبقات وظلم، وانتهاك للحرمات، في ضوء جعل التفكير موجهاً إلى هذه البدع، والأضاليل.

إنَّ من أهم الأفكار المنحرفة التي حاربها الإمام الهادي (عليه السلام) :

١. تأويل الفرائض والأحكام الشرعية :

ذهب بعض الغلاة إلى تأويل الفرائض تأويلاً باطلاً من أجل التهرب من أدائها من جانب، وجمع أكثر عدد ممكن من الأنصار، وإبعاد الجماعة الصالحة عن الخطّ الإسلامي الصحيح، روى «الكشي عن محمد بن مسعود، قال : حدّثني محمد بن نصير، قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، كتبت إليه في قوم يتكلّمون، ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك، وإلى آبائك فيها ما تشمئزّ منها القلوب، ولا يجوز لنا ردّها إذ كانوا يروون عن آبائك (عليهم السلام)، ولا قبولها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك، وهو رجل يقال له : علي بن حسكة، وآخر يقال له القاسم اليقطيني، ومن أقاويلهم أنهم يقولون، إنَّ قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، معناها رجل لا سجود ولا ركوع، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم، ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي فأوّلوها وصيّروها على هذا الحدّ الذي ذكرت لك، فإن رأيت أنْ تبيّن لنا،

وأن تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيرهم إلى المعطب والهلاك، والذي ادّعوا هذه الأشياء ادّعوا أنهم أولياء وادّعوا إلى طاعتهم فهم (علي بن حسكة)، و (القاسم اليقطيني) فما تقول في القبول منهم جميعاً ؟ فكتب(عليه السلام) ليس هذا ديننا فاعتزله»[1].

ومن هؤلاء (محمد بن نصير الفهري النميري) من رؤوس الملحدين، ومن أئمة الكفر، وقد أشاع الضلال بين الناس، ومن بدعه :-

١. إنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) هو الخالق والربّ.

٢. إباحة نكاح المحارم من الأمهات والبنات والأخوات وغيرهن من سائر المحارم.

٣. إباحة اللواط وإنه من إحدى الشهوات والطيبات التي لم يحرّمها الله تعالى وإنه من جملة التواضع لله.

٤. القول بالتناسخ والغلوّ[2].

وقد حذّر الإمام أبو الحسن (عليه السلام) شيعته وسائر المسلمين من الاتّصال بهؤلاء الغلاة الملحدين، وقد كتب (عليه السلام) إلى عليّ بن محمد بن عيسى هذه الرسالة : «لعن الله القاسم اليقطيني، ولَعَن الله عليَّ بن حسكة القُمي إنَّ شيطاناً تراءى للقاسم فيوحي إليه زُخْرُفَ القول غروراً»[3].

٢. تأليه الإمام الهادي (عليه السلام) :

من الأباطيل، والأضاليل التي ابتدعها هؤلاء الغلاة هي جعل الإمام الهادي (عليه السلام) ربّاً وإلهاً ومدبّراً للأكوان، فقد رفع أصحابه رسالة إليه (عليه السلام) ينسبون فيها ضلالة ابن

(١) رجال الكشي : الكشي : ٤٣٥. (العنكبوت / من الآية ٤٥).

(٢) ينظر : حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٣٩٤.

(٣) رجال الكشي : ٥١٨.

حسكة : «جعلت فداك يا سيّدي : إن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثال حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية، والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحجّ، وذكر جميع شرائع الدين أنَّ معنى ذلك كله ما ثبت لك، وحال الناس إليه فإنْ رأيت أنْ تمنّ على مواليك بجواب ذلك تنجيهم من الهلكة، قال : فكتب (عليه السلام) كذب ابن حسكة عليه (لعنة الله)، وبحسبك أني لا أعرفه في مواليّ، ما له لعنه الله، فو الله ما بعث الله محمّداً والأنبياء قبله إلاَّ بالحنفية، والصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية، وما دعا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاَّ إلى الله وحده لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده عَبيد الله لا نشرك به شيئاً إن أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عذّبنا ما لنا على الله من حجة بل الحجة لله (عز وجل) علينا، وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وأنتفي إلى الله من هذا القول فاهجروهم لعنهم الله وألجؤُوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدتم أحداً منهم فأشْدِخُوا رأسه بالحجر»[1].

وقد كتب الإمام الهادي (عليه السلام) إلى العبيديّ يحذّره من أضاليل هؤلاء الغلاة وأباطيلهم، ويدعوه إلى البراءة منهم، وقد جاء في رسالته (عليه السلام) «أبرأ إلى الله من الفهري، والحسن بن محمد بن بابا القُمّي، فأبرأ منهما فإنّي محذّرك وجميع مواليّ وإني ألعنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان من الناس فتّانين مُؤذيَيْن آذاهما الله، أركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أني بعثته، وأنه باب – عليه لعنة الله – سَخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قَبل منه ذلك يا محمد، إن قدرت أن تشْرَخَ رأسه بالحَجَر فافعل، فإنّه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة»[2].

(١) رجال الكشي : ٥١٩.

(٢) م . ن : ٥٢٠.

٣. الفرق الضالة :

ظهرت في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) مجموعة من الفرق الضالّة والمضلّة، وقد أعلن الإمام (عليه السلام) براءته منها ؛ لأنها لا تمثل الإسلام من قريب، ولا من بعيد، ومن الجدير بالذكر أنَّ هناك فرقة ظهرت بعد استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام)، إذ ثبتت الإمامية القائلون بإمامة أبي جعفر (عليه السلام) بأسرها على القول بإمامة أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) سوى فرقة واحدة قليلة العدد شذّوا عن جماعتهم، إذ قالت بإمامة موسى بن محمد (عليه السلام) دون أخيه علي بن محمد (عليه السلام) ولكن هذه الفرقة لم تلبث أن تراجعت عن قولها، ورجعت إلى الحق[٣].

ومن أهم الفرق المنحرفة والضالة التي تبرّأ الإمام (عليه السلام) منها، وحاربها :

أ. الصوفية :

نهى الإمام الهادي (عليه السلام) أصحابه وسائر المسلمين عن الاتصال بالصوفية والاختلاط بهم لما دلَّ على زيفهم بإظهار التقشف والزهد لإغراء عامة الناس، والسذج من أجل غوايتهم، وقد وصفهم بأنّها حلفاء الشياطين في خداع الناس، وأنَّ زهدهم لم يكن حقيقياً وإنما لإراحة أبدانهم، وأنَّ تهجدهم في الليل لم يكن نسكاً وإخلاصاً في طاعة الله تعالى، وإنما هو وسيلة لصيد أموال الناس، وإغوائهم، وأن أورادهم ومناجاتهم ليست عبادة خالصة لله، بل هي رقص وغناء، وأنَّ الذي يتبعهم الحمقى والسفهاء[٤].

فقد روى الحسين بن أبي الخطاب، قال : كنت مع أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في مسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري، وكان بليغاً وله منزلة مرموقة عند الإمام (عليه السلام)، وبينما نحن وقوف إذ دخل جماعة من الصوفية المسجد فجلسوا في جانب منه، وأخذوا بالتهليل فالتفت الإمام

(٣) ينظر : الفصول المختارة من العيون والمحاسن : الشيخ المفيد : ٢٥٧.

(٤) ينظر : موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٧٤ – ٢٧٥.

إلى أصحابه فقال لهم : «لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنهم حُلفاء الشياطين، ومخرّبو قواعد الدين، يتزهدون لإراحة الأجسام، ويتهجّدون لصيد الأنعام يتجَوّعون عُمْراً حتى يُدَيِّخوا للإيكاف حُمْراً، لا يُهَلِّلون إلاَّ لغرور الناس، ولا يُقلّلون الغذاء إلاَّ لِملء العِساس، واختلاف قلب الدِّفْناس يتكلمون الناس بإملائهم في الحبّ، ويطرحونهم بإدلائهم في الجُبّ، أورادهم الرقص، والتصدية، وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتبعهم إلاَّ السفهاء، ولا يعتقد بهم إلاَّ الحُمَقاء، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حيّاً أو ميّتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان، وعبادة الأوثان، ومَنْ أعان واحداً منهم فكأن أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان، فقال له رجلٌ من أصحابه، وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟ قال : فنظر إليه شبه المغضب، وقال : دع ذا عنك، مَنْ اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنهم أخسُّ طوائف الصوفية ؟ والصوفيّة كلهم من مخالفينا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلاَّ نصارى ومجوس هذه الأمّة أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره، ولو كره الكافرون»[1].

وقد علّق القرشي على هذا النص بقوله : «ودلّل الإمام على زيف الصوفيين وأنهم لا نصيب لهم من الدين، وذكر من صفاتهم ما يلي :-

١. أنهم حلفاء الشياطين في إغرائهم وخداعهم للناس.

٢. أنهم حملوا معول الهدم على الإسلام في سلوكهم المنحرف الذي أضافوه إلى الدين وهو منه بَريء.

٣. أنَّ زهدهم في الدنيا لم يكن حقيقياً، وإنما لإراحة أبدانهم.

٤. أنَّ تهجدهم في الليل وإظهارهم للنسك لم يكن لله، وإخلاصاً في طاعته، وإنما كان لصيد الناس واستلاب أموالهم.

٥. أنَّ أورادهم ليست أوراد عبادة، وإنما هي رقص ؛ لأنها لم تنبعث عن مؤمنة بالله، وكذلك أذكارهم فإنها غناء ؛ لأنها خالية من الإخلاص في الطاعة لله.

٦. أنَّ الذي يملك عقله واختياره لا يتّبعهم، وإنما يتبعهم الحمقاء والسفهاء

(١) سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار : ٢ / ٥٨.

الذي لا رشد لهم»[٢].

ب. الفطحية :

وهم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر الصادق (عليه السلام) بعد أبيه واعتلوا في ذلك بأنَّه أكبر ولد أبي عبد الله (عليه السلام)، وهذه الطائفة تسمَّى الفطحية، وإنما لزمهم هذا اللقب ؛ لأن عبد الله كان أفطح الرجلين، وقيل : أفطح الرأس، ويقال : لأن داعيهم إلى ذلك رجل اسمه عبد الله بن الأفطح، وقد رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) لما ظهرت عندهم براهين إمامته إلاَّ طائفة قليلة[٣].

أما اعتقاد الفطحية بإمامة عبد الله فهو واضح البطلان، والتهافت ؛ لأنهم ادعوا أن الإمامة تكون في الأكبر، فهو قول مردود، ولم ترد عنه أُمور في الحلال والحرام، وقد امتحن بمسائل صغار فلم يُفْتِ بها جهلاً[٤]، وكان عبد الله بن هليل يقول بعبد الله بن جعفر الصادق (عليه السلام) فصار إلى العسكر فرجع عن ذلك فسألته عن سبب رجوعه، فقال : إنّي عرضت لأبي الحسن (عليه السلام) أن أسأله عن ذلك فوافقني في طريق ضيّق فمال نحوي حتى إذا حاذاني أقبل نحوي بشيء من فيه فوقع على صدري، فأخذته فإذا هو رقّ فيه مكتوب : ما كان هنالك ولا كذلك[٥].

ج. الواقفية :

بعد وفاة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ظهرت على مسرح الحياة الإسلامية فرقة من الشيعة سميت (الواقفية)، وقد أنكرت وفاة الإمام موسى (عليه السلام) وزعمت أنه ارتفع إلى السماء كما ارتفع المسيح عيسى بن مريم، وإنما ذهب زعماء هذه الفرقة إلى ذلك ؛ لأن عندهم أموالاً كثيرة من الحقوق الشرعية للإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

---

(٢) حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٥٣.

(٣) ينظر : إعلام الورى : ٢٩٢.

(٤) ينظر : موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٧٤.

(٥) ينظر : الكافي : ١ / ٣٥٥.

فاختلسوها، ولم يوصلوها من بعده إلى الإمام الرضا (عليه السلام)، وقد بقيت هذه الفرقة تناهض الشيعة الإمامية، وتدخل المكروه والأذى عليهم حتى لُقّبوا بـ (الممطورة) تشبيهاً لهم بالكلاب التي أصابها المطر ومشتت بين الناس فيتنجس بها كل من قربت منه، وقد كتب بعض الشيعة رسالة إلى الإمام في شانهم جاء فيها: «جُعلت فداك هؤلاء الممطورة، فأقنت عليهم في الصلاة» أي يجوز له لعنهم في قنوته، فأتاه الإمام بالجواز(١).

وذكرنا من قبل هداية الإمام الهادي (عليه السلام) أحد الواقفية وهو أبو الحسن البصري المعروف بـ (الملاّح) الذي كان يقتصر على إمامة الإمام الكاظم (عليه السلام) ولا يعترف بإمامة غيره، فالتقى به الإمام الهادي (عليه السلام) فقال له: إلى مَتى هذه النَّوْمة ؟ أما آن لك أنْ تنتبه مِنها، وأثّرت هذه الكلمة في نفسه فآب إلى الحقِّ والرشاد(٢).

ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض الروايات التي وقفنا عليها، مفادها: أن الإمام دعا فيها إلى شدخ رؤوس هؤلاء الضالين والمضلّين من الغلاة، وقتلهم، ولم تكتفِ هذه الروايات بذلك بل أن الإمام أعطى أموالاً من أجل شراء ساطور لقتل رؤوس الفتنة والغلاة، فجاء في الروايات أنَّ أبا الحسن العسكري (عليه السلام) أمر بقتل فارس بن حاتم وضمن لّمن قتله الجنة، وقال (عليه السلام) بحسب تعبير الراوي: هذا فارس (لعنه الله) يعمل من قبلي فتاناً يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة ودمه هدر لكل من قتله فمن يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له على الله الجنة(٣).

وقال ابن شهر آشوب: «قال أبو جنيد: أمرني أبو الحسن العسكري بقتل فارس بن حاتم القزويني فناولني دراهم، وقال: اشتر بها سلاحاً واعرضه عليّ، فذهبت فاشتريتُ سيفاً فعرضته عليه فقال: رد هذا وخذ غيره، قال: فرددته وأخذت مكانه ساطوراً فعرضته عليه فقال: هذا نعم: فجئت إلى فارس، وقد خرج من المسجدين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة، فضربته على رأسه فسقط ميّتاً، ورميت الساطور،

---

(١) ينظر: رجال الكشي: ٤٦٠، وحياة الإمام الهادي (عليه السلام): ٤٠١.

(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٤٩، وإعلام الورى: ٢ / ١٢٣.

(٣) ينظر: سيرة الأئمة الاثنى عشر: ٢ / ٤٦٤.

واجتمع الناس وأخذت إذ لن ير هناك أحد غيري فلم يروا معي سلاحاً، ولا سكيناً، ولا أثر لساطور، ولم يروا بعد ذلك فخليت»[٤].

والذي أراه أنَّ هذه الروايات التي جاءت في تحريض الإمام (عليه السلام) أصحابه قتل هؤلاء الغلاة والمنحرفين، وتخير أدوات السلاح لا تصمد أمام الحقيقة فالأئمة (عليهم السلام)، ولاسيما الهادي (عليه السلام) عرفوا بتسامحهم، وحقنهم للدماء، وحرصهم على كرامة الإنسان، فصدور هذه الأفعال منهم (عليهم السلام) أمر غير مرجّح ألبته مهما كان المغالون المضلون فهم أنْصح خلق الله لخلقه، وهم أمان أهل الأرض، وطمأنينة الأمة، فرواية شراء السيف، وإرجاعه، وشراء الساطور والرضا به تبكي المسرورين، وتضحك الثكالى، فأئمة أهل البيت يدعون إلى الحوار والجدال الحسن مع ألدّ أعدائهم، ولم يعرف عنهم أنهم أراقوا قطرة دم، ولا تخفى الأيادي الخبيثة التي وضعت هذه الروايات والأخبار وألصقتها بالإمام الهادي (عليه السلام) الطيّب الصادق والنقي.

إنَّ موقف الإمام الهادي (عليه السلام) الصارم مع الغلاة يعدّ خطوة من خطوات التحصين العقائدي للجماعة الصالحة، وإبعادها من عوامل الانحراف، والزيغ العقائدي الذي ينتهي إلى الكفر بالله تعالى، أو الشرك به، ويكمن نشاطه (عليه السلام) في فضح حقيقة هذا الخطّ.

---

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤٩، وينظر : بحار الأنوار : ١٢ / ٢١٥.

ثانياً : موقفه (عليه السلام) من الشبهات العقدية :

من المسائل التي ابتلى بها المسلمون مسألة خلق القرآن، ومسألة الجبر والتفويض وهي مسائل أبعدت الإسلام عن مساره الصحيح، وأخرجته من روحه، وحيويته، وكبّلته بقيود أضرت به أكثر مما نفعت.

وقد قيّض الله (عز وجل) لهذه الشبهات مَنْ ردّها، وفنّدها بالأدلة، والبراهين والحجج وهم أهل البيت (عليهم السلام)، ويظهر موقف الإمام الهادي (عليه السلام)، واضحاً في ردّ هذه الشبهات، ومنها :

١ . مسألة خلق القرآن :

ابتدع العباسيون مسألة خلق القرآن، وهذه المسألة من المسائل الخطيرة التي ابتلي بها المسلمون في حياتهم الدينية، وامتحنوا كأشد ما يكون الامتحان، وأثارها العباسيون للقضاء على خصومهم، وقد قتل خلق كثير من جرّاها وانتشرت الأحقاد والأضغان بين المسلمين، فتدخل السلطة السياسية في الخلافات الكلامية أحياناً أدّى إلى اتساع شقة الخلاف بين المسلمين، ولعل أظهر تلك التدخلات هي مسألة كلام الله(عز وجل)، وخلق القرآن، وهذه المسألة التي تتصل في الأصل بمسألة الصفات الإلهية، والموقف منها، واختلاف المواقف فيها، لكن المعتزلة سعوا لدى الخلفاء لجعلها عقيدة رسمية للدولة يستتاب المسلم من أجلها، ويعاقب عليها إن لم يقل بقوله المعتزلة : إن القرآن مخلوق وهو كلام الله تعالى[١].

ويبدو أنَّ هذه المسألة ابتدعها المأمون العباسي، ومن اختراعاته، فقد ألزم «الناس أنْ يقولوا بخلق القرآن، وفي أيامه نشأت هذه المقالة ونوظر فيها أحمد بن حنبل وغيره، ولما مات المأمون أوصى أخاه المعتصم بها، فلما ولّي المعتصم تكلّم فيها،

(١) ينظر : حقيقة الخلاف بين المتكلمين : علي عبد الفتاح المغربي : ١٥٦.

وضرب أحمد بن حنبل»[٢]، قال ابن كثير «ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أنْ يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وإن يرسل إليه جماعة منهم»[٣]، وقد روى أبو نعيم الأصفهاني أصح الروايات في محنة أحمد بن حنبل، فقال : «ذكرنا أصحّ الروايات في المحنة، وهو ما رواه أبو الفضل صالح ابنه»[٤]، وكلام ابن حنبل في القرآن أنه كلام الله غير مخلوق، وإنكاره على مَنْ يقول : إنّه لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن[٥].

إنَّ هذه المسألة لم يبحثها الأئمة وأصحابهم ؛ لكونها من القضايا الحسّاسة وغير المفيدة، على الرغم من طول المحنة التي عاشها المسلمون، قال محمود القطيفي : «لا ريب أنَّ القرآن كتاب هداية ونور، ويجب أنْ نبحث في دلائله وإعجازه وأحكامه أما البحوث المخترعة التي تؤدي إلى تضييع رسالته وغايته فهي فتنة يجب أنْ يترفع عنها المتكلمون، وأهل النظر خصوصاً تلك التي تؤدّي إلى الفرقة وتشغل الناس عن واجباتهم الشرعية»[٦].

وقد بعث الإمام الهادي (عليه السلام) إلى أحد أتباعه في بغداد عند اشتداد أزمة الناس في بدء زمن المأمون والمعتصم والواثق، وهي مسألة خلق القرآن كما قلنا، وكانت باتجاه القول : إن القرآن مخلوق، ومناوأة من يقول بخلاف هذا القول ومعاداته وتعذيبه، ولما جاء المتوكّل إلى الحكم قلب ظهر المِجن على هذه الفكرة، وقال بفكرة قدم القرآن، ومن ثم دارت الدوائر على من يقول بخلق القرآن، وقد كان موقف الإمام الهادي (عليه السلام) واضحاً جلياً تجاه هذه الفتنة، فكتب إلى أحمد بن إسماعيل بن يقطين في سنة (٢٢٧هـ) رسالة في شأن هذه المسألة جاء فيها بعد المسألة : «عصمنا الله وإياك من

---

(٢) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ٢١٦ – ٢١٧.

(٣) البداية والنهاية : ١٠ / ٢٨٤٥، وينظر : «الكامل في التاريخ : ٦ / ١٩٩، ودول الإسلام : ١ / ٨٨».

(٤) حُلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ٩ / ١٧٦.

(٥) ينظر : البداية والنهاية : ١٠ / ٢٨٩٠.

(٦) الإمام الهادي (عليه السلام) (أضواء من سيرته) : ٥٨، وينظر : التاريخ الإسلامي (دروس وعبر) : ٣٤١.

الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لم يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أنَّ الجدال في القرآن بدعه اشترك فيها السائل والمجيب فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلاَّ الله (عزّ وجلّ) وما سِواه إلاّ مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضّالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»[1].

وبهذا وضع الإمام الهادي (عليه السلام) النقاط على الحروف في هذه المسألة الخطيرة والحسّاسة، فالخوض في هذه المسألة بدعة وضلال، والسائل والمجيب يشتركان معاً في الإثم، وعلينا أنْ نقتصر في القول : على أن القرآن كلام الله تعالى[2].

٢. مسألة الجبر والتفويض :

من المسائل العقدية المهمة التي ردّها الإمام الهادي (عليه السلام)، وأبطلها مسألة الجبر والتفويض، وتفسير المراد بالمنزلة بين المنزلتين جواباً لأهل الأهواز على أسئلتهم بهذا الخصوص، إذ فصّل (عليه السلام) الكلام في شرح هذه الجوانب باستيعاب واستيفاء تامين، وبشواهد غير قليلة من الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفات حتى أصبح ذلك الجواب الشافي النافع الناجع بمثابة رسالة مستقلة في هذا الموضوع الشائك المعقد، وقد مثّلَت هذه الرسالة جانباً مهماً وأصيلاً من الثورات العلمية الهائلة التي يمتلكها الإمام الهادي (عليه السلام)، فقد فنّد أوهام الأشاعرة والمعتزلة، وأثبت بالأدلّة الحاسمة (الأمر بين الأمرين)، وهي الفكرة المهمة التي يذهب إليها أئمة أهل البيت (عليهم السلام)[3].

وهي رسالة تخصّ الجدل والخلاف الفكري الذي طال واستطال بين المسلمين بخصوص هذه المسألة، وهي طويلة أوردها ابن شعبة الحرّاني كاملة في خمس عشرة

---

(١) التوحيد : الصدوق : ٢٢٤.

(٢) ينظر : موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٤٤، وحياة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٤٠٢.

(٣) ينظر : الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : ٢ / ٤٦١.

صحيفة، في كلّ صحيفة أربعة وعشرون سطراً تقريباً.

وقد بيّن الإمام الهادي (عليه السلام) القول الفصل في هذه المسألة، وما هو الحقّ والصواب حرصاً منه ورغبة في رفع الفتنة، ودفعاً عمّا اختلج في الأذهان فيها.

لقد انتشر أمر الجبر والتفويض في العصر العباسي، وقد ذكر ابن الطقطقا هذا الأمر بقوله: «واعلم أن الدولة العباسيّة كانت دولةً ذات خدع ودهاء وغَدْر، وكان قسم التحيل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة والشدّة خصوصاً في أواخرها، فإنَّ المتأخرين منهم بطّلوا قوة الشدّة والنجدة ورَكنوا إلى الحيل والخُدَع (...) وما زالت على ذلك حتّى كانت أواخرها فانتشر الجَبْر، واضطرب الأمر، وانتقلت الدولة»[٤]، وقد جانب أحمد أمين الصواب حينما اعتقد أنَّ الأتراك في ذلك العصر مسؤولون لدرجة كبيرة عن إلغاء الجدل الكلامي فطبيعة عامتهم لا تقبل الجدل الكلامي، ولا كثرة المذاهب الدينية[٥]، والذي يبدو أنَّ الحكام العباسيين هم المسؤولون عن تقوية هذا الجدل، وضعفه وفاقاً لسياستهم، واتجاهاتهم، وميولهم، وعرفنا من قبل أنَّ الأتراك لا هَمَّ لهم سوى جمع المال، والتقرب من البلاط العباسي والتأثير فيه.

إنَّ أول مَنْ أورد هذه الرسالة هو ابن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري) في (تحف العقول عن آل الرسول)، ولما كانت هذه الرسالة طويلة ارتأينا أنْ نذكر عنوانات قصيرة تتخلل هذه الرسالة؛ من أجل الإفادة منها، واقتناص دلالاتها العظيمة، وإليك أيها القارئ العزيز نصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم، وروي عن الإمام الراشد الصابر أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام في طوال هذه المعاني في الرد على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين:

أ. السبب الحقيقي في إرسالها:

«من عليٍّ بن محمد؛ سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته؛ فإنه

---

(٤) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ١٥٠.

(٥) ينظر: ظهر الإسلام: ١ / ٤١.

ورد عليَّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرُّقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كلّه».

ب. القرآن الكريم حقٌّ لا خلاف فيه، وجحوده وإنكاره خروج عن الملّة :

«اعلموا رحمكم الله إنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جلَّ وعزَّ لا تخلو من معنيين : إمّا حقٌّ فيتّبع وإمّا باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمّة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرُّون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لا تجتمع أُمّتي على ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمّة كلها حقٌّ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حقٌّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه : فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمّة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة».

ج. حديث الثّقلين وشواهده :

«فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبرٌ ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم ؛ حيث قال : «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي – أهل بيتي – لن تضلوا ما تمسّكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جل وعز :﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]. وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين

(١) سورة المائدة : ٥٥ – ٥٦.

(عليه السلام) أنه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه. فوجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أتى بقوله : (من كنت مولاه فعلي مولاه) وبقوله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، ووجدناه يقول : (علي يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي).

فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر، وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها».

د. حقائق الأخبار من فضائل أمير المؤمنين (علي (عليه السلام)) :

«ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الصادقين عليهم السلام، ونقلها قوم ثقات معروفون، فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد. وذلك أن أقاويل آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾[٢] ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه)، وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله)، ومثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بني وليعة : (لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قم يا علي، فَسرْ إليهم)[٣]. وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم خيبر : (لأبعثن إليهم غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه)، فقضى رسول الله

(٢) سورة الاحزاب : ٥٧

(٣) بنو وليعة – كسفينة – : حي من كندة.

(صلى الله عليه وآله وسلم) بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما كان من الغد دعا علياً (عليه السلام) فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة، وسماه كراراً غير فرار، فسماه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أن الله ورسوله يحبانه».

٥. الاستعانة بقول الصادق (عليه السلام) من بطلان الجبر والتفويض:

«وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا، وقوة لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوة، وعليه نتوكل في جميع أمورنا. فإن نبدأ من ذلك بقول الصادق (عليه السلام): (لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحة الخلقة، وتخلية السرب[1]، والمهلة في الوقت، والزاد، مثل الراحلة، والسبب المهيج للفاعل على فعله)، فهذه خمسة أشياء جمع به الصادق (عليه السلام) جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق (عليه السلام) بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وآله (عليهم السلام) لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب، ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق (عليه السلام) من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد وصدق مقالته في هذا، وخبر عنه أيضاً موافق لهذا، أن الصادق (عليه السلام) سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟، فقال الصادق (عليه السلام): هو أعدل من ذلك، فقيل له: فهل فَوَّضَ إليهم؟ فقال (عليه السلام): هو أعزّ لهم، وأقهر لهم من ذلك. وروي عنه أنه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهّن اللهَ في سلطانه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله جل وعز أَجْبَرَ العباد على المعاصي وكلّفهم

---

(١) السرب – بالفتح –: الطريق والصدر. – وبالكسر – الطريق والقلب – وبالتحريك – الماء السائل.

ما لا يطيقون، فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ، فأخبر (عليه السلام) أن من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ، وأن الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما.

ثم قال (عليه السلام) : واضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة».

و. إبطال الجبر :

«فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو يقول من زعم أن الله (جلّ وعزّ) أجبر العبادَ على المعاصي، وعاقبهم عليها ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه ورد عليه قوله : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2]، وقوله : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾[3]، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[4]، مع آي كثيرة في ذكر هذا. فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وقد ظلمه في عقوبته، ومن ظلم الله فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه، فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة. ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه، ولا يملك عرضاً من عرض الدنيا ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملك ثمن ما يأتيه به من حاجته، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلاّ بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي

---

(٢) سورة الكهف : ٤٩.

(٣) سورة الحج : ١٠.

(٤) سورة يونس : ٤٤.

الجور وأوعد عبده إن لم يأته بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك، فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء، وليس يملك العبدُ ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه، أليس يجب في عدله وحكمه أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمنَ حاجته ؟، فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه مبطلاً لِمَا وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعده بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة، تعالى عما يقولون علواً كبيراً، فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أجبر العقوبة، ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله إن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده حيث يقول : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾(١)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾(٢)، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)، مع آي كثيرة في هذا الفن ممن كذّب وعيد الله ويلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممن قال الله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾(٤) بل نقول : إن الله جلّ وعزّ يجازي العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها، فأمرهم ونهاهم بذلك ونطق كتابه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(١) سورة البقرة : ٨١.

(٢) سورة النساء : ١٠.

(٣) سورة النساء : ٥٦.

(٤) سورة البقرة : ٨٥.

﴿...﴾ ﴿١٦٠﴾[5]. وقال جل ذكره: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[6]. وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾[7]. فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به. ومثلها في القرآن كثير، اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب وبالله التوفيق».

ز. إبطال التفويض:

«وأما التفويض الذي أبطله الصادق (عليه السلام) وأخطأ من دان به وتقلده فهو قول القائل: إن الله (جل ذكره) فَوَّضَ إلى العباد اختياراً أمره ونهيه وأهملهم. وفي هذا الكلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهتدية من عترة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنهم قالوا: لو فوض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا منه الثواب ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن، أو يكون (جلّ وعزّ) عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته كرهوا، أو أحبوا ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبدهم، بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته، ويقف عند أمره ونهيه، وادعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه ووعده على إتباع أمره عظيم الثواب، وأوعده على معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكه ولم يقف عند أمره ونهيه فأي أمر أمره، أو نهي نهاه عنه لم يأته على إرادة المولى بل كان العبد يتبع إرادة نفسه وإتباع هواه ولا يطيق المولى أن يرده إلى إتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته، ففوّض اختيار

---

(٥) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٦) سورة آل عمران: آية ٣٠.

(٧) سورة غافر: آية ١٧.

أمره ونهيه إليه، ورَضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك وبعثه في بعض حوائجه، وسمّى له الحاجة فخالف على مولاه وقصد لإرادة نفسه واتبع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به، فإذا هو خلاف ما أمره به، فقال له : لِمَ أتيتني بخلاف ما أمرتك ؟ فقال العبد : اتكلت على تفويضك الأمر إلي فاتبعتَ هواي وإرادتي، لأن المفوض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض.

أو ليس يجب على هذا السبب إما أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده بإتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرفه الثواب والعقاب عليهما. وحذره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، فيكون عدله وإنصافه شاملاً له وحجته واضحة عليه للأعذار والإنذار. فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه وإذا لم يزدجر عنه نهيه عاقبه، أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّضَ أمرَه إليه أحسن أم أساء، أطاع أم عصى، عاجز عن عقوبته ورده إلى إتباع أمره' وفي إثبات العجز نفى القدرة والتأله وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب إذ يقول :﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴾[1] وقوله (عز وجل): ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[2] وقوله :﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ ﴾[3] وقوله : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[4] وقوله : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ ﴾[5].

فمن زعم أن الله تعالى فَوَّض أمرَه ونَهْيَه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر وأبطل أمر الله ونهيه ووعده ووعيده، لعلة ما

(١) سورة الزمر : ٧.

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢.

(٣) سورة الذاريات : ٥٦ – ٥٧.

(٤) سورة النساء : ٣٦.

(٥) سورة الأنفال : ٢٠.

زعم أن الله فوضها إليه؛ لأن المفوّض إليه يعمل بمشيئته، فإن شاء الكفر، أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه وهو من أهل هذه الآية ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾[٦] تعالى عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً».

ح. المنزلة بين المنزلتين أو (الأمر بين الأمرين):

«لكن نقول: إن الله (جلّ وعزّ) خلق بقدرته وملكهم استطاعة تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم إتباع أمره ورضي بذلك لهم. ونهاهم عن معصيته، وذم من عصاه وعاقبه عليها ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده لإتباع أمره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار وإليه الصفوة يصطفي من عباده من يشاء؛ لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده، اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعثه برسالته إلى خلقه، فقال من قال: من كفار قومه حسداً واستنكاراً: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٧] يعني بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي، فأبطل الله اختيارهم، ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾[٨]، ولذلك اختاروا من الأمور ما أحب ونهي عما كره، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوّض اختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد (صلى

(٦) سورة البقرة: ٨٥.

(٧) سورة الزخرف: ٣١.

(٨) سورة الزخرف:: ٣٢.

الله عليه وآله وسلم).

فلما أدب الله المؤمنين بقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]، فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا إتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه، فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضل وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لإتباع أمره واجتناب نهيه، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه وأنزل به عقابه».

ط. أدلة الأمر بين الأمرين :

«وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : قل يا عباية، قال : وما أقول، ؟ قال (عليه السلام) : إن قلت : إنك تملكها مع الله قتلتك. وإن قلت : تملكها دون الله قتلتك قال عباية : فما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال (عليه السلام) : تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله. قال عباية : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال (عليه السلام) : لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله، قال : فوثب عباية فقبل يديه ورجليه.

وروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حي أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله، قال : يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك ؟ قال (عليه السلام) : بالتمييز الذي خولني والعقل الذي دلّني، قال أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ولا مذموماً على إساءة، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء فعلمت أن الله قائم باق وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل، قال نجدة :

(١) سورة الأحزاب : ٣٦.

أجدك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين، قال : أصبحت مخيراً، فإن أتيت السيئة مكان الحسنة فأنا المعاقب عليها.

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ قال (عليه السلام) : نعم يا شيخ ؛ ما علوتم تلعة[٢] ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله، فقال الشيخ : عند الله أحتسب عَنائي يا أمير المؤمنين ؟ فقال (عليه السلام) : مه يا شيخ، فإن الله قد عظّم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا إليه مضطرّين، لعلك ظننت أنه قضاءٌ حتم وقدرٌ لازم، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق ؛ ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشيطان، إن الله (جلَّ وعزَّ) أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقام الشيخ فقبّل رأس أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنشأ يقول :

أنْـتَ الإمامُ الذي نَرْجُو بطاعتِـهِ | يَومَ النَّجاةِ مِنَ الرَّحمنِ غُفْرَاناً
أوْضَحْتَ مِن ديننا ما كان مُلْتَبساً | جَـزَاكَ رَبُّك عَنّا فيه رِضْوَاناً
فَـلَـيْس مَعْذِرَةٌ في فِعْـــلِ فَاحِشَةٍ | قَدْ كُنْتَ رَاكِبَها ظُلْماً وعِصْيَاناً

فقد دلَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما، وتقلّدهما الباطل والكفر، وتكذيب الكتاب ونعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكنا نقول بمنزلة بين المنزلتين وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبّدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم».

---

(٢) التلعة : ما علا من الأرض.

ي. مثل بليغ :

«ومثَل الاختبار بالاستطاعة مثَل رجل ملك عبداً، وملك مالاً كثيراً أحبَّ أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملّكه من ماله بعض ما أحبّ، ووقفه على أمور عرَّفها العبد فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ونهاه عن أسباب لم يحبّها وتقدّم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرَّف في أيّ الوجهين، فصرف المال أحدهما في إتّباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في إتباع نهيه وسخطه. وأسكنه دار اختيار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار وأن له داراً غيرها وهو مُخرجه إليها فيها ثوابٌ وعقابٌ دائمان، فإن أنفذ العبد المال الذي ملّكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مُخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود، وقد حدَّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى، فإذا بلغ الحدَّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلها إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلى أن يستتمّ سكناه فيها فوفى له ؛ لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة، أو ليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأجور به أن يفي له بما وعده من الثواب، وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة. وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذره إياها، غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يوصف القادر القاهر، وأما المولى فهو الله جلّ وعزّ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم، والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله (جلّ وعزّ) واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس. وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة، وأما الدار الفانية، فهي الدنيا. وأما الدار الأخرى، فهي الدار

الباقية وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد.

وشرحها في الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق (عليه السلام)[1] أنها جمعت جوامع الفضل وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله».

ك. تفسير الأمثال الخمسة (صحة الخلقة، وتحلية السرب، والمهلة من الوقت، والزاد، والسبب المهيج) :

«تفسير صحة الخلقة أما قول الصادق (عليه السلام) فإن معناه كمال الخلق للإنسان وكمال الحواسِّ وثبات العقل والتمييز وإطلاق اللسان بالنطق ؛ وذلك قول الله : ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾[2]. فقد أخبر عزَّ وجل عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطير وكل ذي حركة تدركه حواسُّ بني آدم بتمييز العقل والنطق ؛ وذلك قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٖ ﴿٤﴾﴾[3]. وقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[4]. وفي آيات كثيرة فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان، وذلك أن كلَّ ذي حركة على بسيط الأرض هو قائمٌ بنفسه بحواسه مستكملٌ في ذاته، ففضَّل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس، فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار آمراً ناهياً وغيره مسخَّر له كما قال الله : ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[5]. وقال :

---

(١) أي صحة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد والسبب المهيج.

(٢) سورة الإسراء : ٧٠.

(٣) سورة التين : آية ٤.

(٤) سورة الانفطار : الآيات ٦ و ٧ و ٨.

(٥) سورة الحج : آية ٣٧.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ (١). وقال : ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ (٢). فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق، وكمال النطق والمعرفة بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبّدهم به بقوله : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ (٣). وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٤). وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ (٥). وفي آيات كثيرة. فإذا سلب من العبد حاسّةٌ من حواسّه رفع العمل عنه بحاسّته كقوله : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (٦). فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحجّ والزّكاة لما ملّكه من استطاعة ذلك ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج ؛ قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٧) وقوله في الظّهار : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ (٨). كلّ ذلك دليلٌ على أن الله تبارك وتعالى لم يكلّف عباده إلا ما ملّكهم استطاعته بقوّة العمل به ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحّة الخلقة.

وأما قوله : تخلية السّرب، فهو الذي ليس عليه رقيبٌ يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله فيمن استضعف وحُظر عليه العمل فلم يجد حيلةً ولا

(١) سورة النحل : آية ١٤.

(٢) سورة النحل : آية ٥ و ٦ و ٧. والدفء : السخانة وهي ما يستدفئ به من اللباس المعمول من الصوف والوبر.

(٣) سورة التغابن : آية ١٦.

(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٦.

(٥) الطلاق : آية ٧.

(٦) النور : ٦١.

(٧) آي عمران : ٩٧.

(٨) سورة المجادلة : ٣ و ٤.

يهتدي سبيلاً كما قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾(٩) فأخبر أن المستضعف لم يخلِّ سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئنُّ القلب بالإيمان.

وأما المهملة في الوقت فهو العمر الذي يمتنع الإنسان من حدّ ما تجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحُلم إلى أن يأتيه أجله. فمن مات على طلب الحقِّ ولم يدرك كماله فهو على خير؛ وذلك قوله : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١٠) وإن كان لم يعمل بكمال شرايعه لعلّة ما لم يمهّله في الوقت إلى استتمام أمره، وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾(١١) فلم يجعل عليهنَّ حرجاً في إبداء الزّينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام.

وأما قوله : الزَّاد. فمعناه الجدة والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به. وذلك قوله : ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٢) ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق، وألزم الحجَّة كلَّ من أمكنته البلغة والرَّاحلة للحجِّ والجهاد وأشباه ذلك. وكذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقّاً في مال الأغنياء بقوله : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(١٣). فأمر بإعفائهم ولم يكلفهم الأعداء لما لا يستطيعون ولا يملكون.

وأما قوله : في السبب المهيج. فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال، وحاستها القلب فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه

---

(٩) سورة النساء : ٩٨.

(١٠) سورة النساء : ١٠٠.

(١١) سورة النور : ٣١.

(١٢) سورة التوبة : ٩١.

(١٣) سورة البقرة : ٢٧٣.

عملاً إلا بصدق النية ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[1]. ثم أنزل على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) توبيخاً للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾[2] فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله، دعته النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل. وإذا لم يعتقد القول لم تتبين حقيقته. وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعلة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[3] وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[4] فدل القرآن وأخبار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها ولا يبطل ما يصحح القلب شيء.

فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق (عليه السلام) إنها تجمع المنزلة بين المنزلتين وهما الجبر والتفويض. فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كملاً لما أمر الله (عز وجل) به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنها مطروحاً بحسب ذلك».

ل. شواهد قرآنية على الاختبار والبلوى:

«فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة. ومن ذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا

(١) سورة آل عمران: ١٦٧.

(٢) سورة الصف: ٢.

(٣) سورة النحل: ١٠٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٥.

أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾﴾[٥]. وقال: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾[٦]. وقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[٧]. وقال في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾[٨] وقال في قصة موسى: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾[٩] وقول موسى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾[١٠]. أي اختبارك فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض، ويشهد بعضها لبعض. وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾[١١]. وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡ﴾[١٢]. وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾[١٣]. وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[١٤]. وقوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾[١٥]. وقوله: ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾[١٦] وكلما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة. فهي إثبات الاختبار والبلوى: إن الله (جلّ وعزّ) لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدى، ولا أظهر حكمته لعباً وبذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾[١٧]. فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم؟ قلنا: بلى، قد علم ما يكون منهم قبل كونه وذلك قوله: ﴿وَلَوۡ

(٥) سورة محمد: ٣١.

(٦) سورة الأعراف: ١٨٢.

(٧) سورة العنكبوت: ١ و ٢.

(٨) سورة ص: ٣٤.

(٩) سورة طه: ٨٥.

(١٠) سورة الأعراف: ١٥٥.

(١١) سورة المائدة: ٤٨.

(١٢) سورة آل عمران: ١٥٢.

(١٣) سورة القلم: ١٧.

(١٤) سورة الملك: ٢.

(١٥) سورة البقرة: ١٢٤.

(١٦) سورة محمد: ٤.

(١٧) سورة المؤمنون: ١١٥.

﴿ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾[1] وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل. وقد أخبر بقوله : ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا ﴾[2]. وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[3]. وقوله: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[4]. فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده، وهو القول بين الجبر والتفويض. وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

فإن قالوا : ما الحجة في قول الله : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾[5] ماأشبهها؟ قيل : مجاز هذه الآيات كلها على معنيين : أما أحدهما فإخبار عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب، ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب. والمعنى الآخر أن الهداية منه تعريفه كقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ ﴾ أي عرفناهم ﴿ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾[6] فلو أجبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلوا. وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها، من ذلك قوله : ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾[7] وقال : ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ ﴾ أي أحكمه وأشرحه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾[8]».

---

(١) سورة الأنعام : ٢٨.

(٢) سورة طه : ١٣٤.

(٣) سورة الإسراء : ١٥.

(٤) سورة النساء : ١٦٥.

(٥) سورة فاطر : ٨.

(٦) سورة فصلت : ١٧.

(٧) سورة آل عمران : ٧.

(٨) سورة الزمر : ١٧ و ١٨.

وفقنا الله وإياكم إلى القول والعمل لما يحب ويرضى وجنبنا وإياكم معاصيه بمنّه، وفضله، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين وحسبنا الله ونعم الوكيل»[٩].

فالمتأمل في نصوص هذه الرسالة الكلامية الذهبية العظيمة في المنظومة العقدية الفكرية في التاريخ الكلامي الإسلامي يدرك بوضوح حدة الخلاف العقائدي، وأثره في العلاقات الاجتماعية، وبلبلة الفكر والرأي في تلك المسألة الخطيرة، وتكشف مرجعية الإمام (عليه السلام) العلمية ولجوء الأمة إليه لفهم الإسلام، وتوضيح العقيدة، وبيان معضلات الفكر والمعتقد، وهناك ثلاثة آراء في الإطار الإسلامي تفسر أعمال الإنسان وسلوكه، وهي :

١. القول : إن الإنسان مجبر وتجري عليه الأفعال كما يجري الماء في النهر فالإنسان لا يملك إرادة ولا اختياراً، والخير والشرّ الصادر عنه إنما هو من فعل الله (عزّ وجلّ).

٢. ورأي يقول : إن الأمر مفوّض إلى الإنسان أي أنَّ الله أهمل العباد، وليس لله دخلٌ في صدور الأفعال منهم، وليس بوسع الله أنْ يمنعهم من فعل شيء، فالحياة على وفق هذا الرأي لا تخضع لإرادة إلهية منظّمة.

٣. ورأي ثالث وهو رأي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) مفاده : الأمر بين الأمرين، والمنزلة بين المنزلتين، فالإنسان يملك الإرادة والاختيار، وهو ليس مجبراً، ولكن الأمر ليس مفوَّضاً إليه، وإنَّ الله قادر على أنْ يمنعه على الفعل الذي فَعَله، وقد يمنعه الله عن فعل الشرّ لطفاً به، أو يعينه على فعل الخير لاستحقاق ذلك[١٠].

---

(٩) تحف العقول : ٣٣٨ – ٣٥٢، وينظر : الاحتجاج : ٢ / ٤٨٧ – ٤٩٦.

(١٠) ينظر : سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : ٢ / ٦٠٧، وموسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة : ١٢ / ٢٠٨.

وقد بحث أبو القاسم الخوئي هذا الأمر، فقال : «ففعل العبد وسط بين الجبر والتفويض، وله حظّ في كلّ منهما، فإنَّ إعمال قدرته في الفعل، أو الترك وإن كان اختياراً، إلاَّ أنَّ هذه القدرة وسائر المبادئ حين الفعل تفاض من الله، فالفعل مستند إلى العبد من جهة، وإلى الله من جهة أخرى، والآيات القرآنية المباركة ناظرة إلى هذا المعنى وأن اختبار العبد من فعله لا يمنع من نفوذ قدرة الله وسلطانه»[1].

ولابُدّ من القول : إنَّ هذه الرسالة من أخصب الدراسات العلمية في المسائل العقدية التي كانت مدار الجدل والكلام في ذلك الزمان، وقد ذكرنا من الفصل السابق (تراثه (عليه السلام) الفكري) قسماً من آراء الإمام الهادي (عليه السلام) الكلامية في التوحيد، وصفات الله (عز وجل)، وأفعاله وغيرها.

(١) البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئي : ٩٩.

٤٠٦

المبحث الرابع

شهيد المبادئ والقيم والإصلاح

إنَّ هذا المشروع الإصلاحي الكبير والعظيم للإمام الهادي (عليه السلام) الذي تجلّى في الوقوف بوجه السلطة الجائرة الحاقدة المنحرفة، ومحافظته (عليه السلام) على الجماعة الصالحة من الخطر والانحراف، والاضطلاع بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والردّ على الشبهات العقديّة المختلفة، قد حقّق الكثير من النتائج المثمرة، والفوائد الجليلة التي ستذكرها الأمة باعتزاز وافتخار، وتسير على هَدْيها ونَهْجها ما بقي الليل والنهار والشمس والقمر.

هذا المشروع العظيم كلّف الإمام الشهادة، فدُسّ إليه السُّمّ على يدّ سفّاح عصره (المعتز العباسي)، ليبقى الإمام الهادي (عليه السلام) مشعلاً وهّاجاً، وقائداً محنّكاً، وإماماً عظيماً، وشاهداً حاضراً في قلوب المسلمين عامة، وقلوب شيعته خاصة، إنّه إمام سامرّاء المقدّسة التي سَعُدت وشَرُفت بضمّها أشرف جسد، وأطهر بدن، وأسمى روح، وهذا مصير أئمة الحق والجهاد والرشاد، فقد نال عليّاً وذريته مصارع الجهاد، والشهادة، قال عباس محمود العقّاد: «في سيرة ابن أبي طالب ملتقى بالعاطفة المشبوبة، والإحساس المتطلع إلى الرحمة والإكبار؛ لأنَّ الشهيد أبا الشهداء يجري تاريخه وتاريخ أبنائه في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة، ويتراؤون للمتتبع من بعيد واحداً بعد واحد شيوخاً جلَّلهم وقار الشيب، ثم جلَّلهم السيف الذي لا يرحم، أو فتياناً عُوْجِلُوا وهم في نضرة العمر يحال بينهم، وبين متاع المنية جياع ظماء، وأوشك الألم لمصرعهم أنْ يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم، وصبغة دمائهم»[1].

---

(١) عبقرية الإمام علي (عليه السلام): ١٨.

ويجدر بنا – ونحن نتكلم عن شهادته (عليه السلام) العاطرة – أن نقف على تاريخ شهادته، ومراحل بناء قبته المباركة، وأنْ نحلّق في رحاب المدح والرثاء ذاكرين قصائد خالدات في رثائه (عليه السلام).

أولاً : استشهادُه (عليه السلام) :

اتفق المؤرخون، وتسالمت الروايات أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد توفي سنة (٢٥٤هـ)[١]، إلاَّ ابن رستم الطبري فقد ذهب إلى أنه توفي (عليه السلام) سنة (٢٥٠هـ)[٢].

وذهب قسم من المؤرخين إلى أنَّه توفي (عليه السلام) مسموماً[٣]، وقد اختلف المؤرخون في اليوم الذي توفي فيه (عليه السلام)، فذهب قسم كبير إلى أنه توفي يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة[٤]، وذهب اليعقوبي إلى أنه (عليه السلام) توفي يوم الأربعاء[٥]. وقيل

---

(١) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٥٤، وتاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣٢٨، ومروج الذهب : ٤ / ١٨٦، وتاريخ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٥، والإرشاد : ٣٣٢، وتاريخ بغداد : ١٢ / ٥٧، وتأريخ الأئمة (عليهم السلام) وفياتهم: ٢٤٨، والجرائح والخرائج : ٣٠٨، ومناقب آل أبي طالب : ٤ / ٨٣٣، والكامل في التاريخ : ٧ / ٨٩، مطالب السؤُول في مناقب آل الرسول : ٣٠٨، وتذكرة الخواص : ٢ / ٥٩٩، ووفيات الأعيان : ٣ / ٢٧٣، وكشف الغمّة : ٤/ ٧، ودول الإسلام : ١ / ٢٢٥، والوافي بالوفيات : ١٧ / ٣٧٧، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٥، والفصول المهمة : ٢٧٠، والصواعق المحرقة : ٥٦٢، وبحار الأنوار : ١٢ / ٢٤٦، والإتحاف بحبّ الأشراف : ٣٦٢ – ٣٦٣، ونور الأبصار : ١٦٦، وسفينة النجاة : ٦ / ٤٠٤.

(٢) ينظر : دلائل الإمامة : ٢١٢.

(٣) ينظر : دلائل الإمامة : ٢١٢، ومروج الذهب : ٤ / ٦٨١ – ٧٨١، وإثبات الوصية : ٧٢٢، ومناقب آل أبي طالب : ٤ / ٣٣٤، وتذكرة الخواص : ٢ / ٥٠٠، والفصول المهمة : ٢٧٠ – ٢٧١، ونور الأبصار : ٦٦١، ومنتهى الآمال: ٢ / ٣٠٥ – ٤٠٥.

(٤) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣٢٨، ودلائل الإمامة : ٢١٢، ومروج الذهب : ٤ / ١٨٦، وتاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة ومعجزاتهم : ٣٦٥، وتأريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ٢٤٨، والجرائح والخرائج: ٣٠٨، ومطالب السؤول : ٣٠٨، ووفيات الأعيان : ٣ / ٢٧٣، والوافي بالوافيات : ١٧ / ٣٧٧، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٥، والفصول المهمة : ٢٧٠، والإتحاف بحب الأشراف : ٣٦٢ – ٣٦٣، ونور الأبصار : ١٦٦، وسفينة النجاة : ٦ / ٤٠٤ – ٤٠٥، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٨١.

(٥) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٥٤.

توفي لأربع ليالي من شهر جمادي الآخرة[٦]، أو لثلاث منه[٧]، وقيل في شهر رجب لخمس منه[٨]، وقيل لثلاث منه[٩]، وقد سلّم إلى ابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) مواريث الأنبياء والأوصياء والنور والحكمة[١٠].

ثانياً : مراسيم تشيعه (عليه السلام) :

أشار اليعقوبي إلى ما حدث سنة (٢٥٤هـ)، فقال : «وتوفي علي بن محمد ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بُسرّ مَنْ رأى (...) وبعث المعتز بأخيه أحمد بن المتوكّل فصلّى عليه في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد، فلمّا كَثُر الناس واجتمعوا كثر بكاؤُهم، وضجّتهم، فردّ النعش إلى داره فدفن فيها»[١١]، وقال المسعودي : «وسُمِع في جنازته جارية تقول: ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً ؟ وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله في شارع أبي أحمد، وفي داره بسامراء، ودفن هناك»[١٢]، ومراد هذه الجارية بقولها : إشارة إلى يوم وفاة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

وغير خفي أنْ بعض المصادر ولاسيما في المدونات التاريخية السائدة في يومنا هذا ذهبت إلى أن أحمد بن المتوكل هو الذي صلّى على الإمام الهادي (عليه السلام) في الشارع المذكور آنفاً، وهذه الصلاة هي في الظاهر، لكن المعتقد الصحيح، والمذهب المتحقق

---

(٦) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣٢٨، ومروج الذهب : ٤ / ١٨٦ – ١٨٧، ووفيات الأعيان : ٣ / ٢٧٣، والبداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٥.

(٧) ينظر : تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٥٤.

(٨) ينظر : دلائل الإمامة : ٢٢٢، وتاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣٢٨، والإرشاد : ٣٣٢، وكشف الغمة : ٤ ٢١، والوافي بالوفيات : ١٧ / ٣٧٧.

(٩) ينظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٢٧٣، والوافي بالوفيات : ١٧ / ٣٣٧، وبحار الأنوار : ١٢ / ٢٤٦.

(١٠) ينظر : تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار ومعجزاتهم : ٣٧٨، وإثبات الوصية : ٢٥٧.

(١١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٥٤، وينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٣٢٨.

(١٢) مروج الذهب : ٤ / ١٨٦ – ١٨٧، وينظر : البداية والنهاية : ١١ / ٢٩٣٥.

أن الإمام المعصوم لا يلي أمره إلا المعصوم من تجهيز، وتكفين، والصلاة عليه ودفنه.

وما أن انتشر خبر رحيل الإمام الهادي (عليه السلام) إلى الرفيق الأعلى حتى هرعت الجماهير العامة والخاصة، وفيهم جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين، يُعزّون ابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)[1].

وهكذا بعد حياة ملأى بالجهاد، والهدى، والإرشاد، والعلم، والصبر، والمعاناة من ظلم الحكام العباسيين واضطهادهم أطفأ المعتز العباسي بن المتوكل هذا النور، وزحفت الناس من كل حدب وصوب نحو دار الإمام (عليه السلام) ليوارى الجثمان الطاهر في داره بسرّ من رأى.

ثالثاً : فضل زيارته (عليه السلام) :

لا يخفى أنَّ زيارة الإمام الهادي (عليه السلام)، وابنه الحسن العسكري (عليه السلام) من الأعمال المباركة، والشعائر العظيمة، فبلوغ المأمول، والفوز بالقبول يكون بالدعاء تحت قبتهما المباركة، فإنَّ لله (عزّ وجلّ) بقاعاً يُحبُّ أنْ يدعى فيها، وهذه البقعة المباركة منها.

ويزداد المرقد تألقاً وجمالاً بوفود الزائرين له من كل حدب وصوب يتركون الحسرات، ويذرفون الدموع الجاريات، وينصرفون وقد أصابوا الدعوات الخيرات، وبالمناجاة في رحاب هذه البقعة الطاهرة ينجلي الهمّ، والبؤس، فتشرق سامراءُ بشموس لا يكتنفها أصيل.

وقد جاء في زيارة الإمام الهادي (عليه السلام) : «السلام عليك يا أبا الحسن علي بن محمد الزكي الراشد، النور الثاقب ورحمة الله وبركاته (...) السلام عليك أيها الأمين الوفي، السلام عليك أيها العَلَمُ الرضيّ، السلام عليك أيها الزاهد التقي، السلام عليك أيها الحجّة على الخلق أجمعين، السلام عليك أيها التالي للقرآن، السلام عليك أيها المبيّن للحَلال من الحرام، السلام عليك أيها الوليّ الناصح، السلام عليك أيها

---

(١) ينظر : إثبات الوصية : ٢٥٧ – ٢٥٨.

الطريق الواضح، السلام عليك أيها النجم اللائح»[٢]، وجاء في الزيارة أيضاً بعد تقبيل الضريح، ووضع الخدّ الأيمن عليه ثم الأيسر: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد وأهل بيته، وصلِّ على علي بن محمد الراشد المعصوم من الزَّلَل، والطاهر من الخلل، والمنقطع إليك بالأمل، المَبْلُوّ بالفتن (...) والقائد إلى جنتك، العالِم في بريتك، والهادي في خليقتك الذي ارتضيته، وانتجبته واخترته لمقام رسولك في أُمّته»[٣].

رابعاً: قُبته (عليه السلام) المباركة:

دُفن الإمام الهادي (عليه السلام) بإجماع المؤرخين في سامرّاء إلاَّ الشهرستاني فذهب إلى أنه دفن (عليه السلام) في قم[٤]، وابن كثير الذي ذهب إلى أنه دفن (عليه السلام) في بغداد[٥] وهو وهم.

وقد دفن بجوار الإمام الهادي (عليه السلام) الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) - ابنه-، والسيدتان الفضليان الكريمتان حكيمة بنت الإمام الجواد (عليه السلام) أخت الإمام الهادي (عليه السلام)، ونرجس زوج الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أم الإمام المهدي (عجل الله فرجه)[٦].

وقد أتحفنا محمد السماوي بذكر مراحل تشييد القبة المباركة للإمامين الهاديين العسكريين (عليهما السلام) بدءاً من تشييد ناصر الدولة الحمداني سنة (٣٣٣ هجرية) الدار والجدث، وهو أول من بنى قبة على القبر الشريف، وجعل لسامراء سوراً، وجلّل ضريحهما بسور، وبنى حول الدار الشريف دوراً إلى أن صارت سامرّاء محلاًّ للسكنى، وانتهاء بالتوسعة في محيط الروضة المطهّرة، وخارجها في زمان

---

(٢) مسند الإمام الهادي (عليه السلام): ٢٨٦.

(٣) م. ن: ٢٨٦.

(٤) ينظر: الملل والنحل: ١٥٠.

(٥) ينظر: البداية والنهاية: ١١/ ٢٩٣٥.

(٦) ينظر: موسوعة العتبات المقدسة: ١٢/ ١٤٣.

الملك فيصل الأول سنة (١٣٤١هـ)، وكذلك في زمان الملك غازي الأول سنة (١٣٥٢هـ)، وفيصل الثاني سنة (١٣٩٥هـ)، وقد نوّرت الروضة بالكهرباء سنة (١٣٤٩هـ)، وعملت إسالة الماء سنة (١٣٤٣هـ)[1].

وقد أقدم المجرمون التكفيريُّون المنحرفون الضّالون المضلّون كما فَعَل أسلافهم من قبل ولاسيما المتوكل حينما أقدم على هدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، بهدم قبة الإمامين الهاديين العسكريين (عليهما السلام) يوم الأربعاء الثالث والعشرين من المحرَّم الحرام سنة (١٤٢٧هـ)، الموافق الثاني والعشرين من شهر شباط سنة (٢٠٠٦م)، وقد أصدرت مراجع النجف الكبار بيانات استنكروا فيها الجريمة، ودعوا إلى ضبط النفس وأعلنت المرجعية في ضوء بيان المرجع الأعلى الإمام السيد علي الحسيني السيستاني (دام الله ظله) الحداد العام لمدة سبعة أيام[2]. وقد قامت الحكومة العراقية فور تفجير القبة المطهّرة متعاونة مع الوقفين الشيعيّ والسنّي إلى إعادة بنائها، وما يزال العمل جارياً إلى الآن، وسيعلم الذين ظلموا آل بيت المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) أيّ منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

---

(١) ينظر : موسوهة العتبات المقدسة : ١٢ / ١٤٠ – ١٤٢.

(٢) ينظر نص البيان : الإمام علي الهادي (عليه السلام) (عمر حافل بالجهاد والمعجزات :١٥٢).

خامساً : قصائد خالدات في مدح الإمام الهادي (عليه السلام) ورثائه:

لقد تصدّى كثير من الشعراء الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) من المتقدمين، والمتأخرين وعلى مرّ العصور لمدح الإمام الهمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ورثائه، وتعداد مناقبه، ومكارم أخلاقه، وكراماته الظاهرة في حياته وبعد شهادته وصوّروا ما يخالج نفوسهم وخواطرهم من ولاء، وودّ لعترة المصطفى الطاهرين (عليهم السلام)(٣).

وفيما يأتي نماذج من هذه القصائد التي صورت جوانب من حياة الإمام الهادي (عليه السلام).

وسنذكرها بحسب التسلسل الزمني لقائليها :

أولاً : أبو هاشم الجعفري :-

روى عبد الله بن عيّاش بإسناده عن أبي هاشم الجعفري فيه، وقد اعتل (عليه السلام) :

مـادَتِ الأرضُ بي وأدّت فؤادي ... واعترتنـــــي موارد العُرواءِ
حين قيل : الإمام نِضْوٌ علـــيلٌ ... قُلْتُ : نَفْسِي فَدَتْهُ كلّ الفداءِ
مُرِضَ الدينُ لاعتـلالك واعـتلّ ... وغارت له نجوم السـماءِ
عَجباً إن مُنِيت بالداء والسُّقــــ ... ـم وأنت الإمام حَسـمُ الداءِ
أنت آسي الأدواء في الدين والدنـ ... ـيا ومحيي الأموات والأحياءِ(٤)

(٣) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة : ١٢ / ٤٧١، والإمام علي الهادي (عليه السلام) عمر حافل بالجهاد والمعجزات : ٤٦٥ - ٤٧٠.

(٤)ينظر : إعلام الورى بأعلام الهدى : ٣٦٦. (العُرواء : بردُ الحُمّى أول مسها، النضو : المهزول).

ثانياً : أبو الغوث أسْلَم بن مهوز المنبجي الطهوي :-

أنشد هذه القصيدة بعسكر سرّ مَنْ رأى :-

ولهت إلى رؤياكم وله الصــادي ... يذاد عن الورد الروي بــذوادِ
مُحَلّى عن الوردِ اللذيذ مَســاعه ... إذا طاف وُرّاد به بعــد ورّادِ
فأعليت منكم كل هوجـاء جَسْرة ... ذمول السُّرى تقــتاد في كلِّ مقتادِ
أجوب بها بيد الفــلا وتجوب بي ... إليك ومالي غير ذكــرك من زادِ
فلما تراءت سُرّ من رأى تجشّمَت ... إليك تعوم الماء في مفـعم الوادي
إذا ما بلغت الصادقين بني الرضا ... فحسبك من هاد يشـير إلى هادي
مقاويل إن قالوا بهالـيل إن دعوا ... وفاة بميعاد كُفــاةٍ لمــرتادِ
إذا وُعِدوا أعْفَوا وإن وعدوا وَفَوا ... فهم أهل فضلٍ عند وعدٍ وإيعـادِ
كرامٌ إذا ما أنفقوا المال أنفــذوا ... وليس لعلم أنفَقوه من إنفــادِ
ينابيع علم الله أطـــواد دينه ... فهل من نَفاد إن علـمت لأطوادِ
نجوم متى نجم خبا مثـــله بدا ... فصلّى على الخابي المهيمن والبادي
عبادٌ لمولاهم موالي عبـــاده ... شهود عليهم يوم حشر وإشهـاد
هم حججُ الله اثنتا عشرة مَتــَى ... عَدَوْت فثاني عشرهم خلفاهاديَ
بميلاده الأنباء جـــاءت شهيرة ... فأعظم بمولود وأكرم بمـيلادِ[1]

(١) ينظر : المجالس السنية : ٥ / ٦٥٨، مقتضب الأثر : ٤٩.

ثالثاً : علي بن عبد الله بن وصيف بن يوسف المعروف بـ (الناشيء الصغير) (تـ ٣٦٦هـ) :-

وله في وصف الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) (الطويل) :

هُمُ الآل آلُ الله والقطـــب التي ... بها فُلَكُ التوحيد أصبـــح دائرا

أئمة حقٍّ خاتمُ الرســـلِ جَدُّهُمْ ... ووالدهم من كان للـــحقّ ناصرا

عليٌّ أمير المؤمنين وسَيّـــــدٌ ... إلى قَرْنه بالسيـــف ما زال باتِرا

وأُمُّهُم الزهـــــراء أكرم بَرَّة ... غَدَا قَلْبها مُضْنىً على الوَجْد صابرا

ومنهم قتيل السُمّ ظلماً ومـــنهم ... إمامٌ له جبريلُ يكـــدحُ زائرا

قتيل بأرض الطف أروت دماؤه ... رماح الأعادي والسيوفَ البواترا

ومنهم لدى المِحراب سُجَّادُ ليله ... وَقَرْمٌ لفضلِ العِلم أصبـــح باقرا

وسادسهم ياقوتة العقْد جَعْـــفَرٌ ... إمام هُدَى تَلَقّاه بالعـــدل آمرا

وسابعهم موسى أبو العلم الرضا ... ومَنْ لم يزل بالعلم للـــحقِّ ناشرا

وثامنهم ثاوٍ بطـــوس ومَنْ به ... طفقتُ حزيناً للهـــموم مُسامرا

وتاسعهم زيـــن الأنام محمد ... أبو عَلَم للقوم أصـــبح عاشرا

ومنهم إمامٌ سُرّ مَـــنْ رأى مَحَلَّهُ ... عامٌ لحادي العَشر ظلٌّ مجـــاورا

وآخرُهُم مَهْدِيُّ دينـــك إنَّه ... إمام لِعَقْد الفاطِميّين آخــــرا(٢)

---

(٢) ينظر ديوان الناشئ الصغير : ٣١١ – ٣١٢.

رابعاً : الشيخ علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربليّ (تـ لجـترسمهـ) :-

قال علي بن عيسى الإربلي : «وقد مدحت مولانا أبا الحسن (عليه السلام) بما أرجو ثوابه من العاجل والآجل، وأنا معترف بالتقصير، والله عند لسان كل قائل، وهو :-

يا أيُّهذا الرائح الغــــــادي … عرّج على سيّــــــدنا الهادي
وأفلح إذا شارفت ذاك الـــثرى … فعلَّ كليم الله في الـــــوادي
وقبّل الأرض وســــــفّ تُرْبة … مِنها العُلى والشّرفُ العــــادي

إلى البَيت الأخير :

لا زال خلي لكم مسكـــــــناً … من حالتي قريبا وإبعـــــادي[1]

خامساً : يَحْيَى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل المعروف بـ (الحصكفي) الشافعيّ (تـ لخسمسمغ«) :-

قال الحصكفي في مدح أهل البيت (عليهم السلام) :-

وسائلي عن حُبّ أهل البيت … هل أقر أعلانا بهم أم أجْحَدُ
هيهات ممزوج بلحمي ودمي … حبهم وهو الهدى والرشدُ
حيدرة والحسنان بعده … ثم علي وابنه محمدُ
وجعفر الصادق وابنا جعفر … موسى ويتلوه عليٌّ السيّدُ
ذاك الرضا وابنه محمدٌ … ثم عليٌّ وابنه المسدّدُ
والحسن الثاني ويتلو بَعْدَه … محمد بن الحسن المفتقد
فإنهم أئمتي وسادتي … وأن لحاني معشر وفسّدوا
هم حجة الله على عباده … وهم إليه منهجٌ ومقصدُ

(١)ينظر : كشف الغمة : ٣/ ١٩٠ - ١٩١.

هم في النهار صُوَّمٌ لربهم		وفي الدياجي ركع وسجّدُ
هم أهل بيت جنة الخلد لهم		فمن تولى حبهم قد يرشدُ[٢]

سادساً : السيد حيدر بن سليمان الصغير بن داود بن سليمان الكبير المزيدي الحليّ (ت ١٣٠٤هـ) :

(من الرمل والقافية من المتواتر) :

زَانَ (سَامَرّا) وكانت عَاطلاً		تَتَشَكَّى من مُحلّليها الجَفاءَ
وغَدَت أفناؤُها آنَسَةً		وهي كانت أَوْحَشَ الأرض فناءَ
حَيَّ فيها (المرقد الأسْنَى) وقُلْ		زَادَكَ اللهُ بهاءً وسَنَاءَ
إنما أنت فِرَاشٌ للأُلى		جَعَلَ اللهُ السَّما فيهم بناءَ
ما حَوَتْ أبراجها من شُهْبها		كوجوهٍ فيك فاقتها بَهَاءَ
قَدْ تَوَارَتْ فِيْك أقمارُ هُدَىً		ودَّت الشمسُ لها تَغْدُو فدَاءَ
أَبداً تَزْدَادُ في العَلْيَا سَنَا		وظُهُوراً كلما زِدْنَ جَفَاءَ
ثُمّ نادِ القُبَّة العُلْيَا وقُلْ		طاولي يا قُبَّةَ (الهادي)(ع) السَّماءَ
بمَعَالي (العسكريّين) اشْمَخي		وعلى أفْلاكِهَا زيْدِي عَلاءَ
واغْلبي زُهْرَ الدَّرَاري في السَّنَا		فيك العالُمِ لا فيها أضَاءَ
خَطَّكِ الله تعالى دَارَةً		لذُكائي شَرَف فاقا ذُكَاءَ
وبنا عَرِّجْ على تِلك الّتي		أوْ دعَتْنا عِنْدَها (الغيبةُ) دَاءَ[٣]

---

(٢)جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام : ١٤١.
(٣) ديوان السيد حيد الحلي : ٢٩ – ٣٠.

وقال السيد حيدر الحليّ في فضل بقعة ضريحهما :-

(المتقارب والقافية في المتدارك)

أدِمْ ذِكْرَها يا لِسانَ الزمانِ ... وفي نَشْرِها فَمُك العاطِرُ
وهَنّ بها (سُرَّ مَرّا) ومَن ... به رَبْعُها أهلُ عامِرُ
هو السَّد (الحَسَنُ المجتبى) ... خِضَمُّ الندى غَيْثُه الهامِرُ
وقُلْ : يا تقدَّسَتِ من بُقْعَةٍ ... بها يَغْفِرُ الزَلَّةَ الغافِرُ(1)

سابعاً : الشيخ محمد حسين الأصفهاني النجفي الشهير بـ (الكُمْبانيّ) (ت ١٣٦١هـ) :

قال في أُرجوزته في الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، منها :-

لقد تَجَلَّى مبدأ الإيجاد ... في غاية الوجود باسم الهادي
أحسن خَلْقَ كلّ شيء فهدى ... وباسمه الهادي اهْتَدَى من اهْتَدَى
ميز بين الماء والسرابِ ... بالعلم الهادي إلى الصوابِ

(الجوارح)

وَوَجْهُه في مصحف الإمكان ... فاتحة الكتاب في القرآنِ
بَلْ وَجْهُه عنوان حسن الذات ... ديباجة الأسماء والصفاتِ
طلعته مطلع نور النورِ ... ومشرق الشموس والبدورِ

---

(١)ديوان السيد حيدر الحلي : ٥١. (الحسن المجتبى) : حجة الإسلام السيد (حسن الشيرازي)

(الجوانح)

وهو له ولاية الهداية في مُنْتَهى مراتب الولاية
وهو يمثل النبيّ الهادي في بثّ روح العلم والإرشاد
فإن لكل قومٍ هادِ كجدّه المنذر للعبادِ

(لم يزل نقيّاً)

هو النقيُّ لم يزل نقيّاً وكان عند ربّه مرضيّا
بل هو من شوائب الإمكان مقدّس بمحكم البرهانِ

(الجلال والجمال)

حاز من الجلال والجمال ما جاوز الحدّ من الكمال
كما له ليس له نهاية فإنه غايةُ كلِّ غاية

(بابه والكعبة)

وبابه باب رواق العظمة ومستجار الكعبة المعظّمة
ملجأ كلّ ملّة ونحلة وهو لأرباب القلوب قبله
ملاذ كل حاضر وبادِ وكيف لا والباب باب الهادي
بل هو باب الله من أتاه فقد أتى الله فما أعلاه
ولست أُحصي مكرمات الهادي فإنها في العدّ كالأعداد

(ويل لشانئيه)

وكم أساء المتوكل الأدب أحضره عند الشراب والطرب
وهو من السنة والكتاب منزلة اللبّ من اللباب
أهذه القبائح الشنيعة بمحضر من صاحب الشريعة
أيطلب الشرب من الإمام وهو وليّ عصمة الأحكام
أيطلبُ الفناء بالأشعار من معدن الحكمة والأنوار

(خان الصعاليك)

أنزله في أشنع المنازل وفخر كلّ منزلٍ بالنازل
من هو عند ربّه مكين فلا عليه أينما يكون
له رياض القدس مأوى ومقرّ خان الصعاليك غطاء للبصر

(المصائب)

قاسى الإمام من بني العباس ما ليس في الوهم وفي القياس
كم مرّةٍ من بعد مرّة حُبسٍ وهو بما يراه منهم محتبسٍ
حتى قضى بالغم عمراً كاملاً فسمّه المعتز سمّاً قاتلاً
قَضَى شهيداً في ديار الغربة في شدّةٍ ومحنة وكربة

(من بكى عليه)

بكتهُ عينُ الرشد والهداية حيث هوى منها أجلّ رأيه
بكته عين العلم والآداب ومحكم السنة والكتابِ[1]

ثامناً : محمد علي بن يعقوب بن جعفر النجفي الملقّب بـ (اليعقوبي) نسبة إلى أبيه المتوفى سنة (سه١٣٨هـ) :

قال في مدح الإمام الهادي (عليه السلام) :-

عُجْ على سُرّ من رأى تلقَ فيها علماً تهتدي به ومنارا
قُبّة فوقها تجلّى سنا القدس ونور الهادي عليها أنارا
قد شأت قبة السماء وردّت طائر الوهم واقعاً حيث طارا
لاح فيها من الإمامة نورٌ تَحْسَبُ الليل من سناه نهارا
قد حَوَت عاشر الألى عن مزا ياهم تردّ العشر العقول حيارى

(١)الأنوار القدسية : الشيخ محمد حسين الأصفهاني : ٩٦ – ١٠٢.

ملكت بالندى رقاب البرايا ... واسترقّت بمنّها الأحرارا
كلّما ضَنَّت الليالي وجارت ... جاد بالنبل مسعفاً وأجارا
ما رعت للنبي فيه بنو العمّ ... ذماماً ولم يحوطوا ذِماما
أشخصوه مع البريد لسامرّا ... فلم يَلْقَ في سواها قَرارا
صدّقت قوله الشراة وكانوا ... جحدوا قول جدّه إنكارا
يوم أردتهم العواصف حتى ... ملأ الله في القبور القفارا
حار فيه فكر الجُنيدي مذ ... شاهد فيه ما حيّر الأفكارا
جاء يملي له العلوم صغيرا ... فإذا بالصغار تهدي الكبارا
أنزلوه خان الصعاليك عمداً ... مُذْ أرادوا ذلاّ به واحتقارا
ما دروا أنه بدار عليها الله ... أرخى دون العيون ستارا
لست أنسى غداة أخرجه الطا ... غي مع الناس ذلّة وصغارا
وغدا يعرض الجيوش عليه ... علَّ يرتاع خيفة واندعارا
فأراه من الملائك جيشاً ... ملأ الأفق والفضا جرّارا
ثم نال المعتز ما شاء منه ... إذ سقاه السمّ النقيع جهارا
فاستشاطت له البلاد وصارت ... صيحة طبّقت بها الأقطارا
أتراها درت عشية أودى ... أنَّ فيها نور الهدى قد توارى
يا أبا العسكري حقّقْ رَجائي ... وأقلني يابن الجواد العثارا
كُنْ شفيعي عند الإله إذا ما ... جئت في الحشر أحمل الأوزارا
لذت فيكم إذ ليس يخش من الأهـ ... ـوال من لاذ فيكم واسْتَجَارا(٢)

واللّواذ والاستجارة بأئمة الهدى والرشاد والحق والصواب مفازة، ومغنم، فكونوا لنا شفعاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم، وبعبارات الشفاعة والاستجارة بأئمة الهدى (عليهم السلام) ولا سيما إمامنا ومقتدانا وسيدنا وشفيعنا علي الهادي (عليه السلام) نختم الفصل الخامس (مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحي) وهو خاتمة فصول هذه الدراسة الموسومة بـ(السَّنَاء في سيرة إمام سامرّاء علي بن محمد الهادي (عليه السلام) (دراسة تحليليّة)).

---

(٢)ينظر : التخاطر (مجموعة شعرية) : محمد علي اليعقوبي : ٦٢ – ٦٤.

خاتمة

الدراسة ونتائجها

خاتمة الدراسة ونتائجها

بعد هذه الجَوْلة البحثيّة في رحاب سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) المباركة سيرة المجد والشرف والرفعة، لابدّ من لململة نتائج هذه الدراسة من أجل رسم صورة واضحة متكاملة لها.

إن أهم ما توصلت إليها الدراسة :-

١. إنّ إمامة الإمام الهادي (عليه السلام) بلحاظ الصفات والمؤهّلات التي اجتمعت فيه لم يشاركه فيها غيره من بني عصره هي النتيجة الثابتة والواقعية بل هي الحقيقة المسلّمة التي لا يعتريها الشك والريب.

٢. إنَّ المؤرخين الذين تناولوا سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) بحسب المدوّنات التي عرضنا لها قد مالوا إلى الاختزال، والاقتضاب، وبتر النصوص وقلبها ناهيك عن الصمت والسكوت عند بعضهم مما حرم الدرس التاريخي من حقائق ووثائق تحقق الهدف المراد، والغاية المبتغاة، ويبدو أنَّ السلطة العباسية كان لها الأثر الرئيس في هذا المنهج.

٣. يرى الباحث أنَّ أكثر الألقاب وأشهرها اتّصالاً بالإمام الهادي (عليه السلام) هو لقب (الهادي) بلحاظ المواقف والأحداث التي رافقت حياته، فالواقع الذي عاشه الإمام (عليه السلام) يتطلبه هذا اللقب فهو ينطبق عليه انطباقاً تاماً، فمادة هذا اللقب (هـ د ي) و دلالاتها منطبقة على صاحب هذه السيرة.

٤. أظهر البحث جوانب إنسانية مثالية للإمام الهادي (عليه السلام) منها العفو والصفح، والتسامح، والقرب من المسلمين، والكرم، والدعوة إلى التماسك، وحقن الدماء، والصبر.

٥. دعا الإمام (عليه السلام) أصحابه إلى إعمال العقل، والمنطق، وإذكاء روح العمل، والتفكر واستحضار المثل الروحية والأخلاقية، والعزوف عن الكسل والنكوص والتقهقر في مواجهة التحديات.

٦. دعا الإمام الهادي (عليه السلام) أصحابه إلى تجنب المخاطر، وأخذ العبرة مما جرى في حياة الآخرين، وقراءة دروس الماضي ولاسيما مصير الحكام الظالمين وما لحقهم من تاريخ مخز، وظل مَنْسيّ مظلم.

٧. تأكد في ضوء الكثير من العبارات القيمة التي كان يطلقها الإمام الهادي (عليه السلام) لأصحابه من نحو : (الزموا، ارجعوا، انظروا، أقمتُ، جعلتُ، أوجبتُ، وليقبض حقي)، وغيرها، أن الإمام الهادي (عليه السلام) كان يمهد التمهيد الحقيقي للدولة المهدوية التي من أهم منطلقاتها إقامة دولة العدل الإلهي على أيدي الأئمة العدول الذين ينصبهم الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وعند ظهوره المبارك وبعد غيبته.

٨. ظهر في ضوء واقع الحال، وقرائن المقام أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) كان مؤيّداً للحركات المناهضة للحكم العباسي ولاسيما السائرة على الخط الإسلامي الصحيح الداعية إلى الإصلاح.

٩. إنَّ الإمام (عليه السلام) كان بإمكانه أنْ يستغل الوضع الحماسي للناس، والسخط الواضح ضد السلطة، مؤجّجاً الوضع في المدينة المنوّرة فور وصول رسول المتوكل إلاّ أنَّه آثر الهدوء، وضبط الوضع من أجل حقن دماء المسلمين، ومنع إراقتها.

١٠. إنَّ ظهور هذا الكم الهائل من أصحابه ورواته دليل على انتفاع هؤلاء بعلوم الإمام، ومعارفه، وكان لهم الفضل الأكبر في نشر تراث الأئمة الأطهار، وتراثهم الفكري المبارك.

١١. أظهر البحث أن الإمام الهادي (عليه السلام) قد مارس نشاطاً مكثّفاً وعَمِل عملاً دؤُوباً لإعداد الجماعة الصالحة من أجل الوصول إلى عملية الإصلاح المنشود والمنظور.

١٢. ظهر أن الإمام الهادي (عليه السلام) كان يشجع الحوار التعليمي الهادئ الرصين مع أصحابه وغيرهم ؛ لأنه يعد واحداً من أسس نجاح الأشخاص، والقادة المتصدّين للعمل الاجتماعي، وهو وسيلة للنجاح، والتقدم.

١٣. كان الإمام الهادي (عليه السلام) داعية للوحدة، والصبر والعزم، وناهية عن المضلاّت والأفكار المنحرفة التي تؤدّي إلى تشتت المجتمع وتفرّقه ثم تمييع أفراده وانهيارهم.

١٤. رفض الباحث ما جاء من روايات يأمر فيها الإمام الهادي (عليه السلام) أصحابه بإراقة دماء الغلاة والمنحرفين، ولاسيما روايات شراء الأدوات القاتلة كالفؤوس والسواطير لضرب الأعناق، فهي لا تتناسب مع أخلاقهم ومبادئهم المثالية المتكاملة التي تدعو إلى الوحدة والألفة، وحقن الدماء فضلاً عن ذلك الدعوة إلى الحكمة، واللجوء إلى الحوار الهادئ المتزن.

١٥. إنَّ التضييق على الإمام الهادي (عليه السلام) ومراقبة حركاته وسكناته في ضوء الإقامة الجبرية عليه للحدّ من الاتصال بينه وبين أصحابه ومواليه، جعل الأصحاب والرواة والعلماء يتصلون به في الخفاء عن طريق المراسلة، ويجد المتتبع عشرات الروايات بهذا الطريق.

١٦. أظهر البحث أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد أكثر من الأدعية – وهي دوائر تربوية واسعة مملوءة بأنفس الكلام – ويبدو أن الواقع كان بحاجة إلى الإكثار من هذه الأدعية التي تدعو إلى توحيد الله (جل جلاله)، والتمسك بتعاليمه، وهي تمثل وثائق تأريخية وسياسيّة، ومدوّنات مهمة في بيان الاضطهاد، والظلم في تلك الحقبة.

١٧. كان للإمام الهادي (عليه السلام) منهج خاص في تفسير القرآن الكريم يفهمه كلُّ من مارس كلماتهم وأحاديثهم في تفسير القرآن الكريم.

١٨. أظهر البحث أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد نَهى أصحابه عن مجالسة الغلاة، والمنحرفين ولاسيّما الصوفية ؛ لأنَّهم مخرّبو الدين، ومضلّو العباد، ونهى (عليه السلام) كذلك عن الخوض في مسألة (خلق القرآن) ؛ لأنها من المسائل المحرقة التي تؤدّي إلى تضييع الرسالة، وذهاب الغاية.

١٩. من المسائل الكلامية المهمة التي أبان الإمام فيها عن رأيه وفاقاً لآراء آبائه (عليهم السلام) مسألة (الجبر والتفويض)، وقد أبطلها آخذاً بالمنزلة بين المنزلتين،

أو الأمر بين الأمرين.

٢٠.انبرى الإمام الهادي (عليه السلام) إلى إشاعة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوصفه إماماً للأمّة فهو عين المعروف، وأعداؤه عين المنكر.

٢١.حذّر الباحث من إقحام المغيبات، والخيال، وترديد الروايات المبالغ فيها في دراسة سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) لاسيما روايات كرمه المبالغ فيها، فالباحث يذكرها من غير قصد يريد بيان فضائل الإمام (عليه السلام) إلاّ أنَّ المتأمل فيها، والمدقّق يجد أنها من صنيع العباسيّين من أجل تبرير إسرافهم وتبذيرهم من جهة، وإضفاء أعمالهم شرعية من جهة أخرى.

٢٢.أظهر البحث أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) كان من أشدّ المحافظين في زمانه على الدين من الانحراف، ومِن الانزياح نحو الضلالة والغواية.

التوصيات

١. الدعوى إلى ضرورة دراسة تاريخ الأئمة (عليهم السلام) بشكل عام، وتاريخ الإمام الهادي (عليه السلام) بشكل خاص بالاعتماد على النصوص التاريخيّة الصحيحة في التعرف على خصائص عملهم (عليهم السلام)، وخصائص المراحل التاريخية التي مرُّوا بها حذراً وخشية من الانجرار وراء الفكر المذهبي المسبق، ومحاولة فرضه على تاريخهم كطريق لإعطاء تاريخهم الصفة الشرعية المقدّسة.

٢. الدعوة إلى دراسة النصوص التي رويت عن الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة تحليلية، فهذه النصوص لا يكفي جمعها فحسب، بل بحاجة إلى دراسات تحليلية ليفاد منها في معرفة حقائق مهمة تتعلق بتربية المسلم، وتتناسب مع ثقافة الأجيال الجديدة.

٣. جمع أدعية الإمام الهادي (عليه السلام) ومناجاته في مؤلف يحمل عنوان الصحيفة الهاديّة.

٤. الدعوة إلى دراسة تراث الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة لغوية، وفنية، وأسلوبية ولاسيما زيارة الغدير، والزيارة الجامعة الكبيرة وتحليلها لتعرّف مضامينها ومداليلها.

٥. إبعاد الروايات التي تمسّ ساحة الأئمة (عليهم السلام)، خصوصاً الروايات المتصلة بالإمام الهادي (عليه السلام)، وكذلك المغيّبات والتي - فيما نرى - تمسّ عصمة الإمام الهادي (عليه السلام) وطهارته (عليه السلام).

٦. الدعوة إلى دراسة تراث الإمام الهادي (عليه السلام) دراسة تربويّة من أجل تعرّفها الأجيال.

٧. في ضوء تراث الإمام الهادي (عليه السلام) وبلحاظ انتقاء العبارات الداعية إلى الالتزام بالإمام المعصوم واصطفائها نرى واقعية دراسة أثر الإمام الهادي في التمهيد لدولة العدل الإلهي المتمثلة بصاحب العصر والزمان الإمام محمد بن الحسن العسكري (المهدي المنتظر (عجل الله فرجه))، وهذا ما وقفنا عليه في تراثه.

٨. الدعوة إلى دراسة المشروع الإصلاحي عند الأئمة كافة، من أجل إظهار أهم معالم هذا المشروع العظيم.

٩. دراسة الجانب الإنساني المثالي عند الإمام الهادي (عليه السلام)، هذا الجانب الذي لم يلتفت إليه من قبل من جهة علاقته بأصحابه، ودعوته إلى العفو والصفح، والتسامح، والإصلاح، والتعايش السَّلمي، وغيرها من المعالم الإنسانية المثالية عنده (عليه السلام).

والحمدُ لله أولاً وآخراً،

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

كتبه في الحلّة الفيحاء، حلّة الحسن المجتبى (عليه السلام) بيمناه الوازرة الآثمة

الخاطئة مؤلّفه رحيم الشَّرِيفيّ الحُسينيّ في شهر

جُمَادَى الأولى من سنة ١٤٣٥هـ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

- الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية) : عادل الأديب، ط٣، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ) : محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧هـ)، ط١، منشورات الاجتهاد، قم - إيران، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الإتحاف بحبّ الأشراف : عبد الله بن محمد بن عامر الشَّبْرَاوي الشافعي (ت ١١٧٢هـ)، وثق أصوله وحققه (سامي الغريري)، ط١، مؤسسة الكتاب العربي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- إتحاف العقول في أخبار آل بيت الرسول : قاسم حسن آل شامان السامرائي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي الهذلي (ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار الأندلس، النجف، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الاحتجاج : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطَّبَرسي (من علماء القرن السادس) : تحقيق : إبراهيم البهادري، ومحمد هادي به، ط٣، دار الأسرة، إيران، ١٤٢٤هـ.
- الإرشاد : محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- أسلوب الدعوة في القرآن الكريم : محمد حسين فضل الله، ط٤، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

• الأعلام (قاموس تراجم) : خير الدين الزركليّ (ت ١٤١٠هـ)، ط١٧، دار العلم الملايين، بيروت، ٢٠٠٧م.

• أعلام الهداية (الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)) : المجمع العلمي لأهل البيت، ط٢، مطبعة ليلى، قم - إيران، ١٤٢٥هـ.

• إعلام الورى بأعلام الهدى : أبو الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس) مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.

• أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٩٥٢م)، حققه السيد حسن الأمين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

• الأمالي : الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق ونشر قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.

• الأمالي : الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، ط١، نشر دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

• الإمامة والسياسة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م.

• الإمام الرضا (عليه السلام) بين نصوص الرسالة وسلطان الرأي والقبيلة : عادل عبد الرحمن البدري، ط١، مؤسسة الطبع والنشر، طهران - إيران، ١٤٣١هـ.

• الإمام علي الهادي (عليه السلام) (عمر حافل بالجهاد والمعجزات) : علي الكوراني العاملي، ط١، دار المعروف، قم - إيران، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

• الإمام محمّد الجواد (شبيه عيسى ويَحْيَى وسليمان): علي الكوراني العاملي، ط١، قم - إيران، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

• الإمام الهادي (عليه السلام) (أضواء من سيرته) : محمود السيف القطيفي، ط١، مطبعة طه، قم - إيران، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

• الأنوار القدسيّة : محمد حسين الأصفهاني (الكمباني) (ت ١٣٦١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د.ت.

• بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، ط١، إحياء الكتب الإسلامية، قم - إيران، ١٤٢٧هـ.

• البداية والنهاية : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، راجعه الأستاذ سُهيل زكّار، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.

• بلدان الخلافة الشرقيّة : كي لسترنج، نقله إلى العربية، بشير فرنسيس، وكوركيس عوّاد، ط١، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٤٧٣هـ - ١٩٥٤م.

• البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

• تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسينيّ الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق الدكتور ضاحي عبد الباقي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

• تاريخ الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم : ابن الخشّاب البغدادي (ت ٥٦٧هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور ثامر الخفاجي، ط١، مطبعة ستاره، قم - إيران، ١٤٣٢هـ.

• تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) : حسن إبراهيم حسن، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠١٠م.

• التاريخ الإسلامي (دروس وعبر) : محمد تقي المدرسي، ط١، دار أسماء، ٢٠٠٦م.

• تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير

الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط١، الأميرة، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

• تاريخ بغداد أو مدينة الإسلام : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

• تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط١، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م.

• تاريخ المجتمعات الإسلامية : أيرام لابيدس، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ٢٠١١م.

• تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة ومعجزاتهم المُسَمَّى بـ (الهداية الكبرى) : أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٥٨هـ)، تحقيق : مصطفى صبحي الخضر الحمصي، ط١، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

• تاريخ اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي (ت بعد سنة ٢٩٢هـ) علق عليه ووضع حواشيه : خليل منصور، دار الزهراء، إيران، ١٤٢٩هـ.

• تُحف العقول عن آل الرسول : أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني من أعلام القرن الرابع الهجري، ط٥، منشورات الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

• تذكرة الحفّاظ : أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٦م.

• تذكرة الخواص من الأمّة بذكر خصائص الأئمة : يوسف بن قربُغلي البغدادي سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق : حسين تقي زادة، ط١، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ.

• تفسير العياشي : أبو النضر محمد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقنديّ (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤٢١هـ.

• تهذيب الأحكام : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مكتبة الصدوق، طهران، ١٤١٧هـ.

• تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، إشراف محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.

• التوحيد : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (٣٨١هـ)، نشر وتحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٨، ١٤٢٣هـ.

• الثاقب في المناقب : عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بـ (ابن حمزة) من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق : نبيل رضا علوان، ط٤، مطبعة قدس، قم – إيران، ٢٠٠٧م.

• الجرائح والخرائج : قطب الدين الراونديّ (ت ٥٧٣هـ)، ط٢، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

• جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام : أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود الشيزَري (ت بعد سنة ٦٢٢هـ)، تحقيق : وليد جاسم الزبيدي، ط١، دار الضياء، النجف الأشرف، العراق، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

• حقيقة الخلاف بين المتكلمين : علي عبد الفتاح المغربي، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٥هـ.

• حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام) : هاشم البحرانيّ، تحقيق : غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم – إيران، ١٤١٥هـ.

• حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني

(ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: سعيد بن سعد الدين خليل الإسكندراني، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

• حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) (دراسة وتحليل): باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٢هـ)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١٠، مؤسسة الإمام الحسن لإحياء تراث أهل البيت (عليهم السلام)، الوردي، النجف - العراق، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

• حياة أولى النهى (حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام)): محمد رضا الحكميّ الحائري (ت ١٤١٢هـ)، ط١، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

• دلائل الإمامة: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (من علماء القرن الرابع الهجري)، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

• الدمعة الساكبة: محمد باقر عبد الكريم البهبهاني، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨هـ.

• دور الأئمة في الحياة الإسلامية: محمد اليعقوبي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

• دول الإسلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: حسن إسماعيل مَرْوَة، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

• الديارات: أبو الحسن علي بن محمد المعروف بـ(الشابشتي) (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

• ديوان ابن الرومي: تحقيق الدكتور حسين نصّار، الهيأة المصرية العامة للكتاب.

• ديوان الناشئ الصغير (ت ٣٦٦هـ): جمع وتحقيق ودراسة علاء عبد الله

ناجي الأسدي، ط١٠، المطبعة العالمية الحديثة، بغداد، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

• الذخائر (مجموعة شعرية لـ (محمد علي اليعقوبي)) : المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٤هـ.

• رجال الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني، ط٤، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ١٤٢٨هـ.

• رجال الكشي : الكشي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، د.ت.

• رحلة ابن جبير : أبو الحسن محمد بن جُبير الكناني الأندلسي الشاطبي (ت ٦١٤هـ)، ط١، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

• رحلة ابن بطوطة المسمّاة (تحف النظار في غرائب الأمصار) : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ)، تحقيق طلال حرب، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠١١م.

• سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار : عباس بن محمد بن رضا أبو القاسم القُمّي (ت ١٣٥٩هـ)، ط٤، دار الأسوة، إيران، ١٤٢٧هـ.

• سيرة الأئمة الاثنى عشر : هاشم معروف الحسني، ط٥، مطبعة شريعة، إيران/ ١٤٢٧هـ.

• سيرة الأئمة الأطهار : مرتضى المطهري، مراجعة عبد الكريم الزهيري، ط٢، مطبعة شريعة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

• سيرة الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) : عبد الرزاق شاكر البدري، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٥م.

• سيرة رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام) : لجنة التأليف مؤسسة البلاغ، ط٢، مؤسسة الهدى الدولية، طهران - إيران، ١٤٢٠هـ.

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحيّ بن أحمد بن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

• شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : أحمد بن زين الدين الإحسائي (ت ١٤٢١هـ)، ط١، مكتبة العذراء، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

• صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

• الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة : شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، تحقيق أبو عبد الله مصطفى العدوي، ط١، مكتبة فياض، المنصورة - مصر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

• ضُحى الإسلام : أحمد أمين، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٣٣م.

• ظهر الإسلام : أحمد أمين، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

• عبقرية الإمام علي (عليه السلام) : عبّاس محمود العقّاد، ط١، المطبعة العصرية، صيدا - لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

• عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر (ت ١٣٣٥هـ)، مؤسسة أنصاريان، قم - إيران، (د.ت).

• علم الكلام والتأريخ (إشكالية العقيدة في الكتابة الإسلامية) : د.حسن سلهب، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١١.

• عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين الحسنيّ (ت ٨٢٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ.

• العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية : مصطفى عباس الموسويّ، ط١، دار الرشيد، بغداد - العراق، ١٩٨٢م.

• العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط١، مطبعة باقري، قم – إيران، ١٤١٤هـ.

• الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بـ (ابن الطقطقا)، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.

• الفصول المختارة من العيون والمحاسن : محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٤م.

• الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام) : علي بن محمد ابن أحمد المالكي (ابن الصباغ المالكي) (ت ٨٥٥هـ)، ط٢، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

• فن السيرة : إحسان عبّاس، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٥٦م.

• فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة (دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية) : صباح عيدان حمود العبادي، ط١، دار الفيحاء، البصرة، العراق، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

• في رحاب الإمام الهادي (عليه السلام) : حسين الحاج حسن، ط١، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

• في رحاب أمهات الأئمة (عليهم السلام) : مريم نور الدين فضل الله، ط١، كلمات للطباعة والنشر، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

• القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

• الكافي : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران، ١٣٨١هـ.

• الكامل في التاريخ : عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد عبد

الواحد الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، تقديم الدكتور سمير شمس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

• كشف الغمّة في معرفة الأئمة : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٢هـ)، تحقيق : علي الفاضلي، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ.

• لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

• لمحات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) : محمد رضا سيبويه، ط٢، مؤسسة الطبع والنشر، مشهد - إيران، ١٤٢٤هـ.

• المجالس السَّنِيّة : محسن الأمين العاملي (ت ١٩٥٢م)، دار المعارف، بيروت، (د.ت).

• مجمع البحرين : فخر الدين بن محمد علي بن طريح الأسدي الطُّريحي (ت ١٠٨٥هـ)، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م.

• المحاسن والأضداد : عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

• مرآة الجنان وعبرة اليقظان : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعيّ (ت ٧٦٨هـ) وضع حواشيه خليل المنصورة، ط١، نشر دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

• مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن الحسين بن عليّ المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار القارئ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

• مسند أحمد : أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ت).

• مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : جمعه ورتّبه عزيز الله العطارديّ، ط٢، دار الصفوة، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

• مطالب السؤول في مناقب آل الرسول : أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النصيبي الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ – ١٩٩٩م.

• معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧م.

• معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، ترتيب : إبراهيم شمس الدين، ط٤، شركة الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

• مفاتيح الجنان : عباس بن محمد رضا أبو القاسم القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، ط٤، دار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بيروت، ١٤٠٢هـ – ٢٠٠١م.

• مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

• مكاتيب الأئمة (عليهم السلام) : الفيض الكاشاني، مكتبة الصدوق، قم، إيران، (د.ت).

• الملل والنحل : أبو الفتح بن أبي القاسم بن أبي بكر الشهرستاني (ت ٥٢٨هـ)، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م.

• مناقب آل أبي طالب : أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق : يوسف البقاعي، ط٢، مطبعة سليما تراده، إيران، ١٤٢٧هـ.

• المنتخب من سيرة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) : فاضل الفراتي، ط١، دار الأثر، بيروت، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

• منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل : عباس بن محمد رضا أبو القاسم

القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، ط١، مطبوعات دار الأندلس، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥.

• مَنْ لا يحضره الفقيه : أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٨١هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

• مهج الدعوات ومنهج العنايات: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن طاووس الحسني الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، ط١، منشورات الفجر، بيروت – لبنان، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

• موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) (تاريخ الغيبة الصغرى) : محمد محمد صادق الصدر (ت ١٩٩١م)، ط١، دار ومكتبة البصائر، بيروت – لبنان، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

• موسوعة العتبات المقدّسة (قسم سامرّاء) : جعفر الخليلي، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

• موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة (الهادي علي (عليه السلام)) : حسين الشاكري (ت ١٤٣٠هـ)، ط١، مطبعة سُتاره، قم – إيران، ١٤١٩هـ.

• نفحات من سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) : باقر شريف القرشي، ط١، شريعة، إيران، ١٤٢٤هـ.

• نهج البلاغة : الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ت ٤٠هـ) : شرح محمد عبده، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ – ٢٠١٠م.

• نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار : مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي (ت ١٣٢٠هـ)، ط٨، دار شقرون، مصر، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٣م.

• الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق : أبو عبد الله جلال الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.

• وحي القلم : مصطفى صادق الرافعيّ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت

– لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

• وظيفتان في الإصلاح والردع : جعفر البيّاتي، منشورات قسم الإعلام الدولي، العتبة الحسينية المقدّسة، ٢٠١٢م.

• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٧٠م.

• ينابيع المودّة : سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)، اسطنبول، ١٣٠٢هـ.

المخطوطات :

- دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن (عليه السلام) : يوسف مدن، العتبة العباسيّة المقدّسة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن (عليه السلام) وأولاده (دراسة تاريخيّة) (٧٠هـ - ١٧٥هـ) : هاشم حسن مهدي الحسني، الحلة - بابل، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

المجلّات والدوريات :

- حوار الكتب بداية ونهاية مخزية (العلامة الأميني يصف المؤرخ الكبير ابن كثير بخائن التاريخ والمعادي لأهل البيت (عليهم السلام)) : مجلة الأحرار: قسم الإعلام في العتبة الحسينية المقدّسة، العدد (٣٩٧)، سنة ١٤٣٤.
- الإمام علي (عليه السلام) وفن التعامل مع الناس : مجلة الولاية - قسم الإعلام في العتبة العلوية المقدّسة، السنة السابعة (العدد ٦٩)، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

المحتويات

المقدمة ١٣

الإِمام عليّ بن محمد الهادي (عليه السلام) ٢١

في المدونات التاريخية ٢١

(نظرة نقديّة).. ٢١

التمهيد

الإمام علي بن محمّد الهادي(عليه السلام) في المدونات التاريخية ٢٣

(نظرة نقدية) ٢٣

أو لاً : المصادر القديمة : ٢٦

ثانياً : المراجع الحديثة : ٤٢

نتائج المنهج التاريخي في عرض سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) : ٤٤

في رحاب سيرته العاطرة (المجد والشرف) ٤٧

الفصل الأول

في رحاب سيرته العاطرة (المجد والشرف)........................ ٤٩

المبحث الأول : سيرته العاطرة (عليه السلام) ٥٣

سبب تسميته علياً :.. ٥٦

ثانياً : كنيتُهُ (عليه السلام) : ٥٧

ثالثاً : ولادتُهُ (عليه السلام) : ٥٨

رابعاً : نشأتُهُ ونبوغه المبكر (عليه السلام) : ٦٠

خامساً : نَسَبُهُ (عليه السلام) : ٦٢
زواجها من الإمام الجواد (عليه السلام) : ٦٦
سادساً : ألقابُهُ : ٦٦
سابعاً : بوّابهُ (عليه السلام) : ٧٣
ثامناً : شاعره (عليه السلام) : ٧٣
تاسعاً : خادمُهُ (عليه السلام) : ٧٣
عاشراً : تسبيحُه وحِرْزُه (عليه السلام) : ٧٣
الحادي عشر : نقش خاتمه (عليه السلام) : ٧٦
الثاني عشر : صفته (عليه السلام) : ٧٦
الثالث عشر : هيأتُهُ (عليه السلام) : ٧٧
الرابع عشر : زَوْجُه (عليه السلام) : ٧٧
الخامس عشر : أولادُهُ (عليه السلام) : ٧٧
أولاً : كرمُهُ (عليه السلام) : ٨١
المبحث الثاني ٨١
فَضَائلُه (عليه السلام) ٨١
ثانياً : عبادتُهُ (عليه السلام) : ٨٥
ثالثاً : زُهْدُه (عليه السلام) : ٨٨
رابعاً : عفوه وصفحه (عليه السلام) : ٨٩

خامساً : هيبتُه (مهوى قلوب المسلمين) (عليه السلام) : ٩٠
أولاً : الإمام الجواد (عليه السلام) (ت ٢٢٠هـ) : ٩٣
ثانياً : المتوكل العباسي (ت ٢٤٧هـ) : ٩٣
المبحث الثالث **٩٣**
كلمات في حقِّ الإمام الهادي (عليه السلام)................................ ٩٣
ثالثاً : أبو عبد الله الجُنَيديّ (وكَّلَه المعتصم بتعليم الإمام الهادي (عليه السلام)).... ٩٤
رابعاً : محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) : ٩٥
خامساً : قطبُ الدّين الراونديّ (ت ٥٧٣هـ) : ٩٥
سادساً : أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السَّروي المازندراني (ت٥٨٨هـ) :..... ٩٥
سابعاً : كمال الدين محمد بن طلحة الشافعيّ (ت ٦٥٢هـ) : ٩٦
ثامناً : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ (ت ٦٩٢هـ): ٩٦
تاسعاً : عبد الله بن أسعد بن علي اليافعيّ (ت ٧٦٨هـ) : ٩٦
عاشراً : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البُصرويّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ) : ٩٧
الحادي عشر : جمال الدين أحمد بن عليّ بن الحسين الحسنيّ (ت ٨٢٨هـ) : ٩٧
الثاني عشر : عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي (ت ٨٥٥هـ) : ٩٧
الثالث عشر : شهاب الدين أحمد بن حَجَر الهَيْتَمِيّ (ت ٩٧٤هـ) : ٩٨
الرابع عشر : عبد الحيّ بن أحمد بن عماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ) : ٩٨
الخامس عشر : عبد الله بن محمد بن عامر الشَّبْرَاوِيّ الشافعيّ : ٩٨
السادس عشر : سليمان بن إبراهيم الحافظ القندوزي الحنفي : ٩٨

السابع عشر : مؤمن بن حسن مؤمن الشَّبْلَنْجِي (ت ١٣٠٩هـ) : ٩٨
الثامن عشر : خير الدين بن محمود بن محمّد (الزركلي ت١٤١٠هـ) : ٩٩
التاسع عشر : محمد رضا الحكيميّ الحائريّ (ت ١٤١٢هـ) : ٩٩
العشرون : السيّد عبد الرزّاق شاكر البدري الشافعيّ : ٩٩
الحادي والعشرون : محمّد حسن محمد رضا عبد الحسين بن باقر آل ياسين:... ١٠٠
الثاني والعشرون : حُسَين الشاكريّ (ت ١٤٣٠هـ) : ١٠٠
الثالث والعشرون : باقر شريف القرشيّ (ت ١٤٣٢هـ) :................. ١٠٠
الرابع والعشرون : محمود السيف القُطيفي :......................... ١٠١
الخطوط العامة لتأريخ الإمام الهادي (عليه السلام) ١٠٣

الفصل الثاني

الخطوط العامة لتأريخ الإمام الهادي (عليه السلام) ١٠٥
أولاً : التعريف ب (الإمامة) : ١٠٧
المبحث الأول ١٠٧
إمامتُه (عليه السلام) ١٠٧
٢- اضطراب القول في الخلفاء الاثني عشر :- ١١٠
٣- محاربة ربط الإمامة بالتصوف :- ١١٤
٤- مواجهة الخط الإلهيّ : ١١٥
ثانياً: مؤهلاته (عليه السلام) : ١١٧
٢- جامعيتُهُ (عليه السلام) : ١٢٠
ثالثاً : قيادة المجتمع : ١٢٢

١- تدبيره (عليه السلام) شؤون المسلمين : ١٢٣
٢- إقرار الحكّام بإمامته (عليه السلام) : ١٢٥
رابعاً : النصُّ على إمامته (عليه السلام) : ١٢٦
١- النصُّ على إمامته مباشرة : ١٢٧
ومن هذه النصوص : ١٢٨
٢- النص على إمامته (عليه السلام) بوساطة أصحابه :- ١٢٩
أولاً : الجانب السياسيّ : ١٣٣
المبحث الثاني **١٣٣**
جوانب من عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ١٣٣
١- ضعف الدولة الإسلامية في العصر العبّاسي : ١٣٥
٢- تسلّط الأتراك على الحكم : ١٣٧
٣- الفساد الإداري : ١٣٩
٤- الإرهاب السياسي : ١٤٠
ثانياً : الجانب الاقتصادي : ١٤١
١- نظرية (الأُمَناء على المال) : ١٤١
٢- تكدّس الأموال بيد المقرّبين : ١٤٣
٣- البذخ والإسراف : ١٤٤
٤- الحصار الاقتصادي على المسلمين : ١٤٦
ثالثاً : الجانب الأخلاقيّ : ١٤٧
ومن أهم مظاهر الانحلال الأخلاقي في هذا العصر : ١٤٨

١- انتشار ظاهرة شرب الخمر :........................ ١٤٨
٢- التمثيل الهزلي : ١٤٩
رابعاً : الجانب الثقافيّ : ١٥١
أولاً : مشروعه (عليه السلام) السياسي في المدينة المنوّرة : ١٥٣
المبحث الثالث **١٥٣**
مشروعه (عليه السلام) السياسي في المدينة المنورة وبغداد ١٥٣
١- الحفاظ على الوضع العام ، (وحقن الدماء) : ١٥٧
٢- التفاف الناس حول إمامهم : ١٥٩
٣- فَضْحُ السلطة الجائرة :.. ١٦٣
ثانياً : مشروعه (عليه السلام) السياسي في بغداد : ١٦٥
إمــــام ســـــامـــرّاء **١٧١**

الفصل الثالث

إمام سامرّاء ١٧٣
أولاً : تسميتها : ١٧٥
المبحث الأول **١٧٥**
نبذة تاريخية عن مدينة سامراء (مدينة الإباء والمجد)........................ ١٧٥
ثانياً : بناؤها : ١٧٧
مدينة سامراء ١٨٢
ثالثاً : شَرَفُها : ١٨٣
المبحث الثاني.. **١٨٩**

الإمام الهادي (عليه السلام) والسلطة ١٨٩
الحكّام المعاصرون له (عليه السلام) : ١٩٠
١-المعتصم العباسيّ : ١٩٢
٢-الواثق العباسيّ : ١٩٥
عطاؤه لبني هاشم : ١٩٦
موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من الواثق : ١٩٧
وفاة الواثق : ١٩٩
٣-المتوكّل العباسيّ : ٢٠٠
اسمه وبيعته : ٢٠٠
سيرته : ٢٠١
ظلمه لأهل البيت لاسيّما الإمام الهادي (عليه السلام) : ٢٠٥
أ-بغضه خليفة المسلمين أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب (عليه السلام)) :........ ٢٠٥
ب-هدمه قبر الإمام الحسين (عليه السلام) : ٢٠٦
ج-إشخاص الإمام الهادي (عليه السلام) إلى سامرّاء : ٢٠٩
د-قَتْلُ الموالين من العلويين : ٢١٠
مَقْتَلُهُ : ٢١٢
٤-المنتصر العبّاسيّ :........................ ٢١٦
سيرته :........................ ٢١٦
مقتله : ٢١٨
٥-المستعين :........................ ٢١٩

سيرته : ٢١٩
الثورات الشيعية : ٢٢٠
٦-المعتز : ٢٢٣
مقتله : ٢٢٥
أولاً : قدرتُه (عليه السلام) في التأثير : ٢٢٧
المبحث الثالث **٢٢٧**
منهج الإمام علي الهادي (عليه السلام) في التعامل مع الأحداث ٢٢٧
١- الحوار الهادئ المتزن : ٢٢٨
٢- الارتباط الخالص بالله (عز وجل) : ٢٣٣
٣- التقيّة واليقظة : ٢٣٦
ثانياً : تحمله (عليه السلام) لأساليب الضغط : ٢٣٨
١- الإقامة الجبرية : ٢٣٩
إنَّ هذا التهجير القسري للإمام من مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سامرّاء كان لها تبعات، منها : ٢٤٠
٢- خان الصعاليك (خان الإباء والمجد) : ٢٤٢
٣- عزله (عليه السلام) عن مواليه : ٢٤٤
٤- الاستهزاء به (عليه السلام) : ٢٤٥
٦- سجنُه ومحاولة قتله (عليه السلام) : ٢٥٠
تُـرَاثُـهُ (عليه السلام) الـفـكـريّ... **٢٥٥**

الفصل الرابع

تراثُهُ (عليه السلام) الفكري ٢٥٧

أولاً : الجانب الفقهي : ٢٦٥

المبحث الأول **٢٦٥**

مناظراتُه (عليه السلام) واحتجاجاتُهُ العلميّة ٢٦٥

١- مناظرة المتوكل الإمام الهادي (عليه السلام) : ٢٦٦

٢- مناظرة الواثق الإمام (عليه السلام) : ٢٦٩

٣- مناظرة يحيى بن أكثم الإمام (عليه السلام) : ٢٦٩

٤- أسئلة فقهيّة متنوعة من أصحابه (عليه السلام) : ٢٧٣

ثانياً : الجانب التفسيريّ : ٢٧٦

ثالثاً : الجانب الكلاميّ : ٢٨٤

١ .التوحيد : ٢٨٤

حقيقة التوحيد : ٢٨٥

استحالة وصفه (عزّ وجلّ) : ٢٨٧

استحالة رؤيته (عزّ وجلّ) : ٢٨٨

أفعال الله (عزّ وجلّ) : ٢٨٨

رابعاً : أجوبتُه (عليه السلام) في مسائل متفرقة : ٢٩٠

أولاً : الزيارة الجامعة : ٢٩١

وصفها :- ٢٩١

المبحث الثاني **٢٩١**

مرويّاته (عليه السلام) ٢٩١
سندها :- ٢٩٢
شروح الزيارة الجامعة الكبيرة : ٢٩٣
نصُّ الزيارة مع بيان مضامينها : ٢٩٤
١.الأئمة هم أهل البيت (الاصطفاء الإلهي) : ٢٩٤
٢.الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) امتدادٌ واحد وخط رسالي متواتر : ٢٩٥
٣.معرفتكم الكبرى بالخالق : ٢٩٥
٤.أنتم أهلٌ للإتّباع والاهتداء : ٢٩٦
٥.الإقرار والشهادة بالإيمان لكم وملازمتكم والبراءة من أعدائكم : ٢٩٧
٦.معدن الفضائل والشمائل والمحاسن : ٢٩٩
٧.بكم يعرف الناس معالم الدين وينالون دار المتقين : ٢٩٩
٨.طاعتكم طاعة الله ومعصيتكم معصية الله : ٣٠٠
ثانياً : زيارة الغدير : ٣٠٢
ثالثاً : دعاء المظلوم على الظالم : ٣٠٨
المبحث الثالث **٣١٣**
أقواله (عليه السلام) الحِكَمِيّة القصار ٣١٣
المبحث الرابع **٣١٩**
أصحابه (عليه السلام) ورواتُه ٣١٩
مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحيّ **٣٣٥**

الفصل الخامس

مشروع الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحي ٣٣٧

المبحث الأول ٣٤٣

قيادة الجماعة الصالحة والحفاظ عليها ٣٤٣

أولاً : التمسك بتعاليم الله (عز وجل) وفعل الخير، والتحلّي بمكارم الأخلاق :٣٤٤

ثانياً : قربُه (عليه السلام) من أصحابه وقضاء حوائجهم :........... ٣٤٧

ثالثاً : إيقاظ روح العزم والصبر : ٣٤٩

رابعاً : استحضار القدرات العقلية :........................ ٣٥١

خامساً : لزوم إعمال الحيطة والكتمان والتثبت :................ ٣٥٢

سادساً : تأييده (عليه السلام) للحركات المناهضة للحكم العباسيّ :........... ٣٥٤

أولاً : مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الهادي (عليه السلام) :٣٥٩

المبحث الثاني.. ٣٥٩

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٥٩

ثانياً : ترنيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (القصيدة اللاّمية) : ٣٦٣

ثالثاً : نتائج هذا المبدأ الإسلامي الأصيل :........................ ٣٦٩

المبحث الثالث ٣٧١

موقفُه من الغلاة والشبهات العقديّة ٣٧١

أولاً : موقفه من الغلاة : ٣٧٣

ونرى أنَّ هنالك أسباباً أخر وراء ظهور الغلو والغلاة، وهي :........... ٣٧٤

١ .تأويل الفرائض والأحكام الشرعية : ٣٧٤

٢. تأليه الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٧٥
ومن أهم الفرق المنحرفة والضالة التي تبرَّأ الإمام (عليه السلام) منها، وحاربها : ٣٧٧
وقد علّق القرشي على هذا النص بقوله : «ودلّل الإمام على زيف الصوفيين وأنهم لا نصيب لهم من الدين، وذكر من صفاتهم ما يلي : ٣٧٨
ثانياً : موقفه (عليه السلام) من الشبهات العقدية : ٣٨٢
١. مسألة خلق القرآن : ٣٨٢
٢.مسألة الجبر والتفويض : ٣٨٤
المبحث الرابع ٤٠٧
شهيد المبادئ والقيم والإصلاح ٤٠٧
أولاً : استشهادُه (عليه السلام) : ٤٠٨
ثانياً : مراسيم تشيعه (عليه السلام) : ٤٠٩
ثالثاً : فضل زيارته (عليه السلام) : ٤١٠
رابعاً : قُبته (عليه السلام) المباركة : ٤١١
خامساً : قصائد خالدات في مدح الإمام الهادي (عليه السلام) ورثائه: ٤١٣
وسنذكرها بحسب التسلسل الزمني لقائليها : ٤١٣
أولاً : أبو هاشم الجعفري : ٤١٣
ثانياً : أبو الغوث أسْلَم بن مهوز المنبجي الطهوي :- ٤١٤
ثالثاً : علي بن عبد الله بن وصيف بن يوسف المعروف بـ (الناشيء الصغير) (ت ٣٦٦هـ) : ٤١٥
خامساً : يَحْيَى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل المعروف بـ (الحصكفي) الشافعيّ (ت ٥٥١هـ) : ٤١٦

سادساً : السيد حيدر بن سليمان الصغير بن داود بن سليمان الكبير المزيدي الحليّ (ت ١٣٠٤هـ) : ٤١٧

سابعاً : الشيخ محمد حسين الأصفهاني النجفي الشهير بـ (الكُمْبانيّ) (ت ١٣٦١هـ) : ٤١٨

ثامناً : محمد علي بن يعقوب بن جعفر النجفي الملقّب بـ (اليعقوبي) نسبة إلى أبيه المتوفى سنة (١٣٨٥هـ) : ٤٢٠

الدراسة ونتائجها.. ٤٢٣

خاتمة ٤٢٣

خاتمة الدراسة ونتائجها.. ٤٢٤

التوصيات.. ٤٢٨

المصادر والمراجع ٤٣٠

المخطوطات : ٤٤٣

المجلاّت والدوريات :.. ٤٤٣